ابكار السقاف

إسرائيل و عقيدة الأرض الموعودة

الناشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

الإهداء

إلى القائل :

« إن الشرّ الذى وضع فى قلب العالم العربى لا بد أن يُقتلع !... »*

جمال عبد الناصر

---

* « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون »
« حديث شريف » رواه البخارى ومسلم .

تحية

إلى :

من غاب جسداً وشعّ روحاً .. من دفعنى لإخراج هذا « الكتاب » ..

« عباس محمود العقاد »

تحيــة ..

تحية ، يعبق بها أرج الذكرى ، ويشيع فيها عبير الذكريات ! ..

أبكار

« إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان متلاصقتان ، ولا يمكن تدمير الصهيونية بدون تدمير اليهودية ».

وايزمان

إن اليهود يعتبرون أنفسهم سلالة « إسرائيل » وأنهم مهما تباينت جنسياتهم واختلفت أصولهم « عبريون » كما يعتبرون « الأسفار الخمسة » صادرة عن موسى وأن النصوص منها إملاء « وحى إلهى » وضعتها الأجيال فى إطار « العهد القديم » أو هذا « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى . . وعلى هذا الأساس يتمسكون بعقيدة « الأرض الموعودة » ويدّعون ملكية فلسطين طبقاً لما جاء فى « الأسفار الخمسة » من نصوص . . وهذا مما يجعل قضية فلسطين قضية دينية فى المقام الأول ولذلك يجب أن لانسقط الجانب الدينى فى قضية فلسطين فإنما هو الأساس ! . .

ومن ثمَّ فنحن إذ نتناول فى بحثنا هذا « إسرائيل » مستهدفين العثور على منبت هذه « العقيدة » ، « عقيدة الأرض الموعودة »، فى سبر لأصول تكونها وفى تمحيص لأسباب نموها وفى تفنيد لعوامل تطورها كمشكلة لم تتكوّن إلا من الرواسب التاريخية ولم تطف على صفحة الحاضر إلا من أعماق التاريخ ، فليس إلا لنجد أنفسنا قد تناولنا تاريخ « آباء التوراة » وتاريخ « موسى » نفسه فى هذا البحث . . وهذا يحتم علينا أن نقول إننا إذ نتناول تاريخ « آباء التوراة » وتاريخ موسى فى هذا « الكتاب » فليس إلا لنتناول ذلك من الزاوية اليهودية المحضة وكما جاءت به نصوص ما قد أشرنا إليه من « أسفار » . . ومن

هنا منحنا أنفسنا كامل الحرية ومطلقها فى نقد هذه « الأسفار » التى تنشرها الصهيونية العالمية فى وجه العالم كسجل شرعى يمنحها فلسطين ملكا . . . فليس إلا على هذه « الأسفار الخمسة » اعتمدت الصهيونية العالمية فى بناء دعوتها وليس الا من نصوص هذه « الأسفار الخمسة » افتعلت صرح وليدتها « دولة إسرائيل ! . . »

أبكار السقاف

المحتويات

الفيضي لبلاد ما بين النهرين وضياع « مملكة أرض البحر »

رواية « التوراة » عن هذه الفترة. ارتحالات « أبرام » عبر « أرض كنعان » حتى وادي النيل في مشرق الحكم الهكسوسي .

الحلم بامتلاك « أرض كنعان » والاراضي الواقعـــة من الفرات إلى النيل يطوف على الجبين عوضاً عن مُلك « أرض البحر » .

انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »

« الوعد » بمنح « أرومة إسرائيل » كل « أرض كنعان » والأراضي الممتدة من الفرات إلى النيل . مولد إسماعيل، ونمو فكرة « الارض الموعودة » على مدارج الأيام . مولد إسحاق ، وطرد إسماعيل . « القربان البشرى » على « جبل المريا » . اسم « يهوه » يتجاوب همساً في مسمع التاريخ .

مولد يعقوب ، وخروج فكرة « الارض الموعودة » من الطور السلبي إلى الطور الإيجابي وتحول الفكرة عنها من الملك إلى المُلك . يعقوب ينتزع « البركة » من إسحاق .

المهد التاريخي لمولد « اسرائيل »

يعقوب يستبدل اسمه إلى « إسرائيل » . يعقوب أو إسرائيل ينزح إلى مصر تحت ظلال العصر الهكسوسي . جعلانات العصر الهكسوسي تحمل بعض أسماء حكام الهكسوس ومن بين هذه الاسماء اسم يعقوب ويوسف . سجلات « تحوت — موسى » الثالث تؤيد وجود صاحبي هذين الاسمين من بين الحكام الهكسوس .

انشقاق التربة الزمنية عن « أبناء إسرائيل » واستيطانهم وادي النيل خلال الاستعمار الهكسوسي للوادي ، وترامي ألوان العزة عليهم في مصر . الغفوة عن « الارض الموعودة » بالعزة في مصر خلال

نيف وأربعة قرون من الزمن . تكون « نسل الاسباط الإثنى عشر » إلى « بيوت » استقرت في « أرض غوشن » من شرقى الوادي .

بزوغ شمس الإمبراطورية المصرية ، ورواج الغبــــار الهكسوسى عن انتشار « بيوت إسرائيل » فى مصر القديمة خلال حكم الامبراطورية المصرية .

« بيوت اسرائيل » تهوى فى عصر الإمبراطورية المصرية الى مرتبة العبودية . هبات التذاكر عن « أرض الآباء » تنطلق بين « بيوت اسرائيل » . إرهاص الوعى «الإسرائيلى» فى مصر الى فكرة « الأرض الموعودة » خلال الحكم الحيثى لارض كنعان . التدهور الاقتصادى فى نهاية حكم « رع — موسى » الكبير . التوثب اللوبى على الحدود المصرية من ناحية «أرض غوشن » من الجهة الشرقية للوادى

يد الزمن تطوى رع موسى الثانى وتنشر منفتاح الاول ثم منفتاح الثانى . عودة موسى الى مصر .

اشتداد خطر الزحف اللوبى على الحدود المصرية من جهة « أرض غوشن » .

طرد « بنى إسرائيل» من مصر

الخطر اللوبى على الحدود المصرية يستدعى طرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون « أرض غوشن » من شرقى الوادى ومن حيث أقبل الغزو اللوبى . انتصار مصر على لوبيا . « قصيدة النصر » التى ألفت بمناسبة انتصار منفتاح على لوبيا .

الاماكن المصرية التى سلكها بنواسرائيل عند طردهم من مصر والمدة الزمنية التى اقتطعوها فى هذا الترحال من مصر الى سفوح سيناء .

انحسار الزمن عن مطلع عقيدة « الأرض الموعودة »

تقنين الحلم القديم وانبعاث ربوبية « يهوه » من طيات الماضى السحيق . تحول الفكرة عن « الارض الموعودة » من عقيدة متوارثة الى عقيدة دينية . تكون الكهنوت الإسرائيلى . قيام « مملكة كهنة » و « شعب مختار » و « أمة مقدسة » .

« بيوت اسرائيل » تطالب بـ « الارض الموعودة » .

الزحف الإسرائيلى صوب « الأرض الموعودة »

التمرد الكهنوتى على موسى . الثورة الجماعية على موسى « الرب يأمر بموت هرون » . « واقعة ياهص » و « واقعة أذرعى » وأثرهما فى نفسية جماعة اسرائيل .

ارتسام رقعة « الأرض الموعودة » فى إطار الفرات والنيل

اشتداد التمرد الكهنوتى على موسى وطغيان الثورة الجماعية عليه . « الرب يأمر بموت موسى » .

« يشوع بن نون » يعلن خبر غياب موسى فى « جبل نبو » ومن حيث لن يعود .

بروز « يشوع بن نون » فى إطار التاريخ الإسرائيلى

بدء حياة عقيدة « الارض الموعودة » يشوع بن نون يتولى قيادة بنى إسرائيل والعنق الاسرائيلى يسلس لقبضته العنان . تحول موسى الى مجرد رمز .

انحسار السجف السياسية والدينية عن يشوع بن نون القائد الحربي والزعيم الديني الحقيقي لبني اسرائيل .

تكون الدين اليهودي الحالي وعودته بأصوله إلى يشوع

بنو اسرائيل في « أرض كنعان » . « عهد القضاة » و « عهد الملوك » . امتلاك داود آخر حصون كنعان ، « صهيون » .

وفاة سليمان وانقسام مملكته الى مملكتين . في الشمال « مملكة اسرائيل » . وفي الجنوب « مملكة يهوذا » .

« الغزو الاشوري » ومحو « مملكة اسرائيل » من خريطة الوجود .

« الغزو البابلي » وانهيار « مملكة يهوذا » . أبناء يهوذا يساقون أسرى الى « بابل » . هبات التذاكر عن « صهيون » تعصف بأفئدة اليهوذيين .

الايدي اليهوذية تنشر القراطيس وتجري الاقلام .

بروز « الاسفار الخمسة » المكونة « التوراة » على صفحة التاريخ الديني .

الرجوع الى أورشليم .

الغزو الروماني . هدم « المعبد » وتشتيت بني اسرائيل في أرجاء الارض .

الايدي اليهوذية تنشر القراطيس من جديد وتجري الاقلام فتكتب الـ « مشنا » وتسطر « التلمود » البابلي والاورشليمي . أثر الالتحام الكتابي في ارساخ عقيدة « الارض الموعودة » وتحويلها الى عقدة نفسية .

انتقال عقيدة « الأرض الموعودة » من المجال العاطفى إلى المجال السياسى

انبثاق « الصهيونية » .

ارتسام الحركة الصهيونية، شرقية وغربية وعالمية وحديثة ، فى « مقررات حكماء صهيون »

امتداد رقعة « الارض الموعودة » الى امبراطورية يهودية عالمية .

ارساء حجر الاساس فى صرح « الامبراطورية اليهودية » على قاعدة تطوى معها الفرات والنيل .

تعبيد الطريق الي « الأمبراطورية اليهودية » عن طريق افتعال « دولة اسرائيل » على أسس من نصوص « التوراة » أو «الاسفار الخمسة » الاول من « العهد القديم » .

التعقيب :

عقيدة « الارض الموعودة » فى ميزان التاريخ

« التوراة » تحت أضواء التاريخ .

تلاشى القدسية عن « الاسفار الخمسة » وبطلان نسبتها الى موسى .

ذوب « الجنسية الاسرائيلية » فى تيار الزمن ، وتبدد عقيدة « الارض الموعودة » فى سراب التاريخ .

تمهيد

جهر بها تيهاً وتفاخراً، هى القائلة بأن أرض فلسطين قد مُنحت لبنى إسرائيل منحة إلهية وملكا أبدياً لتكون عاصمة لمملكة يهودية تشمل قاعدتها كل الرقاع المترامية فى إطار الفرات والنيل ! . .

ومن ثمّ فالمشكلة مشكلة دقيقة وحرجة لاستناد الفكر الصهيونى فى دعوته إلى المصدر الدينى المحض ولاستمداده مادته من المدد العاطفى البحت بل ولاعتماد الصهيونية العالمية اعتماداً كلياً على هذين المصدرين مستهدفة من وراء ذلك امتلاك العالم عن طريق امتلاك فلسطين أولا ومن بعدها بلاد الشرق الأوسط لتقيم على أنقاضها « الأمبراطورية اليهودية » التى حلم بها «هرتزل» ١٨٦٠—١٩٠٤ ، وليد الصهيونية البابلية وأبو الصهيونية الغربية والتى رسم رقعتها على صفحات كتابه « الدولة اليهودية »(1) الذى كان بمثابة حجر الأساس فى افتعال « دولة إسرائيل » وجرّ على العالم هذه الجريرة بجرة قلم واحدة جاءت تقول :

« إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لا ننساه ! . »

ويقيناً أن حجة الصهيونية بادّعائها الحق فى امتلاك فلسطين إنما هى حجة لا تقوم إلاّ على أساس من القول بأن أرض فلسطين هى الوطن التاريخى «لبنى إسرائيل» وأنها قد منحت لهم منحة إلهية وأبدية وهذه الحجة لا تعتمد على أساس سياسى أو سند قانونى وإنما على مجرد دعامة دينية كما أكد ذلك « هرتزل » نفسه فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقدت منه الأوامر فى مدينة «بال» بسويسرا ، ١٨٩٧م ، يوم وقف هو ، نفسه، يرأس هذا المؤتمر مُعرِّفاً ماهية الصهيونية وما تستهدفه حركتها بقوله :

---

(1) ١٨٩٦ (JUDENSTAAT)

« إنّ العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية! ـ وإن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد فى الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومىٍّ يهودى فى فلسطين ! . »

هذا القول المُوضِّح للهدف الصهيونى والرامى إلى إنشاء وطن قومىٍّ يهودى فى فلسطين تنفيذاً للنصّ الوارد فى "الكتاب المقدس" كان اللّهب الذى لفح الذاكرة من كل فرد من أفراد الطائفة اليهودية بلفحات الحنين إلى مايعتبرونه الوطن المُورَّث والموروث ، كما كان بدوره المادة الأساسية التى أعدها « هرتزل » نفسه لابتناء الصرح من « دولة إسرائيل » . . هذه « الدولة » التى ماافتعلت إلاوارتفع الصوت الصهيونى يعلن العالم بانشاء « الوطن القومى اليهودى » فى فلسطين تنفيذاً للنص الوارد فى « الكتاب المقدس » ! . وإشعاراً للعالم بقيام هذا « الوطن القومى اليهودى تنفيذاً للنص الوارد فى الكتاب المقدس » اتّخذ الصهاينة من رداء الصلاة اليهودية المؤلف من اللونين الأزرق والأبيض ، لـ « دولة إسرائيل » علماً ، ومن « نجمةداود » رمزاً ، ومن « الشمعدان المقدس » ذى الفروع السبعة شعاراً ، بينمامثلوا أنفسهم أدق تمثيل فصوروها بـ « الأفعى السامة » ! . هذه « الأفعى السامة » التى بدأ زحف رأسها المميت من فلسطين والذى لن يعود للالتقاء بالذنب الباقى فى فلسطين ، وهذا يمثل سائر الجماعة اليهودية ، إلا بعد تسميم العالم وإماتة كل من لايمت الى الجماعة اليهودية بأوشاج قرابة أو نسب ، ثم التربع على أنقاض بلاده وأشلاء أهله تحت ظل ملك يهودى يحكم العالم كله من صهيون على عرشٍ مساحته كل الرقاع الممتدة من الفرات الى النيل ! .

هذا الهدف الصهيونىّ السياسىّ البحت والمستمد معينه من الينبوع العاطفى المحض بالإضافة الى هذا الإشعار الدينى من الجانب الصهيونى للعالم

فى انشاء « وطن قومى يهودى » فى فاسطين تنفيذاً للنص الوارد فى "الكتاب المقدس" لا يجىء بالدليل الكافى، فحسب ، على أن اليهودية الحالية والصهيونية العالمية هما ، كما قال "وايزمان" زعيم الصهيونية الشرقية وأول رئيس "دولة اسرائيل" ، متلازمتان متلاصقان، وانما هو يحمل البرهان القاطع على الاستغلال السياسى للعقائد الدينية فى نظر معتنقيها ومن يؤمنون بها . فان هذا « النص » هو الدرع الوحيد الذى تدرأ به الصهيونية عن نفسها كل احتجاج وحجة وهو الأصل الذى انحدر منه وجودها وبه يقوم قيام كيانها الذى لا يتمثل إلا فى هذا النداء الذى ترسله بين الآونة والأخرى بأن فلسطين قد منحت من الإ له لإسرائيل منحة أبدية ! . ومن هنا كان قيام ممثلها ومندوب "الدولة اليهودية الحديثة" يجهر على منبر "هيئة الأمم المتحدة" عقب الاعتراف بهذه "الدولة" قائلا :

« قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى ، ولكن فلسطين لنا على أساس حق روحانى ! . »

لا جدال فى أن هذا «الحق الروحانى» مستمد من الإصحاح الخامس عشر من « سفر التكوين » وهو الذى أشار اليه مؤلف كتاب "الدولة اليهودية" ، من قبل ، وممثل "دولة اسرائيل" من بعد وهذا الإصحاح يقول :

« قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلا ، لنسلك أُعطى هذه الأرض . من نهر مصر الى النهر الكبير . . نهر الفرات ! . »

ولكن ! . .

حتى نبحث فى أمر هذا « النص » وحتى نضعه فى ميزان التاريخ سابرين ماهيته من حيث البطلان أو الاصابة ، نقول ، إن هذه الصيحة التى دوت بها جدران المؤتمر الصهيونى الأول ، وراح رجْع صداها فى أرجاء

« هيئة الأمم المتحدة » لم تأت نشازا وإنما كانت الترجيع الجديد لأصداء الماضى البعيـد المتجاوب نغماً حبيباً فى مسمع كل فرد من أفراد الطائفة اليهـودية ، كما كانت المد الذى استمد الفـكر الصهيونى منه جوهر دعوته ! فإن حجة الصهيونية فى دعوتها إنمـا هى حجة دعامتها الدين ، ومادتها هـذا « النص » إلى جانب نصوص أخرى من « كتاب » غلف بالقدسية وحومت من حوله أنفاس التقديس ، تحمله الصهيونية بيديها وتقدمه إلى العالم هادرة بأنه هو نفسه البرهان القاطع على حقها الشرعى فى امتلاك أرض فلسطين ولا فحسب هذه «الأرض» وحـدها وإنما كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! . ثم إنهـا لم تقف عند هذا الحد وإنما هى لهذا « الحق الشرعى » الذى تدعيه قد سجلت وأعلنت عندما ارتفعت يدها وعلقت ، على مدخل الـ « كنيست » ، هذه العبارة ؛

« حدودك يا إسرائيل من الفرات الى النيل ! . »

ومن ثم ، فإن فلسطين ليست هى كل «الأرض الموعودة » التى يدعى الصهاينة ملـكيتها . . كلا ! .

« إننا لم نحقق بعد هدفنا وهو النصر النهائى . فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط . وسنجعل الحرب حرفة يهودية حتى يتم تحرير بلادنا كلها ، بلاد الآباء والأجداد . . وسنحقق رؤيا أنبياء اسرائيل ! » (١)

بن جريون

أو فى ذلك شك ؟ !

إن فلسطين ليست هى كل « الأرض الموعودة » ، وإنما

---

(١) مايو سنة « ١٩٤٩ » .

هى جزء منها ... وعن هذا « الجزء » يتحدث الصهاينة فى ترديد لتلك الصيحة التى انطلقت من « تل أبيب » تقول :

« إن إسرائيل بوضعها الحالى لا تمثل إلا خُمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء ! .. ومن ثم يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية » (١) ! .

مناحيم بيجن

كلا ! . .

كلا ، لن نتساءل قائلين : ما هى هذه « الأربعة الأخماس » الباقية ؟ . . . فها هى ذى أمامنا منتشرة الخريطة الجغرافية الرسمية المتبعة فى المدارس اليهودية ، والتى تدرس اليوم للنشء فى « دولة إسرائيل » . . . فنحن نرى على هذه الخريطة قد رسمت رقعة « الإمبراطورية اليهودية المرتقبة » ! . فى إشارة إلى الأراضى الإسلامية المقدسة ، وفى مقدمتها « المدينة المنورة » ! . إلى هذه المدينة الضامّة لضريح صاحب الرسالة الإسلامية قد تطاول النظر الصهيونى فلم تتورع اليهودية عن أن تجعلها ضمن هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ! . .

وأما إذا تساءلنا : كيف سيكون العمل على « تحرير » هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ؟ . فان الجواب ما زال يدوِّى فى أرجاء الـ « كنيست » مردداً :

« إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشن حرباً وقائية على الدول العربية ، وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول ، حتى تضمن سلامتها

---

(١) سنة « ١٩٥٣ » .

تحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة إمبراطورية
سرائيلية ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع ! .

وبذلك يتم تحقيق الميثاق الذى قطعه الرب مع إبراهيم ! . . » [١]

موسى شاريت

هذا بعض من أقوال زعماء الصهيونية العالمية كما سجلتها
اضر « المؤتمر الصهيونى الأول » و « هيئة الأمم المتحدة » والبرلمان الإسرائيلى
. « كنيست » .. وكلها ، مجتمعة ، تأتى بالأدلة القاطعة على أن الهدف الأخير
صهيونية العالمية هو امتلاك العالم عن طريق امتلاك بلاد الشرق الأوسط من
رات إلى النيل وما ذلك إلا تطبيقاً لما جاء فى ذلك « الميثاق » الذى سجلته
وض من « كتابهم المقدس » الذى عليه فى دعواهم يعتمدون والذى لم تتشكل
من نصوصه « مشكلة فلسطين » ! . .

ومن هنا نستطيع أن نقول إننا لن نتبين أبداً مدى خطورة
مشكلة فلسطين » على بلاد الشرق العربى إلا إذا عدنا إلى « الأسفار الخمسة »
، تتصدر « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى وإلا إذا نشرنا
منا الـ « تلمود » وإلا إذا استعرضنا محاضر أو قرارات « حكماء صهيون »
روفة تحت اسم « بروتوكولات حكماء صهيون » . . حينئذاك ، وحينئذاك
ـد عند ما نتناول كل ذلك على حدة فى معرض البحث ، بعد صفحات ،
تجلى لنا بوضوح تام الهدف الجوهرى للصهيونية العالمية من وراء إقامة
مبراطورية يهودية » على أنقاض الدول العربية أولا فالدول الغربية آخراً

---

١) سنة « ١٩٥٥ » .

وحينئذاك نفهم المعنى من استهدافهم استعباد سكان الدنيا جميعاً بعد استعمار دول الأرض جمعاء ! . .

هذا التمادى الصهيونى يدفعنا إلى أن نسأل أنفسنا ؛

ما هى الوسيلة الناجحة لسحق رأس هذه « الحية السامة » حتى يجف منها الجسم ويكف منها اللسان عن هذا الفحيح الذى يرسل شرر الشرّ ، وسموم العدوان فى كل متجه مهدداً روح السلام فى كل ناحية من أنحاء الشرق الأوسط بالخطر ؟ ! .

وما هو المبضع الباتر لاستئصال هذه الجرثومة التى استشرى تضخمها استشراء يحاول الفتك بكيان المجتمع البشرى مهدداً حياته الاجتماعية والأخلاقية بالانهيار إن لم يكن بالفناء ؟ ! .

* * *

لا جدال أن القوة العسكرية كفيلة بسحق هذه « الأفعى السامة » ، رأساً وذنباً ! . . القوة العسكرية قادرة على إدالة « دولة إسرائيل » ونثر من تجمع فيها من اليهود جماعات وفرادى فى سائر أنحاء الأرض ، بيْدَ أن الدولة العربية الكبرى تعتنق السلام مذهباً لا تريد حرباً ولا تقدم على الحروب إلا اضطراراً ، إما لرد عدوان أو لكف عداء . وهذا بالإضافة إلى أنها ترى أن « مشكلة فلسطين » مشكلة دينية فى الصميم استمدت مبدأ وجودها من نصوص دينية بحتة ، هى التى تتخذ منها حجتها وهى التى يقوم عليها منطقها ، وهذا مما يجعل ساحة الحرب هو الورق وأما السلاح فهو القلم فليس للحجة إلا أن تقارع بالحجة وليس للمنطق

إلا أن يحارب بالمنطق ، وأما ما سوى ذلك من الوسائل فلن يكون إلا حلا وقتياً ، والدولة العربية الكبرى لاتريد هذا الحل الوقتى ، فهى ترى أن « مشكلة » قد عقدتها نصوص سطرت ، زيفاً ، بمداد القدسية لن تزايل العالم ما لم تزل عن هذه « النصوص » هذه « القدسية » الوهمية التى مالم تعرض أمام الرأى العالمى عرضاً تذوب به « عقيدة الأرض الموعودة » فى سراب التاريخ كما من هذا السراب قد حيكت فان هذه « المشكلة » ستتجدد ، حتما ، مع الزمن وإلى التشكل من جديد ستعود جديدة مما سيعود بالعالم عامة وعالم الشرق الأوسط خاصة إلى التساؤل من جديد ؛

كيف يمكن أن تحل « مشكلة فلسطين » ؟ . .

من اليقين أنه طالما ظل الصدر اليهودى زاخراً بحرارة هذه « العقيدة الدينية » فلن تحل ، قط ، « مشكلة فلسطين » حلا حاسماً . قد يجترف التيار الزمنى أطراف هذه « المشكلة » ولكنه لن يغتمر أصولها وليس إلا فى توار فيه ستتوارى ولردح من الزمن هو مهما طال واستطال ومهما إلى آماد امتد فلن تميد فى أعماقه أبداً هذه « المشكلة » التى ما لم تحل دينيا وتذوب منطقياً فلن تغيب مطلقاً من صفحة التاريخ السياسى . ليس إلا تحت رماد الأيام سيختفى اللظى وحتماسينحسر الرماد ، يوماً ، عن هذا اللظى فتهب العاصفة من جديد وتندلع النيران ، ولن يكون لذلك من سبب إلا لأن هذه « العقيدة الدينية » قد ظلت مشتعلة الجذوة بين الجوانح اليهودية . .

ومن اليقين أننا مالم نضع أمام الرأى اليهودى ، نفسه ، هذه « العقيدة » فى ميزان التاريخ حتى يستبين لليهود جميعاً مدى الوهم الذى يتخذون منه سنداً فستظل هذه « الأفعى السامة » ترسل الفحيح وتدعى « الحق الشرعى » فى

امتلاك فلسطين وهذه حقيقة نستطيع أن نتبينها تماماً إذا اتخذنا المنطق أداة في تفكيرنا وأخذنا أحداث التاريخ ومجرياته شواهد . . فلقد قُوِّضت ، من قبل ، لليهود مملكة وأديلت « دولة إسرائيل » ، ولقد نثر هدم « المعبد الثانى » اليهودَ بعيداً وراء هذه البقعة من الأرض التي يدعون شرعية ملكيتها فغابوا ، في توار ، في تيارات الشعوب التى ينتمون بها عنصراً وجنسية ويتسمون بسمات المظهر الخارجى لأهلها من السحنة واللون واللغة . . ولكن ! . « المشكلة » قد ظلت هى هى . . وإلا فكيف يمكن لها أن تذوب وهى تتخذ مساندها من عقيدة دينية تربتها النفس ، ومنبتها الجوانح ، تُروّيها العاطفةُ ، ويغذيها الوجدان والجذور منها ، في ميد ، قد تأصلت في الصدور ؟ . . ومن ثم كان النقيض الذى زاد هذه « المشكلة » تعقيداً في جبهة الزمان ! . فلقد حمل اليهود معهم هذه « العقيدة » وأحلوها معهم حيثما حلوا ، ومن نفوسهم لم تقتلع باقتلاعهم جماعات من فلسطين ، فلقد زادهم التشتت بها التصاقاً وتشبثاً ، ولها احتضاناً وصوناً بل وفى حنين يستحن الذكرى إلى عزة ولت انحنت عليها منهم الحنايا وكإرث عزيز توارثوه عن الآباء راحوا ، بدورهم ، يورثونه إلى أبنائهم ، الذين فى مسامعهم صبوا ، وهم بعد فى مهودهم ، أنغام الشوق إلى الوطن الموروث لهم « شرعا » والمسلوب منهم « غصباً » ! . .

ويقيناً لقد انتشر أفراد الطائفة اليهودية بين الشعوب التى يحملون جنسياتها ، ثم هم قد احتكوا بهم تحت مظهر واضح من الاندماج والاندغام ولكنهم قد ظلوا ، بالرغم من تفرقهم فى الشعوب ، وحدة تترابط تحت ظل التستر والاستتار ، بعروة يشدّ منها الوثاق الواحد إلى الآخر رباط قوى ومتين ! . فقد لا يفهم الواحد من أبناء الطائفة اليهودية لغة الواحد الآخر من

نفس طائفته الدينية ، لاختلاف الوطن والجنس ، وقد لا تتجانس طبيعته وطبيعة الآخر لتباين النشأة والبيئة بل والطبع والمعايير .

ولكن ! . بالرغم من هذا الاختلاف والتباين فهناك رابطة تضامن تجمع بوتقتها بين أفراد هذه الطائفة جميعاً وهي هذه « العقيدة » ، عقيدة « الأرض الموعودة » ، التي لم يزد التشتت أهلها إلا بها اشتغالا ! . فلقد صنعوا منها سلاحا شحذوا منه النصل على مشحذ الوجدان ، . ثم راحوا يتربصون من ورائه حتى سنحت السانحة للانقضاض فهبوا لإقامة « دولتهم » من جديد . . وهكذا من جديد جابهت جبهة الزمن « مشكلة فلسطين » ! .

ومن ثم فان الحل لهذه « المشكلة » ، وإن كان من مظاهره زوال « دولة إسرائيل » وعودة الجماعات اليهودية إلى البلاد التي تنتمي بجنسياتها إليها ، لا ينحصر إلا في حلٍّ واحد وهو حلّ عقدة هذه « العقيدة » من النفس اليهودية نفسها ! . . وهذا أمر يحتم علينا أن نضع هذه « العقيدة » على بساط البحث وأن نسلط أضواء التاريخ عليها من كل جانب حتى يتبين العالم أصل وجودها ، وأدوار نشأتها ، وأطوار تطورها ، ويراها وهي تتكون في مجرى الزمن ، ثم وهي تتبلور عبر مجريات الأحداث السياسية من فكرة مبعثرة إلى عقيدة دينية فالى عقدة نفسية . .

ولما كنا لا نستهدف إلا انتزاع الحقائق من صدر التاريخ فنحن نستهل بحثنا بهذا السؤال :

ما هو نصيب هذه « العقيدة » من الخطأ أو من الصواب ؟ . .

الجواب عن هذا السؤال يدفع بنا في الاحتكام إلى المنطق الصرف فنقول :

لا جدال فى أنه حتى إذا صحت الحجة الصهيونية وعلى قاعدة ثابتة الأساس استقامت هذه « العقيدة » فليس فى وسع الشعوب العربية الاعتراف للصهيونية بشرعية « دولتها » فالطوائف الدينية لا تمتلك بلداناً ، . . وأما ! . أما إذا تداعت هذه « العقيدة » وتحت أشعة التاريخ ذابت وثبت بطلانهـا فليس فى وسـع الصهيونية نفسها إلا الانحنـاء أمام الشعوب العربية انحنـاء الاعتراف بأنها كانت أسيرة وهم قديم غشى منها الفـكر ، وأسقم منها القلب بسموم العدوان السقيم ! . .

ولـكن ! . .

أحقـاً يجهل الفـكر الصهيونى الحقيقة من هذه «العقيدة»؟.

كلا ، إن الفـكر الصهيونى لا يجهل هذه الحقيقة وإنمـا هو لها يتجاهل وما ذلك إلا لأن هذه « العقيدة » لو تجلت أمام العـالم على حقيقتها وتحت أشعـة التاريخ ذابت الخيوط التى نسجتهـا فى نسيج الزمن كنصوص قدسية ، وتـلاشت فى محض وهم كما قـد حيكـت من وهم محض لوهت للصهاينة حجة وتهاوت وانصدعت من تلقاء نفسها « دولة إسرائيل » وانهارت منها الأركان ! . . وإلا فـكيف لا ينهار من أساسه صرح « دولة » لا يقوم منه البنيان إلا على أساس هو نفسه نصوص غير شرعية من « كتاب » تنتفى ، بانتفائه عن موسى ، عنه القدسية انتفاء يجعل « دولة إسرائيل » تتحول إلى ذكرى باهتة فى جبين الزمن ويجعـل « الطائفة اليهودية » تستحيل إلى أطياف عابرة فى جفن الغد ! .

هـذا هو السبب الذى يدفـع باليد منـا إلى أن نتناول نفس « المصدر » الذى انتزعت منه الصهيونية العالمية دعوتها ونستوحى منه

الحكم على نفسه بنفسه وعلى ما يحتويه من « نصوص » هى التى عقدت هذه « العقيدة » ثم ، بعد ذلك ، نستطيع أن نحكم على الدرجة التى يقف عندها هـذا « المصدر » وبالتالى على الدرجة التى تقف عندها هذه « النصوص » فى معيار التفكير السليم .

ولكن . .

محال أن تمتد اليد منا فنتناول « الكتاب المقدس » ، مصدر العقيدة اليهودية الحالية ، أو أن ننشر الصفحات من « الأسفار الخمسة » فيه إلا إذا عدنا بهذه « العقيدة » إلى الوراء وأرجعناها ، شيئاً فشيئاً ، إلى أصولها العريقة فى القدم وتقهقرنا بها إلى ظروفها الماضية فليس إلاّ عنـــــد ما نُذيب هذه « العقيدة » فى التيارات التى انحدرت منها ، وليس إلا عندما نتغلغل بأسبابها فى طيات الماضى القصىّ ونشق الى العوامل التى جاءت بها غمار القرون الغابرة ونساط عليها أضواء التاريخ الذى سبقها لنرى مولدها فى مهد الزمن ونموها فتطورها على مدارج الأيام ، نستطيع أن نستجلى العنصر منها كبذرة ألقيت فى تربة الماضى وطوتها طياته خلال أطواء ليل « آباء اسرائيل » .. ليس إلا عن طريق هذه الوسائل سنعلم العنصر من هذه « البذرة » التى لن تكون إلاّ واحدة من اثنتين ؛

إمّا بذرة سليمة ألقيت فى تربة صحيحة ، وإما بذرة سقيمة لا نتناولهـــا لنحلل منها العنصر الا ونجدها قد انحلت فى يدنا وتحللت الى . . لا شىء ! .

ومن هنا ينبثق احتياجنا إلى سلاح المنطق ومعول الفكر وهو هذا القلم الذى نتناوله أداة نناقش به حجة الصهاينة فى أسلوبهم الدينى الذى

يضعونه أساساً لدعواهم السياسية .. بيْدأننا قبل أن نلج إلى لجة البحث ونشر طيات « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى ، الذى يعرف بـ « العهد القديم » فى نسخته البروتستنتية و بـ « العهد العتيق » فى نسخته الكاثوليكية ، فى تركيز على « الأسفار الخمسة » الأُوَل فى كل منهما ، وهى الأسفار المنسوبة إلى موسى ، نرى لزاماً علينا أن نقول كلمة بخصوص هذه « الأسفار الخمسة » وهى :

تتألف هذه « الأسفار الخمسة » الأُوَل من « الكتاب المقدس » من مجموعة تسمى ، علمياً ، « التوراة » أى الشريعة . . ويسند اليهود هذه « التوراة » إلى موسى إذ يعتبرون هذه « الأسفار » صادرة عنه وحياً من الإلـه . . وأما الواقع التاريخى فيتنافر كل التنافر وهذا المعتقد الذى لم تنبثق إلا منه « مشكلة فلسطين » . . فإنما ، وإن كان جوهر التقاليد المدونة فى هذه « الأسفار » ونواة التشريع فيها تتصـل بالزمان الذى بدأ فيه تاريخ « بنى اسرائيل » كجماعة منظمة ، إلا أنها بكل نصوصها قد كتبت بعد موسى بأكثر من عشرة قرون من الزمان والبرهان على ذلك مستمد من نفس ما تحتويه هذه « الأسفار » من نصوص . . لا من الازدياد التدريجى فى الشرائع الذى سببته مناسبات العصور التالية على عصر موسى من اجتماعية ودينية والتى تظهر واضحة فيما ترويه هذه النصوص من روايات فحسب ولا فحسب من الازدواج المتواتر والاختلافات المتتابعة بين النصوص الدالة على تمازج عدة تقاليد وعلى وجود أكثر من قلم جرى بتسطير هذه « الأسفار » . . كلا ! . وإنما لأن أسماء بعض القبائل والمدن التى تتحدث عنها هذه « الأسفار » لم يكن لها فى عهـد موسى وجود ! .. وهذا بالإضافة إلى ذلك الحدث الذى يختتم به « سفرُ التثنية » ، وهو السفر الخامس من هذه « الأسفار » ، حديثه وهو حدثٌ قد حدثَ ، لا محالة ،

بعد موسى بأجيال لأنه لا يتحدث فحسب عن وفاة موسى ودفنه في « أرض موآب» وإنما عن ضياع مكان قبره في ذلك المكان من الأرض .. ولما كان ليس هناك كائن ، كان من كان ، يستطيع التحدث عن نفسه بهذه الصيغة فنستطيع أن نقول إن الاعتقاد بنسبة هذه « الأسفار » إلى موسى ليس إلا اعتقاداً واهما وباطلا، وأما الإصرار عليه فإصرار يتأرجح مكانه بين جهل بالتاريخ أو تجاهل للتاريخ ! . وإلا فأى برهان يمكن أن يقدم أقوى من هذا البرهان على انتفاء نسبة هذه « التوراة » إلى موسى من أن مُؤلف هذا السفر الأخير من الأسفار المنسوبة إلى موسى لا يعرف مكان قبر موسى ؟ ! .

وفى الواقع أن هذه « الأسفار » ، التى تُكوِّن الدين اليهودى الحالى ، لا تعود بوجودها إلا إلى عدة أقلام يهودية وهى على وجه التحديد أقلام « بيت يهوذا » دون سائر بيوت بنى اسرائيل كما أنها لا تعود بتاريخ وجودها إلا إلى ما بعد الغزو البابلى لأورشليم « ٥٨٦ ق . م » . . ولم تُعرف إلا عند ما أعاد الفتح الفارسى ، « ٥٣٩ ق . م » ، الأسرى اليهوذيين إلى أورشليم . . وإلى عدة عوامل تعود بذلك الأسباب فإنه لما لم يكن فى وسع اليهود بعد إعادتهم إلى أورشليم أن يقيموا لهم دولة كتلك التى كانت لهم قبل الأسر ، وذلك لنضوب الثروة المادية وللافتقار فى العدة والعدد ، فقد وجدوا أنفسهم فى حاجة إلى تنظيم يهيىء لهم أسباب الوحدة القومية ، فانحنى الكهنة يراجعون ماسطرته الأقلام اليهوذية من قبل يوم جرت وهى فى الأسر تعبِّد الطريق إلى عودة « بيت يهوذا » إلى الحكم من جديد ، فوجدوها كافية بالغرض . فان هذه الأقلام التى حرصت على تسطير أبرز الأحداث فى تاريخ « بنى إسرائيل » مستهدفة بذلك وضع قواعد حكم

ديني يقوم على المأثور من أقوال القدامى وتقاليدهم ، ثم حرصت على صبغ ذلك بصبغة شرعية فاتخذت محوراً اسم « شريعة موسى » ومرجعاً « أوامر الرب » هي أقلام ، ولا شك ، تمثل حجارة الأساس في بناء صرح « بيت يهوذا » من جديد ! . . ، ومن ثمّ ما انتهوا من مراجعتها إلا وغلفوها بغلاف القدسية لتطلع على التاريخ الديني في نفس اللحظة التي دعا « عزرا » الجماعة اليهودية إلى الاستماع إلى ما قد أخذ يتلوه عليها من نصوص أسماها « شريعة موسى » ! .

ومن ثمّ فان الشريعة اليهودية الحالية التي يتداولها اليهود اليوم ويلمسها العالم من خلال طباتهم وطباعهم لا تمت الى موسى بأسباب ولا تعود بوجودها إلّا الى ما كتبته أقلام مؤلفي هذه « الأسفار الخمسة » وفقاً لأهوائهم وسياستهم ونسبوها ، افتراء على الله وافتراء على موسى ، إلى موسى وإلى الله ، ولم يكتفوا بما سطروه فيها من سخف وانحلال وإنما نسبوها إلى الله على لسان موسى تطاولا وبهتاناً وزوراً ! .

من هنا نستطيع أن نقول إننا سنبيح لأنفسنا التحدث عن « موسى » وعن « إبراهيم » وعن غيرهما من « أنبياء الله » ، الذين سيأتي ذكرهم في معرض البحث ، على ضوء ما جاءت به صفحات هذه « الأسفار » مع إيماننا العميق بعصمتهم وتنزههم عما جاء في هذه « التوراة » المفتراة من سفه وفحش وإسفاف ! . .

ولكن ! .

ليس معنى ذلك أن الإسلام الذي يؤمن بموسى ، كنبيّ

وكرسول وككليم لله عز وجل ، لا يؤمن بتوراة هى على موسى قد أُنزلت . .
كلا ! . . إن الإسلام ، الذى يرفرف على سائر أرجاء الشرق الأوسط ويبسط جناحيه حتى أقاصى الشرق الأقصى، يؤمن بالتوراة ككتاب مقدس .

ولكن ! .

بأية « توراة » يُؤمن الإسلام ؟ ! .

إن الإسلام يُؤمن بالتوراة التى جاء فيها الإنذار بالرسالة المحمدية والتبشير بها . . إلا أن الإسلام لا يؤمن ، قطّ ، بتوراة مفتراة كتبها رجال البيت اليهودى وفقاً لمقتضيات سياسة « بيت داود » من سلالة يهوذا ، ثم تمادوا ونسبوها ، افتراء على موسى ، إلى موسى وجعلوها ، كفراً منهم بالله ، صادرة اليه عن الله ! . .

وهنا . .

وهنا . . تنبثق أمامنا حقيقة جوهرية وكأنما هى لم تطرق بعد الأذهان ، إذ أنها لم تطرق من قبل الأقلام وهى أن الإسلام قد جاء ملغياً لهذا الدين اليهودى العائد بوجوده إلى مؤلفى هذه « الأسفار » . . لذلك حارب صاحب الرسالة الإسلامية يهودَ شبه الجزيرة العربية وسماهم كفاراً إن لم يعتنقوا الإسلام ، هذا الدين الذى جعل اعتناقه صورة للعودة الى الدين الذى أوحاه الله الى موسى .. والذى جاءت تحمل مفهومه هذه الآية :

« ان الدين عند الله الإسلام ! » (١) .

ومن ثمّ فان الدين اليهودى الحالى دين ألغاه الإسلام

---

(١) «١٩ آل عمران » .

وأبطله إبطالا كاملا ولو لم يكن الإسلام قد أبطله لما كان محمد ، عليه السلام ، قَبل إسلام من أسلم من اليهود ، ولما كان قد أقرهم على نبذهم دينهم إلى دينه . . وهو دين الله الذى أوحاه إلى « الأنبياء » كافة ، ولذلك كانت هذه الآية ؛

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ! . . »(١) .

ولكن ! .

الفكر اليهودى الذى لا يهمه من أمر دينه إلا عقيدة « الأرض الموعودة » يحاول استجماع شتات تفكيره ، فيثير أمامنا نقطة يحسب أنه قد أصاب بها بغيته إذ يشير لنا إلى الآية التى تقول بأن موسى قال لقومه ؛

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . . » (٢)

إن لنا فى هذا الصدد سؤالا لا نلقيه لأنفسنا وإنما نلقيه الى اليهود أنفسهم ، وهو ؛

من هم أولئك القوم ، « قوم موسى » ! . .

لا جدال فى أن « قوم موسى » ، بدليل النصوص اليهودية نفسها ، كانوا هم وحدهم « بنى اسرائيل » . . وحتى يتضح لنا ذلك تماماً

---

(١) ٨٥ آل عمران .

(٢) ٢١ المائدة

فنفـرق ، بعد قليل ، بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود » نقول : إن هذه الآية لاتحمل « وعداً » بامتلاك هذه « الأرض المقدسة » وإنما هى تـكتب لهم دخولها ومساكنة أهلهـا ، وتجعل لذلك شرطاً هو عدم ارتداد « قوم موسى » عن موسى ، وإلا انقلبوا خاسرين . .

وأمّا إذا تشبث الفـكر اليهودى بفـكرته فنستطيع أن نأخذه بمنطقه قائلين : فلنفترض ، مجازاً ، بأن هذه الآية تحمل وعداً فانّ هذا « الوعـد » قد غدا باطلا من الوجهة اليهودية ، ومن الوجهة الإسلامية معاً ! .

فأما من الوجهة اليهودية ، فان الإصحاح الأول الذى تعتمد عليه الصهيونية فى ملـكية هذه « الأرض » يقول : « قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض . . »

ومن هنا نرى أن هذا « الوعد » خاص بنسل ابرام فقط . . وهل اقتصر « نسل أبرام » على إسحاق ؟ أم شمل اسماعيل وغير إسماعيل ؟ ! .

وحتى يتضح لنا أنه ليس هناك شىء ، اليوم ، اسمه « نسل أبرام » نقول إن من نفس سطور « توراتهم » تنمحى قدسية القول بأن فلسطين هى للصهاينة وليهود اليوم « أرض موعودة » ! . .

وأما من الوجهة الإسلامية فانّ هذه الآية التى تقول بأن موسى قال لقومه : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة . . » فانها آية لو تمعنّـا فى معناها لأدركنا ، كما أشرنا قبل قليل ، إلى أنها قد كتـبت « لقوم

موسى » دخولها ومساكنة أهلها ، لا امتلاكها ، كما قد جعلت لذلك الدخول شرطاً وهو عدم الارتداد والا انقلبوا خاسرين ! . . وأما و « قوم موسى » قد تمردوا على موسى وارتدوا عنه و ؛

« قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فانا داخلون . . » (١)

« يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» (٢)

فكان رد موسى أن ؛

« قال ؛ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! . »(٣)

ومن ثم ؛

« . . ضربت عليهم الذلة أين ماثقفوا . . . وضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب من الله ! ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »! .(٤)

ومن هنا نرى أن هنالك تطوراً سار بهذا القول الكريم لاشتماله على شرط لم يلتزم به « بنو اسرائيل » فكان افتراق موسى عنهم ، كما إلى ذلك تشير الآية ، وكان نعتهم بالفاسقين وكان عقاب هذا الفسق أن ضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله عليهم .

---

(١) ٢٢ المائدة . (٢) ٢٤ المائدة .

(٣) ٢٤ المائدة .

(٤) ١١٢ آل عمران .

وعلى ذلك تنمحى ، أيضاً ، من وجهة النظر الإسلامية ، الفكرة القائلة بأن هناك « أرضاً موعودة » لا لقوم ليس لهم في الواقع ، الآن ، وجود فحسب ولا لاتصافهم بالفسق فحسب وإنما لأن الإسلام الذى ألغى الدين اليهودى الحالى إلغاءاً كلياً بقوله « إن الدين عند الله الإسلام » وبقوله « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » قد أنهى ، بهذا الإلغاء ، الفكرة عن هذا « الوعد » إلغاءاً نهائياً ! .

وهكذا . .

هكذا تنمحى من الوجهتين اليهودية والإسلامية معاً القدسية التى صاغتها الأقلامُ اليهوذية من حول « أرض مقدسة » جعلتها وقفاً على أبناء يهوذا وبذلك عقدت فى جبهة الزمن عقيدة « الأرض الموعودة » ! .

وعلى هذا الأساس وبهذا اليقين نبدأ فى استعراض فصول هذه « الرواية » .. هذه الرواية التى لعبت ، منذ نُسجت فى إبهار ظلمة اسرائيل واستبهار ليل تاريخهم ، أخطر الأدوار على مسرح التاريخ حتى اليوم ! .

حرى بنا قبل أن نخوض إلى لجة البحث فى تاريخ هذه الطائفة الدينية التى أطلق عليهـــا ، تجوزا ، اسم « الإسرائيليين » أن نفْرق بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود » . . وهذا يدفع بنـا إلى إلقاء هذا السؤال :

من هم « العبريون » ؟

ومن هم « بنو إسرائيل » ؟

ومن هم « اليهود » ؟

الجواب عن هذا السؤال لايأتي إلاّ من أنفاس التاريخ نفسه !.

فأما « العبريون » فانّ تاريخهم ، كما وُجـد فى آثار « نارعمسن »، يبتدىء بعشيرة من تلك العشائر التى انتشرت ، خلال الفترة التاريخية لبـلاد ما بين النهرين ، على حافة « الهلال الخصيب » . . وهذه العشـيرة عرفت تحت اسم « عبرو » تارة وتارة أخرى تحت اسم « عبريو » وتارات تحت اسم « عبران » وذلك نسبة إلى جدها الأعلى « عابر » كما سيتضح لنا ذلك بعـد قليل . . وأما أول ظهور بعض أفرادها على التاريخ فـكان فى مدينة « أُور » على ضفة الفرات الأدنى وفى السهل الفيضّى الذى كونته رواسبُ النهرين فى الجنوب فجعلت منه منطقة مستنقعات وسميت : « أرض البحر » .

ثم . .

ثم هاجر فريق من هذه العشيرة فى أعقاب « الغزو

الـكاسّى » لبلاد ما بين النهرين وضياع مملـكة « أرض البحر » ، ١٧٦٠ ق . م ، ونزلوا فترة بجوار « حاران » إلى شمال « الهلال الخصيب » بقيادة رئيس لهم، لا نشق اليه ثنايا التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين إلا ويطلع علينا ،عبر الألواح الصلصالية، حاملا نعت « داميق — ايليشو » وهذه كلمة بابلية معناها « خليـل الله » . . ونحن لما كنا نعرف من « الأقلام المسمارية » أن هذا النعت كان خاصاً بآخر ملك من ملوك « أسرة أرض البحر » الذى فرّ بعشيرته من أمام وجه الغزو الـكاسّى الذى اغتمر « أرض البحر » ثم ، بالتالى ، لما كنا نعرف أن هذه العشيرة التى نحن بصـدد الحديث عنهـا قد ارتحلت من ضفة الفرات الأدنى إلى حافة الهلال الخصيب بقيادة رئيس لها كان يحمل نعت « خليل الله » فاننا نقف ، للحظة ، حيارى نجدخلالها أنه من الصعب أن نفرق بين الصورتين لهذا الرئيس الذى يطلع علينا من ثنايا الألواح البابليـة كآخر ملك من ملوك « أرض البحر » فى نفس الوقت الذى يطلع علينا من ثنايا « سفر التـكوين » كرئيس عشيرة حاملا لقب « العبرانى » واسم « أبرام » . . والذى ظل يترحل بجماعته من أفراد هذه العشـيرة إلى أن استقر بهم الاستيطان فى « أرض كنعان » وإن كان هذا الاستقرار لم يخل من التنقل بين أرجاء هـذه الأرض الفياضة بالخيرات ويتخذ مجراه تارة إلى غرب الأردن وتارة إلى شرقه وحيناً آخر من شرقه إلى الحدود المصرية فإلى التوغل فى أعماق الوادى الخصيب . . هـذه الجماعة لم تـكن بموجة بشرية أو قبيلة كبرى لها تقاليدها ولغتها الخاصة بها ، فليس هنـــــاك موجة أو قبيلة تسمى بهذا الاسم وإنما هو اسم خاص أُطلق على هـذه العشيرة نسبة إلى « عابر » وهو الذى ينتهى اليه نسب « خليل الله ابراهـيم » .

هؤلاء هم « العبريون » . .

عشيرة ابراهيم هى ، وحدها ، التى حملت هذا الاسم وأما من تفرع عن هذه العشيرة من خلف فقد عُرف تحت أسماء أخرى كالعمونيين والموآبيين من نسل عمون وموآب ابنى لوط . . وهؤلاء مع العبريين قد ذابوا ، تاريخياً ، فى تيار الزمن عندما طوتهم لجة الشعوب كأفراد ومن ثمّ فان هذه العشيرة ، العشيرة العبرية ، ليس لها فى واقع التاريخ الحاضر أى وجود ! .

وأما « بنو إسرائيل » فهم ، وحدهم ، أولاد يعقوب بن اسحاق وذلك نسبة إلى يعقوب الذى تغير اسمه ، كما يذكر الأصحاح الثانى والثلاثون من « سفر التكوين » ، إلى : « إسرائيل » . .

أبناء يعقوب وهم « الأسباط » الإثنا عشر ، راؤبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون من « ليئة » ودان ونفتالى من « بلهة » وجاد وأشير من « زلفة » ويوسف وبنيامين من « راحيل » هؤلاء وحدهم هم : « بنو إسرائيل » . ثم إن النسل من هؤلاء الأبناء ، وهو الذى كونت به « بيوت إسرائيل » ، من بعد ، قد أضاف الى اسم بيته المشتق من اسم أبيه هذا الاسم . . . وبذلك غدا نسل يعقوب من أبنائه وحدهم ، هم : « بنو اسرائيل » .

هؤلاء هم « الإسرائيليون » . .

أولاد يعقوب بن إسحاق وحده

هم وحدهم أصحاب هذا الاسم دون سائر العبريين من سلالة عابر ودون باقى أولاد إبراهيم من غير « سارة » . فأمَّا إسماعيل وهو من « هاجر » وأمّه

زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوح وهم من « قطورة » فليسوا بالإسرائيليين ، ولا بالاسرائيلي كل من تفرع عن هؤلاء من نسل .. بل حتى نسل « عيسو » بن إسحاق نفسه ليس بالإسرائيلي لأن عيسو قد تغير ، أيضاً ، اسمه إلى « أدوم » وأصبح أولاده ونسلهم يعرفون بالأدوميين ... وهؤلاء قد ذابوا ، تاريخياً ، فى تيار الزمن وطوتهم لجة الأجيال كبيوت متفرقة بين الشعوب ، ومثلهم كان الإسرائيليون ! . . فلقد بدأ ذوب بنى إسرائيل فى التيار الزمنى عندما تسرّب عنصر الفناء فى كيانهم عقب وفاة سليمان ، ٩٣٥ ق . م ، وانقسام مملكته ، التى قام شاءول بتأسيسها وأتم بنيانها داود ، إلى مملكتين قامت إحداهما فى الجنوب بمن تحدر من سبطى يهوذا وبنيامين واتخذت من أورشليم عاصمة ولما كان سبط يهوذا هو المتوارث عرش هذه المملكة فقد عُرفت هذه تحت اسم « مملكة يهوذا » أو « مملكة اليهودية » كما قامت الأخرى فى الشمال بمن تحدر من نسل الأسباط العشرة الباقين واتخذت « السامرة » عاصمة وراحت تحكم هذا الشمال تحت اسم « مملكة إسرائيل » . . ففى عام ٧٢١ ق . م احتل الأشوريون مملكتى إسرائيل ويهوذا . ولما حاولت « مملكة إسرائيل » التمرد على الأشوريين قام هؤلاء ، ٧٠١ ق.م ، عازمين على محو أبناء إسرائيل من صفحة الوجود فاحتلوا هذه « المملكة » احتلالا كاملا وأباحوها لجندهم واستباحوها لأنفسهم ثم قادوا من تبقى من سكانها أسرى إلى العراق وأحلوا محلهم قبائل عربية جديدة جاءوا بها من سورية وشبه الجزيرة العربية ومن العراق وبهذا محيت « مملكة إسرائيل » من خريطة الوجود نهائياً .

ومن ثمّ فان « بنى إسرائيل » من نسل الأسباط العشرة

شيء ليس له اليوم فى ضوء الواقع التاريخى وجود ! .

وأما « اليهود » فينقسمون إلى قسمين رئيسيين :

قسم ينتسب إلى « يهوذا » ، رابع أبناء يعقوب ، ولم يكن يُنسب إليه إلا بعد أن أصبح اسمه علماً على الإقليم الذى قسم لأبنائه عند تقسيم الأرض بين « بيوت إسرائيل » ثم شمل هذا الاسم نسل بنيامين عند ما تضافر هذا الفرع مع فرع يهوذا الذى نشأ منه « بيت داود » والذى ، بالتالى ، نشأت به « مملكة اليهودية » أو بالأحرى « مملكة يهوذا » . . وهذا قسم باد ، أيضاً ، معظمه وذاب فى تيار الشعوب باقيه غداة اجتياح الغزو البابلى هذه « المملكة » . . ففى عام ٥٦٧ ق . م احتل البابليون «مملكة اليهوذيين» واستولوا على عاصمتها أورشليم . ثم لما حاول من كان قد تبقى من اليهود فى هذه المنطقة التمرد على سلطان بابل فى فلسطين عاد البابليون معتزمين هذه المرة أن يحلوا المشكلة اليهوذية حلا حاسماً فأحرقوا أورشليم وهدموا « هيكل سليمان » وأباحوا البلاد لأنفسهم واستباحوها لجندهم فقتلوا من وقعت عليه يدهم من سلالة يهوذا ثم أخذوا ملكهم « صدقيا » وحوالى خمسين ألفاً من رجالهم أسرى إلى بابل حيث لم يسع « أبناء يهوذا » إلا الجلوس على ضفة الفرات والتباكى على أورشليم الضائعة والترنم بذكرى « بيت داود » وذكريات « صهيون » .. ولكن ، مع هذا الترنم بدأ الحنين الى « صهيون » وليصبح هذا الحنين الى صهيون رمزا للحنين الى « بيت داود » ثم ليمسى هذا الحنين الى « بيت داود » رمزاً للحنين إلى عودة « مملكة يهوذا » أو هذه « المملكة اليهودية » وليبدأ الخيال مع هذا الحنين يجنح بالرؤس اليهوذية ويشكل

من الوهم روايات ومن هذه الروايات صوراً هي التى دفعت بالأيدى منهم إلى أن تنشر القراطيس وتُجْرى عليها الأقلام فى تسجيل لهـذه الصور وفى تسطير لهذه الأوهام التى سارت نحو هدف واحد هو عودة « بيت داود » على عرش اليهوذية ولـكن أبت هذه الأقلام ألا أن تغمس بمداد القدسـية ، ولـكى يصبغوا غاياتهم بالصبغة الشرعية نسبوها الى موسى ! .

هذه الأقلام اليهوذية ، التى جرت فى المنفى البابلى تعد العدة لإعادة « مملـكة يهوذا » على صفحة المستقبل ، هى التى جاءت بهذه « الأسفار الخمسة » التى نسبوها ، افتراء ، إلى موسى وحماوها ، زوراً ، هذا « الوعد الإلـهى » الذى حوّلوه من فرد إلى فرد كيما يحصُروه فى « نسل يهوذا » عامة وينتهوا به الى « بيت داود » خاصة ! ..

إنّ « بيت داود » لما كان رمزاً لهذه « المملـكة » فقد حصرت الأقلام اليهوذية هذا « الوعد » فى نسل داود وليعطوا قضيتهم صبغة شرعية رأى مؤلفو هذه « الأسفار » أن من صالحهم أن يبدأوا بإبراهيم ! . فجعلوا « الوعد » يأتى لإبراهيم بادىء ذى بدء ثم حولوه إلى إسحق ليُخرجوا منه اسماعيل ثم حولوه إلى يعقوب ليخرجوا منه « عيسو » وليحصروه فى سلالة يعقوب أو اسرائيل ثم حولوه إلى « يهوذا » الإبن الرابع ليعقوب ، ليحصروه فى نسله وهو « بيت داود » ومن « بيت داود » إلى نسل داود لينحصر بذلك فى مملـكة الجنوب دون الشمال ! .

وهكذا أعدت الأقلام اليهوذية العـدة لقيـام « مملـكة يهوذية » صاغت حجر أساسها من مادة وهمية هى هذا "الوعد" بـ "الأرض الموعودة" ! . هذا « الوعد » الذى لم يكن فى واقعه إلا ألعوبة من ألاعيب

السياسة تتوارى خلف ستار من الدين وكان ، فى صميمه ، وعداً سياسياً تابعاً لمآرب الساسة من « أبناء يهوذا » ومن أهل الكهنوت منهم الذين ما فرغوا من تسطير تلك الصحائف التى كونت « الأسفار الخمسة » إلا وكان الفتح الفارسى لبابل ، ٥٣٩ ق . م ، وإلا أعاد الفرس من تبقى من اليهود فى بابل مرة أخرى إلى فلسطين .

ولكن ، هذا الحدث الذى يعتبر من أبرز الأحداث فى تاريخ اليهوذيين لم يعد عليهم بما استهدفوه فى فلسطين من إعادة « دولة » كانت لهم فيها .. ومن هنا كان استشعارهم الحاجة الى توثيق عرى الرابطة القومية بين الأفراد برباط تمثّل فى هذه « الأسفار » التى تناولها « عزرا » وأخذ يقرأها على اليهود ، فى ذلك الاجتماع العام الذى دعا اليه ، بعض مقتطفات منها هى تلك التى اتخذت من عقيدة « الأرض الموعودة » محوراً وهى هذه التى ما انتهى من قراءتها إلا وأقسم اليهود على أن يتخذوا من هذه « العقيدة » دستوراً يسيرون عليه ! . وبهذا عملوا ، فإنهم وإن كانوا قد ظلوا تحت الحكم الفارسى ، بالرغم من المركز الدينى الذى منحه الفرس لهم فى القدس ، لا قدرة لهم على إبراز نواياهم الى حيز الفعل فإنما العامل الزمنى كان قد بدأ عمله فى تحويل هذه العقيدة إلى عقدة نفسية بدأت تستقر شيئاً فشيئاً فى أقاصى الضمائر ويزيدها مرور الأيام تعقيداً على تعقيد ، ولا سيما عندما غزا المقدونيون فلسطين وألحقها الإسكندر ، ٣٣٢ ق . م ، بدولة الإغريق وعند ما احتلها العرب الأنباط ٦٠ ق . م ، وأصبحت تابعة لعاصمتهم « بتراء » وعند ما احتلها الرومان وجعلوا منها ولاية رومانية فى أوائل القرن الأول الميلادى .. ولكن ! . هذا اللظى الكامن تحت رماد الأيام كان لابد له من التأجج وهذا ما قد حدث فإن اليهود حاولوا فى

هـذه المرة استغلال المركز الديني الممنوح لهم لأغراض سياسية فهاجمهم "تيطس" ، ٧٠ م ، بمساعدة سكان البلاد العرب واحتلّ القدس ودمرها وهدم « الهيكل » وقتل معظم من كان فيها من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة ففر الى مصر وسورية وبلاد أخرى حيث بدأت تطويهم لجةُ الأيام وإن كان هـذا الحدث لم يجيء بنهاية التاريخ اليهودى من فلسطين الاّ عندما جاءت آخر محاولة لهم لإحياء تراثهم فيها وذلك عندما أعلن بعض يهود القدس العصيان على الرومان ودعوا لقيام "مملكتهم" فهاجمهم "هادريان"، ١٣٥ م ، ودمّر المنطقة اليهودية فى القدس تدميراً شمل من كان قد ظل فيها من اليهود ، ثم أتمّ هدم " الهيكل " وبنى مكان القدس مدينة جديدة . وهكذا أزال الرومان " مملكة يهوذا " من خريطة العالم القديم ولم تقم لليهود بعد هذه المحاولة قائمة فى فلسطين ولم يظهر لهم أى نشاط سياسى استمد قواه من مدد دينى حتى العصر الحديث . .

هذا هو القسم الأول من « اليهود » ، . ولهذا قلنا إنه قسم باد معظمه وذاب فى تيار الشعوب باقيه . .

وأما القسم الآخر فهو الذى ما زال باقياً ولم يزل منتشراً وهذا يتمثّل فى هؤلاء اليهود الحاملين لألوان من الجنسيات المختلفة الذين توارثوا الدين اليهودى الحالى عن أسلاف كانوا أنفسهم ينتمون إلى عدة شعوب كانت تسكن شرق أوروبا وتتكلم اللغة الّيدية . . وهؤلاء ، لا تصلهم بالعبريين صلة عنصرية ولا بالإسرائيليين أوشاج قرابة تاريخية فانما هم ينحدرون من قبائل « الخزر » المنغولية المنتمية إلى سلالة القبائل

التركية التى كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحالها إلى شرق أوروبا واحتلالها تلك المنطقة الفسيحة الواقعة بين جبال « الأورال » شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً حيث أقاموا مملكة ضمت كل تلك الأرجاء وكانت من قبل وثنية ثم انقلبت يهودية وهذا هو السبب المباشر فى انتشار الدين اليهودى فى كل تلك المناطق ثم فى امتداده ، من بعد ، إلى سائر بلاد الغرب .

هذه هى الحقيقة كما يقررها التاريخُ السياسى وهو يحدثنا عن تقهقر « قبائل الخزر » إلى شرق أوروبا ، عقب طردهم من آسيا فى القرن الأول الميلادى ، سالكين الطريق الواقع شمالى بحر قزوين فى اكتساح لذلك الشرق الفسيح من أرجاء العالم الغربى حتى أنه لم تنقض سبعة قرون من الزمن إلاَّ وكانوا قد احتلوا كل تلك الرقاع التى أشرنا إليها وأسسوا مملكتهم الوثنية . . ولما كانت هذه القبائل قد طبعتها طبائع القسوة المتعطشة إلى إراقة الدماء التى كانت تتميَّز بها شعوب القبائل المنغولية فقد رغب مسلمو الشرق فى أن يرشدوا هؤلاء الخزر إلى سماحة الدين الإسلامى كما رغب مسيحيو الغرب ، بالتالى ، فى أن ينشروا السلام فى أرجاء هذه المملكة الدموية الطبيعة والطابع فكان ذلك ترغيباً لحاكم هذه القبائل فى الإطلاع على الدين اليهودى . . وصادف الدين اليهودى من نفس « بولان » هوى ! . فلقد وجد مَلِك هؤلاءِ الخزر فى الدين اليهودى ، بما يحتويه من طقوس دموية وبما يشتمل عليه من شرائع ، تبيح كل كلمة فى قاموس الإباحية ، تفسيراً لأصول دينه الوثنى فاعتنق اليهودية ديناً ، ٧٤٠ م ، ثم تبعته حاشيته فشعبه ثم أعلنه ديناً رسمياً لقبائل الخزر ! . .

منذ نهاية القرن السابع الميلادى حتى نهاية القرن العاشر عاشت هذه المملكة الخزرية ، التى قامت فى القسم الجنوبى من روسيا بين نهرى الفولجا والدون غامرة شواطىء البحر الأسود وبحر قزوين، « دولة يهودية » لا يجلس على عرشها ملك إلا إذا كان يهودياً حامياً لهذا الدين الذى أصبح دين هـذا الشعب الذى تراوح عدده بين ثمانية وعشرة ملايين وكل فرد فيه كان قد أصبح يهودياً والذى لا يعقل ، بداهة ، أن يكون اعتناقه اليهودية كفيلا بتغيير جنسه ! . فهو، من الوجهة العلمية فى « علم الأجناس » ، شعب ينتمى إلى القبائل المغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحاله إلى شرق أوروبا ثم تأسيسه فيها مملكة انقلبت إلى « دولة يهودية » وإليها يعود الدين اليهودى بأسباب انتشاره فى أرجاء عالم الغرب وذلك عندما تعرضت هذه القبائل الخزرية لغزو الدولة البيزانطية والتحمت فى حروب مع القبائل الروسية التى كانت تسكن شمال هـذه المملكة ، « مملكة الخزر » . . فلقد هزم الروس الخزر وهوت عاصمتهم «اتيل» وانطلق الروسيون فغزوا جميع الأراضى التى كانت تتكون منها هذه « المملكة الخزرية » وضموها إلى الدولة الروسية وأصبح الخزريون رعايا الدولة الروسية . . ولما كانت هذه الدولة قد بدأ توسعها وامتداد رقعتها حتى أصبحت أقوى الدول فى شرق أوروبا فان هذه الهزيمة التى حلت بالخزر وكان فيها انتهاء « دولتهم » وانهيار قوتهم الحربية هى التى أدت إلى تفشى الدين اليهودى وامتداده ليس فى شرق أوروبا وجنوبها الشرقى فحسب وإنما فى امتداده إلى سائر أنحاء العالم الغربى . .

حقيقة لقد ظل الخزر فى جنوب روسيا ، داخل نطاق الدولة الروسية ، المجموعة الجنسية المتماسكة بلغتها اليِّيديةودينها اليهودى ولكن

حينما هُزمت روسيا من جيرانها الغربيين ونشأت إثر ذلك تلك الدول الكبيرة في الجزء الشرقي من أوروبا شهد العالم بنشأتها تفشي اليهودية بين الشعوب الواقعة على الحدود الروسية ! . فإنّ هذه الدول ، الغاليسية واللتوانية والبولندية والرومانية وغيرها من الشعوب الواقعة على الحدود الروسية ، لما كانت قد وفقت في غزواتها المتجهة إلى الشرق على حساب روسيا فقد انطلقت تضم الى أراضيها مجموعات من هذا « الشعب الخزرى » . ثم ، بالتالى ، لما كانت حدود تلك المناطق للدول التى قامت فى شرق أوروبا تتغير تغيرات رئيسية ، خلال البضعة القرون التالية على تفكك الدولة الروسية ، فقد كان من نتيجة تلك التغيرات أن وُزع « شعب الخزر » ، الذى كان عدده يتضاعف تضاعفاً مطرداً ، على الحدود السياسية المختلفة والدائمة التغير فكانت أجزاء من أرضهم تُضم إلى روسيا ، وأخرى الى رومانيا ، وأخرى الى غاليسيا ، وأخرى الى لتوانيا ، وأجزاء إلى النمسا ، وأخرى إلى أوكرانيا . . وهكذا وُزعت سلالة الخزر على سائر دول شرق أوروبا وبدأ عامل الزمن ، أيضاً ، يأتى هنا بأثره فذابت ، عن طريق الاختلاط ، الخصائص الخزرية فى الخصائص الجنسية للشعوب التى طوتهم تحت ظلالها . . وهذه السلالة من الخزر التى تجنست بالجنسيات البولندية والرومانية والأوكرانية والنمسوية واللتوانية ، وهى جنسيات الغالبية العظمى من الصهيونيين ، هى التى كونت هذه المجموعات المنتمية الى جنسيات مختلفة والمنفصلة جغرافياً والمترابطة عقيدة من يهود سائر بلدان العالم الغربى ! .

هؤلاء اليهود الغربيون الذين هم من سلالة الخزر هذه التى وُزعت على الدول المختلفة فى شرقى أوروبا هم الذين قد حاولوا ، كما يدلّ التاريخُ

الحديث ، الاتحاد مرة أخرى ليكونوا « دولة يهودية » على غرار مملكتهم تلك ، « مملكة الخزر » ، التى كانت تتحكم فى شرق أوروبا وهؤلاء هم الصهيونيون ! . هؤلاء الصهاينة الذين ، كما ثبت تاريخياً ، لم يهاجر أسلافهم إطلاقاً الى فلسطين ولا من فلسطين ولا تربطهم بفلسطين صلة قومية أو تاريخية ولا تصلهم بأهلها صلة وطنية أو لغوية على الإطلاق هم الذين استطاعوا أن يخفوا عن العالم علمهم أنفسهم بهذا الأصل الخزرى الذى ينحدرون منه تحت نداء مدوٍّ من الادّعاء بأن لهم « الحق الشرعى » فى امتلاك فلسطين على أساس أنها « أرض موعودة » لهم كمنحة إلهية أُعطيت لآباء لهم وأجداد ! . .

هؤلاء هم الصهاينة الذين تمكنوا ، اليوم ، من افتعال « دولة » لهم فى فلسطين ، ليست هى فى واقعها التاريخى إلا محاولة جريئة لتجميع هذه الجماعات المنحدرة من آباء وأجداد من الخزر لتمهيد عهد « دولة الخزر اليهودية » ! . . والبرهان على ذلك هو أنّ هؤلاء الصهاينة أنفسهم قد رغبوا ، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فى جمع شتات الخزر الموزعين جنسيات مختلفة على دول العالم الغربى تحت ظل دولة يهودية تتمتع بالحكم الذاتى فى شرق أوروبا ، وليس إلا عند ما تبينوا استحالة تحقيق هذه الرغبة السياسية كان أن اتجه تفكيرهم إلى اختيار مكان آخر يمكنهم إنشاء هذه « الدولة » فيه فأسعفتهم قرائحهم بوسيلة نابعة من قلب دينهم ، ألا وهى « عقيدة الأرض الموعودة » ! . وهذه هى التى سنضعها أمامهم ، بعد صفحات ، فى ميزان التاريخ وهذه هى التى مكنتهم من اغتصاب أرض فلسطين ! .

هذا هو فى ضوء الحقائق التاريخية أصل الصهاينة الذين يدّعون أن لهم « حقاً روحانياً وشرعياً فى فلسطين » ! .

ولـكن . .

حتى نتبيّن تماماً أن الحركة الصهيونية التى مهدت لافتعال « دولة إسرائيل » هى أحدث محاولة رمت الى جمع شتات السلالة الخزرية وإسكانها فى منطقة جغرافية غريبة عن وطنها التاريخى فى أواسط آسيا وإنها ليست فى مداها الواقعى حركة دينية على الإطلاق وإنما حركة سياسية تتوارى خلف ستار من الدين ولم تجد وسيلة إلى غايتها إلا فى ادعاء أصحابها بأن العبريين والإسرائيليين كانوا لهم آباءاً وأجداداً ، نستطيع أن نتساءل ؛

هل يُمكن للخيال ، مهما اتسعت أمامه آفاق التعليـل والاستنتاج ، أن يوجد صلة بين أسلاف هؤلاء الصهاينة من القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا وبين القبائل التى عاشت يوماً فى المنطقة الجغرافية المعروفة الآن باسم فلسطين قبل اعتناق الخزر الدين اليهودى بنحو ألفى عام وأن ينحدر من سلالتهم هؤلاء الصهاينة الذين يدعون أن لهم حقاً شرعياً فى رقعة من الأرض افتعلوا فيها « دولة » بمدد نابع من « كتاب » افتراه رجال الدين اليهودى على الله وموسى معاً ، ثم راحوا يحاولون تسنيد الأركان المتداعية لهـذه « الدولة » بمساند أخرى افتعلوا ظاهرها من « الجنسية الإسرائيلية » وأخفوا باطنها وهو « الجنسية الخزرية » متجاهلين بأنه ليس هناك فى الواقع التاريخى شىء اسمه « الجنسية الإسرائيلية » ! . .

هذا هو القسم الثانى من « اليهود » ، وتؤلفه السلالة الخزرية الممثلة فى هذه المجموعات المنفصلة من يهود العالم الغربى المنتمين إلى

جنسيات مختلفة تهزهم ذكرى مملكة كانت لهم فى شرق أوروبا وليس لها من ذكرى اليوم فى جفن الزمن إلاّ جمهورية صغيرة تقع على مقربة من المنطقة الآسيوية التى نزحت عنها قبائل الخزر .

هذه الجمهورية اليهودية المشار إليها هى « بيروبيجان » . . .
وهى واحدة من الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وتبلغ مساحتها رقعتى بلجيكا وهولندا معا وتضم حوالى مئة ألف يهودى وقد أنشئت منذ حوالى ربع قرن من الزمن وأعان إذ ذاك أن الغرض من إنشائها هو إعداد « وطن قومى لليهود » . .

ولكن . .

رغم قيام هذه الجمهورية فى نطاق الاتحاد السوفيتى فإنّ الحكومة السوفيتية تعد الترويج للصهيونية جريمة معاقباً عليها حتى أنها أغلقت المدارس التى كانت تُدْرس فيها اللغة العبرية ، ومن هنا نستطيع أن نلقى ضوءا على موقف الاتحاد السوفيتى يوم أيد مشروع تقسيم فلسطين تقسيما يسمح بإنشاء « دولة يهودية » فيهو نفهم لماذا اتخذت الحكومة السوفيتية هذا الموقف بعد أن حرمت الصهيونية فى بلادها رغم إقرارها « إنشاء وطن قومى يهودى » لليهود فى « بيروبيجان » وذلك لتتخلص من شر تحويل ذلك « الوطن القومى اليهودى » إلى « دولة يهودية » !

وأما القسم الأخير من « اليهود » فمنتشر فى دُول أوروبا الغربية . وهؤلاء ، كسلالة الخزر ، لا يمتون بصلة عنصرية أو صلة دم تاريخية إلى الشعوب السامية التى كانت تسكن فلسطين وإنما هم ينتمون إلى

جنسيات مختلفة اعتنق أسلافها الدين اليهودى ، وإلى مجزرة هادريان يعود السبب فى تهويد هؤلاء .. فان على أثر مجزرة هادريان فر من نجا من اليهود خارج فلسطين هائمين على وجوههم يطوون صدورهم على تعاليم « التوراة » وأمارؤوسهم فممتلئة بأحلام « الأرض الموعودة » هؤلاء المشردون من اليهود إلى جانب التجار منهم وأسرى الحروب هم الذين قاموا بنقل هذا الدين إلى حيث انتقلوا بل بلغوا به إلى شعوب القبائل فى شمال أفريقيا حتى مراكش كما بلغوا به الصين والهند وإلى الأقطار التى تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط الشمالى وبذلك انتشر الدين اليهودى بين شعوب كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة ولذلك نجد فى كل شعب من شعوب العالم وفى كل جنس من أجناسه المختلفة مجموعة تعتنق الدين اليهودى ديناً ! .

هؤلاء هم « اليهود » بما ينقسمون إليه من أقسام .. لا يؤلفون « شعباً » ولا « جنساً » وإنما هم يكونون « جماعة دينية » مكونة من عدة أجناس وأصول ..

وهؤلاء الذين تهودوا من ذوى الجنسيات المختلفة والأصول المتباينة والبيئات المتنافرة والذين لا تصلهم بالعبريين صلات قرابة أو عصبية ولا بآباء إسرائيل ولا بإسرائيل ولا بأبناء إسرائيل أوشاج نسب يسمون أنفسهم « عبريين » تارة و « إسرائيليين » تارة أخرى ويدعون أن فلسطين وطن موروث لهم عن آباء لهم وأجداد ومنحة إلـهية جاء بها « الوعد » لهم على لسان هؤلاء الأسلاف ! .

من ثمّ حتما علينا ونحن إنما نلج إلى لجة التاريخ بحثاً عن

« الأصول » و « العوامل » و «الأسباب» التي عقدت في جبهة الزمن« مشكلة فلسطين » أن نعود إلى تلك العهود التي تقدمت مطلع هذه « المشكلة » على التاريخ وهذا يدفع بنا إلى التغلغل في عهود موغلة في القدم وأن نتبع المعاول الأثرية وهي تسير بنا على هذه الناحية التي يحدها شرقاً جبل الزيتون ويترامى عليها ظلال حوريب أو جبل صهيون في امتداد إلى البحر الميت حتى يغيب في وادي الأردن بينما يحمل منا اليد « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي وتنشر منه الصفحات بين دوي هدير الزمن في عبوره على هذه « الأرض الموعودة » وهو يقتطع عليها الأجيال ! ..

الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

على صليل المعاول الأثرية التي أزاحت السُّجف الفاصلة بين التاريخ وبين ما قبله وبيننا وبين الزمن في ليله وسَحَره وفجره نطلّ على الماضي من خلال الأطلال وعلى هذه الناحية من الأرض الفريدة في أهميتها التاريخية من حيث تمسك اليهود بشرعية ملكيتها نطوي التلال حتى ينثني بنا الزمنُ عائداً إلى الوراء . .

ومن هناك . .

منذ بدأ هيكل هذه البقعة يتكون وتُؤثر العوامل الجوية بفعلها فتنحت فيه هذه المعالم من جبال وسفوح وأنهر ووديان وتظهر القبائل البشرية في تجمُّع وفي انفراط يبدأ بنا الزمنُ من لجة هذا الماضي البعيد له استرسال عابراً إلى التاريخ عبر عصور ما قبل التاريخ المنقسمة إلى أقسام رئيسية ثلاثة ، في تمهل عند كل عصر على حدة . فهو لا يقتطع بنا « العصر الحجري القديم » طاوياً عهوده الثلاثة ، الأسفل والمتوسط والأعلى ، إلا ليهدينا إلى أول أثر لبقايا الإنسان قاوم تأثير الزمن فأمامنا مطروحة العظام والآلات التي نحتها صاحب هذه العظام من أحجار الظران مهملة على شواطيء الأنهار وتحت طبقات سميكة من الحصى الذي دحرجته المياه ، دليلا على أن وجود الإنسان لايرجع إلى أزمان سحيقة سبقت هذا العصر الحجري الأول فحسب ،

وإنما على أن الجنس البشرى قد بدأ يرتقى أولى مدارج التطور فى نفس هذا العصر الذى جاء فى نهاية تقهقر عصر جليدى وبرهان ذلك نفس هذه الآلات التى لا نتناولها إلاّ لنرى صورة إنسان ذلك العصر على صفحتها والا لنتبينه ، بالرغم من بدائية هذه الآلات الدالة على مستواه المنخفض فى شجرة الحياة ، إنساناً بدأ يسيطر بذكائه على الحيوان وبدأت معالم البشرية تبرز فيه أوضح من ذى قبل .. هذه المعالم التى ما اشتد بروزها إلا وكان ذلك إيذاناً بانتهاء هذا العصر وبداية "العصر الحجرى المتوسط" مع عصرٍ جليدىٍّ آخر هو الذى دفع بإنسانه من غصون الأشجار إلى أغوار المغاور وطوايا الكهوف حيث عثرنا فيها على مجموعة من هياكله مطروحة الى جانب مخلفاته هى آلاته التى اصطنعها من النحاس ومن الحديد وتركها أكواماً تماسكت بفعل الترشيح المختلط بالمواد الجيرية .. هذه الأكوام من الرواسب هى سجلات تاريخ ذلك العصر وتاريخ إنسانه الذى تساوت مرتبته فى هذه المنطقة والمرتبة التى عليها فى غيرها من مناطق الشرق الأوسط القديم استجابة لوحدة الجو التى كانت فى كل هذه الجهات متشابهة ، وبالتالى ، لطبيعة الحياة التى كانت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كله واحدة . . هذه الحياة التى امتدت خطاها الى أن تعتلى مدارج التطور نحو رقىّ جديد ما بدأت معالمه تتّسم فى كل هذه الجهات بالوضوح إلا وكان ذلك الإيذان بانتهاء هذا العصر وبداية « العصر الحجرى الحديث » . وهذا العصر الذى بدأ منذ حوالى عشرة آلاف سنة ق . م . هو فى الواقع فجر الأزمان الحديثة ، لا لأن بدايته تتفق مع عصر تقهقر الجليد الذى ما زال إلى اليوم فحسب ، ولا لأنه عصر نهضة الصناعة وبداية استعمال المعادن من الذهب والنحاس فحسب ، ولا لارتباطه « بالعصر المعدنى »

الذى يليه ويتداخل فيه فحسب ، وإنما لأنه العصر الذى أخذت فيه الأحوال العامة للانسان تتغير تدريجياً ففيه أخذ أفراد القبائل يجتمعون فى قرى ويكونون « الشعوب » وفيه بدأت هـذه الشعوب ، فيما بينها ، تاريخ التصارع والصراع على امتلاك رقاع هذه « الأرض الموعودة » ! .

منذ فجر التاريخ بدأت رواية الصراع على امتلاك هذه الرقعة من الأرض التى كانت بحكم موقعها الجغرافى جسراً يصل الشرق بالغرب والغرب بالشرق وممراً من الجنوب، حيث الجزيرة العربية ، حتى الشمال ، حيث أفريقيا الشرقية بينما كانت يد الزمن عاملة من خلال هذا العصر فى نشر طبقات من البشر أبت إلا الإحتفاظ لنا بسماتهم وهى تطويهم فى طيات هذه الناحية من الدنيا وخاصة فى كهوف « الكرمل » وفى جنوبى « الناصرة » ولتأتى المعاول الأثرية بهم إلينا وهى تطرح تراب الأجيال عن هياكل لهم وجماجم وجدناها متحجرة فى الكهوف وتزيح الركام عن طبقات أربع علت بعضها بعضاً فى « بيت يراه » دليلا على أن هذه الرقعة من الدنيا قد امتلكها فى غضون هذه الفترة الزمنية شعبٌ تتالت عليها أفواجه من شبه الجزيرة العربية فى تدافع حتى بلغت فئات منه وادى النيل حيث حلت هناك قبائل وفى أحضانه استقرت استقراراً امتد عبر مدى من الزمن غير قصير يدل عليه ما قد وجدناه من محلات لهـذا الاستقرار فى العباسية والمعادى وحلوان . . هـذا بينما كانت الأفواج التى تخلفت عن مواصلة الترحال إلى وادى النيل قد اغتمرت اغتماراً كلياً هـذه الرقعة من « الأرض الموعودة » وانتشرت فى أرجائها لتصبغها بلون تحضرى

لم تبهت ، بعــــد ، منه المعالم   فما زالت معالم ذلك التحضر ، وخاصة فى « چريكو » واضحة فيما تركه لنا هذا الوافد الجديد وراءه من المعابد والمذابح والمحاريب التى غصت بهـا مناطق هذه الناحية غداة كانت الفلول من هذه الأفواج تمرح على هـذه السفوح والوديان قبل أن تطويهم طياتها وتحتفظ لنا يد الزمن بهيا كلهم هذه وجماجمهم التى لا تسلط عليها أضواء « علم الأجناس » إلا ونعود مقتنعين بأن العنصر من هـــذا الشعب كان « سامياً ـ حامياً » وإن كان لفظ « سامى » ولفظ « حامى » لا يجوز ، علمياً ، إعطاؤهما أية دلالة جنسية لأن غاية ماهنـالك أنهما يمثلان فرعين من سلالة البحر الأبيض المتوسط كوّنا هذا الوافد الجديد الذى يطلع علينا من ثنايا العصر الحجرى الحديث مستهلا أول فصول رواية الصراع البشرى على ملـكية هـذه « الأرض » عندما راح مسلحاً بأسلحة أحدث مما سبقها وأكمل يغزو القبائل التى سبقته فى الانتشار على هذه الرقعة ، ويقتطع عليها مراحل العصر الحجرى الحديث حتى النهاية معلناً لنفسه حق امتلاك هذه الناحية من أرض تمثل مفرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم ! .

بهـذه المقدمة استُهلت السطور الأولى من قصـة الصراع البشرى على هذه الرقعة من الأرض ، وهى قصة وإن بهتت منها المعالم فى أبعاد ماقبل التاريخ إلا أنها قد أخذت فى الوضوح شيئاً فشيئاً بمطلع التاريخ غداة بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف إلى خارجها موجاتها البشرية . .

في أعقاب ذلك التغير الذى طرأ على جوّ بلاد العرب خلال العصر الحجرى الحديث ، نتيجة للتغير الذى طرأ على جو العالم وأدى الى ذوب ثلوج العصر الجليدى الأخير ، بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف موجاتها البشرية الى خارجها . . فموجة الى وادى الفرات الأدنى وموجة أخرى الى وادى النيل ، وموجات أخرى تتابعت لتجهز « الهلال الخصيب » وأكثر من ناحية من نواحى الشرق القديم بالسكان وتطبعه بالطابع العربى الأصيل . .

وهــذا هو الواقع فإن جو شبه الجزيرة العربية لم يكن ، لشطر كبير خلال العصر الجليدى الأخير، على النحو الذى نعهده الآن . . فلقد كانت الرياح الغربية المشبعة بالرطوبة والبرودة تصل اليهــــا وتُنزِل عليها ، فى جميع فصول السنة ، الغيث المطير والمحيط الهندى أو بالأحرى فرعه ، الخليج العربى ، كان بالربع الخالى فيها متصلا مما جعلها بأوساطها وأطرافها خضـيرة التربة شـجراء الأرجاء ، تـكتنفها الغابات وتتخللها الآبار وتجرى على صفحتها الميــاه بما كان فيها متفجــراً من العيون . ولهذا كانت مزهوة مأهولة آهلة بالعمــران وعامرة بطبقات من البشر . . غير أن التغير الذى طرأ على جو العالم فأذاب ثلوج العصر الجليدى بالتدريج ، قدأصابها تدريجياً ، أيضاً ، بالتغير الكلى الذى جاء بأثره فى غضون العصر الحجرى الحديث فان هذا التغير الذى وقع بفعل العوامل الطبيعية وأدى إلى انحباس المطر قدأدى إلى هبوب العواصف والرياح السموم وإلى هياج الحرّات فجفّـت رطوبة التربة وزاد فيها الجفاف وتحولت إلى يبوسة أماتت ، بالتــــدريج ، الزرع وهيّـجت سطح القشرة الأرضية فحولتها إلى رمال

وتراب ثم صحارى راح يشح فيها النبت ويجف فيها الماء .. هذا الجفاف الذى أصاب بلاد العرب وهبط بمستوى الماء فيها عدة أقدام أو بدل ، بفعل تبدل جيولوجى يطرأ فى باطن الأرض ، طعم المياه وغير مجاريها وأدى إلى تحويل الأرض إلى بقاع صحراوية غاضت فيها الآبار واختفت فيها العيون كان له الأثر الفعال لا فى تاريخ العرب فحسب وإنما فى تاريخ الشرق الأوسط القديم على وجه التخصيص ، لأن هذا الجفاف الذى أصاب شبه الجزيرة العربية قد جاء بأثره فى حالة الساكنين فيها فدفعهم التى التنقل منها إلى مواضع أخرى تتوافر فيها شروط الحياة ! .

ومن هنا بدأت شبه الجزيرة العربية تقـــذف إلى خارجها موجاتها البشرية .. وإذا كان علماء الشرق القديم يختلفون فى تحديد منقطة فى شبه الجزيرة كمنبع كانت لهذه الهجرات « السامية » المتتالية والمتوالية فذهب بعضهم إلى أن أواسط بلاد العرب ، ولا سيما منقطة « نجد » ، هو منبع الساميين بينما ذهب البعض الآخر إلى أن « العَروض » ولاسيا « البحرين » هو ذلك المنبع وذهب آخرون إلى أن الجنوب هو ذلك المنبع فليس الا لتتضافر آراؤهم عند اليقين بأن الموطن الأصلى لجميع الساميين هو جزيرة العرب وأن من هذا الينبوع العربى قد تدفقت طبقات من البشر وسكنت كل بقعة اتسمت بالسامية وبرهان ذلك هو أن جميع الآثار السامية تشـــير إلى أن جزيرة العرب هى الموطن الأصلى الذى ظهر فيه الساميون فلقد ثبت ، علمياً ، أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الاثنولوجية لأقوام أكثر من ناحية من نواحى الشرق الأوسط القديم وليس

ذلك إلا لأن من هذا المنبع خرجت منذ منتصف الألف الرابعة ق . م تلك الموجة التى اتجهت الى الشمال الشرق وفى وادى الفرات الأدنى حلت ومنها نشأت حضارة البابليين والأشوريين بينما اتجهت أخرى الى وادى النيل وفيه حلت ومنها نشأت الأسرات الأولى فى مصر القديمة . . .

وهنا . . .

هنا ينبغى بنا أن نتمهل قليلا فنقول :

لا جدال فى أن وادى النيل كان مأهولا منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس « الحامى » نشأ من البلاد نفسها ومن نفس القارة التى يقع فيها هذا الوادى وينسب إلى لوبيِّى أفريقيا الشمالية المسمين الآن بالبربر كما ينسب الى « الصوماليين » من سكان أفريقيا الشمالية الشرقية غير أنه عند نهاية « العصر المعدنى » نجد بعض التغير قد أخذ يدخل على هذا الشعب الحامى الجنس الناشىء من طبيعة هذه القارة نفسها وأن هذا التغير ، الذى كانت له مميزاته الخاصة التى تختلف اختلافاً بيناً عن الشعب الأصلى ، آسيوى العنصر دخل وادى النيل خلال العصر الحجرى الحديث كموجة امتدت فى غير عنف من شبه الجزيرة العربية واغتمرت وادى النيل . وإذا كان علماء التاريخ القديم يختلفون فى تحديد الجهة التى دخلت منها هذه الموجة العربية الى وادى النيل فذهب بعضهم الى أنها جاءت عن طريق البحر الأحمر من جهة « قفط » وأنها عن طريق أعالى وادى النيل اتجهت من الجنوب عبر اليمن وأرض « بونت » فى الشاطىء الجنوبى للبحر الأحمر من الجانب الآسيوى ودخلت الوادى حتى « القصير » على الشاطىء المصرى ثم تابعت المسير

إلى « أبيدوس » فى مصر الوسطى ومن هناك غزت باقى الوادى بينما ذهب آخرون الى أنهـا اخترقت سورية وعن طريق فلسطين فسيناء دخلت شرقى الدلتا ومن ثمّ انتشرت فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى ، ويعزز هذا الرأى الأخير أن الحضارة فى مصر قد بدأت فى الدلتا فى نفس الوقت الذى زحف العنصر العربى على الوادى ودخل مصر تدريجياً وبغير عنف وأحضر معه حضارة أرقى من حضارة الجنس الحامى الذى لم يكن يعرف إلا الآلات والأوانى الحجرية بينما تزداد معالم هذا العنصر العربى وضوحاً بالذين أسسوا الأسرة الأولى فى مصر . . . فإن الذين أسسوا هذه « الأسرة » ، عام ٣١٠٠ ق . م ، (١) وخلفوا أضرحة أبيدوس وقبور « نجـادة » ليسوا إلا سلالة شعب عربى أدخل إلى الوادى معرفة المعادن وعلمه استخدام الذهب والنحاس والبرونز وفنّ البناء بالطوب وأدخل اليه الـكتابة ، أداة كل تقدم وتنظيم . .

هذا الشعب هو الذى أصبح « الجنس الحاكم » وهو الذى وحّد البلاد من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط تحت صولجان ملك واحد ظهرت فى عهده الكتابة المصرية واتفقت المصادر التاريخية على أنه « مينا » . .

وهنا . . لنا فى هذا الصدد ، كلمة وهى : ألا يجب علينا أن نصحِّح أوضاعاً تاريخية نستبدل من جرائها نظرتنا إلى مُوحِّد مصر القديمـة الذى يطلع علينـا ، تحت أحداث أضواء العلوم التاريخية ، عربياً ، وبالتالى إلى مصر بالذات التى تطلع علينا ، منذ فجر التاريخ ، عربية ؟ .

---

(١) كان اتجاه علماء التاريخ المصرى فى بادىء الأمر إلى أن حكم « مينا » يقع فى عام ٤٧٧٧ ق . م ولـكن « المعهد الشرقى » بشيكاجو انتهى إلى تحديد عام ٣١٠٠ ق . م وهو الذى يأخذ به علماء الآثار المحدثون .

لا جدال فى أن الأثر السامى العربى قد ترك طابعه على مصر القديمة واضحاً فى عهد الأسرة الأولى وأن وضوحه قد اشتد إبّان الأسرة الرابعة بالرغم من ذلك الاندماج الكلى الذى كان قد أصبح محسوساً بين « الجنسين » والذى كان يتخذ مجراه عبر الزمن بينما كانت شبهُ الجزيرة العربية تواصل قذف موجاتها لتمد الهلال الخصيب ، حتى منخفض نهرىّ الأردن والعاصى بسورية ، بأفواج أخرى من البشر .. ومن أشد هذه الموجات هديراً كانت تلك التى امتدت ، حوالى عام ٢٥٠٠ ق . م ، وأحلت « الكنعانيين » فى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية وعلى شاطىء السهل الفلسطينى الذى لم يكن قد أُطلق عليه هذا الاسم بعد وكان يسمى إذ ذاك « شبلاح »(١).

ومن هنا يستبين لنا تماماً أن « الكنعانيين » من أصل عربىٍّ بحت . فهم من القبائل العربية « البائدة » التى استوطنت هذه البقعة من الأرض وأنشأت فيها حضارة أثبتت الكشوفُ الأثرية الحديثة تاريخها وامتدادها من غزة جنوباً إلى « رأس شمرة » شمالا حيث عجّت بها شواطىء «البحر الميت » وتلال الأردن ووادیه كما زخرت بها مداخل الأودية وأضفة الجداول وحواشى العيون بينما كان التيار الزمنى يسير هادراً على مناطق هذا المفرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط القديم ويقتطع عليها « العصور البرونزية » عصراً عصراً حتى العصر الرابع والأخير الذى ينتقل بنا إلى مرحلة تنقلية جديدة امتدت من القرن الثالث والعشرين إلى القرن الحادى والعشرين ق . م . وهى الفترة التى ساد الكنعانيون خلالها هذه المنطقة وامتلكت قبضتهم تمام

---

(١) « SHEPLAH »

الامتلاك الناصية السياسية لهذه البلاد بينما راحت يدُ الزمن من حولهم تُحَوِّل اسمها من « شبلاح » إلى « أرض كنعان » . .

هذه الأرض ، « أرض كنعان » ، هى الحقـل التاريخى لمنطقة « الأرض الموعودة » وهى ، بالتالى ، الإطار الذى ظهرت فيـه على التاريخ صورة العبريين ومن هنا يتحتم علينا كما نستبين تماماً هذه « الصورة » أن نطوف ، للمحات ، بأرض كنعان وعصر كنعان بل وبهؤلاء الـكنعانيين أنفسهم الذين تواترت عنهم الروايات النابعة من قلب تاريخ هزته هزات الخيال فراح يروى أنهم عنصر يعود بأسباب انتشاره الى شخصية حملت اسم « كنعان » وأن كنعان هذا كان ابنـاً لشخصية أخرى حملت اسم « حام » وهذه رواية تدفع بنا إلى الإطراق قليلا لنقول :

إننا إذا كنا نعرف أن الاسم الذى يُطلق على الأرض الواطئة هو « كنعان » ، كما لا تزال مادة كنع وقنع وخنع بهذا المعنى فى لغتنا العربية ، لا يسعنا إلا أن نُفـكِّـر فى هذه الرواية التى تُجَسِّـد هذا الاسم وتجعله أباً قبلياً جاء إلى مفرق الطرق هذا بأبنـــائه ، اليبوسى والعمورى والاروادى والعرقى والجرجاشى والحـامى والحوى والصمارى والسِّنى وحثّ وصيدون ، وأن إلى ما تفرع من هؤلاء الأبنـاء يعود بأسباب انتشاره هذا العنصر .. فهذه رواية وكأنما هى قد دلفت إلينا من عهود الأساطير لأن هذا العنصر لا يتجلى تحت ضوء التـاريخ الحديث إلا سلالة موجة من « العرب البائدة » قذفتها شـبهُ الجزيرة العربية إلى حيث امتدت بها الحياة إلى عهود

تركت منها الأثر فى بعض ما تحمله جوانب هذه الأرجاء من أسماء ما زالت ، حتى اليوم ، بها عالقة بما يقوم عليها من مدن وبمـا يجرى عليها من أنهر وبما يشمخ عليها من جبال   ومثلا على ذلك يأتى فى المقدمة اسم « صهيون » ..

إن كلمة « صهيون» نفسها ، وان كنا لا نجد لها أصلا متفقاً عليه فى اللغة العربية ، عربية الأصل ، وأكثر الشُّراح يرجحون أنها من مادة الصون والتحصين   لأن هذا الجبل كان فعلا من حصون الروابى العـالية. والمقصود بالعربية هنا لغة الأصلاء من أبناء شبه الجزيرة العربية الذين سكنوا هذه البقعة من الأرض قبل هجرة العشيرة العبرية إليها بزمن غير قصـير . وهؤلاء الأصلاء من « العرب البـــائدة » الذين أطلقوا على الأرض اسم « كنعان » ليلحق بهم هذا الاسم بينما اختفى معناه فى طيات لغتنا العربية ولم تبق إلا مادته من خنع وقنع وكنع هم الذين أطلقوا على هذا الجبل اسم « صهيون » وليختفى ، اختفاء الأصل من كلمة كنعان ، الأصل من كلمة صهيون كاسم عربى قديم أطلق على هذا الجبل إلى جانب ما أطلق على بعض بقاع هذه الأرجاء من أسماء لئن كان أقدمها تلك التى جاءت للأنهر والجبال فإنما أحدثها هى تلك التى جاءت فى غضون الألف الثانى ق . م للمدن مستمدة ، أصلا ، من المذابح والمعابد والمحاريب   فلقد كان إذا طاب لأب قبلى مكانٌ واعـــتزم فيه الاستقرار فأول شىء كان يبدأ به هو أن يقيم مذبحـاً أو محراباً وبجانب هذا المحراب أو المذبح الذى يرتفع على مدارج الأيام إلى « بيت » يلقى جانبـاً عصا الترحال لتنصرف به الأيام وهو إلى جواره قد خلد لا يغـادره إلا غراراً وإلا لعودة اليه من جديد . . فقد كان قيام هذا « البيت المقدس » يكفل لمن يقيمه

مقاماً ويوطد له مكانة كانت قد رفعته اليها الأيام يوم نشرته أباً لقبيلة يقف هو فيها الكاهن والقاضى ، وبالتالى الملك والحاكم المطلق لمدينة لم تلبث أن نشأت بنشأة هذا « البيت » وعمرت بالعمائر المتفرعة ممن أنشأه كأب قبلى . . ومن أسماء هذه المدن المستمدة من هذه « البيوت » ما زالت ترن فى مسمع الحاضر من شدق ذلك الزمن البعيد أصداء تتجاوب من حول عدة « بيوت » . . منها « بيت براه » و « بيت لحم » و « بيت اناث » و « بيت مرسيم » و « بيت شماس » وأما أوقع هذه الأصداء فى مسمع الزمن فما زال « بيت إيل » أو بيت الإآله ! .

وهنا . . هنا يتمهل بنا الفكر للحظة أمام هذا الاسم ، اسم « إيل » وهو الأصل من الكلمة العربية « إآله » بينما يسبح منا التفكير مستعرضاً هذه القبائل من « العرب البائدة » التى ترنمت بهذا الاسم حتى تجاوب منه رجع الصدى بين أرجاء هذه البقاع منذ فجر الزمان حتى ضحاه . هذا الاسم المدوى بالجلال والقداسة هو الذى حملته كنعان فى موكب التاريخ وعرفته خاصاً بالإآله واختصته بساكن السماء الحاكم من ملكوتها هذا الوجود الذى له قد خلق والذى عن الإعتراف بألوهيته والاتجاه بالتعبد لم ينحرف فرع من فروع كنعان وعن التضافر من حول عبادته لم تشذ من المدن الكنعانية مدينة وذلك فى اتباع لمدينة « يبوس » العاصمة السياسية لهذه البلاد فقد كانت « يبوس » ، عاصمة كنعان بالأمس وأورشليم اليوم ، محوراً لعبادة « إيل » ومركزاً . .

وهنا عند ذكر « يبوس » نقول إنها مدينة استمدت اسمها

من قبائل اليبوسى وأنها كانت قاعدة لهذه القبائل من اليبوسيين ولم تعرف باسم « أورشليم » الا فى خلال تلك الفترات التى استغرقت المرحلة الأخيرة من العصر البرونزى الأوسط الى نهاية العصر البرونزى الرابع والأخير أى بعد الانصباب البشرى الذى اتخذ مجراه آتياً من سورية ومن بلاد ما بين النهرين وخاصة من ضفاف الفرات الأدنى فإن مما وجدناه من الكتابة الإسفينية ، التى نعرفها بالمسمارية ، وخاصة على ضفاف الأورنتس وفى « حماه » ، نعلم أن اللغة البابلية التى غدت حوالى الألف والأربعمائة ق . م لغة السجلات الرسمية فى « أرض كنعان » ، هى الدليل القاطع على أن مفرق الطرق هذا قد غدا ساحة للصراع البشرى فحيثما سرنا فى جوانب مفرق الطرق هذا وجدنا آثار التدمير تطلُّ علينا من أطلال الحصون ، ولا سيما فى « تل بيت مرسيم » بينما ينبعث من ثنايا الأنقاض رجع الصدى يحدثنا بسيرة هذا التنازع وهذا النزاع المستهدف من وراء ملكية مفرق الطرق الرئيسى هذا ذى الاتجاهات الأربعة الرابطة بين أطراف الشرق القديم إصابة الهدف المتمثل فى امتلاك ناصية الشرق الأوسط من كل الأطراف .

حرىٌّ بنا من ثمّ أن نحتكم إلى الآثار وعلينا أن نسير على هدى المعاول الأثرية فنتبع مرامى ذلك الارتحال « العراقى ـ السورى » الذى اشتد هديره إبّان القرن الثامن عشر ق . م والقرون التالية غامراً من أرجاء الدنيا هذه الأرض ، أرض كنعان . . فإنما على هدى هذه المعاول الأثرية نرى أضواء التاريخ وتنحسر البقاع عن مدن مستقلة نراها قد نشأت على غرار ما قد ترك المرتحلة وراءهم من مدن الرافدين والتى لم تقم هنا إلا كما

قامت هنـاك من حول محـراب أو مذبح كان ، حتما ، أن يقوم بقيـامه « بيت » يُتّـخذ للعبادة مكاناً وللتعبد قبلة اتباعا لتقليد قديم كان قد سار به هناك العرف وكانت قد جرت هناك به العادة وهذا إذا استثنينا مدناً أخرى كانت أسماؤها تستبدل بأسماء لم تـكن فى واقعها إلا تـكراراً لأسماء مدن كانت لم تزل قائمـة عهد ذاك فى بلاد مابين النهرين ، ومثلا على ذلك تجىء فى المقدمة مدينة « يبوس » فان هذه المدينةالتى كانت قاعدة لقبائل اليبوسى أواليبوسيين لم تـُعرف باسم « أورشالم » ، أى مدينة سالم أو مدينة السلام ، إلّا غداة ارتحل إليها المرتحلون من أبناء الرافدين ، وهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم الذى لم يـكن نفسه ، إلّا رجع الصدى لمـا كان هناك يتجاوب فى جنوب الفرات من اسم كانت قد أطلقته الإمبراطورية السومبرية على عاصمتها السياسية التى أنشأتها على ضفة الفرات الأدنى والتى عرفت خلال العصـــور التاريخية للرافدين باسم « أُور » . . فمنذ حوالى الألف الخامس ق . م حتى مغرب الامبراطورية البابلية الأخيرة والآخرة فى القرن الخامس ق . م ظل عالقاً بهذه المدينة هـذا الاسم السومبرى والذى تجاوب رجع صـداه على « أرض كنعان » فى عهد كانت الأضواء المصرية نفسها قد انسابت عبر « بيت مرسيم » غامرة النواحى الجنوبية من « أرض كنعان » فى امتداد صوب الشمال .

وفى الواقع أن الأضواء المصرية كانت قد انسابت إلى « أرض كنعان » منذ أمد غـير قصير وإن كانت خيوط امتدادها لم تتحدّد تحديداً جلياً إلا فى عهـد الأسرة الثالثة عندما نشطت التجارة نشاطاً تاماً بين مصر

وبين الرافدين .   وكأنما « سنفرو » كان قد فطن إلى أهمية مفرق الطرق هـذا فمهّد لامتداد السيادة المصرية عليه تمهيداً هو هـذا الذى بنى فى « وادى طميلات » ، وهو الطريق الجنـوبى عبر سـيناء إلى فلسطين ، نقطاً محصنة تخللتها معـابد « سبتو »[1] ، رب الشرق . وبذلك وطد سلطان مصر فى سيناء ونظم المواصـلات وأمن القوافل فى صعودها من مصر وهبوطها اليها مستهدفاً إنشاء دولة متحدة ثابتة الدعائم عاصمتها مصر التى جعل منها قاعدة للحياة الإقتصادية ومحوراً لهذه الحياة فى عالم الشرق القديم مما تستطيع يدنا ، بهـديه ، أن تمتد فترسم أشعة مصرية تنساب من النيل مخترقة شمال دمشق إلى أواسط تلك الرقاع التى سنعرفها من بعد باسم «فينيقيا» حيث تتلاقى بأشعة أخرى تنساب من الرافدين . .

هذا العهد الذى تتلاقى فيه أشعة النيل بأشعة الرافدين على « أرض كنعان » إنما هو ، نفسه ، نفس العهد الذى يمثّل التربة التى ألقيت فيها بذرة « الأرض الموعودة »   فالزمن إنمـا هـو الزمن الذى يتفق تاريخياً وعصر « آباء التوراة » .

(١) « SEPTU » .

الإطار التاريخى لمنطقة « الأرض الموعودة »

يستهل هـذا العصر المعروف بالعصر البطريركى تاريخه بمن اليه ، كما يقول « العهد القديم » ، تعود بأبـوّتها « إسرائيل » رجلاً وجماعة غداة استهـل هذا « الأب » مطالعه على التـاريخ من خضم ذلك الارتحـال الذى اتّخذ مجراه من ضفاف الفرات الأدنى إلى « أرض كنعان » . . فنحن اذ نقتفى خطى هؤلاء المرتحلة الذين تدافعوا قبائل وفرادى يجمـع شعثهم أكثر من قائد ويـوحـّد بين أهدافهم استهداف هدف واحد يتلخص فى امتلاك رقعة من أرض جرى بينهم عنها التعبير بأنها « أرض باللبن والعسل تفيض » فليس إلّا لنتتبع من بين هؤلاء القادة فرداً واحداً يناديه التاريخ العبرى باسم ؛

تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر

ولـكن . .

عند « عابر » ينبغى بنا أن نتمهل قليلا وأن نستمهل التاريخ عن الاسترسال، للحظة ، خلالها نستوضح الحقيقة من هذا الاسم . لا لأن " عابر " يـعرف باسم " هود " وانما لأن الأقلام قد حارت بحثاً عن الأصل من كلمة « عبرى » حتى توقـّف الـكثير منها عنـد القول بأن « بنى اسرائيل » قد

عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى أبيهم « تارح » لأنه قد عبر النهر ، أى أنه أتى من وراء النهر ، نهر الفرات ، إلى « أرض كنعان » . بيد أن إلى هذا السبب لا يعود اسم « عبرى » فليس هو بصفة لحقت بتارح ! كلا ولا هو باسم موجة بشرية أو قبيلة من القبائل التى كانت تواصل وراء العيش المسير وإنما هو ، كما يتجلى من ثنايا التاريخ ، لقب عائلة واحدة جاء بها « تارح » إلى « أرض كنعان » ولما كانت هذه تعود بنسبها البعيد إلى « عابر » . . فقد عرف أبناؤها بالعبريين كما نسمع ذلك من الشفاة الكنعانية غداة أطلقت على « ابراهيم » هذا النعت وعرفته « بالعبرانى » ولياتينا بذلك الدليل على أن هذه النسبة إنما هى نسبة إلى جدّ وليست نسبة إلى قوم وعلى أنه ليس إلّا إلى « عابر » ، هذا الجدّ الأعلى الذى ينتمى اليه أفراد العشيرة العبرية ، يعود السبب الحقيقى فى حملهم هذا الإسم الذى سبق أن ورد ذكره فى النصوص المصرية القديمة تحت اسم « خبيرو » ولا غضاضة فى ذلك ، لأنه ليس هناك أىّ اختلاف بين الكلمتين . فان حرف الـ « خ » يساويه حرف الـ « ع » فى اللغة العبرية التى كان لا بد أن يرجح فيها الحرف الأخير على الحرف الأول نسبة إلى « عابر » والتى جاءت ، بالتالى ، كفرع من اللغات السامية نسبة إلى تلك الشخصية التى تقف فى المنتصف من سلسلة نسبهم التى يرتقون بحلقاتها من عابر ، عبر « شالح » و « ارفكشاد » إلى « سام » . .

و « سام » ؟ .

من هو « سام » ؟ .

ومن كان « سام » ؟ ..

سؤال ، نلقيه إلى مؤلف السِّفْر الأول من أسفار « الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى مع علمنا بأن شجرة الأنساب الواردة فيه لاتقوم على أسس علمية وإنما على بواعث محض عاطفية ..

ومن هذا المؤلف اليهودى يجىء الينا الجواب عبر الأصحاح العاشر من هذا السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » ، « سفر التكوين » قائلا ؛ . بأن « سام » أبو كل بنى « عابر » .. وأن عابر هو ابن شالح بن ارفكشاد بن سام .. وهذا الجواب يُحتِّم علينا أن نناقش ، مناقشة علمية ، « قصة سام » ..

ولكن ..

نحن إذ نناقش « قصة سام » مناقشة علمية يتحتم علينا العودة إلى عهد متوغل فى القدم من تاريخ بلاد ما بين النهرين وبالتحديد إلى تلك الفترة الزمنية التى اتخذ فيها القدامى مساكنهم فوق مستوى تلك التربة الخصيبة التى كَوّنها نهرا الدجلة والفرات عند وصولها إلى البحر من تراكم الرواسب التى تحدرت مواردها من جبال أرمينيا ومن حيث ينبجس هذان النهران ، وحتى يصل بنا هذا التاريخ إلى سنة ٢٢٢٥ ق . م ، السنة التى حُددت فيها تواريخ الأسرة البابلية الأولى فى التقويم العالمى والتى تعد من أهم السنين فى تاريخ الشرق الأوسط لأنها السنة التى نادى خلالها « سومو — أبوم » العمورى بنفسه ملكا على بابل بعد أن قوض الإمبراطورية السوميرية

الأولى فى «أور» وقضى على عائلتى «لارسا» و «إيسين» وبسط نفوذه على سائر أرجاء بلاد ما بين النهرين جامعاً فى سلطان واحد وبصفة نهائية نهاية المنطقتين ! . .

حدثٌ كهذا كان لا بدّ أن يُخلِّد اسم «سومو — أبوم» فى ذاكرة ذلك التاريخ . .

والآن . .

نحن إذ نعرف أن ترجمة اسم «سومو — أبوم» هى الأب سام فليس إلّا لندرك بأن معرفتنا بترجمة هذا الاسم ليس ، نفسه ، الّا الضوء الذى نلقيه على «سام» هذا الذى يقول عنه مؤلف «سفر التكوين» بأنه «أبو كل بنى عابر» . .

أجل . .

لا جدال فى أن تاريخ بلاد ما بين النهرين قد ضم أكثر من واحد حمل هذا الاسم . بيد أن ذاك الذى ترك أثره فى وعى الزمن ، بهذه الصفة التى يذكرها مؤلف «سفر التكوين» ، كان «سومو - أبوم» أو «الأب سام» هذا الذى حكم بلاد ما بين النهرين ، ٢٢٢٥ — ٢٢١١ ق.م ، وكان مؤسس الأسرة البابلية الأولى . . هذه الأسرة العمورية التى أنشأت الأمبراطورية البابلية الأولى والتى جاء سادس ملوكها وأكثرهم فى أفق التاريخ تألقاً ، «حمورابى» ٢١٢٣ — ٢٠٢٠ ق.م ، فزاد أثرها عمقاً فى وعى الشرق القديم عندما أسَّس رسمياً وحدة هذه الأمبراطورية وغداة حفر على اللوح

الحجرى شريعته الوضعية وعلـّق فى معرض التاريخ هـذا « القانون الموحّـد» محتفراً به فى جبهة الشرق القديم آثاراً عميقة الغور بعيدة المدى . .

والآن . .

الآن نعود إلى مؤلف « سِفْرُ التـكوين » وهو يحدثنا عن « تارح » بينما نُسلس للمخيلة منا العنان أمام ما تصوره نصوصـُه من صوَر حتى المدى الذى نرى فى مداه « تارح » شخصية محسة ومحسوسة . . ومن هناك نبدأ نقتفى من « تارح » الأثر وهو يسير عبر تلك الأمواج البشرية فى اغتمارها « أرض كنعان » طاوياً بعصاه من هذه « الأرض » ناحيةًهى ، على حد تعريف هذا المؤلف اليهوذى ، كانت تلك الممتدة فيما بين مينائى صيدا وغزة على شاطئى البحر الأبيض حتى سدوم وعمورة على ضفاف البحر الميت مستصحباً ذويه وفى مقدمتهم ابنه الحامل ، عهد ذلك ، اسم : أبرام . .

« أبرام » ؟ .

يقيننا إن عند هذا الاسم ينبغى بنا أن نتمهـّل قليلا ونستمهل التاريخ العبرى عن الاسترسال للحظات لنقول :

إن « أبرام » ، من سنعرفه من بعد باسم إبراهيم ، ليس عنـّا فى خضم ّ هذا الارتحال بقصىّ كلا ولا هو فى أبعاد هذا الترحال ببعيـد لا ، وليس هو علينا بالرغم من تهافت أضواء التاريخ لهـــذه الفترة الزمنية بغريب فليس هو بـكينونة سرابية الطيف يطويها عن الحقيقة تطاول

المدى الزمنى ويحجبها استبهار ليل الأساطير .

كلا ! . إن صاحب هذه الشخصية وإن بدأ ظهوره فى أُفق الزمن فى سماء ملبدة بالغيوم فانما سجف التاريخ تنحسر عنه تمام الإنحسار فى مغرب الحكم الحيثّى ومشرق الحكم الكاسّى لبلاد ما بين النهرين بينما يتراجع عنه جذراً مدّ الأساطير حتى لنراه ، فى بهرة الضوء السياسى للعصر ، يشق ثنايا التاريخ فى أعقاب الغزو الحيثى الذى اجتاح الفرات الأعلى ويطلع علينا عبر المدّ الكاسّى الذى اغتمر الفرات الأدنى مجترقاً « أور » ، هابطاً « أرض كنعان » بخطوات وئيدة متئدة ، ثابتة الحركة ، يحركها فكرٌ ترامت أمامه الأهداف وفى وضوح ارتسمت بل وتحددت المعالم من هذه الأهداف ، وبرهان ذلك ما قد تركته هذه الشخصية وراءها على رمال الزمن من آثار تجافى تمام المجافاة ما قد جاء عنها من وصف فى سطور السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى . .

يقيناً ، ليس هناك فى السجلات التاريخية لذلك العصر أى إلماح عن اسم « أبرام » . لا ، ولا هناك فى الوثائق الموثوق بها لذلك العهد عن هذا الاسم أى تلميح . فانما أقدم نص ورد عن هذا الاسم جاء فى قائمة شيشنق الأول ، حوالى ٩٤٥ — ٧٤٥ ق . م ، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة وصهر سليمان وبالإضافة إلى ذلك حملت هذه القائمة صورة لإبراهيم غير أن الأثر الذى تركه صاحب هذا الاسم لا يحمل الدليل الكافى فحسب على أن حامله قد عبر حقيقة معبر الحياة وإنما هو نفسه برهان على أنه لا يمكن أن يكون إلا لشخصية قدرت تمام التقدير ما فى

جمعيتها من إمكانيات ، وما تشتمل عليه إمكانياتها من قدرة . .
وهذا أمر يُحتم علينا مناقشة « قصة أبرام » ، أيضا ، مناقشة علمية . .

ومناقشة « قصة أبرام » مناقشة علمية تحتم علينا العودة إلى عهد آخر ممعن فى القدم من التاريخ السياسى لبلاد ما بين النهرين وعلى وجه التحديد إلى سنة ١٩٢٥ ق . م وهى السنة التى دالت فيهـا دولة الإمبراطورية البابلية الأولى غداة أغار الحيثيون على بابل وصارعوا « سمشو — ديتانا » ، أى شمس الدين ، آخر ملوك هذه الأسرة العمورية حتى صرعوه . . ومن هنا نبدأ فى تحسس خيوط الأحداث التى لانضع عليها يدنا إلا لنراها وقد حاكت أمامنا صـورة لإبراهيم بريئة هى كل البراءة من كل ما قد ألقاه عليها مؤلف « سفر التـكوين » من تُرهات ، لا تبدو واضحة كل الوضوح إلا ونحن نتابع مجريات الأحداث السياسية فى أعقاب الغزو الحيـثى للرافدين . فلقد أعقب هذا الغزو الحيـثى ، الذى يقابل منتصف حـكم الأسرة الثانية عشرة المصرية ، فترة غير مستقرة ولا ثابتة اجتاح فيها عجيج الفوضى بلاد مابين النهرين مدى قرن ونصف قرن من الزمان سـاد خلالها الاضطراب قبائل البـدو وعشائرهم حتى تدافعـوا فراراً إلى « أرض كنعان » وليدفعهم هذا الممر الذى يقود إلى مصر إلى قلب الوادى نفسه بل وإلى التوغل فى ارجائه جنوبا بعيداً عن الدلتا . . وصورة حية لهؤلاء المهاجرين الآسيويين مازالت فى معرض التاريخ معلقة فى مصر الوسطى كما حُفرت على جدران قبر كُشف ببلدة بنى حسن وتعود بتاريخها إلى السنة السادسة من حكم سنوسرت الثانى ، حوالى سنة ١٩٠٠ ق . م ، أى بعد مرور خمس وعشرين سنة على تلك الغزوة الحيثية أو بالأحرى

من ذلك الاستيلاء الحيثي على بابل وهو الذى لا نحاول أن نلتقط من خلاله خيط الأحداث إلا ليأتينا سلساً عبر الوثائق المعاصرة لتلك الفترة الزمنية والتى عثرنا عليها على مسافة غير بعيدة من بابل . .

تزيح هذه الوثائق المسطرة على أكثر من لوح من الألواح الصلصالية الحجب عن الفترة التاريخية القاتمة التى تلت هذا الغزو الحيثى للبلاد حتى الغزو الكاسى الذى اجترفها اجترافاً وبذلك تكشف لنا عن أحداث كانت حتى عهد حديث من عصرنا الحاضر محتجبة وراء غيم الزمان . . فهى تحدثنا عن أسرة حاكمة من أسرها المالكة تسميها هذه الوثائق الأسرة الثانية وتقول بأنها استولت خلال هـــذه الفترة الزمنية بين الغزوتين على أسفل بابل عند الفرات الأدنى فى « أور » وحاولت حكم البلاد من تلك الجهة التى كونتها رواسبُ النهرين فى الجنوب فجعلت منها منطقة مستنقعات وسُميت « أرض البحر » .. والألواح إذ تحدثنا هذا الحديث عن هذه الأسرة التى قامت خلال هذه الفترة القاتمة من تاريخ البلاد تحاول جمع شعثه من تلك الجهة المسماة « أرض البحر » فليس إلا لتهدينا إلى أن هذه الأسرة التى استولت لردح من الزمن على أسفل بابل عند الفُرات الأدنى فى « أُور » قد حكمت منطقــة « أرض البحر » لأكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، ١٩٢٥ — ١٧٦٢ ق . م ، وأن ملوكها الذين اقتصر عددهم على ثلاثة قد باشروا سلطة غير مستقرة ولا ثابتة حتى أغار الــكاسيون وجاء « جنداش » ، مؤسس الأسرة الــكاسية والثـالثة فى بابل ، وطرد الثالث والأخير من ملوك « أرض البحر » . .

ولـكن ..

ثمة سؤال يطرأ على الذهن ، هنا ، وهو :

أىّ الأسماء كان يحملها هذا الملك الثالث والأخير من ملوك « أسرة أرض البحر » الذى اضطره جنداش ، سنة ١٧٦٢ ق . م ، إلى مغادرة « أرض البحر » ومفارقة « أور الـكلدان » ؟ ..

سؤال ، لا تجيب عنه هذه الألواح التى محت رياحُ الزمن منها بعض السطور إلا من احتفاظها بالنعت الذى كان يُطلق على هذا الملك وهو : « داميق — إيليشيو » أى « خليل الله » ..

والآن ..

نحن إذا كنا نعرف أن آخر ملك من ملوك « أسرة أرض البحر » كان ينعت ، كما ورد فى الوثائق البابليـة ، « داميق — إيليشو » وأن ترجمة هذا النعت هى « خليل الله » وبالتالى ، أننا إذا كنا نعرف أن هذا النعت هو الذى يطلق فى المراجع الدينية على « ابراهيم » ، فلا يسعنا إلا أن نقارن بين الوثائق البابلية وبين الأحداث التاريخية لإسرائيل وبنى اسرائيل فى مصر الهـكسوسية بينما نقف متسائلين أ كان آخر ملك من ملوك « أسرة أرض البحر » شخصاً آخر غير ابراهيم ؟ ..

أجل ..

لاجدال فى أن هذا النعت ، نعت « داميق — إيليشو » ، قد عرفناه فى سجلات بابليـــــة أخرى لملك آخر ورد ذكره فى « القوائم

الملكية » .. عرفناه فى الفجر الباكر من تاريخ الرافدين وعلى وجه التحديد فى أعقاب الغزو العيلامى الذى اجتاح بابل ، حوالى سنة ٢١٤٥ ق . م ، غداة انصب العيلاميون بقيادة « كدرمابوك » وأسسوا مملكة لهم فى « لارسا » توالى على حكمها ابنا « كدرمابوك » بالتتالى « واراد — سن » و « ريم — سن » . وهذا الأخير الذى استولى ، فى العام الثلاثين من حكمه ، على « ايسين » وقضى على استقلالها قد ذكر هذا النعت ، سنة ٢١٣٢ ق . م ، بمناسبة انتصاره هذا الذى سجله على لوح صلصالى نقرأ عليه هذه العبارة :

« فى هذه السنة ... استحوذ الراعى « ريم — سن » على مدينة « داميق ايليشو » وغنم « ايسين » وامتلاك كل ما فى ايسين » .(١)

ولكن ..

هذا الملك العيلامى والثانى فى قائمة ملوك « لارسا » إنما هو قد هزم آخر ملك من أسرة « ايسين » وليس آخر ملك من ملوك أسرة « أرض البحر » . . ومن هنا يتضح لنا أن « داميق — ايليشو » الذى هزمه « ريم — سن » العيلامى غير « داميق — ايليشو » الذى هزمه « جنداش ـ الكاسّى » والذى إذا قمنا بعملية حسابية بسيطة وازنا فيها بين التاريخ البابلى وبين التاريخ الذى جاء فى « سفر التكوين » عن ابراهيم لتبينا ان « داميق — ايليشو » أسرة « أرض البحر » ليس شخصاً آخر غير إبراهيم . .(٢)

---

(١) فى متحف اللوفر .

(٢) « BÀCKGROUND OF JSLAM » BY « PHILBY »

إن الفترة الزمنية من سنة ٢٢٢٥ ق . م ، وهى السنة التى أسس فيها « سومو — ابوم » أو « الأب سام » الأسرةَ البابلية الأولى ، إلى سنة ١٧٦٠ ق . م ، وهى السنة التى انهارت فيها أسرة « أرض البحر » ، تقع فى مدى زمنى مقداره أربعمائة وخمسة وستون سنة . .

والآن لنحتفظ بهذا الرقم فى ذاكرتنا بينما نتناول « سِفْر التكوين » لنقرأ فى الإصحاح الحادى عشر منه هذه السطور ؛

« هــذه مواليد سام — لما كان سام ابن مئة سنة ولد ارفكشاد . . وعاش ارفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد رعو . . وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج . . وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور . . وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح . . . وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام » .

ومن ثمّ فالمدى الزمنى من « سام » إلى مولد إبراهيم يقع فى فترة تنحصر فى ثلاثمائة وتسعين سنة .. إلا أننا إذ نتابع « سِفْر التكوين » فليس إلا لنقرأ فى الإصحاح الثانى عشر منه هذه العبارة ؛

« وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران »

وإذن . .

نحن إذا أضفنا هذا الرقم الأخير إلى الرقم الأول من السنين من عهد « سام » إلى « مولد أبرام » لحصلنا على مجموعة من السنين تحمل نفس

الرقم الذى يسجله التاريخ البابلى من قيام « سومو — ابوم » إلى انتهاء حكم « داميق — إيليشو » . !

وهنانعود فنحاول التقاط خيط الأحداث مرة أخرى فنقول ؛

إذا كان إبراهيم نفسه هو حقيقة ، آخر ملك من ملوك أسرة « أرض البحر » فلن يكون إلا بسبب سقوط هذه الأسرة وقيام الأسرة الكاسية حوالى سنة ١٧٦٠ ق . م ، وهذا يقابل مستهل حكم الأسرة الثالثة عشرة فى مصر أو بالأحرى بداية الحكم الهكسوسى ، قد ارتحل « خليل الله » عن الفرات الأدنى إلى حاران فى « أرض كنعان » حيث ألقى جانبا فى هذه « الأرض » عصا الترحّل بعد زيارة قصيرة الأمد لمصر التى كانت خاضعة ، آنذاك ، للحكم الهكسوسى وهذا يطابق الأحداث التى تتحدث عنها بعض نصوص « سفر التكوين » .. فان قيام الأسرة الثالثة فى بابل حوالى سنة ١٧٦٠ ق . م يضع عصر إبراهيم مقابلا للفترة الباكرة من العصر الهكسوسى فى مصر الذى بدأ حوالى سنة ١٧٩٠ ق . م ويتفق وتاريخ اسرائيل وأبناء اسرائيل فى مصر حتى إننا لنستطيع أن نقول إن من هنا قد التقطنا عقدة الأحداث فى نسيج الزمن ! .

وهكذا . .

هكذا يتراجع جذراً مد الأساطير عن « خليل الله » إبراهيم بل ونشاهد مطلع إبراهيم على التاريخ فى أعقاب « الغزو الكاسى » للفرات الأدنى وانصبابه على السهل الفيضى لبلاد ما بين النهرين وضياع مملكة « رض البحر » . وهكذا تدلف إلينا الأدلة على وجوده كشخصية كان لها

شأنها الخطير فى خلال تلك الفترة الحالكة من تاريخ الرافدين والنيل مما يجعل الحلم بامتلاك « أرض كنعان » والأراضى الواقعة من الفرات إلى النيل لايبدو غريباً إذا كان قد طوف على الجبين عوضاً عن « مملكة أرض البحر » .

ولكن ! . .

نحن لا نكاد نلتقى على هذه الشخصية أضواء التاريخ السياسى لبلاد ما بين النهرين الا ويصطدم منا المسمع بما يجىء عنها من ذكر فى السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى . . هذا « السفر » المنسوب افتراءً الى موسى ، عليه السلام ، والذى تكتنفه السذاجة من كل جانب وتحف به روح البداوة من كل طرف حتى جانب مؤلفه التوفيق فى التأليف وحتى جافته الحقيقة فى سرد الوقائع مما يدل دلالة واضحة على أنه مكذوب على موسى وعلى الله ! . .

ولكن . .

بالرغم من فطرية الأسلوب فى هذا « السفر » وبالرغم مما يكتنفه من غموض فى التفكير ومن سذاجة فى التأليف وما يشتمل عليه من غلوٍ ومن تناقض تكسرت حجة مفسريه على صخور الاستحالة كيما يجدوا تبريراً لما يحكيه من قصص أو تاويلا لما يرويه من روايات جاءتنا متأخرة جداً من العهود التى يرويها فإن علينا أن نخلد إلى الصبر ونتمسك بأهداب الأناة والروية ونحن نجبر المخيلة منا على أن تجارى النصوص وتشهد ما تصوره من مشاهد . . وليس إلا تحت هذا اللون من الاعتبار نستطيع أن نقول اننا سنصغى إلى رواية

التوراة عن هذه الفترة وهى تصور أمامنا خطوات أبرام عبر سطور هذا « السفر » وهى تسير فى اتباع لخطوات « تارح » صوب هدف مرماه ناحية من « أرض » كان لها مغزاها السياسى فى تاريخ ذلك العصر فلقد ،

« أخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن أخيه وساراى كنته أمرأة ابرام ابنه فخرجوا جميعاً من « اور » الـكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران واقاموا هناك[١] .

من « أور الـكلدان » وأور الـكلدان هو الموضع الذى يُسمى الآن « المقبر » والواقع على الفرات الأدنى عند ذلك السهل الفيضّى الذى كان يُسمى « أرض البحر » جاء « أبرام » إلى حاران . . وفى حاران ، وكسائر بقاع « أرض كنعان » كانت حاران عامرة بآباء القبائل الذين كان قد حف بهم الثراء المادى من كل جانب فرفع كل واحد فى قبيلته إلى مرتبة مَـالك ، استرسلت فى مسيرها الأيام بهذا البيت البابلى الذى لقّـب بالعبرى ، نسبة إلى « عابر » بينما راح مسيرها ، على حد تصوير النصوص ، يومض فى نفوس أهل هذا البيت وميض التنبـّه إلى ما قد حف بهؤلاء الآباء القبلـّيين من ثراء مادّى هو ، حتما ، السبب الذى أسـّس لكل أب قبلى زمام التملك والرخاء ! .

وهنا . .

هنا ، تحدثنا النصوص التى أمامنا ، وعليها نلقى مسئولية هذا الحديث ، أن الشرارة الأولى قد انطلقت فى مخيلة « أرومة إسرائيل »

(١) الاصحاح ١١ « سفر التـكوين »

وقدحت شرر الحلم بإثراء مادِّى تكون له به فى « أرض كنعان » أُبوة قبلية على غرار ما لآباء القبائل فيها من حكم وملك وسلطان. وإنَّ نحو بلوغ هذا الهدف ، ما لبثت أن سعت الخطى حثيثة بأبرام عبر سلسلة الأيام حتى اقتنت يده ، خلالها ، المقتنيات المادية وامتلكت من النفوس العدد الوفير من العبيد واستجلبت الجنود المرتزقة المتمرنين على حمل السلاح إعداداً لصيحة ارتفعت ، بادىء ذى بدء همساً ، وما سرى تجاوبها بين الأتباع الآ وسجل الزمن ؛

انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »

تحدثنا النصوص العبرية بأن من شفتى « أرومة إسرائيل » استهلت فكرة « الأرض الموعودة » تاريخ انبثاقها فى أرجاء « أرض كنعان » بَيْدَ أنه لابد لنا ، ونحن انما نستهل البحث فى تاريخ نشأة هذه « الفكرة » ومنشأها ، أن نطوف ، للحظة ، بالتفكير الإلهى والمعتقد الدينى لذلك العصر لارتباط هذه « الفكرة » ارتباطاً كلياً بهذا المعتقد ولاتصالها اتصالاً مباشراً بهذا التفكير . .

من سجلات التاريخ الدينى الكنعانى يأتينا البرهان على أن الإيمان بإله واحد مسكنه السماء كان الأساس الذى يقوم عليه صرح هذا الدين والفكرة الجوهرية التى تستدير من حولها العبادات ويقوم عليها نظام الكهنوت وتعلق بها من كل انسان الأهداب ! . وبينما تأتينا من السجلات الكنعانية هذه الأدلة فإنما مؤلف « سفر التكوين » يجعلها مُمثَّلة فى أحد ملوك كنعان وكهنتها ، فهو يقول لنا بأن « ملكى صادق » قد أخرج خبزاً وخمراً وخرج إلى أبرام مرحِّبا به . . ولما كان ملكى صادق ، ملك شاليم « كاهناً لله العلى » ، كما تقول النصوص العبرية ، فقد بارك أبرام قائلا :

« .. مُبارك أبرام من الله العلىّ مالك السموات والأرض[1] »

---

(١) الاصحاح ١٤ « سفر التكوين »

هذا الإقرار الذى تنفَّس عنه الصدرُ من مصدر العقيدة للدين اليهودى الحالى هو الذى نضع فى حرص عليه سبابتنا لا لأننا نعتبره تأييداً فحسب لحقيقة تاريخية مقررة وهى أن مفهوم الإله كإله على مالك للسموات والأرض كان واضحاً فى العقل الكنعانى قبل هذا العهد الذى يتحدث عنه المؤلف اليهودى بزمن غير قصير، وإنما لأنّ مؤلف «هذا السفر» قد جعل هذا المفهوم نفسه الذى تسامى اليه العقل الكنعانى هو، بعينه، المعتقد الذى كان قد أخذ به أبرام!. فالمؤلف اليهودى يحدثنا بأن أثر هذه «البركة» مباشرة أقسم أبرام لملك سدوم بهذا الإله نفسه ومشيراً اليه بالكلمات نفسها التى استخدمها «ملك شاليم» قال؛

«رفعت يدى إلى الإله العلىِّ مالك السماوات والأرض» (٢)

نحن لا نريد أن نقول بأن كنعان قد عرفت الوحدانية الخالصة، وأن ابراهيم، عليه السلام، قد دان بنفس هذا المعتقد الكنعانى .. كلا!. وإنما نريد أن نشير إلى ما تحمله نصوص هذا المؤلف اليهودى من معنى ينكر، بطريقة غير مباشرة، الدرجة الفكرية التى يذكرها الإبراهيم مصدر العقيدة لديننا الإسلامى بالإطراء .. فبينما يرفع الإسلامُ ابراهيمَ إلى التفكير فى وحدانية خالصة نرى مؤلف «سفر التكوين» قد تمادى فجعله يدين بنفس هذا المعتقد الكنعانى الذى وإن كان قد آمن بالله واحد مسكنه السماء فانما هو قد أحاطه بحاشية من الأرباب وأفرد لكل واحد منها بلدة خاصة وأناط بكل واحد منها رعاية فئة خاصة من الناس أو بعض أفراد .. وليس إلاَّ من مادة هذه الفكرة راح هذا

---

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر التكوين»

المؤلف اليهودى يختار لأبرام رباً ويجعله به خاصاً هو الذى سيطلع علينا باسمه بعد قليل وبعد أن جعله هذا المؤلف يصدر عنه «الوعد» إلى «أبرام» بمنحه ملكا «أرض كنعان» . . فلقد ؛

« .. قال الربُّ لأبرام . . » ؛ اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أُريك »(١)

هذا أول نص يسجل مولد فكرة « الأرض الموعودة » !.

نعم .. هذا أول نص يسجل انبثاق فكرة «الأرض الموعودة» فى « السفر » الأول من « كتاب » نفث فيه يهود الأسر البابلى أنفاس القدسية وناولوه عبر الأجيال إلى هؤلاء الصهاينة الذين يحملونه اليوم بيدهم ، وفى تجاهل تام لعلمهم أنفسهم بتاريخ كتابته وزور نصوصه على موسى ، ويقدمونه للعالم شاهداً على أنه ، نفسه ، الحجة الشرعية التى تمنحهم الحق الروحانى فى امتلاك فلسطين !.

لاجدال فى أن الدعوة الصهيونية إنما هى من هذا « النص » نابعة ، ومما سيأتى بعد هذا النص من نصوص هى مشتقة وعليها قائمة فلا مساند للصهاينة إلا «الأسفار الخمسة» الأول من هذا «الكتاب» الذى تواتينا الأدلة التاريخية الدامغة على أنه مكذوب على موسى ومكتوب بأقلام كثيرة وفق أهواء كاتبيه وتحقيقاً لأطماعهم وأهدافهم السياسية فى فلسطين .. ومن ثم حتما علينا أن نتناول هذا «الكتاب» وهو عماد الصهيونية وعمدتها فيما تدّعيه ، وفى صبر سابر نتابع النصوص وهى تحدثنا عن هذا « الوعد » الذى تستهل الحديث عنه قائلة ؛

---

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

« فذهب أبرام كما قال له الرب ! .

وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران » .(١)

وإلى أين خرج أبرام من حاران ؟

سؤال نلقيه إلى مؤلف « سفر التكوين » والجواب عنه يأتينا عبر هذا النص ؟

«فأخذ أبرام ساراى امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان .

فأتوا إلى أرض كنعان !. »(٢)

وهناك . .

هناك ، على حد قول المؤلف اليهودى ؛

« اختار أبرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة . وكان الكنعانيون فى الأرض .

وظهر الرب لأبرام وقال، لنسلك أُعطى هذه الأرض!». (٣)

عبر هذه العبارة الخطيرة فى دائرة التفكير الإلهى لاشتمالها

---

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين »

على إمكان « الرؤية » وإمكان « المكالمة » تطالع علينا فكرة « الأرض الموعودة » فى دور انبثاقها وقد انعطف بها المؤلف اليهوذى ناحية العاطفة ، نتيجة حتمية لاصطباغها بالقداسة كوعد إلهى ..

ومن هنا بدأت هذه « الفكرة » تتحسس طريقها إلى وجدان جماعة لم تكن هذه العبارة على مسامعهم غريبة ولا كان المعنى منها يحمل اليهم أى مستحدث دينى جديد . فهذه العبارة التى دبجها يراع كاتب « سفر التكوين » كانت مقبولة ومتداولة بل متعارفاً عليها ومعترفاً بها فى جميع الدوائر الدينية لتلك العصور وليس هذا فحسب وإنما كان الاعتقاد بصحتها يُمثِّل ركناً من أركان الإيمان فى ديانات الشرق القديم فلقد كان ظهور أحد الأرباب لمن يختار من البشر ومكالمته إياه ، بل وتناول الطعام معه ، أمراً طبيعياً يُصادف بالتصديق من أتباع من يقول به ويقابل منهم بالقبول وبالإيمان .

لا غرو من ثمَّ أن يراعى مؤلف « سفر التكوين » كل هذه الاعتبارات وهو يسطر هذه السطور مستهدفاً الوصول إلى غاية تتلخص فى عودة « بيت داود » إلى حكم صهيون وإعادة أبناء يهوذا إلى أورشليم .. ثم لما كان ، نفسه ، قد كتب هذا « السفر » فى غضون الأسر البابلى ، فقد حمل فى ذاكرته ما كان يُروى على ضفاف الفرات من روايات مصدرها تلك الألواح البابلية وما قد سطرته عليها « الكتابةُ الاسفينية » من سطور تحدثنا عن أكثر من ملك ، وفى مقدمتهم « أور — نامو » مبتعث النهضة السومرية فى أور ، لم يقم له عرش إلا على أساس من الادّعاء بظهور الرب له وتكليفه إياه ببناء مذبح له ا..

فما كان ليقوم حكم إلاّ وقوامه « التجلي » وإلاّ ومقوماته « الرؤية » وإلاّ ودعامته « مذبح للرب » . وليس إلا على ضوء هذه المعتقدات البابلية الثابتة التاريخ كتب مؤلف « سفر التكوين » النصّ التالي ،

« وظهر الرب لأبرام وقال :

لنسلك أعطي هذه الأرض .

فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له ! . »(١)

لاجدال في أن المغزى البعيد من هذا النص الصريح وما يحمله في ثناياه من خطورة بالغة لم يعد على الفهم خفيّاً ، ولا سيما إذا كنا قد علمنا أن هذا المؤلف اليهودي قد اختار « بيت إيل » مكاناً لهذا « المذبح » ! وأما لماذا اختار هذا المؤلف اليهودي « بيت إيل » مكاناً لهذا « المذبح » فإن ذلك لم يكن لما كان لـ « بيت إيل » من سابق قدسية عند أولئك الأصلاء من أبناء الجزيرة العربية من الكنعانيين فحسب وإنما لأن هذا المكان نفسه كان قاعدة ملك « بيت داود » غداة استبدل سليمان اسم هذا المكان من « بيت إيل » إلى « بيت المقدس » ! .

وهنا نعود إلى هذا المؤلف اليهودي ونجاري ، جدلاً ، منطقه الذي جرى بهذه الرواية القائلة بأن « أبرام » قد اختار قطعة من أرض كنعان هي « من شكيم إلى بلوطة مورة » وذلك بينما كان الكنعانيون ما زالوا بين جنبات من الأرض يعيشون لنرى كيف سيجد هذا المؤلف لهذا الوضع حلاًّ يتلخص في

---

(١) الاصحاح ١٢ « سفر التكوين »

وجوب إجلاء الكنعانيين عن « شكيم » وعن « باوطة مورة » ..

أطرق مؤلف « سِفْر التكوين » فرأى أن الوسيلة إلى الإجلاء تحتاج إلى المال فهو الكفيل وحده بشراء السواعد القوية واستجلاب العدد الأكبر من الجنود المرتزقة لزحزحة كنعان ، فمن أى مصدر سيأتى إلى « أبرام » بهذا المال وخاصة أنه فى هذه الفترة التى يتحدث عنها قد شحّ فى يد أبرام نتيجة للقحط الذى كان قد أصاب الأردن عهد ذاك ؟!.

وتلفت مؤلف « سِفْر التكوين » فلم ير حلا لهذا المأزق إلا الرحيل بأبرام فى طلب المال .. فسطّر يقول ،

« ارتحل أبرام ارتحالا متوالياً نحو الجنوب .. »(١)

كلا .. ليس فى هذا النص أى مأخذ ، فليس فى الترحال وراء الرزق غضاضة .. ولا بغضاضة أن يكون هذا الارتحال نحو الجنوب .. ففى الجنوب مصر ، وتراب مصر كان عهد ذاك تبراً وببريق العسجد يتوسّج من نيلها الضفاف . ولكن ! . الغضاضة تقع فيما اقترفه هذا المؤلف فى حق ابراهيم من فحش !. فليس إلاّ بإملاء من ميوله الذاتية راح مؤلف «سفر التكوين» يحدثنا عن « أبرام » قائلا أنه ؛

« لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته ،

---

(١) الاصحاح ١٢ « سفر التكوين »

إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر . . قولى إنك أختى ، ليكون لى خير بسببك . . »(١)

خير ، وبسبب ساراى !!.

أى خير هذا الذى سيكون لأبرام ، كما يقول هذا المؤلف اليهودى ، بسبب " ساراى " ؟ ! .

يا لهول ماسيأتى به هذا المؤلف اليهودى من جواب تتصدر نصوصه « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى .! إذ يقول ،

« فحدث لمّا دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً .

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون .

فأخذت المرأة الى بيت فرعون ،

فصنع إلى أبرام خيراً بسببها .

وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال ! »(١)

وهنا . .

هنا نستطيع أن نقول إن هذه النصوص ، المنسوبة إلى موسى افتراء على موسى ، تفصح عن نفسها بنفسها وأنها إلى التعليق منّا فى غير حاجة إلا من القول بأن مؤلف " سفر التكوين " قد أراد أن يجىء الى « أبرام » بالمال فلم يجد وسيلة إلا " ساراى " والتى لم يبلغ بها غايته إلا ورأى أنه لابد من

---

(١) الاصحاح ١٢ « سفر التكوين »
(٢) الاصحاح ١٢ « سفر التكوين »

العودة بأبرام الى « أرض كنعان » .. وأما كيف ستكون هذه العودة فليس هناك من حل إلاّ فى القول بأن الأمر قد عُرف وأن الحقيقة قد انكشفت !. ومن ثمّ فلنصغ معاً إلى تلك النصوص العبرية أو بالأحرى إلى مؤلف هذه النصوص وهو يقول :

« فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذى صنعت بى ؟ !
لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك ؟

لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها ! ؟ »[1]

وهنا يختتم مؤلف « سِفْر التكوين » روايته هذه ، التى يكاد القلم أن يتوقّف عن الاسترسال خجلا منها ، فيقول بأن « الفرعون » قال عندذاك لأبرام :

« والآن ! هوذا امرأتك خذها ! واذهب !.. »[1]

أستغفر الله ! . .

لا يسعنا هنا إلاّ أن نستغفر الله ونبرأ من هذه الرواية الفاحشة .. فحاشا للخليل إبراهيم أن يكون « أبرام » هذا . . وحاشا لسارة أن تكون « ساراى » هذه . . فلم يك « ابراهيم » سفيهاً ولم تكن « سارة » بغياً ! .

ويقيناً . . يقيناً ، أننا لو لم نجد أنفسنا مجبرين على متابعة النصوص العبرية كيما نتبيّن ماهية الركائز التى عليها ، وحدها ، ترتكز الصهيونية العالمية

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

« م — ٧ »

فى دعوتها لطوينا صفحات هذا « الكتاب المقدس » ولكففنا عن الاسترسال فى ترديد نصوصه، بل ولأبينا الإصغاء إلى مؤلف هذا « السفر الأول» من هذا « الكتاب » وهو يواصل حديثه عن « أبرام » قائلا :

« . . فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له . وصار أبرام غنيًّا جدًّا فى المواشى والفضة والذهب !

وسار فى رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى مكان المذبح الذى عمله هناك! ».(١)

وهنا . . هنا يتغيَّر الأسلوب وتتغيَّر المعانى . . فقد كان مؤلف « سِفْر التكوين » قنوعاً فى غير زهد عندما اكتفى من « أرض كنعان » بالرقعة الصغيرة المحصورة بين « شكيم » و« بلوطة مورة » وجعلها تأتى كمنحة قدسية « لنسل أبرام » . .

وأما الآن ؟ . .

الآن وقد واتت الدنيا وأتت بالفضة والذهب فلن يكتفى مؤلف « سِفْر التكوين» بتلك الرقعة .. ولعله قد رأى المال قد كثر فى يد أبرام الذى أصبح « غنيًّا جدًّا » مما تجب معه زيادة رقعة « الأرض الموعودة» لنسل أبرام من جهة ومن جهة أخرى لا داعى فى هذه الحالة من تأجيل «الوعد» بالملك

---

(١) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين»

للنسل . . فليكن من الآن لأبرام نفسه ! . . ومن ثمَّ شمّر المؤلف عن ساعديه وأجرى قلمه يسطر ؛

« قال الرب لأبرام . .

ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً لأنَّ ، جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ! . . »(١)

ولكن ! . أو يكفى هذا المؤلف اليهوذى كل ما ترى العين من شمال وجنوب وشرق وغرب ؟ !

كلا !. إن مؤلف « سِفْر التكوين » ليستدرك هو نفسه !. وكأنما قد عزّ عليه ألّا ترى عين « أبرام » من الأرض الرقعة التى تشبع أطماع "بيت يهوذا" وترويها فأمسك بالقلم ليضيف نصًّا جديداً سخيًّا يزيد فى رقعة « الأرض الموعودة » فى صورة حديث جمل « الرب » يواصل فيه الكلام مع "أبرام" قائلا ؛

"قم امش فى الأرض طولها وعرضها .
لأنى لك أعطيها ! . » (٢)

وكما أراد هذا المؤلف اليهوذى فى نصوصه أرضخ « أبرام » للأمر وسار به فى الطريق الذى رسمه له خطوة بخطوة كما عن ذلك يحدثنا قائلا ؛

١) الإصحاح ١٣ سفر التكوين
٢) الاصحاح ١٣ سفر التكوين

« فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التى
فى حبرون وبنى هناك مذبحاً للرب » (١)

وبهذا المذبح الجديد الذى بُنى « للرب » فى حبرون وعند بلوطات ممرا بالذات يجىء الدليل على أن رقعة « الأرض الموعودة » فى مخيلة المؤلف اليهودى لم تعد قاصرة على حيّز ينحصر بين « شكيم » و « بلوطة مورة » وإنما غدت كل « أرض كنعان » أرضاً موعودة لأبرام !

والآن .. الآن آن لنا أن نطالب هذا المؤلف اليهودى بالبرهان على أن كل « أرض كنعان » قد أمست ، كما يقول ، « أرضاً موعودة » من الرب لأبرام .. فما هو البرهان ؟ !

إن مؤلف « سِفْر التكوين » لا يشحّ علينا بالبرهان فهو يقدمه لنا عبر هذه النصوص قائلا بزهو عجيب :

« لقد صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلا :
لا تخف أبرام : أنا ترس لك ! ..
فقال أبرام ، أيها السيد الرب ماذا تعطينى ؟
وقال له الرب : الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين
ليعطيك هذه الأرض لترثها ! .. » (٢)

« ١ » الإصحاح ١٣ سفر التكوين
« ٢ » الاصحاح ١٥ سفر التكوين

هذا هو البرهان ..

برهان ، مصدره رحاب المنام ! ..

ولـكن . .

المؤلف اليهودى إذ يختـــار كل « أرض كنعان » ويجعلها « أرضاً موعودة » لأبرام ، فإن ذلك لم يكن من لهو التفـكير وعبث الأمور .. فالتفـكير فى ذلك لم يكن تفـكيراً مرتجلا وحيـه الظرف ومصدره البيئة ، وإنما كان تفكيراً تفصح عن مراميه نفس هذه النصوص التى تجعل «أرض كنعان » تجىء عوضاً عن أرضٍ فى « أُور الـكلدان » . .

ثم هذه المحاورة القصيرة التى صيغت من مادة الحلم لم تكن ، بالتالى ، من عبث الـكلام ورهل الحديث ، وإنما كان لها مغزاها البعيد الذى ندركه إذا تذكّرنا أن فى الأسر البابلى تعلّم اليهود بقايا الدين البابلى وما احتواه من المعتقدات عن ظهور الرب فى المنام واتصاله بمن يختار عن طريق الرؤيا ليعلن له عن نواياه وما يريد منه أن ينجزه من أعمال .. عرفنا ذلك فى تاريخ "أياناتوم" ملك "لاجاش" وفى تاريخ "جوديا" ، أيضاً ، من ملوك "لاجاش"[(1)] . .

ومن ثمّ فلا عجب بعد ذلك أن نرى فكرة "الأرض الموعودة" وقد بدأ خروجها من الطور السلبى إلى الطور الإيجابى بهذه " الرؤيا " التى أتمت مجراها عبر نصوص أخرى تحدثنا بأن " أبرام " قد سأل " ربه " قائلا :

"أيها السيد الرب بماذا أعلم أنى أرثها ؟

« ١ » بلاد ما بين النهرين « محرم كمال » .

فقال له :

خذ لى عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشاً ثلثياً .

ويمامة وحمامة ! . »[١]

لماذا ؟ ! .

سؤال ، نلقيه عبر الأجيال إلى هـــــذا المؤلف اليهوذى ومن الإجابة لا يتوانى أبداً هذا المؤلف ! . فإنما هو فى اعتداد بالقول عجيب يكمل روايته هذه قائلا إن إثر هذه « الرؤيا » هب أبرام :

« فأخذ هذه كلها

وشقها من الوسط وجعل شقّ كل واحد مقابل صاحبه .

وأما الطير فلم يشقّـه ! . »[٢]

وهنا . .

هنا ، أمام هذه النصوص لابد لنا أن نتمهل للحظة .. لا .. بل للحظات ! . . فالفكر منا إذ يمر بما تتضمنه هذه النصوص من عبارات لا يستطيع أن يمر بها مروراً عابراً وإنما هو يطرق مفكراً مستشفاً منها الغاية . ثمّ إلى مؤلف هذه النصوص يلقى بهذا السؤال :

ما المعنى من هذا كله ؟ ما المعنى من وراء هذه العجلة والعنزة والكبش واليمامة والحمامة ! ؟

« ١ » الإصحاح ١٥ سفر التكوين
« ٢ » الاصحاح ١٥ سفر التكوين

سؤال آخر نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى الذى يهب من ثنايا نصوصه صارخاً يقول بأن العجلة والعنزة والكبش واليمامة والحمامة لم تكن إلا علامات؛

« الميثاق »

فى « الرؤيا » . . وعلى بساط الحلم وفى أحضان المنام تعهد « الرب » لأبرام بأن له « أرض كنعان » . . وما العجلة والعنزة والكبش واليمامة والحمامة إلا أدلة مادية على صدق هذا « التعهد الروحانى » بأن إلى « أبرام » ثم إلى « نسل أبرام » سيؤول « ملك كنعان » فإنما ؛

« فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلا ؛

لنسلك أعطى هذه الأرض !

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ! . »[1]

هذا هو النص الدينى الذى يعتبر الأساس لطالبة اليهود بفلسطين . وهذا هو النص الذى يمثل السند الوحيد لأطماع صهاينة اليوم فى مد « دولتهم » التى افتعلوها من مادة نفس هذا النص كيما تشمل كل هذه الحدود !

وهنا . .

هنا لنا كلمة لا نلقيها إلى هذا المؤلف وإنما إلى من اتخذوا من

---

(١) الإصحاح ١٥ سفر التكوين

هـذا المؤلف مرجعاً . . نلقيها إلى صهاينة اليـوم ويهود اليوم ونسـألهم قائلين :

ألا ترون أن مؤلفكم قد أخطأ وأنه إلى ما قد ارتـكب من خطأ لم يفطن إذ جعل مكان هذا « الوعد » رحاب المنام ؟ ..

ألا ترون أن مؤلفـكم قد كلّ منه التفـكير وأن منه قد تبلبل البال وأن أمامه قد اختلطت الأحداث تخالط حتى أنه من حيث أراد لدعوته تدعيما انهال عليها بمعاول الهدم ؟ ..

كيف ؟ ! ..

كيف ، وليس الاّ فى المنام جاء « الوعد » بإعطاء « نسل أبرام » كل « أرض كنعان » ؟ . . كيف وليس إلاّ فى المنام امتدت رقعة هذه « الأرض الموعودة » من نهر مصر إلى نهر الفرات ؟ !

يقيناً ! . يقيناً ، ليس إلاّ من نسج عالم الأحلام ، فى خلال غفوة أرخت من هذا المؤلف اليهوذى الجفنين ، حيكت « الأرض الموعودة » على رقعة امتدت من الفرات إلى النيل ! ..

والآن ..

الآن وليس إلاّ فى عالم المنام اتّسعت رقعة "الأرض الموعودة" هذا الاتساع الذى نسجه الحلم بأوسع مداه نجد أنه حتما علينا ، ونحن قد وضعنا يدنا على خيوط النسيج الذى حيكت منه هذه " العقيدة " وتبينا مادتها وأدركنا ماهيتها ، أن نسلّط أضواء « علم النفس » على من يتخذون من هذه النصوص

حجـّةً يحاجون بها العالم على أن لهم قد مُنحت كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! .

ومن ثمّ ..

ليس أمامنا إلاّ الاعتراف من ينبوع الصبر بينما الفكرُ منّا يتبع هذا المؤلف وهو يراه يسرع ، بعد أن سطر سيرة هذا « الميثاق » ، فينقل خيام أبرام إلى حيث « بلوطات ممرا » العمورى ليجعله بذلك يقطع مع العموريين عهد محالفة، كان نفس هـذا المؤلف قد مهد له بما ضاعفه لأبرام فى هذه الفترة الزمنية من مكانة بين ملوك القبائل الكنعانيـة وبما ضاعفه من حوله من عدد الجنود المتمرنين على حمـــل السلاح بينما راحت صورة تلك « الرؤيا » تزداد وضوحاً فى جبهة هذا المؤلف اليهوذى وتُصوِّر « أبرام » وقد غدا له من الشأن ما لهؤلاء الملوك الكنعانيين من عزّة ومن شأن وليس هذا فحسب وإنما تصوره وقد أُفرغت فى يده قوة ستطوى سلطان كل هؤلاء الملوك بقبضة استمدت قدرتها من ذلك « الميثاق » الذى كانت العجلة والعنزة والكبش والحمامة واليمامة علامات على أن «أرض كنعان » وكل الرقاع من الفرات إلى النيل قد غدت ملكا « لنسل أبرام » ! ..

ولكن ! .

أين « نسل أبرام » ؟ ! .

كبوة أخرى يقع فيها مؤلف « سفْر التكوين » إذ هو فى نفس الوقت الذى كتب فيه هـذه النصوص ، التى تقول بأن الوعد بامتلاك

« أرض كنعان » وسائر الأراضى الممتدة من الفرات إلى النيل قد اختص « نسل أبرام »، راح يذكر بأن « أبرام » الذى شارف مشارف ست وثمانين سنة من العمر كان عند تلقّى هذا « الوعد » لا نسل له !

لا جدال فى أن مؤلف « سِفْر التكوين » قد تسرع بمنح هذا « الوعد » للنسل قبل أن يكون هناك نسل .. بيد أنه سرعان ما استدرك موقفه فأسرع قلمه يسطر بأن عند ذاك قد تمخض الزمن عن :

« مولد اسماعيل »

عبر الإصحاح السادس عشر من « سفره » يطلع علينا هذا المؤلف اليهودى بتلك القصة التى تحدثنا عن هـذا الميلاد حديثاً نلمح من ثناياه تمكّن جذور « فكرة الأرض الموعودة » فى تفكير هذا المؤلف واطراد نموها باطراد نمو إسماعيل على مدارج الأيام عبر الثلاث عشرة سنة التى جعل هذا المؤلف اليهودى اسماعيلَ يعيشها فى بيت أبيه والتى نرى ، من خلالها ، تسلسل فكرة « الأرض الموعودة » فى نفس هذا المؤلف وانسلالها من حيز الأمل واقتحامها عالم الواقع . . فلقد أخذت تتسارع من مؤلف « سفر التكوين » الأنفاس وتتلاحق قائلة بأن « الرب » قد كفّ عن الظهور فى « الرؤيا » خلال المنام وعاد إلى الظهور فى « الرؤية » خلال النهار . . فلقد « تراءى الرب » وعلى « أبرام » أملى :

« العهـــــد »

لقد :

« ظهر الرب » لأبرام وقال له ، . . .

أنا الله القدير   سر أمامى وكن كاملا .
فاجعل عهدى بينى وبينك . . » (١)

من « الميثاق » إلى « العهد » خرج « الوعد » دلالة على أن فكرة « الأرض الموعودة » قد بلغت فى مخيلة هذا المؤلف اليهوذى دورها العملى مما ندخل به إلى طور جديد فى تاريخ هذه « الفكرة » .. فالمؤلف اليهوذى يحدثنا بأن « أبرام » قد أرهف السمع إلى هذا « الرب » الذى ظهر له ناسباً إلى نفسه الألوهية وكلمه قائلا :

« أمّا أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم
فلا يُدعى اسمك بعد أبرام بل يكون
إبراهيم !
لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم   وأثمرك كثيراً جداً
وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون .
وأُقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك
عهداً أبدياً ! . .
وأُعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك !..
كل أرض كنعان   ملكا أبدياً ! . » (٢)

والآن . .

---

(١) الاصحاح ١٢ سفر التكوين
(٢) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

لقد علمنا أن «الميثاق» قد قُطع بعجلة وعنزة وكبش ويمامة وحمامة واتخذ صورته الرسمية بإراقة دم بعض الحيوان وشق أجسامها من النصف شقًّا . وأما الآن وهذه النصوص تذكر بأن «الرب» قد ظهر لمن بأُبوته لإسماعيل تحوّل اسمه من أبرام إلى إبراهيم وأنه قد كلمه قائلا بأن له سيُعطى ، ولنسله من بعده ، كل «أرض كنعان» ملكا أبديًّا إذا التزم بهذا «العهد» .. فما هو هذا «العهد» ؟ ..

صريحًا يأتي إلينا من هذا المؤلف اليهودى الجواب يقول :

ان «العهد» لم يتخذ ما قد اتخذه «الميثاق» من صورة .. كلا ، لا حمامة ولا يمامة ولا عجلة ولا عنزة ولا كبش وإنما .. إنما «العهد» قد اتخذ هذه الصورة :

« .. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك :

يختن منكم كل ذكر .

فتختتنون فى لحم غرلتكم .

فتكون علامة عهد بينى وبينكم فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبديًّا ! . (١)

ويُنفذ المؤلف اليهودى «العهد» فوراً فيقول :

« فأخذ إبراهيم إسماعيلَ ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضّته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم . فى

(١) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

ذلك اليوم عينه . كما كلمه الله ! . » (١)

و :

« كان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم غرلته (٢ . . »

هذا هو « العهد » الذى كان القيام بأدائه هو العلامة التى وضعها مؤلف « سِفْر التكوين » على منح إبراهيم ، و« نسل إبراهيم » سائر أراضى « الأرض الموعودة » والرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل! ..

وفى الواقع أن « الختان » قد عرف كشعيرة ضرورية ، خلال العصور التاريخية للشرق القديم بل ومنذ عصور ما قبل التاريخ وخاصة فى مصر القديمة حتى أن الجندى المصرى القديم كان يقطع عضو التذكير عند أى أسير فى الحرب لم يختن لأنه كان يعد نجساً ولأن القيام به كان يعد علامة على النظافة والتطهير والطهارة .. وهذه الكلمة الأخيرة هى التى تطلق على هذه العملية ، حتى الآن ، فى مصر الحديثة. ولكن الختان لم يعرف ، قط ، على هذا النحو الذى يصوره مؤلف « سفر التكوين» الذى يقول بأن بهذه العلامة فى اللحم وفى هذا الموضع من الجسم قد أصبح «العهد القدسى» مبرماً على منح إبراهيم كل هذه الرقاع وعلى أن مآل هذا الملك الوشيك التحقيق ، حتما ، سيؤول إلى نسل إبراهيم ..

ولكن ! .

---

١) الاصحاح ١٧ سفر التكوين
٢) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

هنا يتلفّت مؤلف « سفر التكوين » فلا يرى أمامه ، حتى هذه النصوص التى سطرها ، غير إسماعيل بينما هو يريد أن يُحوِّل هذا « الوعد » إلى إسحاق كيما يصل به إلى « بيت يهوذا » ويحصره فى اليهوذيين . فكيف يتخلّص من إسماعيل ويخلص إلى اسحاق فيذكر مولده وانتقال « الوعد » إليه ؟

هنا تتنفس سطور « سفر التكوين » عن حدث جديد يُحوِّل مجرى التاريخ العبرى من ناحية إلى ناحية أخرى وإلى « ساراى » يجعل مؤلف « سفر التكوين » تعود منه الأسباب .. فإلى « ساراى » التى كانت ، تبعاً لتقليد بابلىٍّ ، قد وهبت جاريتها المصرية « هاجر » لإبراهيم ، كيما يستولدها نسلا ، فولدت له إسماعيل يلتفت مؤلف « سفر التكوين » فيتخذ منها مادة لقصة يُصور لنا بها « ساراى » ترى أن ما قد آل إلى إبراهيم بسببها من مال ما تكوّنت إلاّ به فكرة امتلاك « أرض كنعان » سيؤول إلى ولد أنسله ابراهيم من جارية لها فى نفس الوقت الذى أبى فيه هذا المؤلف اليهوذى الاعتراف بإمكان حدوث « معجزة » تجىء إلى «ساراى » بولد . . ومن ثمَّ راح يمهِّد لفرية على «ساراى» لم يجد مادة لها إلا « لوطا »و « إبنتيه » ! .

وهنا شمَّر مؤلف « سفر التكوين » عن ساعديه وتناول قلمه وراح يخوض فى الحديث خوضاً غير رصين فقال بأن عندما فرّ لوط بابنتيه من ذاك الحمم البركانى الذى أصاب « سدّوم » و « عمورية » وأمات من كان فيهما عقابا على تفريطهم بالقيم الأخلاقية حدث أن ؛

« صعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه.. وقالت البكرُ للصغيرة :

أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل يدخل علينا كعادة أهل الأرض . هلمّ نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا .

فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة .

ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها !

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة :

إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى فاضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا . .

فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً .

وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ! .

فحبلت ابنتا لوط من أبيهما !

فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مُوآب ..

والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمّى » . (١)

أُفٍّ ! .

حقاً لقد تمادى هذا المؤلف اليهودى وبلغ فى تماديه غاية المدى . .

---

١) الإصحاح ١٦ سفر التكوين

وكأنما لم يكن للوط أن يأتى بنسل لولا هذا « الاستبضاع » الذى اتخذ مكانه ليلا وفى مغارة وإليه كان قد مهّد الخمر الذى سقى وتساقى فجعل لوطاً يزنى .. ويزنى ؟! .

بابنتيه !!

أية فرية أشدّ فداحة من هذه الفرية التى جاء بها هذا المؤلف اليهودى وهو يجعل «موآب» ، ومعناه من الأب ، الثمرة الأولى لهذا الاستبضاع كما يجعل « بن عمّى » ، ومعناه من القريب ، الثمرة الأخرى .. فجعل بذلك «الموآبيين» و «العمونيين » ثماراً لهذا الاستبضاع الذى لا يسجله « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى إلا وبنفس الأنفاس تسترسل الأنفاس من هذا المؤلف تحدثنا بأن بعد هذا الحدث ، مباشرة ، يمّم إبراهيم وجهه شطر الجنوب مستصحباً «سارة» حيث بين « قادش » و «شور» فى « أرض جرار » أقاما .. وأما أى مرمى يستهدفه هذا المؤلف اليهودى من وراء هذا القول فهو بالطبع ليس إلاّ غاية هى هذه التى تفصح عنها نصوصه التى يسترسل بها قائلا إن هناك .. فى أرض جرار :

« قال إبراهيم عن سارة امرأته : هى أختى
فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة ! . »(١)

لماذا ؟! .

لقد كان هدف هذا المؤلف اليهودى ، من قبل ، استهداف

---

(١) الاصحاح ٢٠ سفر التكوين

المال يوم قال بأن إبراهيم قد استصحب «ساراى» إلى ملك مصر وأمّا اليوم فما هو الهدف الذى يستهدفه هذا المؤلف من وراء هذه الرحلة إلى مَلِك جرار والمال الوفير كان ، كان كما يقول ، لإبراهيم قد توفّر ؟ ..

غير صامتة ، أمام هذا السؤال ، النصوصُ التى دبجها يراع مؤلف هذا « السِّفْر » الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى .. وإنما هى ، فى سخاء تسترسل لتحدثنا كيف جاء إلى ملك جرار من أعله ، عن طريق المنام ، بأن :

« المرأة التى أخذتها .. متزوجة ببعل ! » (١)

كرة أخرى تمادى مُؤلف «سِفر التكوين » وبلغ من تماديه المدى وعند هذا القول لم يكف وكأنما هو لم يكتف بما قد بذله من ابتذال حتى يغمس قلمه بمداد سقيم التركيب فينهى روايته هذه المفتراة قائلا : إن عند ذاك دعا مالك جرار إليه ابراهيم يستوضحه الحقيقة وأن ابراهيم قد أجاب مالك جرار قائلا :

« بالحقيقة ! . هى أختى إبنة أبى غير أنها ليست إبنة أمى » (٢)

ولكن ... « حدث لما أتاهنى الله من بيت أبى أنى قلت لها :

---

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين » .
(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

هذا معروفك الذى تصنعيه إلى : فى كل مكان تأتى إليه قولى عنى هو أخى !»(١)

وفى الحقيقة أننا إذا أخذنا بأقوال هذا « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى لوجدنا أن سارة كانت أختاً لإبراهيم غير شقيقة . وأما أنه قد اتخذها زوجاً فليس هذا إلا عملا بتقليد بابلى قديم كان عند بعض الطوائف من أهالى بلاد ما بين النهرين متبعاً . وأما إذا تساءلنا لماذا كانت الرحلة إلى ملك جرار ؟.. فإن الجواب يأتى إلينا من هذا المؤلف يقول : إن هذه الرحلة قد أتت بثمارها . . فلقد أبى ملك جرار إلا أن يكون صنعه كصنع ملك مصر فى العطاء وكما ، من قبل ، شيع ملك مصر سارة وإبراهيم بالفضة والذهب والغنم والبقر والإماء والعبيد ، صنع ملك جرار نفس الصنع :

« فأخذ أبيمالك غنما وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم وردّ إليه سارة ! » (٢)

ثم :

« قال لسارة : إنى قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة هو لك عطاء ! » (٣)

ثم . . ثم إن هذه الرحلة إلى ملك جرار قد أتت بما لم تأت به

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »
(٢) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »
(٣) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

الرحلة إلى مصر . . فليس إلا بعد هذه الرحلة ، مباشرة ، حدث أن ؛

« افتقد الربُّ سارةَ ..

فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً [1] ،

تحت هذا اللون من الميلاد تسجل سطور « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى ؛

« مولد اسحاق »

ولكن ! .

هذا المؤلف اليهوذى الذى كان قد قصر « الوعد » ، بادىء ذى بدء ، على « نسل أبرام » قد عاد من غفوته وعاوده التنبه ! تنبه ، لا إلى ما قد اقترف من فُحش فى القول وهو يقول بأن بعد هذه الرحلة إلى ملك جرار أتت سارة ، مباشرة ، باسحاق وإنما إلى ما قد ارتكب من خطأ بهذا القول الذى يبطل حجة كل من ينتمى إلى اسحاق فى المطالبة بهذا « الوعد » الذى جعله قاصراً على «نسل أبرام» . ومن ثمَّ راح ، فى استدراك لموقفه ، يسطر بأن سارة قد خرجت من عند « ملك جرار » ولم يكن « . . قد اقترب اليها » . .

والآن .. الآن يستطيع مؤلف « سفر التكوين » تحويل « الوعد » بهذه « الأرض الموعودة » من مجرى إلى مجرى آخر يطابق منه المأرب ويوافق من هواه السياسى الهوى .. وأسرع فشمَّر عن ساعده ومن مداد الافتراءات غمس من جديد قلمه وأجراه قائلا ؛ بأن «الربَّ» قد كلَّم مرة أخرى إبراهيم وقال ، إنَّ كل هذه

---

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر التكوين » .

« الأرض » الفياضة باللبن والعسل والدفاقة بالخير والفواحة بعبق الثراء ستكون وقفاً على « إبن سارة » ؛

« إسحاق »

وأُقيم عهدى معه عهداً أبديًّا ولنسله من بعده ! .(١)

واسماعيل ؟ ! .

« .. وأما اسماعيل فقد جعلت لك فيه . ها أنا أُباركه وأُثمره كثيراً جداً . .

ولـكن ! عهدى أُقيمه مع إسحاق ! . »(٢)

وهنا .. هنا يسترسل مؤلف « سفر التكوين » وراء شطحات خياله ويرتشف من ينبوع الروايات الرواية بعد الرواية ثم يعود الينا ليحدثنا كيف بدأ الاحتكاك العائلى فى « بيت ابراهيم » بين سارة وبين هاجر بسبب اسماعيل وإسحاق .. هذا الاحتكاك الذى ما اتسع مداه إلا وأرغم ابراهيم، آخر الأمر، على إنجاز رغبة سارة فطرد هاجر من بيته واسماعيل تحت جناحها إلى الصحراء العربية الواقعة وراء « أرض كنعان » والملأى بعدد هائل من القبائل من العرب المقيمة ومن الأعراب الرحل والعائدة بأبوتها ، إلى « يقطان » أو « قحطان » والمرتقية بنسبها ، أيضاً ، إلى « سام » . .

وهناك .. هناك نُسدل الستار التاريخى على اسماعيل ولا نقف فى هـذا الصدد إلاّ عند قول هـذا المؤلف اليهوذى الذى يصر على أن إسماعيل قد « سكن برية فاران » .

---

١) الاصحاح ١٧ « سفر التكوين »
٢) الإصحاح ١٧ « سفر التكوين »

« فاران ؟. »

إن « فاران » جبل قائم على حدّ برية سيناء الشمالى ويبعد عن « مكة » نحو خمسمائة ميل. فإذا فاران بقعة متاخمة للرامة حتى أننا لنستطيع أن نحدد هذه البقعة تحديداً واضحاً فنقول : إن سيناء وسعير وفاران ثلاثة جبال متجاورة وقائمة فى شبه جزيرة سيناء . . ومن هنا نستطيع أن نقول إن كثيراً من الأقلام قد خلطت بين فاران وبين مكة أو أرض الحجاز بينما أن الواقع الجغرافى غير ذلك لأن فاران غير الحجاز . وأما وهذا المؤلف اليهودى يقف باسماعيل عند سكناه « برية فاران » ولا يحدثنا عن أنه بعد سكناه فاران قد غادرها إلى أعماق الصحارى حيث تناوله التاريخ العربى من التاريخ العبرى فليس هذا بموضوع بحثنا الآن طالما أن المحور من هذا البحث هو عقيدة « الأرض الموعودة » التى نراها قد بدأت تنتقل بيد هذا المؤلف اليهودى من جبهة ابراهيم إلى جبهة إسحاق ! . .

وأمّا كيف سينتقل هذا المؤلف بهذه العقيدة من جبهة إلى جبهة وأمّا كيف سيبلورها فى هذه الجبهة الأخرى؟ فليس إلا عن طريق استمداده من خياله المدد وتمهيده لها برواية أخرى لا نرانا نبدأ فى الإصغاء إليها إلا ونراه قد عرج بنا ناحية ابراهيم ليحدثنا عنه قائلا بأن ابراهيم قد غدا مرير النفس بعد فراق اسماعيل . . فلقد فرت أوجاعُ الوحشة منه الفؤاد وأصابت مواجعها منه المهجة بطعنات ووخزات . . وأنه بقدر ما عمقت به الأحزان عمق به المضض من صحبة سارة وإسحاق .. ومن ثمّ ولّى وجهه عن « أرض كنعان » ووحيداً واصل ، وحده ، الترحال إلى حيث ؟

« تغرّب ابراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة ! . »(١)

إننا إذا صدّقنا هذه النصوص لقلنا : يقيناً لقد كان حتماً أن يعصف ، لفراق إسماعيل ، الأسى بقلب ابراهيم ويجعله يأوق في الآفاق بعيداً عن أرض كان يمرح عليها إسماعيل .. كما كان من الطبيعي أن تمرّ على ابراهيم الأيام حيث نأى وتغرب ، لحوالى خمسة عشر عاماً ، مريرة قاسية وأن تدفعه إلى استعراض ما قد مرّ من أحداث منذ فارق بلاد ما بين النهرين حتى الرحلة إلى « أرض جرار » .. أحداث ، ما كانت لتحدث لولا مولد اسحاق ولولا مولد اسحاق لما كان قد أصاب اسماعيل ما قد أصابه من هذا التشتت والتشتيت !.

وهنا .. هنا يحدثنا مؤلف « سِفْر التكوين » بأن ابراهيم قد هبّ عائداً إلى دياره قاصداً داره ..

ولكن .. هنا يطلع علينا هذا المؤلف اليهودي بحدث جديد أهمل فيه التحدث عن حرارة اللقاء بين شيخ وبين صبي كان عند ذاك قد بلغ الخامسة عشرة من العمر بينما راح يحدثنا بأن ابراهيم أخذ اسحاق وبه :

« ذهب إلى أرض المُرْيا .. » (٢)

وفي « أرض المُرْيا » :

« بنى هناك إبراهيم مذبحاً وربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب .

ثم مد ابرهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ! »(٣)

---

١) الإصحاح ٢١ « سفر التكوين » ٢) الإصحاح ٢٢ « سفر التكوين »

٣) الإصحاح ٢٢ « سفر التكوين »

هذا ما دبجه يراع هـذا المؤلف اليهوذى من رواية نحن فى غنى عن مناقشتها من حيث الحقيقـة أو سواها وإن كان لا يسعنا إلا أن نطرق أمامها للحظات مفكرين فيها بينما يطوف بالخاطر منا هذا السؤال :

تحت ضغط أى العوامل النفسية ناول مؤلفُ « سفر التكوين » ابراهيمَ السكين ليذبح إسحاق ؟! ..

كلاّ ، لاجواب يأتى من هذا المؤلف اليهوذى عن هذا السؤال إلا بأن الله ، وهو العليم بما فى القلوب ، أراد أن يمتحن إبراهيم ليعلم مافى قلبه ..

بَيْدَ أنّ هنا ينبثق سؤال آخر وهو ، لماذا اختار هذا المؤلف اليهوذى « أرض المريا » بالذات بقعةً لرفع هذا القربان البشرى ومكاناً لحرق هذا القربان بعد أن يفصل رأسه عن جسده بالذبح ؟! ..

الجواب عن هذا السؤال ينحصر فى تاريخ « المريا »

ان « المُرْيا » جبل وفى جبل المُرْيا تقوم :

« صخرة »

منذ زمن بعيد فى مدى التاريخ حفّت بهذه « الصخرة » قدسية بسببها تقدّس هذا « الجبل » الذى يقول عنه هذا المؤلف اليهوذى بأن « الربّ » قد عيّنه لإبراهيم كيما يذبح عليه إسحاق . ونحن لن نفهم تماماً مصدر القدسية التى حفت بهذا الجبل وبهذه الصخرة ما لم نعد إلى العصور التى سبقت مجىء « آباء التوراة » أرضَ كنعان .. ومن هناك ، وبالاضافة إلى ما سطره هذا المؤلف اليهوذى من نصوص ، يستبين لنا تماماً أن مفهوم الإلـه « كملىٍّ » مالك للسماوات

والأرض ، كان مفهوما واضحا فى العقل الكنعانى منذ القدم وإن كان قد حل بهذا الإلـه أرباب .. وإن كان هذا المفهوم كافيا لتكوين نظام كهنوتى متصل بهذا الإلـه العلى المالك للسموات والأرض وأما قاعدة هذا الكهنوت و مركزه فكانت « يبوس » الأمس و « القدس » اليوم وأمّا المعبد فكان نفس هـذه « الصخرة » .

وهنا ، حتما ، يطوف بالخاطر هذا السؤال : ما الذى جعل لهذه « الصخرة » هذه القدسية دون سائر الصخور ؟ .

الجواب عن ذلك لا ينطوى فى العصر الكنعانى وإنما فى العصور السحيقة البُعْد السّباقة على عصر كنعان وفى نفس العقل البشرى نفسه وفى نفس هذه « الصخرة » نفسها . فان العقل الإنسانى لمّا كان فى العصور البدائية طفلا يمر بمرحلة « الاستحياء الذاتى » وبالتالى لما كانت هذه « الصخرة » ذات سواد متلألىء وكأنّه المرآة مشحونة بقوة تبدو وكأنّما هى قد اختزنت الطاقة منذ أن وُجدت فقد توَّهم العقلُ البشرى وهو فى مرحلة طفولته تلك بأنها حيّة بطريقة عجيبة بها خاصة هى هذه التى بعثت فى نفسه الحيرة أحيانًا وأحيانًا الجزع وهى هذه التى قذفت فى روعه ، كلما حاول أن يضع عليها يده ، الروعة إذ كان يتوهَّم أنه يُفاجأ بارتداد يده بعيداً عنها كُلما همَّت بأن تتحسَّسها منه الراحة !

ثمَّ ، لمّا كانت الفكرة عن الإلـه قد مرّت بأطوار تطورية تبعاً لتطور العقل الإنسانى وكانت النتيجة الطبيعية أن عُبد الإلـه تحت الشتى من الصور كما اتخذت عدة أمكنة لعبادته فمن هنا نعلم أن مدينة « القدس » لم تشذ عن هذه القاعدة عندما كان لها هذا المعبد فى هـذه « الصخرة » . . ومن ثمّ فلا عجب أن تكون هـذه « الصخرة » قد هزت العاطفـة الدينية من العصر

الـكنعانى بأعنف الهزات وأن يكون لها فى العقل الـكنعانى التأثير الذى كان لها فى العصور البدائية حتى اعتبرها شيئاً ذا قوة قدسية وأن صوته يُـسمع فعلا فى بعض الأحايين وأن له إرادة تُـفهم إذا ما أرهف اليه المسمع .. ومن هنا نمت سلطتها إلى سيطرة امتدت من نسبية محلية مُتمركزة فى الصخرة نفسها إلى مجال أفسح ولـَّد المعتقد بأن إله السماء قد اختارها لنفسه سكناً على الأرض . وهذا قبل أن يتطور مفهوم هذه الصخرة ، بارتقاء العقل البشرى ، إلى مفهوم جديد بالـكلية .

هذا هو الطابع القدسىّ الذى كان لهـــذه « الصخرة » فى العصر الـكنعانى ولذلك كانت القرابين تقدم بجانبها كما كانت ترفع عليها المحرقات حتى إننا إذ نقف أمامها اليوم نتأملها وهى غارقة إلى نصفها فى الوسط الغربي من فناء هيكل القدس فى ظلال القبة الهائلة المسماة باسمها فليس إلا لتبدو لنا صحيفة خالدة امتصت مواكب الأحداث التى تتابع مسيرها على صفحة الزمان وكأنما هى بسوادها هذا المتلالىء مرآةٌ تعكس صور الماضى وطقوسه وعباداته بل وكأنما هى آلة سجلت تجاوب الأصوات ورنين الدعوات وأنين الابتهالات وانهمار العبرات وعبارات الطقوس التعبدية التى تتالت عبر العصور فتختلج بها بصمت وتكاد ، إذا ما مُسـَّت ، أن تكون على أهبة الهمهمة بها حتى أن المخيلة لتتخيـّل أن « الصخرة » تـُريد أن تتـكلم وتتحدث بشىء تشعر بأن من واجبها الإفضاء به ! ..

هذه القدسية التى حفـَّت بهذه « الصخرة » هى التى راعاها مؤلف « سفر التـكوين » حتى أنه لم ير مكاناً أصلح من « جبل المريا » يدفع اليه إبراهيم ليذبح إسحاق بيدٍ لا يصورها هذا المؤلف ، وهو يجرى قلمه بهذه الترهات ، وقد اختلجت وهناً وانفعالا إلا ويكمل روايته قائلا بأن إبراهيم

كاد أن يذبح إسحاق لو لم تحل بينه وبين إنفاذ هذا الأمر لحة خاطفة من تابعين سارة كانت قد أرسلتهما وراء إبراهيم واسحاق فأتيا إلى إبراهيم بكبش كان « ممسكا فى الغابة بقرنيه » وعند ذاك اتّجه :

« .. إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه .

فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع :

يهوه يرأة(١)

وهنا.. هنا ، أمام هذا الهراء المبثوث على إبراهيم ، عليه السلام : لنا كلمة وهى : أن التضحية بالقرابين البشرية وإحراقها كان ، ولا جدال فى ذلك ، طقساً دينيًّا جرت به منذ القدم العادة وخاصة فى بلاد ما بين النهرين فقد كان الأرباب القساة عند البابليين يُغالون فى مطالبهم فيطلبون أحياناً تقديم الضحايا البشرية من القرابين .. ولقد بزّ الرب « أدّاد » الأرباب طراً فى قسوته إذ كان التماس رضائه يستلزم التضحية بالإبن البكر وحرق جثمانه وليس الآ من هذا المدد البابلى يقدّم لنا مؤلف « سِفْر التكوين » هذه الصورة المشوهة عن قصة الذبح .. لا لأنه يجعل إسحاق محوراً لها فحسب وإنما لأنه فى روايته هذه وفى سرده هـذا يساوى بها ويماثل قصص الأرباب القساة عند البابليين دون أدنى تفرقة إلى ما يوجد من فوارق بين صورة وأخرى . فإن قصة الذبح الخاصة بإبراهيم ، عليه السلام ، تختلف كل الاختلاف عن قصص الذبح عند أهالى بلاد ما بين النهرين كما تتباين تبايناً تاماً وهـذه الرواية التى يرويها هـذا المؤلف اليهودى من حول إبراهيم وإسحاق ..

---

(١) الإصحاح ٢٢ سفر الخروج

ثمّ.. ثم، ما هذا الاسم الذى أجراه مؤلف «سِفْر التكوين» على لسان إبراهيم عندما قال إن لحظة ارتداد يده بالسكين عن ذبح إسحاق قد قال: « يهوه يرأة » ؟!...

« يهوه ؟ » .

حقيقة أننا نعلم أن المعنى من هذه الكلمة ، يهوه يرأة ، هى أن « يهوه » هذا « يَرَى » .. ولـكن ! . من هو « يا هوه » هذا الذى يرى ؟ . ومن أين جاء بهذا الاسم مؤلفُ هذا الجزء من « التوراة » ؟! ..

إن هذا الاسم الذى أجراه مؤلف «سفر التكوين» ، زوراً ، على لسان إبراهيم ليس إلاَّ رجع الصدى لاسم ربّ ٍ قديم كانت قد سجلته النصوصُ السامية حفراً على الألواح الصلصالية العائدة بتاريخها إلى ما حول سنة ٢١٠٠ ق.م. .. ثمَّ هو ، بالتالى ، لا يقتصر على النصوص السامية لبلاد ما بين النهرين فإنما هو اسم وجدناه فى مصر القديمة وبالتحديد فى لاهوت « عين شمس » فان « هوه » ليس فى « تاسوع عين شمس » إلا اسم أحد أولئك الأرباب .. ومن هنا يأتينا الدليل كيف بدأ اسم « يهوه » يتجاوب همساً فى مسمع التاريخ العبرى ولماذا أجرى مؤلف هذا الجزء من «التوراة» على لسان ابراهيم هذا الاسم الذى سيعود فيلفـّه عن مسمع نسل إسحاق لأجيال وأجيال ! ..

ولـكن .. حتى يُدوّى اسم « يهوه » فى مسمع التاريخ الدينى مرة أخرى وحتى يصبح ، فيما بعد ، عند « بنى إسرائيل » علماً على الربّ الذى وقع عليه اختيارهم ليختارهم لنفسه شعباً نرانا نتبع مؤلف « سفر التـكوين » ونتابع الإصغاء اليه .. غير أننا نراه يهب فجأة ونسمعه يقول لقد :

« .. شاخ إبراهيم وتقدّم فى الأيام ! »(١)

والآن.. الآن وقد شاخ ابراهيم وتقدّمت به الأيامُ وكان، حتما، أن توافيه النهاية الطبيعية لكل كائن حىّ، فليس إلا ليشتد منا الانتباه إلى ما قد اشتمل عليه هذا «السِّفْر الأول من أسفار الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى من تراهات مما يجعلنا نتساءل، أغفل مؤلف « سفر التكوين » أم تغافل عن أنه قد سطر نصوصاً فى الإصحاح الثالث عشر من « سفره » تقول بأن « الرب » قد كلم إبراهيم قائلا « جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها !. » أنسى مؤلف هذا « السفر » وهو يتحدث عن وفاة ابراهيم أن ابراهيم قد ثوى و« الوعد » بتمليكه « أرض كنعان » لم يُوفّ !

لا جدال فى أن هذا المؤلف وهو يجرى قلمه بهذه التراهات قد نسى ذلك بينما علقت بذهنه تلك الجملة التى وضعها نفسه بين شفتى ابراهيم وادّعى أنه لإسحاق قال :

« الربّ .. أقسم لى قائلا :
لنسلك أعطى هذه الأرض !. »(١)

بهذا النص الجديد تدخل فكرة « الأرض الموعودة » فى مخيلة هذا المؤلف اليهوذى الى مجال جديد وتتنفس فى هذه المخيلة عن دورها الفعّال إذ ما لبثت أن تحددت منها المعالم فى جبهة هذا المؤلف تحديداً رسمت

---

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر التكوين »
(٢) الاصحاح ٢٤ « سفر التكوين »

خططه ذكرياتُه عن تلك المجاعة التى كانت قد رفت على « أرض كنعان » فى عهد إسحاق نتيجة لذلك القحط الذى أصاب البلاد ودفع بالفلول من الكنعانيين إلى الارتحال صوب الجنوب مستهدفين مصر فراراً من أرضٍ رفَّ عليها جوع مهين إلى وادى خصيب رفرف عليه العيش الرهيف حتى بدت « أرض كنعان » ، فى مخيلة هذا المؤلف ، وكأنّما هى من كنعان قد خلت .. وإذن ، فلمن يترك مؤلف « سفر التكوين » هذه « الأرض » إذا جعل اسحاق لها ، الآن ، يترك ؟! . ومن ثمَّ فليأت بنص جديد يقول بأن لإسحاق ، أيضاً قد :

« ظهر له الربُّ وقال : لا تنزل إلى مصر !

اسكن فى الأرض التى أقول لك .. لأنى لك ولنسلك أُعطى جميع هذه البلاد !

وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم ! . » (١)

وإذن ، فقد تذكَّر مؤلف هذا الجزء من « التوراة » أن القَسَم الذى جعله يَرد على لسان إبراهيم لإبراهيم لم يُوف لإبراهيم! . ولكن ، ماذا يضير هذا المؤلف اليهودى من أن « يهوه » قد أهمل قسمه ونسى وعده لإبراهيم بينما هو لا يُريد أن يصل بهذا « الوعد » إلاَّ إلى « بيت يهوذا » ؟! . من هنا نراه يتحوّل بنا فى غير تروٍّ ناحية اسحاق وكأنّما هذا « الوعد » لم يكن لإبراهيم وإنما كان لإسحاق ! بل وفى تغافل بلغ أقصى مداه يتمادى هذا المؤلف وإلى مناقضة نفسه بنفسه لا يلتفت فيجعل هذا « الوعد » يَرد على لسان إبراهيم لإسحاق ! .

وهنا ، لا نقول إلاَّ مهلاً ! .

---

(١) الاصحاح ٢٦ « سفر التكوين »

لنتمهَّل للحظة ولنجارى ، جدلاً ، هذا المؤلف فى قوله هذا بل ولنصدقه ، افتراضاً ، فى نصوصه هذه حتى لا يتبقَّى علينا إلاّ انتظار اليوم الذى سيَفى فيه « الربُّ » بهذا القسم الجديد وهو أنه سيعطى اسحاق « جميع هذه البلاد » .

ولكن !. عبثاً نُقلِّب صفحات هذا « السِّفْر » بحثاً عن نصوص فيه تُعلن عن وفاء « الوعد » لإسحاق !...

كلا ! . لا شئ هناك إلاّ من نصوص تَتْرَى تكشف الحقيقة من أمر هذا «الوعد» الذى لم يكن فى واقعه إلاّ وعداً سياسياً تابعاً لمآرب السياسة وألعوبة سياسية فى يد هذا المؤلف اليهودى تتوارى خلف ستار من قول «ظهر الرب .. » و« قال الرب .. » و « أقسم الرب .. » فإن هذا المؤلف اليهودى منذ اللحظة التى شرع فيها قلمه وبدأ يكتب « سفر التكوين » لم يستهدف من وراء هذه «الوعود» إلاّ التمهيد لعودة «مملكة داود»... ومن ثمَّ كان حتما لهذا « الوعد » أن يتحوّل فى يده من شخص إلى آخر حتى يصل به إلى « ذرية داود » .. وأما وأنه قد بدأ به بابراهيم فلم يكن ذلك إلا حسبما أملته المصالح السياسية كيما يكسب قضيته صبغة شرعية . فهو لا يجعل هذا « الوعد » يأتى لإبراهيم ، بادىء ذى بدء ، إلاّ ليحوله إلى إسحاق ليخرج منه اسماعيل وأبناء اسماعيل وإلاّ ليتخذ من اسحاق وسيلة إلى تحويل هذا « الوعد » إلى يعقوب ليحصره فى سلالة اسرائيل حتى يمكنه بعد ذلك من تحويله إلى ذرية داود لينحصر فى مملكة الجنوب دون الشمال وتعود « مملكة يهوذا » أو « المملكة اليهودية » إلى الوجود ! ..

هذا هو الهدف الأخير الذى استهدفه مؤلفُ « سفر التكوين » من وراء هذه المحاولات المتكررة فى صورة انتقال هذا « الوعد » من شخص إلى آخر حتى أمسى اليقين بتحقيقه وقيام « المملكة اليهودية » المرتقبة يقيناً راسخاً فى مخيلة هذا المؤلف الذى رأى أنه ، وقد نقل هذا « الوعد » إلى اسحاق ، قد آن الآن لأن يضع أسس هذه « المملكة » بأن يضفى على هذا « الوعد » صفة رسمية لن يخلعها على اسحاق وانما سيجعل اسحاق يخلعها على يعقوب ..

ولكن ا. هنا تعترض هذا المؤلف عقبات فكيف يمكن له أن يتخطاها ؟ ! .. كيف سيمكن لهذا المؤلف اليهودى أن ينحى « عيسو » وهو الإبن الأكبر لإسحاق ويمنح « جميع هذه البلاد » إلى يعقوب ويعقوب هو الإبن الأصغر والولاية لا تُعهد إلا للابن الأكبر ؟ ! .. وأطرق هذا المؤلف ثم شمّر عن ساعديه وأجرى قلمه يحدثنا بهذه الرواية ؛

« حدث لما شاخ إسحاق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له ؛

يا إبنى .. إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك ، جعبتك وقوسك ، واخرج إلى البرية وتصيّد لى صيداً . واصنع لى أطعمة كما أحب وائتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت .

وكانت رفقة سامعة إذ تكلم اسحاق مع عيسو ابنه .

فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتى به . وأمّا رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة ؛

إنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً ، ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأُباركك أمام الرب قبل وفاتى . فالآن يا إبنى اسمع لقولى فى

ولم يعرفه ، لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه ، فباركه .

وقال ؛ هل أنت هو ابنى عيسو ؟

فقال أنا هو !

فقال ، قدِّم لى لآكل من صيد إبنى حتى تُباركك نفسى ؛

فقدَّم له فأكل وأحضر له خمراً فشرب .

فقال له اسحاق أبوه ؛ تقدَّم ! .. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل .

كن سيداً لأخوتك » (1) ! .

لا جدال فى أن هذه النصوص لا تحمل فى الظاهر ما تشتمل عليه فى الواقع .. لا تحمل فى الظاهر إلاَّ الدليل على مخيلة سقيمة انحصرت قدرتها فى خلق روايات وهمية يستعصى على أى عقل تجاوز مرحلة الطفولة الباكرة تصديقها بأية حال !. ولكن ، الواقع يختلف عن هذا الظاهر اختلافاً كلياً !. فإن هذه «البركة» ، التى أبت طبيعة هذا المؤلف عليه إلا أن يجعل يعقوب يختلسها اختلاساً ، لا تُمثِّل مباركة أب لإبن وإنما هى شىء آخر طبع هذا « الوعد » بأخطر طابع .. فإن هذه « البركة » لا تمثل فى مخيلة هذا المؤلف اليهودى إلا تحوُّل الفكرة عن « الأرض الموعودة » من المِـلك إلى المُـلك !

لا جدال فى أن مؤلف « سفر التكوين » إذ يختصّ يعقوب بهذه «البركة» فإنما معنى ذلك أنه قد اختصه بأمر لن نتبيَّنه تماماً إلا تحت ضوء التاريخ السياسى اليهودى المترع بالمعانى . والرموز ... فإن هذه «البركة» ليست فى مضمونها

١) الإصحاح ٢٧ سفر التكوين

إلاّ « البيعة » وإلاّ « العهد » الذى يمنح لِمَنْ يُختار وليًّا للحكم ! .
أو شكٌ ؟!..

إذن فلنصغ إلى هذا المؤلف اليهوذى وهو يُكمل روايته هذه قائلاً :

„ وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده . فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه : ليقم أبى ويأكل من صيد إبنه حتى تباركنى نفسك .

فقال له اسحاق أبوه : من أنت ؟

فقال له : أنا إبنك بكرك عيسو !

فارتعد اسحاق ارتعاداً عظيما جداً وقال ، فمن هو الذى ... باركته ؟

فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومُرّة جداً .
وقال لأبيه : باركنى أنا أيضاً يا أبى .
فقال : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ! . .

إنى قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع اخوته عبيداً ! . "[1]

ومن ثمّ فيقيناً إن هذه « البركة » لم تكن إلا « البيعة » وإلاّ « العهد » وإلا الدليل على أن الفكرة عن « الأرض الموعودة » قد حولها هذا المؤلف اليهوذى فى جبين اسحاق ، وهو وشيك الاحتضار ، من امتلاك أرض يرثها الأبناء عن الآباء إلى مُلك فى هذه الأرض وإلى توارث هذا المُلك

(١) الاصحاح ٢٧ سفر التكوين

ببيعة وبعهد اتّخذتا اسم « البركة » ! وإن كان هذا الملك يظل ، فى بعض الأحايين ، مستتراً ويعطى تحت ظل الخفاء ببيعة خفية ويُتوارث تحت اسم « البركة » ...

من صدور التاريخ السياسى اليهوذى تتنفس هذه الحقيقة ومن صدر «مصدر العقيدة» نفسه للدين اليهودى الحالى تطلع علينا واضحة جلية ونحن نرقب يد هذا المؤلف اليهوذى وهى تسجّل شطحات خياله وتصوِّر لنا تحركات يعقوب فى « أرض كنعان» لنزداد يقيناً بأن الفكرة عن « الأرض الموعودة » لم تعد فى ذهن هذا المؤلف إلاَّ مادة توريث ومجال توارث وانها قد اصطبغت بصبغة الملك الشرعى الذى يتحين الحين المناسب للظهور .. فنحن إذ نتتبع النصوص وهى تصوِّر لنا تحركات يعقوب تاركا « بئر سبع » إلى «حاران» فليس إلا لنتبين الأثر الذى تركته هذه « البركة » .. كما إلى ذلك يرشدنا نفس هذا المؤلف الذى يجعل يعقوب يطلع على من حوله قائلا بأنه قد :

« رأى حلماً وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمسّ السماء .. وهو ذا الربّ واقف عليها فقال :

أنا الربّ إلـه إبرهيم أبيك وإلـه إسحاق !

الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك !...

وتمتد غرباً وشرقاً وشمالا وجنوباً...

لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به !..» (١)

والآن ؟.

لا جدال فى أنه وفقاً لهذه النصوص التى سجلها هذا المؤلّف

---

(١) الإصحاح ٢٨ سفر التكوين

اليهوذى على نفسه يغدو « الوعد » بامتلاك « أرض كنعان » بمُـلك يقوم فيها ليعقوب وعداً وشيك التحقيق بدليل المقطع الأخير وهو « لا أتركاك حتى أفعل ما كلمتك به» .

ولـكن ..!

ها هى فى مدار الزمن قد دارت الأيام وطوت هذا «الوعد»، الذى اختص مؤلف«سفر التكوين» به يعقوب ، فى طيات النسيان !.
فلقد ظلت كنعان فى« أرض كنعان» صاحبة السلطان وفى هذا مايحمل الدليل القاطع على أن هذه النصوص لم تكن إلا محض هراء سطرها يراع كاتب هو وإن كان قد استغرقه استعراض مجريات الأحداث السياسية فى عهد يعقوب على «أرض كـنعان » فإنما هو قد رآها معكوسة الأوضاع .. فنحن إذا استعرضنا التاريخ السياسى للشرق الأوسط القديم عامـّـة وسلـّطنا أضواء البحث على «أرض كنعان» خاصـّـة خلال هذه الفترة الزمنية فيما بين مغرب القرن الثامن عشر ومشرق السابع عشر ق . م ، وهى الفترة التى عاش فى خلالها يعقوب طاوياً منها مرحلة مشحونة بخطير الأحداث من حياة كنعان لارتباطها بحياة مصر القديمة فى تلك الفترة التى نعرفها فى التاريخ المصرى القديم تحت اسم « العصر الهـكسوسى » ، لوجدنا أن هذا المؤلف قد أسرف فى منح هذا « الوعد » ليعقوب من حيث حصر هذا « الوعد » فى « أرض كنعان » وإن كان للجملة المشار إليها معناها فى تقديرات مؤلف هذا «السفر» لأن حياة يعقوب ، خلال العصر الهـكسوسى ، كانت بالفعل قد اتخذت الجديد من المعالم وغدت غيرها من ذى قبل لا لأنه قد أنسل من الأبناء إثنا عشر هم «الأسباط» وبذلك غدا شأنه شأن الآباء القبليين من كنعان فى كثرة الولد ولا لأنه قد أمسى طائل الثراء وإنما لأن التيار الزمنىّ كان يدفعه ناحية الجنوب حيث كان أحد أبنائه قد تقـلد منصباً مرموقاً فى الدولة الهـكسوسية ولأنه ليس إلا فى خضم هذه الفترة العارمة بالجديد من التغيرات كان

يعقوب قد خلع عن نفسه اسمه القديم وخلع على نفسه اسماً جديداً هو هذا الذى كون :

المهد التاريخى لمولد اسرائيل

يقينا ، ليس الا عندما استبدل يعقوب اسمه هذا بإسرائيل طالع الزمن مطلع اسم إسرائيل على التاريخ . وإذا كان اسم « إسرائيل » ليس إلا كلمة عبرية تتكون من مقطعين الأول « إسر » بمعنى عبد والآخر « إيل » بمعنى الله فيكون معنى «اسرائيل» عبد الله إلا أن المدلول من المعانى الذى يحمله هذا الاسم يهمنا فى هذا الصدد إلى جانب الشىء الآخر الذى يهمنا أيضاً وهو السبب الذى أدى إلى هذا الإستبدال فى الاسم ثم الأثر الذى ترتب عن هذا الاستبدال .

فأما عن السبب فإن مؤلف « سفر التكوين » يحدثنا برواية لا يسعنا ، بعد سماعها ، إلا « الاستغفار » .. وكيف يمكننا ألا نستغفر وهذا المؤلف اليهودى يحدثنا قائلا : إن الله قد ظهر ليعقوب متجسداً فى صورة إنسان وصارعه حتى مطلع الفجر فلما غلبه يعقوب خلع عليه الله هـذا الاسم الجديد .. ولنصغ معاً إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يحدثنا قائلا :

« فى تلك الليلة .. بقى يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه فانخلع حقّ فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر! فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب .

فقال : لا يُدْعى اسمك فيما بعـد يعقوب بل إسرائيل ! لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت! ..

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا ، لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى (١) ! . »

أوشك ؟ . لقــــد ؛

« ظهر الله ليعقوب حين جاء من فدّان أرام وباركه وقال له الله ، اسمك يعقوب لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسرائيل ! فدعا اسمه ، إسرائيل .

وقال له الله ، أنا الله القدير أثمر واكثر أمة وجماعة تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها .

ولنسلك من بعدك أعطى الأرض

ثم صعد الله عنه فى المكان الذى فيه تكلم معه !. » (٢)

هذه هى رواية هذا المؤلف اليهوذى عن السبب فى استبدال اسم يعقوب باسم اسرائيل وهى رواية ، وليس فى ذلك ثمت شك ، من عمل مخيلة صريعة التخيلات أبت إلا أن تمادى فى شططها فراحت تتخيل صورة لما يمكن أن يحدث لبعض المصارعين بعد انتهاء شوط المصارعة فى كل مباراة !.. فهاهو ذا مؤلف « سفر التكوين » يحدثنا بأن يعقوب ، أو بالأحرى إسرائيل قد أصيب فى فخذه ، بعد هــــذه المصارعة التى استغرقت ليلة بطولها تمكن فى نهايتها من الانتصار على ربه ، حتى أنه قد ؛

« عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه . ولذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النِّسا الذى على حق الفخذ .. لأنه ضَربَ حُقّ فخذ يعقوب على عرق النِّسا!..» (٣)

---

(١) الاصحاح ٣٢ سفر التكوين (٢) الإصحاح ٣٥ سفر التكوين

(٣) الاصحاح ٣٢ سفر التكوين

يقيناً إنها افتراءات ! ويقيناً إنه لهراء ! ويقيناً إنها لفرية مبثوثة على موسى ، عليه السلام ، إنما هو هذا الجزء من هذه « التوراة » !

ولكن ... الآن ، وقد علمنا من سطور « مصدر العقيدة » للدين اليهودى الحالى السبب فى استبدال اسم يعقوب إلى إسرائيل ، نتّجه إلى الأثر الذى تركه اسم « إسرائيل » فى مجرى الزمن غداة غدا أبناء يعقوب ، ويعقوب نفسه قد غدا يسمى إسرائيل ، يُعرفون بأبناء اسرائيل وليغدو هذا الاسم ، من بعد نعتاً ألصق بسلالة هؤلاء الأبناء الاثنى عشر ، وهذه السلالة هى التى تكونت بدورها إلى "بيوت" غدت تُعرف ببيوت إسرائيل .

هذا هو المهد التاريخى لإسرائيل وهكذا بدأ مطلع "أبناء إسرائيل" و "جماعة إسرائيل" على التاريخ نسبة إلى إسرائيل هذا الذى إذا شققنا إليه غيوم الزمن وتتبعنا التاريخ السياسى للعصر الذى عاش فيه وأحطنا بأطراف الأحداث التى تتابعت فى غضون تلك الفترة الزمنية المعروفة بالعصر الهكسوسىّ لأدركنا تمام الإدراك أى العوامل كانت تلك التى قذفت فى روع مؤلف هذا الجزء من " التوراة " إمكان تحقيق « الحلم » الذى كانت قد حاكته نصوصهُ على جبين يعقوب أو إسرائيل والذى لم تكن مادته إلاّ من تجمعات غيوم الهكسوس فى "أرض كنعان" واتجاهها عواصفَ ناحية مصر !.

لاجدال فى أن هبّات التزاحم على العرش فى مغرب الدولة الوُسْطى فى مصر القديمة كانت العوامل التى هيأت للعين المترقّبة فى الخارج أن ترى أن الفرصة قد واتت لغزو الوادى .. فالعهد الذى اتخذ هذا الغزو القَبَلىّ مكانه فيه كان ، نفسه ، العهد الذى تهافتت فيه قوة الوادى مرة أخرى أشدّ مما كان عليه قد مرّ من ألوان التهافت السياسى فالأيام كانت قد دارت دورتها

فى مدار الزمن وانفلت من يدى الوادى زمام الحكم وبدأ النزاع السياسى يشتد بين حكام الأقاليم وبين بعضهم بعضاً من جهة وبين حكام الأقاليم والقصر الملكى من جهة أخرى وبذلك حلّت الفوضى محل النظام ونزل الضعف منزل القوة وعاد الوادى إلى شبه ما كان عليه عند عصر الانحلال الأول أيام شيخوخة الدولة القديمة .. سقط العرش ومع سقوط العرش انحلّ نظام الملك إلاّ أن النزاع على العرش لم ينقطع فكل واحد من أصحاب النفوذ كان يرى أنه أجدر من صاحبه بحكم البلاد . ومن ثمّ ظل الوادى يعانى أمر هذه الفوضى ويصْلى بنار الخصومة الانتخابية نحو قرن وربع من الزمن تعاقب خلالها على الوادى ثمانية عشر حاكماً . هذه الفوضى العارمة وهذا الحكم المزعزع وهذه الحكومات المضطربة وهذا النظام المختل الذى ظل كل هذا المدى من السنين كان السبب المباشر لذلك الاتّحاد القبلى الذى اتخذ مكانه على «أرض كنعان » ، بين القبائل الشتى من كنعان وغير كنعان ، على غزو الوادى وليبدأ بالفعل زحفهم صوبه فى أثر قوة حربية آرية الأصل اكتسحت سوريا وراحت بعرباتها وخيلها تكتسح كل ما وجدت فى طريقها مخترقة أرض كنعان إلى مصر . فبالرغم من أن مصر كانت فى ذلك الوقت تعتبر « أرض كنعان » جزءاً من ممتلكاتها إلاّ أنّ مساندة هذه القوة الآرية لجموع البدو الرّحل والمقيمة هى التى أشعلت فيهم قوة فذة مكنتهم من تجاهل السلطان المصرى فاندفعوا نحو الجنوب اندفاعاً متواصلا ثم ضاربين فى أغواره بغاراتهم التى تتالت توالى التدمير والتخريب حتى دان لهم حكم مصر السفلى من شرق الدلتا فراحوا يمدّون عليها ظلالهم من عاصمتهم « أواريس » ، صان الحجر اليوم ، ويقبضون عليها بمخلب الإخضاع .

عن هذا الحدث الذى اتخذ مكانه فى مغرب الدولة الوسطى

بينما كان ملوك الأسرة الثالثة يحكمون طيبة وملوك الأسرة الرابعة عشرة يحكمون الشطر الآخر للوادى ، تتحدث أكثرُ من مدونة تعود بتاريخها إلى عهد الدولة الحديثة فى إشارة إلى التلال من الأنقاض التى تركها هذا الزحف الصحراوى بينما يحدثنا عنه أكثر من مُؤرخ من القدامى وفى مقدمتهم « مانيتو » الذى يشطر هذا الحكم إلى ثلاثة أقسام يبدأها بالأسرة الخامسة عشرة وينهيها بالأسرة السابعة عشرة . كما يحدثنا « يوسوفيوس » الحديث الفياض عن هذا الغزو ويسمى هؤلاء الغزاة « هكسوس » بمعنى « الملوك الرعاة » ويقول لنا إن المقطع الأول من الاسم هو « حج » بمعنى مَـلِك وإن المقطع الآخر من الاسم هو « سوس » بمعنى رُعاة . .

هؤلاء « الرعاة » هم الذين أصبحوا ملوكاً فى مصر السفلى غداة احتلوا شمال الوادى وتوغلوا فى أرجائه حتى وصلوا حدود الجنوب بينما بقيت منطقة الحرام ومثار النزاع منحصرة بين « أهناسيا » ، عند مدخل الفيوم و « القوصية » من شمال أسيوط فى مصر الوسطى فى نفس الوقت الذى سيطر فيه « أمراءُ طيبة » ، من وراء إقليم طيبة ، على الأقاليم الجنوبية حتى مطلع مصر الوسطى . . وظل هذا الحال حتى مشرق الأسرة الثامنة عشرة عندما استعاد الوادى حريته ومجده وانفجر بركان الثورة فى وجه الدخيل واندلع لهيبها من مدائن الصعيد وقُراه مندفعاً نحو الشمال حتى بلغ حاضرة العدو فحاصره ومازال به يطارده ، حتى أخرجه منها ورده إلى قلب فلسطين ثمَّ كرَّ مُصعِّداً إلى الصعيد يطارد أفواج النوبة ، الذين كانوا قد انتهزوا ضعف الوادى فزحفوا بدورهم عليـــه ، ومازال بهم حتى كسر شوكتهم وأذلَّ عزتهم ثم عاد منتصراً وبيده لواء الحرية فركّزه فى قلب طيبة ، عاصمة الثورة ، واتخذ منها ، عام ١٥٨٠ق م ، حاضرة لِمُلْكٍ كان حجر الأساس فى بناء الامبراطورية المصرية

التى ضمَّت إلى مصر أرضَ السودان وسوريا وبلاد ما بين النهرين طاوية فلسطين لتمتد بذلك أملاك الوادى من وراء الشلال الرابع إلى منعرج الفرات ! ..

من خلال الآثار التى تركتها هـذه الامبراطورية نستطيع التغلغل إلى العصر الهكسوسى وخاصة من خلال البرديات التى أدخرتها الأيامُ فى صدر الزمان إذ تطالعنا عليها للهكسوس أسماء نرى فيها الترابط الواضح بين « آباء التوراة » وبين ما يقصه مؤلفُ « سفر التكوين » عن مقدم يعقوب أو بالأحرى اسرائيل مصرَ وعن تولى يوسف منصباً فى مصر .. فإن ممَّا يسترعى الانتباه هو أن نرى فى سجل من سجلات « تحوت موسى » الثالث ذكراً لبعض أسماء هؤلاء الرعاة الذين أصبحوا ملوكا وأن يشتد منا الانتباه عندما يطلع علينا من هذه الأسماء هذان الاسمان :

« يعقوب — إيلو » و « يوسف — إيلو » ..

لا جدال فى أن أمام هـذين الاسمين الواردين فى قائمة « تحوت — موسى » الثالث لا يسع الفكر المتأمل إلا التغلغل فى أطواء الماضى البعيد لأنهما نفس أسماء « آباء التوراة » فحسب وإنما لأنهما يتفقان ، تاريخياً ، مع الفترة التى عاش فى خلالها يوسفُ ويعقوب فى مصر !..

ثمّ .. ثم إلى جانب هذه البرديات المشار إليها تجيء الجعلانات .. فانَّ هؤلاء الملوك الرُّعاة ، الذين ، بعد أن استقروا فى مصر وهدأت ثائرتهم ، بدأوا يقلدون المصريين فى إقامة المسلاَّت وفى تسجيل أسمائهم على الجعلانات وخاصة الملوك الأوَل الذين ألَّفوا الأسرة الخامسة عشرة ، قد سجلوا على بعض الجعلانات لهم أسماء .. وهى أسماء نال الزمنُ من مقاطعها بالتحريف ومع ذلك فنحن نستطيع أن نتبين من بينها هذه الأسماء : « يونس » و « عنتر » و « عزيز » وأما أهمّ ما يسترعينا من بين هذه الأسماء فهو اسم « بن يون » وهذا اسم فيه ، ولا شك ، رجع الصدى

من اسم « بن يامين » بن يعقوب مما يجعلنا نتساءل؛ أكان بنيامين، أيضاً ، من بين هؤلاء الهكسوس ولاسيّما أن هذا يتفق ، تاريخياً ، مع الفترة التى عاش فى خلالها بنيامين فى مصر مع سائر أبناء يعقوب أو إسرائيل والذين بدأ بهم، منذ العصر الهكسوسى تاريخ « بنى اسرائيل » غداة امتدت يد الزمن وسجلت انشقاق التربة الزمنية عن نبت هؤلاء « الأبناء الإثنى عشر » واستيطانهم وادى النيل خلال الاستعمار الهكسوسىّ للوادى حيث ترامت عليهم ألوان العزّة لأجيال ! ..

يحدثنا مؤلف « سفر التكوين » أن إسرائيل نفسه ومعه أبنائه ، ماخلا يوسف وبنيامين ، قد ارتحلوا عن « أرض كنعان » الى مصر بعد ما ؛

« خلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه .. وجعله على كل أرض مصر(١) .. »

وأما هذا الارتحال عن « أرض كنعان » الى مصر ، على حد رواية المؤلف اليهوذى ، فما كان إلا كما ؛

« قال فرعون ليوسف قل لأخوتك ؛ انطلقوا اذهبوا الى أرض كنعان وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا الىّ . فأعطيكم خيرات أرض مصر !..

افعلوا هذا . خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا . ولا تحزن عيونكم على أثاثكم . لأن خيرات جميع أرض مصر لكم(٢) !. »

وهكذا يسير مؤلف « سفر التكوين » فى روايته قائلاً ؛

---

١) الاصحاح ٤١ سفر التكوين
٢) الاصحاح ٤٥ سفر التكوين

« ففعل بنو إسرائيل هكذا . وأعطاهم يوسف عجلات ...
.. . وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم . . ثم كلموه بكل كلام يوسف الذى كلمهم به . وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمله.فعاشت روح يعقوب !.(١) »

ومن هنا يسترسل المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك :

« كلم الله إسرائيلَ فى رُؤى الليل وقال : يعقوب يعقوب !

فقال : هأنذا !

فقال : أنا الله إله أبيك . لا تخف من النزول الى مصر . لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك . أنا أنزل معك الى مصر ! . . » (٢)

وحينذاك :

« قام يعقوب . . .وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله . وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذى اقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر . يعقوب وكل نسله معه . بنوه وبنو بنيه ... وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر .... جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون» .(٣)

وعند ذاك :

« كلم فرعون يوسف قائلا : أبوك وأخوتك جاءوا اليك . أرض مصر قُدَّامك . فى أفضل الأرض اسكن أباك واخوتك .

ليسكنوا فى أرض جاسان ! .. »(٤)

وهنا يستطرد المؤلف اليهودى فى روايته قائلا :

---

١) الإصحاح ٤٥ « سفر التكوين »
٢) الإصحاح ٤٦ « سفر التكوين »
٣) الإصحاح ٤٦ « سفر التكوين »
٤) الإصحاح ٤٧ « سفر التكوين »

« وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان . وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً .. »(١)

هذه هى رواية المؤلف اليهوذى عن مقدم اسرائيل مصرَ واستقراره ببنيه فى تلك الناحيــة المسماة « أرض جاسان » ، أرض غوشن من شرقى الوادى ، حيث بدأ هؤلاء « الأبنــاء » يتفرقون فى مساكنهم فيها ويتكوّن « نسل الأسباط الإثنى عشر » إلى « بيوت » وكل بيت منها يحمل اسم واحد من هؤلاء « الأبناء » فى نفس الوقت الذى عادت فيه هذه « البيوت » بلقبها العائلى الى يعقوب أو إسرائيــل حيث من هنا بدأت هــذه البيوت تُعرف « ببيوت إسرائيل » ويعرف أبناؤها بأبناء إسرائيل ..

وفى مصر الهــكسوسية وفى « أرض غَوْشَن » كان حتما أن تترامى ألوانُ العزة على « بيوت اسرائيل » فى خلال ذلك العصر وأن تبدأ الغفوة عن « الأرض الموعودة » بالعزة فى مصر خلال مدى من الزمن غير قصير ..

ولــكن !.. هنا يبرز مؤلف « سفر التكوين » ، وهو سليل « بيت يهوذا » الإبن الرابع ليعقوب أو اسرائيل ، فلا يرتضى بأرض « جاسان » بديلا عن « أرض كنعان » !.. وكيف يرتضى ذلك وهو يُعــبِّد بقلمه الطريق الى عودة « بيت يهوذا » على عرش اليهودية من جديد ؟.. ومن هنا نراه يعود فيتشبّث بأهداب حلم كان قد حاكه قديماً على جبين الآباء وكادت تتلاشى تحت ألوان العزة فى مصر منه الأطياف حتى أننا لنراه وقد أحاله الى عقيدة فى صدور الأبناء !. فهو يحدثنا بأن يعقوب أو اسرائيــل لم ينس « الأرض الموعودة » خلال السبع عشرة سنة التى عاشها فى مصر حتى أنه وهو على فراش الاحتضار قد عهد بها إلى الأبناء فنحن نسمع :

---

١) الاصحاح ٤٧ سفر التكوين

« وعاش يعقوب فى مصر سبع عشرة سنة .. ولما قربت أيام اسرائيل أن يموت دعا إبنه يوسف وقال له ؛ . . لا تدفنى فى مصر . بل أضطجع مع آبائى . فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرتهم ...(١)

وذلك لأنّ ،

« الله القادر على كل شيء ظهر لى فى لوز فى أرض كنعان وباركنى . وقال لى ، ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأُعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبدياً !.» (٢)

ولذلك ؛

« قال إسرائيل ليوسف ؛ ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردُّكم إلى أرض آبائكم ! . . »(٣)

والآن ؟! .

الآن وقد قطع مؤلف « سفر التكوين » شوطاً طويلا شاقـًا فى اتجاهه نحو ما قد استهدف من هدف ينحصر فى حصر عقيدة « الأرض الموعودة» فى سلالة يعقوب أوإسرائيل فلنتنبه اليه كيف يمهِّد إلى عودة «المملكة اليهودية » التى قوضها الغزو البابلى بأن يحصر هذا « الوعد » فى أبناء يهوذا ليحصره فى « ذرية داود » حتى ينحصر فى مملكة الجنوب دون الشمال . . .

تطلع علينا صورة هذه المحاولة واضحة تمام الوضوح عبر مايجىء به هذا المؤلف اليهوذى من نصوص جديدة تحدثنا بأن آخر كلمات يعقوب كانت عندما ؛

---

١) الاصحاح ٤٧ سفر التكوين
٢) الاصحاح ٤٨ سفر التكوين
٢) الإصحاح ٤٨ سفر التكوين

على « يهوذا » جعل مؤلف « سفر التكوين » إسرائيل يصب الحامد صبـًا وعليه يغدقها إغداقاً فاجتاز بذلك شوطاً آخر فى اتجاهه نحو هدفه الأخير المنحصر فى حصر « الوعد » بامتلاك « الأرض الموعودة » فى « ذرية داود » ليكفل قيام « المملكة اليهودية » من جديد ! .

والآن ؟ ! . .

الآن وقد استفرغ مُؤلف « سفر التكوين » جعبته من المحامد التى كالها كيلاً لمن إليه يعود مؤسس « المملكة اليهودية » فى أورشليم بسلسلة نسبه فلنصغ إليه وهو يسترسل فى حديثه قائلا بأن « اسرائيل » قد واصل حديثه إلى أبنائه يصفهم قائلا :

« زبولون عند ساحل البحر يسكن ! . .

يساكر حمارجسيم رابض بين الحظائر ! . .

دان حيـة على الطريق ! افعوانا على السبيل يلسع ! . .

جاد يزحمه جيش ولكنه يزحم مؤخرة .

أشير خبزة سمين وهو يعطى لذات ملوك .

نفتالى أيلة مسيبة ! . .

يوسف غصن شجرة مثمرة على عين .

بنيامين ذئب يفترس فى الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهباً ! . »(١) .

وهكذا أخرج هـذا المؤلف اليهودى باقى « الأبناء » بينما سلط الأضواء على « يهوذا » وحصر « الوعد » فيه . . . واذا كان « لا يزول

١) الاصحاح ٤٩ سفر التكوين

قضيب من يهوذا » فان معنى ذلك أن « بيت يهوذا » سيظل حاملاً قضيب المُلك... واذا كان ليهوذا يسجد بنو أبيه فانما له أيضاً يكون خضوع شعوب.. وبذلك مهّد هذا المولف اليهوذى، وهو فى نطاق الأسر البابلى، الطريق الى عودة « بيت يهوذا » الى عرش اليهودية من جديد ..

وهنا تراخت قبضة هذا المؤلف عن الإمساك بالقلم .. فلقد استنفد جهده تحليقه بمخيلة جانحة راحت تسطّر السفاسف والترّهات وتتخذها وسائل الى هذه الغاية التى اختتم بها هذا السفْر الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة، افتراء، الى موسى !.

ولكن ! .

هنا يطلع علينا مُؤلف يهوذى آخر وعن عقيدة « الأرض الموعودة » يُواصل الحديث متخذاً من انتشار « بيوت إسرائيل » نقطةَ بداية حتى بزوغ شمس الأمبراطورية المصرية ورواح الغبار الهكسوسى عن انتشار هذه « البيوت » فى مصر القديمة فى خلال حكم الأمبراطورية المصرية .

والواقع، لقد كان من الطبيعى أن يتكاثر أبناء إسرائيل وأن تُثمر منهم الفروع عبر مجرى الزمن منذ فجر العصر الهكسوسى حتى أواسط حكم الأمبراطورية المصرية !. ومن ثمّ فليس بالغريب أن يطلع علينا هذا المؤلف اليهوذى قائلاً لقد :

« مات يوسف وكل أخوته وجميع ذلك الجيل . وأمّا بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم . »(١)

لا جدال فى أن السبب الذى أدّى الى وجود « بيوت

(١) الأصحاح الأول « سفر الخروج »

إسرائيل » فى مصر القديمة يعود إلى مُستهل الدولة الحديثة .. فان «أحمس» الأول عندما طارد الهكسوس وطردهم كان غفلاً عن اقتلاع هذه الفروع التى كانت قد اكتنفت « أرض غوشن » وإن كانت القبضة المصرية التى راحت تدفع الهكسوس الى ما وراء الحدود المصرية وتبسط من جديد سلطان مصر على «أرض كنعان» كانت فى الوقت نفسه قد قيدت أفراد هذه البيوت بقيود الاستعباد لتنصرف بعد ذلك عنهم انصرافاً تجاهلتهم به بينما كان النسل منهم يتكاثر خلال سير التاريخ .. ولذلك فليس من الغريب أن يكون هذا الاستعباد الذى يصرح بذكره هذا المؤلف اليهوذى الجديد إذ يقول :

« فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ! ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل ! .»(١)

إلى هذه المكانة من درجات الاجتماع التى يذكرها مؤلف « سفر الخروج » هوت « بيوت إسرائيل » فى مصر وبعد عزة كانت فى العصر الهكسوسى قد رفرفت على السلف رفت ذلة على هذه « البيوت » وخيمت على هذا الخلف لا غداة بسطت الأمبراطورية المصرية سلطان مصر من جديد على « أرض كنعان » فحسب وانما حتى بعد فقدان السيطرة المصرية على هذا المفرق الرئيسى لطرق عالم الشرق الأوسط القديم فى عهد « اخناتون » أثر قيامه بحركته الدينية التى انتهت فى تطورها الى تغيير النظرة فى دائرة التفكير الإلـهى الى الإلـه ..

وهنا نرانا قد عرج بنا الحديث صوب ناحية هامة لا يتسنى للقلم إغفالها وهى أن « أخناتون » عندما أعلى شأن « آتن » كإلـه مجرد لم يجىء بفكرة التوحيد وانما جاء بفكرة فى التوحيد جديدة . . فإنما التوحيد كان طابع

---

(١) الإصحاح الأول سفر الخروج

المعتقد الديني منذ فجر تاريخ الوادي والإله ، وإن حفت به حاشية من الأرباب فانما هو، كواحد بل وكأحد وكفرد ، كان معروفاً ولكن النظرة الى هذا الإله الواحد هي التي تغيرت عند «اخناتون» فالإله لديه قد تفرّد بالألوهية ولا تحفّ به حاشية من الأرباب بل ولم تعد تطبعه طبيعة الجسدية التي كان يخلعها عليه لهذا الدين الرسمى كهنوت ولاهوت... أن الإله الحق ليس برجل ولا يتمشّى على الهضاب كما يقول الكهنوت الآمنى . كلا ، ولا كان الروح منه يرف على وجه المياه كما يدّعى كهنوت عين شمس .. فليس هو الاّ شيئاً مجرّداً كالحب بل هو الحبّ !.. ومن ثمّ فلتُنثر فى معابده الزهور بدل رش الدماء ولتُشعل فى محاربها الشموع بدل المحرقات ولتكن عبادته التعبّد فى رحاب المحبة والسلام عن طريق نشر الإخاء العالمى بين الإنسان والإنسان !.

هذه هى الفكرة الجديدة التى جاء بها «اخناتون» عن الإله الواحد . ولكن لمّا كان فى ذلك حدٌّ من سلطان الكهنوت بل وإلغاء لسلطاته ، وبالتالى ، ضياعٌ لما تسوقه الجماعات إلى أبوابهم من أموال فقد أتّهم رجالُ الدين الرسمى «اخناتون» بالإلحاد وتبعتهم جموع الجماعات فى نفس الوقت الذى عجز الوعىُ الجماعى عن إدراك المعنى من وراء هذه الفكرة ، ومن ثمّ اعتُبرت سياسة المحبة العالمية سياسة ضعف وكان لهذا أثره فى الشعوب التى يترامى عليها السلطانُ المصرى وليكون لهذا الأثر نتيجته الحتمية فى التاريخ السياسى للعصر إذ تفسّخت الأمبراطورية المصرية وتجزأت وإذ استطاعت هذه المستعمرات ، فى غمرة هذه الفوضى العارمة ، أن تنتزع حريتها وفى مقدمة هذه المستعمرات « أرض كنعان » .. فلقد تهادن ملوك المدن الكنعانية وانطلقت من حناجرهم صرخة واحدة تعلن ، ١٣٥٠ ق م ، استقلال كنعان .. ولكن !. لمّا كان كل واحد من ملوك المدن الكنعانية من الكنعانيين أنفسهم أضعف من أن

يحتفظ بحريته واستقلال مماـلكته فقد غدت « أرض كنعان » فريسة سهلة لغزو جديد اندفع إليها من الشمال الغربيّ في آسيا الصغرى حاملاً أحدث سلاح من أسلحة الحرب .. ذلك السلاح الفتاك ذا الـكلمة الأخيرة والحاسمة والذى كان يُمثِّـل آخر اكتشاف جدير بأن يفرض أثره على حقب التاريخ التاليـة كلها حتى عصر الفولاذ .. ومن هنا نعلم أى الشعوب كان هـذا الشعب الذى احتلّ لردح من الزمن «أرض كنعان» .. ذاك الذى اكتشف ذلك العنصر فى مناجمه الجبلية وطرّقه سرّياً على أساس من معادلات استطاعت أن تمنح قوة فذّة لـكل من يملك سـيفاً أو خنجراً من حديد .. وعلى هذا النحو من التسلح انطلق « الحيثيون » واستولوا على معظم الأراضى التى كانت تحتلها البلاد المجاورة لبلادهم أو بعبارة أوضح البلاد التى كانت تحتلها « ميتانى » .. ومنذ ذلك الحين الذى مُحيت فيه دولة «ميتانى» من صفحة الوجود وطواها جفنُ الزمن كذكرى التفت الحيثيون نحو الجنوب وواصـلوا زحفهم يُؤازرهم النصر المستمد من هذا السلاح الجديد فاستولوا على سوريا استيلاءً كاملا شاملا كان بمثابة التمهيد إلى « أرض كنعان » التى ما لبثوا أن استولوا عليها ذلك الاستيلاء الذى غدا به الحكم المسيطر على مفرق الطرق هذا لعالم الشرق الأوسط القديم « حيثياً » وليـكون من أخطر العوامل التى أدّت إلى ارهاص « الوعى الإسرائيلى » فى مصر إلى فـكرة « الأرض الموعودة » خلال هذا الحـكم الحيثىّ لأرض كنعان وخاصةً خلال حكم أشهر أباطرة مصر « رع موسى » الـكبير . .

وهنا . .

هنا عنـــد ذكر « رع موسى » الثانى يجب علينا أن نتمهّـل قليلا ونستعرض على صفحة الزمن مجريات الأحداث فى ذلك العهد

لإرتباطها بأخطر الأحداث فى تاريخ بنى إسرائيل !. فلقد كان عهد «رع موسى» الثانى ، على الرغم مما أنجز داخل البلاد من أعمال وماسار عليه من سياسة خارجية قوية استرد بها كثيراً من مجد الوادى وسلطانه السياسى ، يحمل فى تضاعيفه عند نهايته بذور الضعف والوهن والركود ولا غرابة فى ذلك فقد كان « رع موسى» الثانى فى أواخر حكمه الطويل قد أسرف فى أموال الدولة ومواردها إلى حد بعيد بإفراطه فى إقامة العمائر الدينية ونحت التماثيل الضخمة لنفسه ولمن يعبد مما أفضى إلى نضوب أموال الدولة فى مغرب حكمه بصورة بارزة محسة يمكن أن يشاهدها المؤرخ ويلمسها إذا وازن بين ما تم فى باكورة حكمه وبين ما أنجزه فى أخريات أيامه من الأعمال التى تأتينا دليلا على التدهور الاقتصادى الذى حل بالوادى والذى كان له أثره فى التاريخ السياسى المصرى غداة شعرت به البلاد المجاورة وفطنت له الممتلكات المصرية فى آسيا وغير وغير آسيا.. ومن ثم كان نصيب الوادى فى مغرب حكم «رع موسى» الكبير تماماً كنصيب الفرد إذا مازال عنه مظهر الثراء المادى مما كان سبباً فى اندلاع لهب الثورات فى أنحاء الامبراطورية « المصرية الآسيوية » كما كان سبباً فى طمع اللوبيين فبدأوا بغاراتهم على الحدود المصرية الغربية يناصرهم أولئك الأقوام الذين تسميهم المتون المصرية « أقوام البحار » . .

ويقيناً إن التاريخ فى الفترة الأخيرة من عهد « رع موسى» الكبير كان قد استجمع قواه وقام بجهد جديد فاذا به يتنفس عن الأحداث التى غيرت تغييراً كلياً وجه العالم القديم المحيط بالبحر الأبيض المتوسط فلقد ظهرت فى الفترة الأخيرة من حكم «رع موسى» حركة هجرة فى إقليم بلاد البلقان والبحر الأسود قام بها عدة أقوام هم هؤلاء الذين تسميهم المتون المصرية « أقوام

البحار» وكان لهذه الهجرة التى انبعثت من الشمال الغربى أعمق الأثر فى الشرق الأدنى .. فقد كان هجوم « الإيليريين » الذين كانوا قد استوطنوا هذا الشمال الغربى من شبه جزيرة البلقان سبباً فى هجرة « الدوريين » الذين راحوا يؤلفون جزءاً من سكان بلاد « البلوبونيز » ويستوطنون جزر « سيكلايد » ويغتمرون جزيرة كريت حتى طغت مدينتهم على «المدنية المسينية» التى كانت قد حلّت محل الثقافة المنوانية أو ثقافة كريت وفى نفس الوقت كانت قبائل « تراقيا » قد وصلت إلى آسيا الصغرى عن طريق البوسفور بينما أخذت أقوام « ماسا » و « دردانيا » وغيرها تنضم إلى حركة هذه الهجرة التى لم تكن إلاّ كالسيل الجارف إذ انتشرت فى آسيا الصغرى وفى جزر البحر الإيجى وفى بلاد الإغريق حتى وصلت إلى لوبيا حيث تحالفت ولوبيا أو بالأصح حالفتهم لوبيا مستهدفةً الهجوم على مصر ا.

وهكذا نرى أن الوادى كان فى مغرب حياة « رع موسى » الكبير مهدداً بالخطر من كل جانب وخاصّة من ناحيتين :

الأول : من جهة بلاد لوبيا

الآخر : من جهة أقوام البحار .

لا جدال فى أن الخطر اللّوبى كان موجوداً على حدود الوادى منذ زمن بعيد بيْد أن ما قد كان لـ« رع موسى » من هيبة وسلطان قد عاق حملات اللّوبيين وأقوام البحار من حلفائهم عن الإغارة على التخوم المصرية إغارة إيجابية . غير أنه بمرور الأيام خلال السنين الأخيرة من حكم «رع موسى» الكبير بدأت فترة تدهور مستمر كانت حافزاً لهذه القبائل القاطنة على حدود مصر الشرقية على انتهاز هذه الفرصة فدفعت بجنودها يزحفون على الأرض الواقعة

على حافة الصحراء حتى وصلوا فى زحفهم إلى جانب النيل حيثُ مكثوا هناك عدّة أشهر واحتلوا الواحة البحرية وخربوا « واحة الفرافرة » . . فلقد ازداد الأمر شدّة بذلك الحلف الذى أقامه اللّوبيون مع أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين أخذوا ينقضون على الدلتا من « سردينيا » ومن الجهات الغربية من آسيا الصغرى على الشرق ، وحالفهم ، لفترة قصيرة ، الحظ غداة طوت راحةُ الزمن «رع موسى» الكبير ونشرت « منفتاح » ثم« منفتاح الثانى » .. فليس إلاّ بعد فترة وجيزة من وفاة « رع موسى » نشاهد العاصفة وقد هبّت على البلاد من الغرب ومن الشمال ! .

وفى الواقع أنّ « رع موسى » الكبير قد ترك لإبنه «منفتاح» إرثاً مثقلاً بالأثقال أترعته المتاعب والمصاعب داخل البلاد وخارجها . ولذلك كان من نصيب «منفتاح» منازلة هؤلاء الأقوام . الأول ؛ دفع الخطر اللّوبى الذى كان يتكاثف من جهة الغرب والآخر ؛ صدّ هؤلاء الأقوام الذين اجتاحوا الشرق من البر والبحر وتضخّم بهم نطاق مفرق الطرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط .. فأبعد إلى الغرب والشمال زحفت فلولُ البلقان والبحر الأسود إلى بلاد الإغريق حيث امتطى المُغامرون متن البحر وعبروا طريق البوسفور وهاجموا الفريقيين فى «طروادة» .. ثم ، من الجزر الواقعة فى المتوسط الشرقىّ انطلق الملاحون ونشروا أشرعتهم وأعملوا مجاديفهم فاجتاحت زوارقهم البحرية جميع تلك السواحل حتى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وتحالفوا ولوبيا أو بالأحرى حالفتهم لوبيا ابتغاء الهجوم على مصر . وقد ترك لنا « منفتاح » نقشاً على جدران «معبد الكرنك» صوّر لنا فيه هذا الخطر الذى كان يحوم حول البلاد كما مثّل أمامنا المعدات التى أعدها لصدّ هذا العدو الذى تحالف لغزو مصر مع هؤلاء الأقوام ، «أقوام البحار» ، الذين يُعدّ

ذكرهم فى الوثائق التى تركها لنـــا « منفتاح » أقدم ما عُـرف عن ظهور الأوروبيين فى النقوش المصرية . .

وهـكذا بدأت مصر تواجه فى عهد الأسرة التاسعة عشرة خطراً يُعد أخطر الصعاب فى صدّ الهجوم اللّـوبى الذى كان يسير جنباً إلى جنب مع هجرة « أقوام البحر الأبيض المتوسط » وهجومهم على بلاد الشرق من كل حدب وصوب . غير أن «منفتاح» الذى كان قد أعدّ لهذا الخطر عدته تمكّـن من وقف هؤلاء الـغُزاة عند تخوم بلاده بعد أن صدّهم خارجها فى معركة فاصلة ليترنّم فى أعقابها بأنشودة ما زالت سطورُها على جدران « معبد الـكرنك » منقوشة يصف لنا فيها الهزيمة الساحقة التى أنزلها بهؤلاء اللّـوبيين الذين بدأوا توثبهم على الحدود المصرية من ناحية « أرض غوشن » من الجهـة الشرقية للوادى ومن حيث بَثُّـوا عيونهم وَدَسُّـوا الجواسيس على الوادى فى أرجاء الوادى نفسه ! . .

هذه الفترة من عمر الزمن هى نفس الفترة التى يُحدثنا عنها مُؤلِّـف « سفْـر التـكوين » مسجِّـلاً ؛

طرد « بنى إسرائيل » من مصر

فى تلك الفترة التى كانت اليـدُ المصرية تصلح ما قد تداعى وتُقوِّم ما قد انهار وفى ذلك الوقت بالذات الذى كانت تتهاوى فيه «طروادة» وهذه مصادفة غريبة قلما يلقى إليها المؤرخون ببال ، طُـرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون « أرض غوشن » من شرقىِّ الوادى ومن حيث أقبل الغزو اللّـوبى

طرداً راحوا على أثره يُولون وجوههم شطر سيناء . وعلى هذا الحَـدَث تتلاقى الأضواءُ التاريخية تلاقياً يُرشدنا إلى أن « بنى إسرائيل » قدخرجوا من مصر طرداً ، حوالى سنة ١٢٣٤ق.م ، وأنهم قد يمَّموا وجوههم شطر سيناء حيث تمَّ لهم ، حوالى سنة ١١٨٤ ق . م ، غزو بعض بقاع من « أرض كنعان » ..

وهنا .. هنا وعند هذا الحدِّ من القول يجب علينا أن نتمهل قليلا لنقول ؛ إننا فى معرض بحث يُحتم علينا المرور بسيرة موسى ، عليه السلام ، من الزاوية اليهودية البحتة .. وكيْما نستجلى تمام الاستجلاء النظرة اليهودية إلى هذا الرسول الكريم ينبغى بنا أن نترك لمؤلف « سِفْر الخروج » الحديث وأن نصغى إلى هـذا المؤلف اليهوذى الذى يستهل حديثه بعبارات هى ولئن جاءت مُشوَّشة وفى خلطٍ للأحداث إلاَّ أن فيها ذكراً لتلك الأحداث التى جرت فى مغرب حكم « رع موسى » الكبير ومشرق عهد « منفتاح » بل وفيها الإلماح إلى ذلك الخطر الحربى الذى كان يتهدد البلاد . فالمؤلف اليهوذى يستهل حديثه قائلاً ؛

« قام ملك جديد على مصر فقال لشعبه ؛

هو ذا بنو إسرائيل .. فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويُحاربوننا ! . .

فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلُّوهم بأثقالهم . فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس ! . »(١)

والآن . .

الآن ، إذا كنَّا نعرف أن بانى الـ « بيثوم » ومُشيِّد

---

(١) الاصحاح الأول « سفر الخروج »

المعبـــــد الجنازى المسمى الـ « رعمسيوم » هو « رع موسى » الـكبير فان الأضواء التاريخية تأبى إلاّ أن تجعل عهـد « رع موسى » الـكبير مهداً لمولد موسى ، عليه السلام ، والذى حمل اسماً مصرياً يشير مُؤلف «سفْـر الخروج» إلى مصريته البحتة ، فى إصحاحه الثانى ، وهو فى هذا لا يقول إلاّ الحقيقة لأنّه ، فى الواقع ، اسم مصرى صميم عرفناه لأباطرة عصـر الأمبراطورية . . عرفناه فى « أحمس » أو « أح موسى » وفى «تحوتمس» أو « تحوت موسى » وفى «رعمسيس» أو « رع موسى » ! . وعرفنا فى بعض من تسمَّـى به من الأسماء . فنحن نجد هذا الاسم فى « مقبره موسى » كاتب الخزانة والمشرف على ضياع « تى » . . ومن هنا نرى أن هذا الاسم كان اسماً شائعاً فى عصر الامبراطورية المصرية وأن به قد عـُرف أكثر من واحد من أبناء ذلك العصر الذى عاش فى غضونه موسى ، عليه السلام ، والذى نترك الحديث عنه فى معرض هذا البحث لمؤلف السفْـر الثانى من «الأسفار الخمسة» المنسوبة ، زوراً ، إلى هذا الرسول الـكريم . .

يُصوِّر لنا مؤلف «سفْـر الخروج» مُوسى ، عليه السلام ، بصورة غريبة كل الغرابة إلاّ عن المعتقد اليهودى ! . . فهو يُصوِّر لنا هذه الشخصية الـكريمة وكأنَّـما إليها تعود باستتبابها « عقيدة الأرض الموعودة » بل وكأنَّما هذه الشخصية نفسها هى التى عقدت فى الطوية اليهودية هذه العقيدة وحوّلتها من أُمنية يتوالى عليها مدُّ الأمل وجذر اليأس إلى عقيـدة دينية تأبى إلاّ الإستيفاء ! . فالمؤلف اليهوذى يغمس بمداد الافتراء قلمه ويُصوِّر لنا هذه الشخصية باعثةً لهذه « العقيـدة » التى كنا قد رأيناها بريشة مؤلف « سفر التـكوين » قد هجعت بين جوانح « بيوت إسرائيـل » كذكرى حُلم غامض بعيد كان قد طوف على جبين الأباء ! .

ومن هنا نُكرِّر قولنا فنقول إننا إذا أردنا استجلاء النظرة اليهودية إلى موسى تمام الاستجلاء فعلينا أن نلقى بسمعنا عبر الزمن إلى هذا المؤلِّف وهو بخياله يشطح هذه الشطحات مُدعياً أنه إنما يسطِّر لموسى حياة ويُروى لهذه الحياة أحداثاً وما جاء به صاحبها من أعمال . . فليُرهف السمع منَّا إليه وهو يبدأ روايته عن موسى منذ اللحظة التى استهلَّ خلالها موسى بروزه على صفحة التاريخ كفردٍ أحاطه المحيطُ المصرى وإلى « بيت لاوى » بنسبه يعود بينما بين جوانبه تلتهب، فى تأجج ، مشاعر المضض لرؤيته الدرجة الاجتماعية التى هوى إليها قومه وعيشهم عيشة العبودية فى الحقل وفى البناء .. فأكتافهم هى التى حملت الأحجار التى بنت معبد الـ « رعمسيوم » وسواعدهم هى التى أقامت أعمدة الـ « بيتوم » . . . فلنشدّ ما ؛

« استعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ! ومرَّروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل !.. »(١)

هذا نص من النصوص الدالة على المرتبة الاجتماعية التى هوت إليها هذه الجماعة من « بيوت إسرائيل » فى عصر الإمبراطورية المصرية . وفى هذا الصدد لم يُقرِّر مؤلف «سفر الخروج» إلاَّ حقيقة . فان بين أوراق البردى التى تزخر بها متاحف العصر الحاضر توجد برديتان تعودان بتاريخهما إلى عهد « رع موسى » الكبير وتُلقيان الضوء على البيئة التى كان سلالة العبريين يعيشون فيها فى ذاك العهد فلقد ورد فى الواحدة منها رسالة من » كويسر » إلى « بكنفتاح » وفيها يقول ؛

« أعط الجنود قُوتهم وأعط أيضاً العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رع موسى . . والذين وُكِّل أمرهم إلى رئيس الشرطة

(١) الاصحاح الأول « سفر الخروج »

علنيان فأنا أجريت عليهم رزقهم فى كل شهر بمقتضى الأوامر السامية » .

وأمّا البردية الأخرى فهى رسالة من « كينا » إلى « كجاناهو » وفيها يقول ؛

« أطعت ما أمرنى به سيدى قائلاً ؛ أعط الجنود أرزاقهم والعبريو أيضاً الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذى انصرفت إليه عناية رع موسى . . »

لا جدال فى أن لهاتين الرسالتين أهمية بالغة . لا لأنّه قد ورد فيهما اسم «عبريو» فحسب وإنما لأن ماجاء فيهما يتّفق مع ماذكره مؤلف « سفْر الخروج » فى الإصحاح الأول من « سفره » بأن هذه الجماعة من سلالة العبريين قد عملوا عمّالاً فى بناء الرعمسيوم والبيتوم وهذا بالإضافة إلى أن الرسالة الأخيرة تُؤكد بأنهم قد عملوا فى عهد « رع موسى » الكبير فى أعالى النيل . . ومن هنا يستمد هذا المؤلف اليهوذى المدد ليحدثنا بأنهم قد عاشوا فى مصر عيشة العبودية تغلهم أغلال العمل فى الحقل وفى البناء بينما بين ضلوع كل فرد منهم كان قد سكن ذلك الحلم الحالم بامتلاك « أرضٍ » هى له قد منحت منحة أبدية كما جاء بها « وعد قدسى » ! . فهى « أرض » سيعيش فيها سيداً يطرح عنه للعبودية أثقالا كما أن له فيها ، إذا ما وُفى الوعد ، عيشة رغدة تنسيه ما قد مرّ عليه عبر الأيام من مرارة الذلة ومرير الإذلال فى بلد يعلم أنه عنها غريب ولم تعد له فيها عزة كانت لآبائه فيها فى غابر الأيام وهو بقدر ما تختلج بهذا الشعور منه المشاعر بقدر ما يتوثب إلى حياة فيها من ألوان سيادة العصر بعض الألوان ! .

بين جوانج كل فرد من « بيوت إسرائيل » ، كما يحدثنا هذا

المؤلف اليهوذى ، كان قد استقرّ هذا الشعور كعقيدة دينية متوارثة يبعثها التذاكر وتلهبها الذكرى وتُسعرها الذكريات .. ولا غرابة فى أن يحدثنا هذا المؤلف اليهوذى هذا الحديث فهو يراها فكرة أجيال قد أودعتها الأجيال وديعة غالية فى أعماق النفس الإسرائيلية . ومن ثمّ فلا غرو أن يرى أن إلى تحقيقها قد اشتد التلهف بهذا الجيل الذى أقام « الرعمسيوم » و « البيثوم » والذى يقول عنه إنه قد عاصر تلك الأعاصير السياسية التى حوّمت من حول الوادى قبيل مغرب حكم « رع موسى » الكبير غداة أدكنت الآفاق من جهة لوبيا ! .

ولكن ! . مُؤلف «سفْر الخروج » يأبى أن يتّخذ ، لهذا التلهف الذى يرويه ، إلاّ من موسى ، عليه السلام ، محوراً .. فهو يحدثنا بأنّ فى « تلك الأيام » برز موسى على التاريخ بهذا الحدث ؛

« وحدث فى تلك الأيام لمّا كبر موسى أنه خرج إلى أخوته لينظر فى أثقالهم . فرأى رجلا مصرياً يضرب رجلا عبرانياً من أخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل »(١)

ثمّ ؟..

« ثمّ خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان . فقال للمذنب ؛ لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال ؛ من جعلك رئيساً وقاضياً علينا ؟ أمفْتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرىّ ؟! .

فخاف موسى وقال ؛ حقاً قد عُرف الأمر !

فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى . فهرب موسى من وجه فرعون »(٢) .

---

(١) الاصحاح ٢ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٢ « سفر الخروج »

إلى أين « هرب موسى » ؟ ..

هذا سؤال يتولّى الإجابة عنه مؤلف « سفر الخروج » .. ولكن ! .. هنا يجب أن نتنبّه إلى هذا المؤلِّف اليهودى وهو يُروى لنا روايته عن هذا « الهرب » ... فهو لا يروى روايته هذه إلاّ من زاوية سياسية تتنافر كل التنافر وما تَرويه مصادر أخرى عن هـذا الحدث ، إذ يصوِّر موسى هارباً لا يحمل معه شيئاً إلاّ هذه « العقيدة » ، عقيدة « الأرض الموعودة » ، وإلاّ عُقْـدة الخوف من القتل ! . .

ويقيناً إنها لعُـقْدة نفسية !. ولكنها عقدة نفسية فى نفس هذا المؤلِّـف اليهودى الذى راح تحت تأثيرها يروى كل ما تضمَّنه « سفره » من روايات نجحت فى تحويل فكرة « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية بالمعنى الكامل من المفهوم اللُّغوى لهذه الكلمة . . فلولا هذه العُـقدة النفسية فى نفس هذا المؤلف الذى حفَّ « سفره » بقدسية رأت فيها الجماعةُ اليهودية تدعيماً لوجودها فراحت بهذه « القدسية الوهمية » تتشبث لما كان قد تعقَّـد فى جبهة الحاضر عن هذه المشكلة ، « مشكلة فلسطين » ، التى لم تستمدّ وجودها ، حتى الآن ، إلاَّ من إلصاق عقيدة « الأرض الموعودة » بموسى إلصاقاً برىء منه موسى براءته من هذا الدين الذى يدّعى « مؤلف سفر الخروج » انتماءه إليه !. وليس ذلك إلاّ لكى يتخذ من موسى وسيلة لهدف تفصح عنه ماقد اختلقته مخيلةُ هذا المؤلف عن موسى من بدَع لا تمت ، فى واقعها التاريخى ، إلاَّ إلى مؤلف « سفْر الخروج » الذى كيما يعطى أقواله صبغة قدسية ، اتخذ من موسى مادةً لها وأبى أن يستهل حديثه عنه إلاّ منذ اللحظة التى دفعته فيها العصبية القومية إلى قتل مصرى . .

من اليقين أن مقتل ذاك المصرى كان نقطة البداية فى مطلع موسى فى أفق التاريخ الدينى ولكن الصورة التى يُصوِّرها مؤلف «سفر الخروج» إنما هى صورة مُشوَّهة ملطخة رسمتها ريشةٌ ملطخة بالدماء!. فإنَّ هذا المؤلف لا يتحدث عن موسى كنبىٍّ وكرسولٍ وإنّما هو يتحدث عنه كرجل قَتَل!. ثمَّ استشعر النتائج من هذا الحدث فكاد القلب منه ينخلع هلعاً من قصاصٍ يراه وشيك الوقوع ففرَّ هارباً . . وأمَّا إلى أين ؟. فهذا هو السؤال الذى تأتى الإجابة عنه من هذا المؤلف اليهوذى الذى يأبى إلاَّ أن يجعله «الوطن الموعود» وحيث كان مازال هناك من سلالة العمومة أبناء ، ليقول لنا إن فى حِمَى الحمى من أبناء العمومة يطيب الجوار ويمكن الاحتماء فلقد اختار موسى من « أرض كنعان » تلك البقعة حيث :

« سكن فى أرض مديان » (١)

وهنا ..

هنا تبدأ النصوص فى التنفُّس عن نفسية مؤلّفها فى نفس الوقت الذى تُفصح فيه عن الدرجة العقلية التى كان عليها هذا المؤلف وهو يُسطِّر هذه النصوص التى يبدأها منذ اللحظة التى هبط خلالها موسى تلك البقعة من أرض « كنعان » ويقول :

«وصار إلى أرض مدين وقعد عند البئر .

وكان لكاهن مدين سبع بنات . فجئن واستقين وكلأن المساق ليسقين غنم أبيهن . فجاء الرعاة وطردوهن فقام موسى ونجدهن وسقى غنمهن .

---

١) الإصحاح ٢ « سفر الخروج »

فلما جئن رعوئيل أباهن قال : ما بالكن أسرعتن فى المجىء اليوم ؟

فقلن : إنّ رجلاً مصرياً خلّصنا من أيدى الرُّعاة وأيضاً استقى لنا وسقى الغنم .

فقال لبناته : وأين هو ؟ لم تركتنّ الرجل ؟ أدعونه ليأكل طعاماً .

فارتضى موسى أن يقيم عند الرجل فزوّجه صفُّورة ابنته .

فولدت ابناً فسماه جرشوم لأنه قال : كنت نزيلا فى أرض غريبة !

ثم ولدت ابناً ثانياً فسماه اليعاذار وقال لأن إلـه أبى ناصرى وأنقذنى من يد فرعون !.. »(1)

نظرة عابرة نلقيها على هذه السطور نُدرك من ورائها أن هذا المؤلف اليهودى لم يعن بهذه « الأرض الغريبة » إلاَّ مصر . وأمّا من كان هذا « الفرعون » الذى لا يذكر مؤلف «سفْر الخروج» اسمه فانّ مجريات الأحداث التى سيذكرها ستزيدنا يقيناً بأنه كان «رع موسى» الكبير وخاصّة عندما يُنْهى نفس هذا المؤلف روايته هذه ويستجمع قواه لغيرها ويتخذ لذلك مدداً حياة موسى فى بيت «كاهن مدين» الذى كفل إيواءه مقابل تكافته برعى أغنام له فى المراعى المحيطة بسفوح ذلك الجبل المسمى « جبل الله » والمعروف باسم « حوريب »

وهكذا . . عن هذا اللون الرتيب من الحياة ، على حدّ تصوير مؤلف « سفر الخروج » ، انصرفت الأيام بموسى وتجمّعت بانفراطها من حوله إلى شهور ثم دارت فى مدار الزمن إلى سنين حتى انحسرت عنه شيخاً وهو لم يزل

---

١) الإصحاح ٢ « سفر الخروج »

مُحتجب الظل فى ظلال حوريب تُغيّبه عن أنظار عالمه لهذه السفوح معارج ومنحنيات لا عمل له إلاّ رعى أغنام « كاهن مدين » وإلاّ الهشّ عليها بعصاه وإلاّ توجيهها ، بهذه العصى ، أنّى وجهةً لها أراد . . وكأنّما هى شبيهة بالجماعات البشرية والمشبّهة فى مصر بـ « قطيع القطعان » !. تسوقهم العصا وتُوجّههم أنّى وجهة اليها الرّاعى بها يشير !

هذه هى الصورة التخطيطية التى يُقدّمها لنا مؤلف « سفْر الخروج » وهو من شريط الماضى يحسب أنه يسحبها سحباً وكيْما يضع عليها ألوانه الصارخة راح بطرف خفى يشير إلى الأعوام المضنية المميضة التى مرت بموسى وبها مرّ موسى عبر عُمر مديد الأيام والعين منه عالقة بهذا الجبل الذى يُصابحه ويُماسيه والذى تشمخ قمته المحتجبة بالغمام تجتذب من ثنايا البروق النظر وتطلق من خلال قصف الرعود للخيال العنان بينما تتراجع عن الارتقاء عليه الأقدام من كل انسان لأنه جبل ليس كـكلِّ الجبال . . كما بذلك يحدثنا مؤلف « سفْر الخروج » فى الإصحاح الثالث من « سفره » قائلا بأن الجبل ، وهو جبل حوريب ، انّما هو « جبل الله » .

وفى الواقع إن مُؤلِّف « سفر الخروج » لم يقرّر بهذا القول إلاّ حقيقة وهى أن هذا الجبل كان عند « مدين » مقدساً ، وكان لديها يعرف تحت اسم « جبل الله » وذلك لمعتقدها القائل بأن « إيل — شدّاى » ، ومن معناه الإلـــه ذو الشدة ، قد اختاره مكاناً للهبوط عليه من السماء . ونحن إذا تتبعنا تاريخ التفــكير الإلـهى عند كل شعوب العالم القديم على حدة لوجدنا أن هذه المنطقة الجبلية لم تشذ عن هذه القاعدة عندما عبدت معبودها على هذا النحو

« م — ١١ »

كإلـه يهبط على هذا الجبل بين وميض البروق وقصف الرعود .. كلا ، لم تشذ «مدين» عن سائر شعوب العالم القديم عندما جعلت إلـهها إلـهاً جبلياً ووصفته بنفس ما اتصفت به هي من صفات . فوصفته بالشدة وطبعته بنفس طبيعة أهل الجبـال بل وتصوّرته رجلا كرجالها حتى جرى فيما بينها عنه التعريف بأنه : « رجل حرب » ! .

ولـكن ! .

هنا يبـدأ مؤلف « سِفر الخروج » فى إطلاق العنان لخيـالٍ اعتاد التحليق فى مواطن الشطحات ! . فهو ، وهو الذى قد أبى إلاّ أن يتّـخذ من موسى وسيلة إلى غاية رمى اليها من وراء كتابته هذا « السفر » ، يـُصوِّر موسى ، وهو الذى انحسرت عنه الأعوام راعياً يعيش فى تلك المنطقة الجبلية من الأرض ، وقد خضّبه هذا اللون من ألوان التفـكير الإلـهى المتخذ محوراً « إيل — شدّاى » أو هذا الرّب الذى أسكنته مدين قمم حوريب ..

ولـكن ! .

هنا يتنبّـه هذا المؤلف اليهوذى إلى نفسه فيرى أن « إيل — شـدّاى » لم يكن إلا ربّاً خاصاً لمدين وأن « مدين » قد ماثلت بذلك سائر الشعوب وأمّا هذه الجماعة من « بيوت إسرائيل » فلم يكن لها فى ذاك العهد الذى يتحدّث عنه هذا المؤلف ربّاً بها خاصاً يمكن لها أن ترتفع ، باسمه ، إلى مصاف الشعوب ! .

هنا يطرق مؤلف « سفر الخروج » مُفـكِّراً فيتذكّـر ما قد سطره ، من قبل ، مؤلف « سفر التـكوين » وما قد ذكره من اسمٍ هو ذاك الذى كان قد وضعه ، افتراءً ، بين شفتى ابراهيم لحظة جعل يده تتراجع

عن ذبح اسحاق . . ومن ثمّ فليس هناك أنسب من اسم «يهوه» ليكون ربًّا خاصًّا لبنى إسرائيل ! .

وهنا يُشمِّر مؤلف « سفر الخروج » عن ساعديه ليجرى قلمه بالجديد من الافتراءات . . فلقد رأى هذا المؤلف فى هذا الاسم ، الذى رواه زميله، مدداً يستطيع أن يحيك به رواية جديدة فجعله اسماً يأتى إلى موسى من قمم حوريب وليجعله يعلن له عن نفسه بأنه : هو « يهوه » ، قد اختار « بنى إسرائيل» ليكون لهم إلـهاً وليكونوا له شعباً! . ، وإذا كان لم يكن لموسى معرفة به من قبل قط ، فانما هو الذى كان إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب أو إسرائيل من قبل ! . .

كلاّ !. لن نتساءل ما الذى جعل مؤلف «سفْر الخروج » يصبُّ هذا الاسم فى مسمع الزمن صباً بينما كان يطوى بخياله ذرعاً فسحات هذه السفوح من حوريب التى جعل موسى يقضى عليها أربعين عاماً منذ ترك مصر ؟.. كلاّ ، لن نتساءل فحسبنا أن نصغى إلى هذا المؤلف اليهوذى وهو يُصوّر لنا موسى رائحاً وغادياً بين أرجاء هذه المنطقة الجبلية راعياً الغنم نهاراً ومساهراً النجم ليلاً يستعرض الأحداث الجارية من حوله ومن بعيد ويتنسَّم الأخبار الدالفة من بلدٍ هو إلى العودة إليها يتوق ولا يحول بينه وبين هذه الأمنية إلاّ غروب حكم ومشرق حكم آخر ودون تحقيقه قد امتدت الآماد حتى ليبدو وكأنَّما ليس له شروق فالجالس على عرش النيل قد امتد به الأجل إلى حكم طويل طوى هذه الأربعين سنة التى قضاها موسى فى ظلال حوريب حتى ليبدو وكأنَّما العمر لحكم هذا « الفرعون » الكبير ليس له غروب ! .

ولكن . .

فجأة تغيّرت فى مصر مجريات الأحداث وعن الدنيا طوت راحةُ الزمن هذا « الفرعون » الذى تتضافر الأدلة على أنه كان « رع موسى » الكبير فليس هناك بين ملوك مصر من امتد به الأجل كل هذا القدر من السنين وتناهى حكمه إلى أكثر من ستين سنة سوى هذا الفرعون الذى لم تطوه راحة الزمن إلاّ ونشرت « منفتاح » فى نفس الوقت الذى تأهبت فيه لنشر « منفتاح » آخر جديد .. ومن ثمَّ فقد زال حكم قديم وجاء حكم جديد نُسى فى خضم ما قد استجدّ فيه من أحداث كل ما قد فات !. فإنما الأيام التى مرت بعد زوال « حكم رع موسى » الكبير حتى استقام الحكم لـ « منفتاح » قد شُحنت بالخطير من الأحداث التى غيّرت وبدلت الأوضاع فى داخل البلاد وخارجها ولم يعد ما يحول بين موسى وبين العودة إلى مصر . .

ولكن ! . . هنا يتّخذ مؤلف « سفر الخروج » من هذه الأحداث لخياله مدداً ومن ثمّ تبدأ النصوصُ فى الانحسار عن ما يكنّه من هذا المؤلف اليهودى الضمير .. فهو يحدثنا :

« وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن مَلِك مصر مات . وتنهّد بنو إسرائيل وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله . . . .
فتذكّر الله ميثاقه مع ابراهيم وإسحاق ويعقوب !.» (١)

لا جدال فى أن مايقصده هذا المؤلف بكلمة «الله» ليس إلا « يهوه » ولكننا لايسعنا، وقد ذكّر اسم « الله » إلا أن نقول استغفر الله !.

(١) الإصحاح ٢ « سفر الخروج »

أينسى الله حتى يتذكّر ؟ ! .

يقيناً أنها لنصوص تُفصح بنفسها عن نفسها وإلى المزيد من التعليق بأكثر من الاستغفار هي في غير حاجة ! . .

والآن ؟ . الآن علينا أن يرهف المسمع منا إلى هذا المؤلف الذى لا يربط بين موت ملك مصر واستصراخ بنى اسرائيل و « تذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحاق ويعقوب » أو « إسرائيل » نفسه ، إلاّ ليحدثنا قائلاً :

« وكان موسى يرعى غنم يثرو حميه كاهن مدين ، فساق الغنم الى ماوراء البرية حتى أفضى الى جبل الله »[١]

وهناك . .

هناك فى « جبل الله » وبينما كان موسى يرعى الغنم :

« تجلّى له ملاك الرب فى لهيب نار من وسط العليقة فنظر فاذا العلّيقة تتوقّد بالنار وهى لا تحترق .

فقال موسى : أميل وأنظر هذا المنظر العظيم ما بال العليقة لا تحترق ؟

ورأى الربُّ أنه قد مال لينظر فناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى . موسى !. » [٢] .

نظرة عابرة ، ولا أقول سابرة ، نلقيها على هذه النصوص تريناً أن مؤلف « سفر الخروج » قد جاء برواية مشوهة عن حدث قدسى ، إذ قد خلط خلطاً بيِّناً هو ، حتماً ، له لم يفقه وإلا لكان له قد صحّح ! . فهو

(١) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »
(٢) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

يجعل المتجلى من وسط العليقة ، بادىء ذى بدىء ، « ملاك الرب » ثمّ يجعله « الرب » نفسه حتى ليختلط علينا أيّهما قد قصد هذا المؤلف بهذا التجلى !.. بينما فى انصراف عن خطأه هذا يسير شوطاً آخر فى نفس الوقت الذى لا يسعنا فيه إلاّ الإستمرار فى الإصغاء اليه وهو يواصل حديثه قائلا بأن عند ذاك أجاب موسى و :

« قال هاأنذا !. » (١)

وحينذاك ، كما يقول هذا المؤلف اليهوذى ، تكلّم الرب و :

« قال أنا إلـه أبيك إله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب !.. » (٢)

نعم أنا « يهوه » !.

وإنى أنا :

« إله العبرانيين !. » (٣)

أمام هذه الفقرات ، حتما ، للفكر منا أن يتمهّل للحظة .. كلاّ ! بل للحظات يستعين خلالها بأضواء « علم النفس » على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهوذى الذى جعل للعبريين إلـهاً بهم خاصاً ونهج منهج زميله مؤلف « سفر التكوين » فأطلق عليه اسم « يهوه » وذلك لينتهى به إلى « بنى إسرائيل » بينما تستعيد الذاكرة منّا تاريخ هذا الاسم فى سجلّ التفكير الإلـهى والدينىّ لتلك العصور .. لحظات ، تفرغ نفسها فى لحظات أخرى من التأمل أمام فقرات أخرى من هذه النصوص التى تسترسل قائلة بأن « المتكلّم » قد واصل الكلام يزيد مُكلِّمه بنفسه تعريفاً إذ :

---

(١) الاصحاح ٣ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

« قال له : أنا الرب ! وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب ... وأما اسمى يهوه فلم أُعرف عندهم ! .. »(١)

لا جدال فى أن المعنى من وراء هذه النصوص لواضح كل الوضوح فإن هذا المؤلف اليهوذى يريد أن يقول إن «يهوه» كان إله العبريين وأنه قد تفرّد من بين الأرباب الأخرى بأنه إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ، وذلك ليجعله ربًّا خاصًّا لبنى اسرائيل فإنما « يهوه » اذا كان إله يعقوب أو إسرائيل فهو قطعاً إله « بنى اسرائيل » . . وأمّا وإن اسحاق ويعقوب لم يعرفا اسمه فهذا قول لم يتنبّه هذا المؤلف اليهوذى الى مجافاته لأبسط قواعد المنطق فى نفس الوقت الذى نسى فيه أن زميله مؤلف «سفر التكوين» كان قد نسبه الى ابراهيم ! . ولكنه يُوالى الحديث مؤكّداً بأن « يهوه » هو هذا الرب الذى قد ظهر لموسى وقال :

« أنا الربّ وأنا ظهرت لإبراهيم واسحاق ويعقوب . . وأيضاً أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغرّبوا فيها ! . » (١)

يقيناً لقد شذّ المؤلف اليهوذى عن كل قاعدة من قواعد المنطق بهذه النصوص التى تجعل هذا الرب قد قطع على نفسه عهداً وبه لم يف!.

أىّ ربٍّ كان هذا « الربّ » ؟ .. وأى ربٍّ هو « يهوه » ؟ !

عن هذه الأسئلة ستفصح من بعد النصوص التى سيوافينا بها هذ المؤلف الذى نهج منهج زميله مؤلف « سفر التكوين » وابتعث من سجلّ أرباب ليل الإنسانية وطفولة العقل البشرى هذا الرب المسمّى« يهوه »

---

١) الإصحاح ٦ سفر « الخروج »

وليجعله « إله بنى إسرائيل » جعله « إله العبرانيين » وكأنّما اللاّوعى من هذا المؤلف قد احتفظ بما كانت عليه مرتبة « يهوه » بين الأرباب فلم يضرْه أن يصفه بالنسيان بل ولم يجد غضاضة فى أن يقول إنه قد نسى عهداً كان قد قطعه للآباء وعفى عليه كرّ الدهور ومرور الأزمان ولكنه عندما سمع أنين الأبناء تذكّر هذا «العهد» وابتعثته منه الذاكرة من لجة النسيان ومن ثمّ فهو يقول ؛

« قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون

وتذكرت عهدى ! .. » (١)

أوَ غرابة فى ذلك ؟

كلاّ ، لا غرابة فى ذلك على «يهوه» وإنّما الغرابة ألاّ يتذكّر « يهوه » عهده هذا إلاّ عندما ترامت من مصر الأنباء بأن حكم الوادى قد انتقل من حاكم إلى حاكم آخر وأن كل من كان يطلب الثأر قد مات .. فنحن نسمع هذا المؤلف يقول بأنه ليس الاّ وقتذاك ؛

« قال الرب لموسى ؛ .. امضى فارجع إلى مصر فإنّه قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك ! » (٢)

من ثمّ فاذهب إلى هناك .. وهناك ؛

« قل لبنى إسرائيل ..

اتّخذكم لى شعباً وأكون لكم إلهاً .. وأُدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب .

وأُعطيكم إيّاها ميراثاً ! . » (٣)

(١) الاصحاح ٦ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٤ « سفر الخروج »
(٣) الاصحاح ٦ « سفر الخروج »

وهكذا ..

هكذا يبـدأ القلمُ فى يد هذا المؤلف اليهودى يعقد عقدة « الأرض الموعودة » كما تطلع علينا هـــذه الحقيقة هادرة من نصوص هذا السِّفْر الثانى من « الأسفار الخمسة » المنسوبة باطلاً إلى موسى .. فنحن إذ نمرّ على السطور من هذا « السفر » لا يسعنا إلاّ أن نتمهل عند الفقرات التى تمثِّل الخيوط فى عقدة «الأرض الموعودة» وذلك لأن هذا المؤلف اليهودى قد تجنَّى على موسى ، عليه السـلام ، فجعله نفسه يعقد عقدة هذه « العقيدة » فى نفس الوقت الذى راح فيـه يصبغ قصة موسى بصباغ الأساطير ويحسب أنه بذلك قد أزاح عن « الأرض الموعودة » ركام السنين !. وأمـَّا كيف تجدّد « العهـد » بإعطائها لبنى إسرائيل ميراثاً ؟ . . وأمّا كيف تحولت من عقيدة مستقرة فى طيات الطوية الإسرائيلية يتناوبها مدّ الذكرى وجذر النسيان إلى عقدة مستمرة تستذلّ الصعاب فأمر يمكننا أن نستجليه تمام الاستجلاء إذا استعنَّا بأضواء « علم النفس » على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهودى الذى يأتينا بنصوص لا نضعها فى موازين الفـكر ونزنها بمعايير المنطق إلاّ ونقف حيارى أمام هذه الجماعة التى ما زالت ، حتى اليوم ، لها تُردِّدُ وبالقدسية لها تحفّ فى غير تنبـّه الى ما تحتويه هذه النصوص من خلْط وما عليه تشتمل من أغلاط تسـجّلها بنفسها على نفسها ، لا لقولها بألوهية « يهوه » فحسب وانـَّما لأنها تجعل هذا « الوعد » يأتى من هذا الرب الذى وقع عليه ، من قبل ، هوى مؤلف « سفر التكوين » ثمّ وافق الهوى من مؤلف « سفر الخروج » فاختاره للعبرانيين إلهاً كيما يكون « لبنى اسرائيل » إلهاً ويكونون له شعباً يصارعون باسمه الشعوب وأما جزاؤه منهم مقابل انتصارهم على شعوب الـكون فتنصيبه إلـهاً للـكون !.

لا جدال فى أن لهذه الفكرة نظير بل ونظائر فى تاريخ التفكير الإلهى عند سائر الشعوب ولكنها هنا هى التى تسجّل تاريخ تسييج فكرة «الأرض الموعودة» بسياج القدسية ، هذه القدسية المستمدة من الإيمان بصحة هذه النصوص التى لاتقف عند هذا الحدّ من الشطط وانـّما هى تسترسل قائلة بأن موسى قد أجاب مُكالّمه قائلا :

« .. ها أنا آتى الى بنى إسرائيـــل وأقول لهم إله آباءكم أرسلنى اليكم فاذا قالوا لى ما اسمه ؟

فماذا أقول لهم ؟ ! .. »(١)

ومن ثم حوريب جاء ، كما يدعى هذا المؤلف اليهوذى ، الجواب :

« .. هكذا تقول لبنى اسرائيل :

يهوه إله آبائكم إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب أرسلنى اليكم .

هذا اسمى الى الأبد ! . »(٢)

ومن ثمّ ..

« فالآن هلمَّ فأرسلك الى فرعون وتُخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر ! . »(٣)

من ثمّ فاذهب ..

---

١) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »
٢) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »
٣) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

« اذهب واجمع شيوخ بنى إسرائيل وقل لهم : الرب إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ، ظهر لى قائلا : إنى قد افتقدتكم ! . فقلت أصعدكم من مذلة مصر الى أرض الكنعانيين ! .. الى أرض تفيض لبناً وعسلا .

فاذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل الى ملك مصر وتقولون له : الرب إله العبرانيين التقانا .

فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا !. »(١)

ولكن ! .

« يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين !

بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين ! »(٢)

ما هذا الهراء ؟ ! وما هذه الترهات ؟ ! .

يقيناً لقد تمادى مؤلف « سفر الخروج » وعن الصواب حاد بل وخرج عليه خروجاً بيِّناً بإمعانه فى افترائه على موسى ! . فمن اليقين أنه لهراء وأنها لترهات إنما هى هذه النصوص التى تجعل « يهوه » إله موسى ! .

غفرانك يا ألله ! .

بيد أن هذا المؤلف اليهوذى يأبى إلا أن يعود إلى ترهاته من جديد كما يستهلها بهذه الصيغة من النصوص التى تحدثنا بأن عند ذاك :

---

(١) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

« قال موسى للربّ :

استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان .

استمع أيها السيد . ارسل بيد من ترسل ! .

فحمى غضب الربّ على موسى وقال : أليس هرون اللاّوى أخاك ؟ فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه .. وأُعلّمكما ماذا تصنعان .

هو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً ! . » (١)

وهكذا يمضى هذا المؤلف اليهوذى فى افتراءاته على موسى، عليه السلام ، قائلا بأنه خرج مستصحباً ابنه وصفُّورة امرأته ، بنت كاهن مدين ، راجعاً إلى مصر ائتماراً بأمر « يهوه » .. بل ويسير هذا المؤلف شوطاً آخر فى شطحاته فيقول ، ولكن :

« لما كان فى الطريق فى المبيت التقاه الربُّ فطلب قتله ! فأخذت صفُّورة صوّانة فقطعت قلفة ابنها ومست رجليه وقالت : إنك لى عروس دم ! فكفَّ عنه ، عند ما قالت عروس دم ، من أجل الختان !. »(٢)

ماهذا المنطق الشاذ بل والشاذ كل الشذوذ ؟! وإلاَّ فلماذا كان الأمر بالعودة إلى مصر إذا كان القتل مطلباً فى الطريق ؟ ! .

ثمَّ .. ثمَّ ما هذا الوصف الذى وصمه السُّفه والذى يجعل « الربَّ » قد كفَّ عن قتل موسى عندما رأى دم الختان ؟ ! .

أُفّ ! .

يقيناً أن الاعتقاد بقدسية هذه النصوص ونسبتها إلى موسى

(١) الإصحاح ٤ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٤ « سفر الخروج »

يصمم صاحبه بوصمة الكفر ! . بل ويصمه بنفس لون هذا الكفر الذى وصم به مؤلف « سِفْر الخروج » نفسه ويده تمادى فى عبثها وتمتد اتحدثنا عن تلك الفترة التى سجلّ الزمنُ خلالها انحسار سجف التاريخ الدينىّ عن موسى فى مصر..

يُحدثنا مُؤلف «سفْر الخروج» بأن موسى قد عاد إلى مصر شيخاً تدفعه للعودة إلى أهلٍ له فيها صُوَر على الجبين منه تطوف وأمانى بين الضلوع به تعصف وإنه لم يستقر به وهرون المقام إلّا :

« .. وجمعا جميع شيوخ بنى إسرائيل . فتكلم هرون بجميع الكلام الذى كلم الربّ موسى به » (١).

وهنا ، كان حتما أن يسير هذا المؤلف اليهوذى فى روايته هذه فيكملها ويحيك منها هذا المشهد الذى صورّ به الرؤوسَ من شيوخ « بنى إسرائيل » مطرقة والمسامع منهم مرهفة تنصت فى شوق لهيف ، كما يدّعى ، إلى صوت هرون مُردّداً ما قد سرى به اليه الصوت من موسى يقول إنه قد نودى من وسط العليقة من إله الآباء الثلاثة ، إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ، مما جعل الرؤوس من شيوخ « بنى إسرائيل » ، على حد تصوير هذا المؤلف ، تتدانى وفى صوتٍ خفيض تسأل :

و « ما اسمه ؟ ... »

ومن نفس المصدر ، كما يدّعى هذا المؤلف ، جاءهم الجواب يقول إن اسمه :

« يهوه ! . »

« يهوه » ؟ .

« يهوه » ؟ ! .

---

(١) الأصحاح ٤ « سفر الخروج »

اسم، تجاوب فى ترديد بين شفاه شيوخ إسرائيل لحظة إليهم أتى ،
كما يدعى مؤلف « سفر الخروج » ، بمن عليه افترى نفس هذا المؤلف كل هذه الافتراءات !.. وأما لماذا جاء « يهوه » فليس إلاّ ليعدهم إيفاء « العهد » ويُذكرهم بأن إلـه الآباء قد تذكر عهده للآباء فلقد انطلق الصوت منه يقول :

« أنا الربُّ ! . . قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكّـرت عهدى !

لذلك قل لبنى إسرائيل ! أنا الربّ وأنا أُخرجكم من من تحت أثقال المصريين وأُنقذكم من عبوديتهم . . واتخذكم لى شعباً وأكون لـكم إلهاً !

فتعلمون أنى أنا الربُّ إلـهكم الذى يخرجـكم من تحت أثقال المصريين وأدخلـكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأُعطيكم إياها ميراثاً(١) » .

كيف ؟ . .

عن هذا السؤال يأتينا من مؤلف « سفر الخروج » الجواب قائلاً لقد :

« قال الرب لموسى : الآن تنظر ما أنا فاعل بفرعون !
فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم من أرضه ! . »(٢)

ما هذا ؟ . ما هذا الخلط فى القول وفى المعنى وما هذا الإسفاف الواضح فى التفـكير ؟ ! . .

لا جدال فى أن هذه النصوص تنفى بنفسها عن نفسها « القدسية

---

(١) الاصحاح ٦ « سفر الخروج »
(٢) الإصحاح ٦ « سفر الخروج »

التى ألحقتها بنفسها لا لأن هذا المؤلف اليهودى باعترافه هذا بأن خروج « بنى إسرائيل » من مصر كان عن طريق الطرد وبذلك ينقض كل قصة أخرى من قصصه التى تتعلق بهذا الخروج فحسب وإنّما لأنه بهذه النصوص قد اعترف بأن الدين اليهودى الحالى قد اتخذ مبدأ وجوده من تأليه رب محلى ! .

أو َشكّ ؟ ! .

أن الدين اليهودى الحالى لا يعترف إلا بألوهة « يهوه » كرب أعلنه مؤلف « سفر الخروج » خاصٍّ بالعبريين ثمّ جعله من دون سائر آلهة ذلك العصر إلهاً خاصاً لبنى اسرائيل وكأنما هذا المؤلف يريد أن يقول إنه إذا كان « آمن » لمصر إلهاً وإذا كان « مردوق » لبابل إلهاً وإذا كان « أشور » لأشور إلهاً فإنما لإسرائيل قد غدا أيضاً إلهاً !.. بل وإذا كان المصريين هم من « آمن » « الشعب المختار » فإنّما بنو إسرائيل ، أيضاً هم من « يهوه » « الشعب المختار » !..

يقيناً لقد خاض مؤلف « سفر الخروج » فى خضم الترهات خوضاً عجيباً لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبة القبلية هذا الرب انتزاعاً وجعله لإسرائيل إلـهاً فحسب وانما لأنه قد افترى على موسى ، عليه السلام ، إذ نسب اليه هـذه الافتراءات وقال عنه إنه بهذا الرب أتى وجعله لإسرائيل إلـهاً غداة إلى مصر عاد يمدهم باسمه امتلاك «أرض كنعان» ميراثاً !.. فنحن نسمع من نصوص هذا « السفر » ما يؤكد محلية «يهوه» عبر هذا القول الزور الذى وضعه هذا المؤلف اليهودى بين شفتى موسى لحظة ازداد تجنّياً عليه وتطاولاً وقال بأنه ، كيما يخوض غمار القتال ، راح يترنم بصفة « يهوه » رباً كالأرباب قائلا :

« الرب رجل الحرب !
من مثلك بين الآلهة يارب ؟! . »[(١)]

بهذا الاعتراف الرسمي الذي يجيء الينا من هذا المؤلف اليهودي صريحاً يقول بأن « يهوه » بالألوهية لم يتفرَّد وأنه لم يكن إلاَّ بين أرباب العصر رباً وأنه لم يكن إلاّ لإسرائيل إلـهاً جاء يعدهم « أرض كنعان » ملكاً وميراثاً ، نضع يدنا على موطن الضعف في تاريخ « عقيـــدة الأرض الموعودة » عند اليهود أنفسهم والى مدى هذا الضعف حريٌّ بنا أن نلفت الأنظار منهم فنقول :

إن «الوعد» بمنح « أرض كنعان » الى « بني اسرائيل» لم يجيء إلاّ على لسان « يهوه » واذا كان « يهوه » هو المانح وليس بالألوهية هو المتفرِّد فما نصيب هذا « الوعد » في معايير الحقيقة والتفكير السليم ؟! .

والآن ..

الآن لنواصل الإصغاء إلى مؤلف « سفر الخروج » ، وهو يواصل حديثه وفي افتراءاته على موسى يتمادى فيصوره لنا وقد امتدت منه اليد تجمع جماعة إسرائيل في مصر وتُـخضع ، باسم « يهوه » ، إلى كلمته منهم الرقاب وتحوّلها ناحية حوريب وذلك ليقول لنا بأن هذه اللحظة كانت نفسها تلك اللحظة التي سجلت تحول فكرة « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية !.

ويقيناً إنها للحظةٍ من عمر الزمن كانت تلك اللحظة التي

---

(١) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »

وفي الواقع أن التاريخ السياسيّ المصري القديم يهدينا إلى أن هناك تمرداً قد حدث في عهد « منفتاح » ممَّا أدّى إلى تنكيل « منفتاح » بالإسرائيليين في جملة من نكّل بهم ممن شقوا عصا الطاعة على السلطان المصري. وهذا يتّسق مع سير أحداث « بني إسرائيل » وسير مجريات الأحداث أيضاً في مصر القديمة في ذلك العهد ، ودليل على ذلك تلك النقوش التي ستصادفنا بعد قليل .. ولكن .. حتى يحين الحين لاستعراض هذه النقوش نقول بأن هذا المؤلف اليهودي إذ يجعل هذا السؤال ينطلق من الجانب المصري فليس إلاَّ ليسترسل في روايته هذه ويقول بأن الأمر قد صدر من الجانب المصري أيضاً بتشديد العمل على هؤلاء العمال من « بني إسرائيل » :

« ليُثْقَل العمل على القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا إلى كلام الكذب ! .. »(١)

« كلام الكذب » ؟ ! .

من الواضح أن « كلام الكذب » هذا لا يعني إلا ذلك الكلام الذي افتراه مُؤلِّف « سفر الخروج » على موسى وقال عنه إنه كلام « إله العبرانيين » إليه والذي ، كما يدعي هذا المؤلف ، قد واصل الكلام و :

« قال الربُّ لموسى :

قد بقيت ضربة واحدة أُنزلها على فرعون والمصريين

وبعد ذلك يُطلقكم من ههنا .

وعند إطلاقه لكم جملة يطردكم من ههنا طرداً ! . »(٢)

---

(١) الإصحاح ٥ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١١ « سفر الخروج » .

هذه نصوص أخرى صريحة تدلُّ على أن « الخروج » من مصر كان طرداً وليس هذا فحسب وإنما هى تؤكد أن هـذا الطرد قد حدث فى فترة قلقة غير مستقرة فى داخل البلاد تتفق وسير الأحداث التى كان الوادى يعانيها خلال الفترة الأولى من حكم « منفتاح » بل إن الأدلة لتتالى على أن هذا الطرد قد حدث فى فترة صاخبة من تاريخ الوادى وإن كان مؤلف « سفْر الخروج » يصف هذا الحدث وصفاً غير تاريخىّ إذ يقول؛

« وقال موسى كذا قال الرب؛

إنّى نحو نصف الليل أجتاز فى وسط مصر . فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون .. إلى .. جميع أبكار البهائم .

ويكون صراخ عظيم فى جميع أرض مصر لم يكن مثله ولن يكون مثله !. »(1)

وهنا ، نتمهّل للحظة متأملين ..

كلا ، لن نتساءل فى خلال ذلك قائلين ؛

ماهى البواعث التى حتّمت هذا الطرد الذى يذكره مؤلف « سفر الخروج » بل وحدّدت له موعداً كان فى تلك « الليلة » التى يتحدّث عنها هذا المؤلف اليهوذى قائلاً ؛

« وكلّم الربُّ موسى وهرون فى أرض مصر قائلا ؛

هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم أول شهور السنة .

كلّما جماعة إسرائيل وقولا لهم ؛

---

(1) الاصحاح ١١ « سفر الخروج »

ليتخذوا لهم فى العاشر من هذا الشهر كل واحد حَمَلا بحسب بيوت الآباء لكل بيت حَمَلاً .

حَمل صحيح ذَكَر حولى يكون لكم من الضأن ، أو المعز ، تأخذونه . ويكون عندكم محفوظاً إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر . فيذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل بين العُروبين . ويأخذون من دمه ويجعلون على قائمتى الباب وعتبته العُليا على البيوت التى يأكلونه فيها .

ويأكلون لحمه فى تلك الليلة شوآء نار بفطير ! . . مع رأسه وأكارعه وجوفه ...

وهكذا تأكلونه :

تكون أحقاؤكم مشدودة ونعالكم فى أرجلكم وعصيكم فى أيديكم وكلوه بعجلة ! ..

وأنا أجتاز فى أرض مصر فى تلك الليلة وأقتل كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم ...

فيكون الدم لكم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم ولا تحل بكم ضربة هلاك إذا ضربت أرض مصر ! .

ويكون هذا اليوم لكم ذكراً فتعيدونه ...

سبعة أيام تأكلون فطيراً . فى اليوم الأول تخلون منازلكم من الخمير فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تنقرض تلك النفس من إسرائيل ! .. »(١)

وهنا يكمل هذا المؤلف اليهودى روايته هذه قائلاً :

---

١) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

« فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم :

انهضوا ! . . وخذوا طاقة زوفى واغمسوها فى الدّم الذى فى الطست ولا يخرج أحد منكم من باب منزله إلى الغداة .

فيجوز الربُّ ليضرب المصريين فإذا رأى الدمَّ على العتبة العليا وقائمتىّ الباب عَبَر الربّ عن الباب ولم يدع المهلك يدخل بيوتكم ضارباً ! . »(١)

ومن ثمّ :

« مضى بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الربُّ موسى وهرون بحسب ذلك عملوا . فلمّا كان نصف الليل ضرب الربُّ كلّ بكر فى جميع أرض مصر . فقام فرعون ليلاً هو وجميع عبيده وسائر المصريين وكان صراخ عظيم فى مصر حيث لم يكن بيت إلاّ وفيه ميت .

فدعا موسى وهرون ليلاً وقال : قُوما واخرجا من بين شعبى أنتما وبنو إسرائيل! .. غنمكم وبقركم خذوها .. وامضوا ! . »(٢)

بهذه الصورة التى يُصوّرها هذا المؤلف اليهوذى جاء طرد « بنى إسرائيل » من مصر ليلاً . وأمّا ما الذى قد حدث حقيقة فى تلك « الليلة » فهذا أمر ينطوى فى غضون السنة الخامسة من حكم « منفتاح » وينتشر غداة أُخمدت العاصفة التى كانت قد هبّت من لوبيا وحاولت اقتحام الوادى من ناحية « أرض غوشن » حيث كان يسكن بنو إسرائيل ...

---

١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

٢) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

وإذن ! .

فليطرد « بنو إسرائيل » من مصر ! .

ليطردون ! . . ليطردون فوراً وفى هذه الليلة بالذات حتى قبل أن يُسفر الصباح ! . .

فلقد ؛

« ألحّ المصريون على الشعب ليُعجّلوا اطلاقهم !. »(١)

وأسرع «بنو إسرائيل» يجمعون حاجياتهم ولمّا كان الأمر قد صَدَر بطردهم فوراً فقد ؛

« حمل الشعبُ عجينهم قبل أن يختمر ! فكانت معاجنهم مشدودة فى ثيابهم على مناكبهم . . »(٢)

هذه هى الصورة التى يقدمها لنا مُؤلِّف « سِفْر الخروج » عن خروج « بنى إسرائيل » من مصر .. حملوا عجينهم قبل أن يختمر وشدّوا معاجنهم فى ثيابهم على مناكبهم وما حلّوا فى أول مرحلة من مراحل الطريق إلاّ ؛

« وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر خبز ملّة فطيراً إذ كان لم يختمر .

لأنّهم طُردوا من مصر ، ولم يقدروا أن يتأخروا !. »(٣)

وهنا . .

١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »
٢) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »
٣) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

هنا أمام هذا اللون من ألوان الارتحال ، حتماً ، تتغير معايير التاريخ العبرى طالما أن هذا « الخروج » لم يكن إلاّ طرداً وطرداً بعد إقامة فى مصر يحددها مؤلف « سفر الخروج » ، قائلا بأن :

« إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة . »(١)

ومن ثمّ ..

إذا كانت إقامة « بنى إسرائيل » فى مصر قد حُددت هذا التحديد بيد مؤلف يهوذى نفسه من بنى إسرائيل وعالم بتاريخ ترحالات أباء له وأجداد فنستطيع أن نقول إن هذا التحديد نفسه يهدينا إلى أن هذا « الطرد » قد حدث فى عهد « منفتاح » . فنحن نعلم أن العصر الهكسوسىّ قد بدأ حوالى سنة ١٧٩٠ ق م وبالتالى ، نعلم أن « منفتاح » قد حكم مصر عشر سنوات انتهت بوفاته سنة ١٢٢٥ ق م ومن هنا نضع يدنا على فترة زمنية تبدأ منذ بداية العصر الهكسوسى حتى نهاية عهد « منفتاح » وهذه تربو على الخمسمائة سنة بأكثر من نصف قرن من الزمن على حكم الهكسوس مصرَ ، فيجب علينا أن نطرح ذلك القدر من السنين الذى يذكره المؤلف اليهوذى من تلك المجموعة وبذلك نحصل على نفس الفترة الزمنية التى حددها مؤلف « سفر الخروج » على إقامة « بنى اسرائيل » فى مصر . ثم بالإضافة إلى ما لدينا من الوثائق المصرية القديمة التى تدلنا على أن الإسرائيليين قد طردوا من مصر فى عهد « منفتاح » فإننا نستطيع أن نضع يدنا على الخيوط التاريخية الصحيحة لهذا الحدث الذى لا يمكن بحال إلاّ أن يكون قد حدث فى السنة الخامسة من حكم

---

(١) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

« منفتاح » وعلى ذلك يأتى البرهان فى « قصيدة النصر »(١) التى ألفت بمناسبة انتصار « منفتاح » على لوبيا .

إن هذه القصيدة ، « قصيدة النصر » ، التى أرّخت بتاريخ يوم الانتصار على اللّوبيين ، وهو اليوم الثالث من الشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم « منفتاح » ، ١٢٣٠ ق م ، والتى تتألف من ثمانية وعشرين سطراً سجلت نقشاً على لوحة من الجرانيت الأسود مازالت تقوم فى المعبد الجنازى لمنفتاح والمسماة « لوحة إسرائيل » ، لأن فى نهاية السطرين الأخيرين جاء ذكر استئصال شأفة بنى إسرائيل ، إنما هى سجل قائم على أن طرد « بنى إسرائيل » من مصر إنّما حدث مقروناً بالانتصار على اللّوبيين ..

لا جدال فى أن هذه القصيدة كانت ذات أهمية كبيرة لدى « منفتاح » فهى فى مجموعها فخار بالنصر العظيم الذى أحرزه الملك على اللّوبيين فى تلك السنة الخامسة من حكمه والتى نجت مصر فى خلالها من الأخطار التى أحدقت بها . والقصيدة تزخر بالاستعارات والتشبيهات مما أسبغ عليها صورة شعرية لأنّ كاتبها قد وصف فيها هزيمة الاعداء بأسلوب أخّاذ .. وفى ختام هذه القصيدة التى صاغت المحامد لمنفتاح ، بصفته الحاكم الذى ذاد عن حياض بلاده وخلصها من غارات اللّوبيين وكسر شوكتهم ، يصف لنا الكاتب حالة السلام والطمأنينة التى سادت الوادى بعد هذا الانتصار ويعدد لنا أسماء القبائل والبلاد والأقاليم التى أخضعها «منفتاح» ، ويستهلها بلوبيا وينهيها بجماعة « بنى

---

(١) سجلت هذه القصيدة نقشاً على لوحتين تذكاريتين ، قامت الواحدة فى معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك ومازالت اللوحة الأخرى قائمة فى المعبد الجنازى لهذا الملك .

إسرائيل » مما يدل دلالة تامة على أن خروجهم من مصر كان فى عهد هذا « الفرعون » ...

والآن ..

الآن نقف أمام « مدونة منفتاح » ونقرأ :

« إن « تحنو »[(١)] قد خُـربت .

« فاتى » أمست مسالمة .

« عسقلان » أُزيلت .

« جيزر » قُـبض عليها .

« ينوم » أصبحت لا شىء .

وإسرائيل قد أقفرت وبذرتها قد انقطعت ! . »

أمام هذه المتون التى وُجـدت بين أنقاض « معبد منفتاح » فى طيبة[(٢)] نقف للحظةٍ يعود بنا خلالها الفـكرُ إلى الوراء يستعرض تلك اللحظة الزمنية من اليوم الثالث للشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم « منفتاح » وليستعرض من خلالها تلك الأحداث التى سبقتها حينما تألف بقيادة العاهل اللـّـوبى « مريى بن دد » حلف معاد لمصر ثم أقبـل يزحف من جهة « أرض غوشن » على الوادى ليعود إلى بلاده مدحوراً يسعى فى ركابه الفشل ... لنرى أن هذا الفشل اللّـوبى يتسق وتاريخ خروج « بنى إسرائيل » لمـا جاء من ترابط فى الذكر عند ذكر هذين الحدثين . . . .

وفى الواقع أن أهمّ ما يلفت النظر فى أفق التاريخ من هذه القصيدة التى نقشت تخليداً لذكرى انتصار منفتاح على بلاد لوبيا وأقوام البحار ووصف

---

(١) « لوبيا » (٢) كشفت عنها « فلندرز بترى » سنة ١٨٩٦ م.

فيها حالة الأمن الشامل الذى ساد الوادى، بعد أن أ بعد خطر الغزو عنه وأخطار العيون والأعوان هو ذكر جماعة « بنى اسرائيل » وبخاصة هذه العبارة التى قد مررنا بها من قبل وهى القائلة بأن « إسرائيل قد أقفرت وبذرتها قد انقطعت ». فإنّه على الرغم من وجود هذه العبارة فى اللغة المصرية القديمة فى غير هذا المكان فإن استعمالها بالذات هنا ، بالنسبة لبنى إسرائيل ، يشتمل على أهمية عظيمة فى بحث موضوع خروجهم من مصر والأسباب التى أدت إليه والذى كان ، بالتالى ، كما يتضح ، يهمّ الحكومة المصرية وقتذاك . . فإنّ الإسرائيليين أنفسهم كانوا يسكنون « أرض غوشن » ، وهى التى يسميها مؤلف « سفر الخروج » أرض « جاسان » والتى نسميها اليوم « وادى طميلات » . . . ولم يكن لهم فى عهد الامبراطورية المصرية مكانة اجتماعيـة ولا مرتبة سياسية حتى تُذكر ومن ذلك نفهم أنهـم وإن كانوا محل انتباه فإنهم لم يكونوا بأية حال من هؤلاء الناس الذين كانت الحكومة المصرية تهتم بذكرهم أو بتدوين أعمالهم فى السجلاّت الرسمية غير أنّ القلم المصرى وجد حادثة واحـدة تتصل بإقامتهم فى مصر كان لها من الوجهة المصرية أهمية سياسية وذلك أن خروجهم جملة من الديار المصرية كان يهمّ الحكومة وقتئذ وعلى ذلك جاءت الإشارة إليه فى السجلات الحكومية الخاصة بهذا العصر . »

ومن ثمّ . .

لا جدال فى أن هـذه الحادثة التى جاء ذكر « بنى إسرائيل » فيها فى المتون المصرية كانت من الأهمية بحيث استرعت اهتمام المؤرخ المصرى القديم وفضلا عن ذلك فانها لما كانت آخر ما ذُكر عنهم فى ذلك العهد مما يسجل لنا انقطاع علاقة هذه الجماعة بمصر فإننا نستطيع أن نستقبطن

من ذلك كله أنه إذا كان هناك ذكر للإسرائيليين فى تلك النقوش المعاصرة لإقامتهم فى مصر فانّ ذلك لا بدّ يشير إلى خروجهم وعلى صحة هذا الاستنباط يمكن الوصول بسبر أمرين هامين :

الأول — العلاقة بين تاريخ الخروج وتاريخ نقوش اللّوحة .

الآخر — معنى الجملة التى جاءت فى النقوش خاصّة إسرائيل .

أمّا تاريخ النقوش فليس لدينا فيه أدنى شك إذ قد وُجد فى متن اللوحة ذكرى السنة الخامسة من حكم « منفتاح » .

وأما تاريخ خروج بنى إسرائيل فانه وإن كان لا يمكن تحديد اليوم بصفة قاطعة إلاّ أن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة فى السنة الخامسة من حكم « منفتاح » ... وأما أنها كانت عهد هذا الملك فالدليل على ذلك يأتينا مما لدينا ، بين الأوراق البردية ، من وثيقة تُعرف بـ «ورقة أنسطاسى السادسة»(١) وتشمل خطاباً من كاتب الملك منفتاح جاء فيه ما يأتى :

« إن بعض بدو « شاسو » و « أيتام »(٢) قد سُمح لهم ، على حسب التعليمات ، أن يجتازوا حصن إقليم «سكوت»(٣) ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من بلدة « بتوم » فى ضياع الفرعون العظيم . :

وهذا الخطاب كُتب فى السنة الثامنة من حكم «منفتاح» ويتضح منه أن هؤلاء الـ « شاسو » قد سمح لهم بالمرور ببعض أرض التاج فى «غوشن» ، وادى الطميلات . . ومن البديهى أن هذه الحالة لا يمكن أن تحدث إذا كان الإسرائيليون لا يزالون يقيمون فى « أرض غوشن » فى السنة الثامنة من حكم

---

(١) فى المتحف «البريطانى » (٢) « أدوم »

(٣) « تل المسخوطة » فى وادى طميلات .

« منفتاح » ! . ومن ثمّ فلابدّ أن تكون حادثة الخروج قد وقعت في وقت ما قبل هذا التاريخ وهذا البرهان كاف بتحديد الفترة الزمنية التي كان فيها هذا الخروج ليحصره في نفس تاريخ نقش اللّوحة ..

والواقع أن ما جاء في متن اللوحة المشار إليها آنفاً يُعدّ سجلا معاصراً لخروج « بني إسرائيل » كما يدل دلالةً واضحة على أنه قد وقع في السنة الخامسة من حكم « منفتاح » لأن الغزو اللّوبي لمصر في تلك السنة كان ، حتماً ، أن يُحدث أموراً في شرق الوادي حيث توجد « أرض غوشن » وحيث كان الإسرائيليون يقيمون . وبالإضافة إلى ذلك كانت الأحوال وقتئذ تتطلب أن تُسحب الحاميات التي على الحدود الشرقية لتقوية الجيش الذي كان يقوم بصدّ المغيرين من جهة غربي الدلتا وشمالها وبذلك لا تترك إلاّ قوة قليلة لحماية الحدود . وهذا برهان آخر يعضد البرهان الأول على أن الحادثين ، قهر لوبيا وطرد إسرائيل ، قد وقعتا في زمن واحد ! .

ثمّ أن هناك برهاناً آخر يأتي إلينا من متون هذه اللوحة نفسها وهو ما نلاحظه من تفصيل في كتابة كلمة « إسرائيل » في الأصل المصري . .

يُلاحظ أن في الأصل المصري تفصيلا في كتابة كلمة «إسرائيل» له أهميته . فنحن حينما نجد في كتابة اسم قوم من الأقوام الذين ذُكروا مع «إسرائيل» مُخصصاً في نهاية الاسم دل ذلك على البلاد الأجنبية وهذا المُخصَّص في كلمة « إسرائيل » غير موجود ، بل كُتب بدلا منه مُخصَّص آخر يدل على أنهم قوم أجانب لا وطن لهم وأنهم ليسوا من أصحاب هذه البلاد أو تلك . ومن هنا نعلم أن عناصر النقش نفسه تُؤيّد وقت الخروج . وإذا علمنا ذلك ، بالإضافة إلى علمنا بأهمية الرموز المختلفة المخصصة التي استعملت في الأقوام المختلفين الذين

ذكروا فى النقوش ، فانه من المحتم علينا أن نقول إن النقش يشير هنا إلى خروج « بنى إسرائيل » وأمّا ما يعنيه فهو أنه قد طُرد من مصر عنصرٌ أجنبى يُدعى « إسرائيل » ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم ومن ثمّ أصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر . .

وهنا نستطيع أن نقول إن النقوش التى على اللّوحة إذ قصدت ذكر « بنى إسرائيل » بمناسبة تسجيل الانتصار على اللّوبيين فليس إلاّ لأن حادث طردهم من مصر كان من الأهمّية بمكان حتى أصبح من الطبيعى أن يحتلّ مكاناً فى سجلّ هذه اللّوحة . ولكن .. نحن إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من حيث الأسلوب المصرى القديم نجد أن خروجهم من مصر يتمثل فى صورة طرد جماعة بإرادة «الفرعون» لا هرباً منه . والواقع أن المؤلف المصرى لهذه الأنشودة قد كتبها بوجهة نظر غير وجهة نظر المؤلف اليهودى لهذه الرواية التى جاءت فى « سفر الخروج » ... وعلى الرغم من ذلك فاننا إذا سلمنا بصحة النتائج التى استنبطناها ممّا سبق فإن الأجزاء المختلفة من تاريخ « إسرائيل » فى مصر تتآلف بعضها مع البعض الآخر ظاهراً وتصبح متحدة تماماً مع ما جاء فى « سفر الخروج » ومع ما جاء على الآثار المصرية القديمة . .

وفى الواقع ليس هناك مجال لشك أى مؤرخ غاص إلى أعماق الحقيقة فى أن الإسرائيليين كانوا فى مصر فى وقت ما وإنهم قد خرجوا منها جملة وذلك لسببين .. أولا ، مصادر التاريخ المصرى القديم . والآخر ، لأنْ هناك قصة قوية تمثّل لنا الأحوال الأولى لقوم فى أوائل الأسرة التاسعة عشرة فى صورة إليها تُشير نصوصهم إشارة كافية ولا يمكن إلا أن تكون انعكاساً لضوء حوادث حقيقية قد وقعت بالفعل مهما كانت الصورة التى

وصلت إلينا عنها مشوهة !. ولذلك فنحن نستبعد القول بأن كل قصة الخروج خرافية كما رمتها بذلك بعضُ أقلام وإنّما نقول بأن القول بكذب القصة شيء وكون تفاصيلها شيء آخر . .

لا جدال ، أن الصورة التي يُصوّرها مؤلف « سفر الخروج » عن هذا الخروج ويذكرها بأساليب متنوعة مؤلفو « الأسفار » التالية من بعد إنّما هي صورة مهزوزة كل الاهتزاز اختلط فيها الغلو بالكثير من الخيال ممّا يدلّنا على أنها صورة حديثة صُوّرت بيد مؤلف « سِفْر الخروج » في غضون الأسر البابلي ثم ألقيت عليها الألوان في الأسفار التالية ولكن.. هذا لا يمنع من أن يكون فيها حقائق تاريخية ممّا كان من خروجهم في النهاية من مصر وهذا شيء كما تؤكده المتون المصرية قد وقع بالفعل . ولكن لمّا كان هذا الحدث ، وإن كان لم يكن إلاّ طرداً ، لم ينسه بنو إسرائيل لأنهم قد وجدوا فيه تحريراً من نير التسخير وأملاً في احتلال « أرض كنعان » فقد راحوا يُرصّعون هذه الحقيقة التاريخية ببريق الأساطير الذي جعلها تبدو نفسها أسطورة من وحي الخيال ..!

ومن ثمّ فاذا كانت تفاصيل القصة أسطورية فإنما القصة نفسها ليست في جوهرها بأسطورة كما يصرّ على ذلك أكثر من قلم في يد أكثر من مؤرخ .. لا لأنها قصة تعكس لنا في مجموعها صورة حادثة تاريخية مُعيّنة فحسب وإنّما لأن معلوماتنا « الطبوغرافية » عن شرق الدلتا تؤكد صحة هذه الرواية التي جاء ذكرها في بداية « سفر الخروج » وهي التي تحدثنا بأن بني إسرائيل قد أُجبروا على السخرة في إقامة مباني « بيتوم » و « رعمسيس » .. وعن وجود هاتين قد دلّت الحفائر .. فليست « تل رطابة » اليوم إلاّ « بيتوم »

الأمس التى أعيد بناؤها فى عهد «رع موسى الكبير» وليست «قنتير» الحالية إلاّ « بر رع موسى » ، كما كان يسميها المصريون والتى أقيمت فى عهد « رع موسى » الكبير ، أو « رعمسيس » كما سماها الإسرائيليون وهى التى منها ، كما يحدثنا مؤلف « سفر الخروج » ، كانت بداية الطريق لخروجهم من مصر ولذلك يجب أن نتبع ، خطوة لخطوة ، الأماكن المصرية التى سلكها « بنو إسرائيل » عند طردهم من مصر .

لزاماً علينا ونحن فى صدد استعراض الطريق التى سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر أن نقول إن الآراء العلمية قد تضاربت من حول هذا الموضوع الذى ظهر أنّه أكثر تعقيداً من تحديد تاريخ الخروج !. ومن أجل ذلك أصبح هذا الموضوع الشائك هدفاً لبحوث طويلة ونظريات عديدة طرحها الباحثون على مختلف أنواعهم وساهم فيها الكثيرون من رجال الدين وعلماء طبقات الأرض . بَيْدَ أن أحدث من تناول هذا الموضوع بالبحث الدقيق كان العلامة « على شافعى » وخرج منه بنتيجة تُعدّ ، حتى اليوم ، أعمق ماوصل إليه البحث فى هذه المسألة المعقدة وقد وضع لذلك خريطة تهدينا إلى خطط هذا المسير والطرق التى سلكوها عند مغادرتهم الوادى حتى مشارف « أرض كنعان » راعى فيها أن تكون « طوبوغرافية » البلاد متمشية مع قصة الخروج لأن هذه القصة قد قُصت فى وقت لم تكن الأحوال الجغرافية قد تغيّرت فى مصر فيه .. فأسماء البلاد المصرية كانت عند خروج « بنى إسرائيل » كما هى حتى أننا لنجد التفاصيل الصغيرة ، التى جاء ذكرها فى سياق الكلام ، مثل الطوار الذى كان بجانب حصن « دفنة » ، أدفينا اليوم ، وهو الذى جاء ذكره على لسان المؤلف اليهودى ، هو نفسه الذى كشفت عنه أعمال الحفر .. (١)

(١) فلندرز بيترى »

وهذه هى أسماء المدن والأماكن كما ذُكرت فى « سفر الخروج » :

رعمسيس — سكوت — ايثام — فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون عند بحر سوف — برية شور — مارة — ايليم — برية سين التى بين إيليم وسيناء — رفيديم فى مدين عند جبل الله حوريب — سيناء .

كل هذه الأماكن قد حُقِّقت ووُضع مُصوّرها الجغرافىّ الذى يتّفق مع الأحوال التى كانت سائدة زمن « الخروج » بقدر المستطاع .

ولكن .. لا يهمنا من كل هذه الأماكن إلاَّ ما كان داخل الحدود المصرية وذلك من « رعمسيس » حتى « بحر سوف » .

أولا — « رعمسيس » .

برهنت البحوثُ الحديثة على أن هذه البلدة هى « بر رع موسى » التى وجدت بقاياها فى «قنتير» الحالية وأن «رع موسى الكبير» قد أنشأها واتّخذها مقراً لحكمه فى شمال الدلتا وقد كانت المقرّ الصيفى لملوك الأسرة التاسعة عشرة ومن بعد الأسرة العشرين . ومن ثمَّ فهى ليست « تانيس » كما كان قد أخطأ أكثرُ من قلمٍ فى يد أكثر من مؤرخ . . (١)

ثانياً — « سكّوت » .

برهنت « ورقةُ أنسطاسى » ، هذه البردية العائدة بتاريخها إلى عهـــد الأسرة التاسعة عشرة ، على أن عند « الصالحية » وبين الأطلال المجاورة لها يجب أن نبحث عن موقع بلدة « سكّوت » . فإن البردية المشار اليها تصف لنا « سكّوت » بأنها أرض متاخمة لبلدة « بر رع موسى » وأنها

(١) منهم « أولبرايت »

لا تبعد عنها إلاَّ مسيرة يوم واحد وأنها فى اتِّجاه الصحراء وأن فيها قلعة تُدعى « ختم سكّوت » ومستنقعات تعرف باسم بحيرات « بتوم منفتاح » . ومن ثمَّ ، لمَّا كُنا نعلم أن هذه الجهة كانت مُخصصة لفراعنة الرعامسة الذين كانوا مغرمين بالصيد والقنص فى أعشاب هذه المستنقعات والذين كانوا يسكنون قنتير على مسافة يمكن تحديدها بخمسة عشر كيلو متراً من الشمال الغربىّ لهذه الجهة علمنا أن هذه البحيرات لاتخرج عن كونها بحيرة « مهيشر » ومستنقعات « سعدة » و « أكياد » .. وأمَّا إنّها كانت عهد ذاك تحمل اسم « منفتاح » فهذا دليل آخر يشير إلى أن « الخروج » كان فى « عهد منفتاح » .

ثالثاً — « إيثام » .

إن ايثام هى « أدوم » وهذه ليست بلدة بل بيداء كان يسكنها العرب البدو الذين كان المصريون يسمونهم « شاسو » لأن هؤلاء كانوا ينزحون وراء الكلأ عندما تشحّ بالغيث السماء . وأمّا مسير « بنى إسرائيل » فى هذه البيداء فهذا وحده برهان على أنهم لم يسلكوا المنطقة الرملية ذات العيون المائية المتعدِّدة المتكونة من مياه المطر الساقط على الساحل وعلى أنهم قد ساروا جنوباً مُولين وجوههم شطر « مَدْين » .

رابعاً — « فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون عند بحر سوف » .

فأمّا « فم الحيروث » فهو مصبّ فرع من النيل بين بحيرات البلح فى الجزء الجنوبىّ الشرقىّ لبحيرة المنزلة وكان هذا الفرع من النيل يُصبّ فيها وهذه تقع غربىّ « تارو » الأمس وبلدة « تل أبو صيفة » اليوم .. ولمّا كان « حور » الربّ المحلىّ لهذه البلدة وكان هذا الفرع من

النيل ينتهى اليها فقد دُعى باسم « يمّ حور » بمعنى « ماء حور » أو « بحيرة حور » . ثمّ تُرجمت هذه الكلمة عن اليونانية بعبارة « فم حور » وهذه التسمية لا تختلف كثيراً عن تسمية « فم الحيروث » التى جاء بها الذين قاموا بترجمة « الأسفار العبرية » فى القرن العاشر الميلادى عن الترجمة اليونانية العائدة بتاريخها إلى القرن الثالث ق . م . وإلى العهد الأول للبطالسة .

وأمّا « مَجْـدل » .

مجدل بلدة تقع فى شرق « تارو » كما يشير اليها المُصوِّر الذى وضعه لنا « سيتى الأول » وقد جعـل مكانها على مجرى أحاطت به التماسيح إشارة لنا على أنها عند نهاية الملاحة النيلية . وأما فى عهد الرعامسة فقد كانت معروفة بأنها أول بلد مصرية على الطريق المؤدى إلى فلسطين أى أنها على حافة الدلتا . ومن ثمّ فان « مجدل » الأمس ليست ، اليوم ، إلا « تل الحرّ » .

وأمّـا « بعل صفون » .

لردح من الزمن غير قصير بقى هذا الاسم سراً غامضاً على أولئك الـكُـتّاب الذين تناولوا بالبحث الدقيق قصـة هذا « الخروج » إلى أن كُشف فى سقّـارة عن ورقة فينيقية(١) فى إحدى الآبار الأثرية ومعها أوراق ديموطيقية . ولمّا كانت إحدى هذه الأوراق الديموطيقية تدل على أنها خطاب شخصىّ يتضرّع فيه كاتبه إلى « بعل صفون » باعتبـاره الإلـه الرئيسىّ لبلدة « دافنى » نعلم أن المقصود فى هذا الصدد بـ « بعل صفون » هو بلدة دافنى نفسها ، أدفينا اليوم .

---

(١) عام ١٩٤٠ « جيرون »

والآن ؟ الآن وأخيراً نجيء إلى « بحر سوف » .

اعتقد الكثيرون وما زال الكثيرون يعتقدون أن « بحر سوف » هذا الذى ورد ذكره فى النسخة البروتستانتية من « العهد القديم » هو البحر الأحمر اعتماداً على تسميته ببحر القلزم فى النسخة الكاثوليكية من « العهد العتيق » .. بَيدَ أنّ الحقائق التاريخية والبحوث الحديثة قد تكشفت عن غير ذلك إذ دلّت على أن المقصود بالبحر هنا ليس البحر الأحمر وليس ببحر على الإطلاق وإنما هو جزء من بحيرة وأن هذه البحيرة هى بالتحديد « بحيرة المنزلة » ... وأمّا الخطأ فقد جاء من الذين قاموا بترجمة هذا « السفْر » عن اللُّغة اليونانية إلى اللُّغات الشرقية والغربية ووضعوا بدلا من كلمة « يمّ » التى كانت فيه ، فى أصله العبرى ، كلمة « بحر » ... ثمّ بينما راعى الفريقُ البروتستانتى كلمة « سوف » فى الأصل العبرى القديم فألحقها بكلمة بحر أبى الفريقُ الكاثوليكىّ إلاّ أن يتصرّف فى ترجمته فألحق بكلمة « بحر » كلمة « القلزم » عبارة عن البحر الأحمر ومن هنا كان التخبُّط ! . . فقد حاول المؤرخون ، ارتكازاً على هذه الترجمة ، إيجاد حلٍّ مرضٍ فساروا زمناً طويلا فى هذا السبيل قبل أن يأتيهم حل هذه المشكلة بطريقة علمية ومنطقية مقنعة وهو أن هذا « السفْر » لمّا كان قد كُتب فى الأصل باللُّغة العبرية ثم ، بالتالى ، لمّا كان قد تُرجم خلال القرن الثالث ق . م . إلى اللغة اليونانية وتُعرف هذه الترجمة بالترجمة السبعينية[1] فإن بالموازنة بين النسخة اليونانية والنسخة العبرية يمكن استجلاء الحقيقة . . حقيقةً أن أقدم نسخة لدينا بالعبرية لا يرجع عهدها إلاّ إلى القرن العاشر الميلادى إلاّ أنه بالموازنة الدقيقة بين النسختين ، اليونانية والعبرية ،

---

(١) نسبة إلى الكهنة السبعين الذين قاموا بهذه الترجمة بأمر بطليموس الثالث

وُجد أنّه لم تحدث اختلافات . فليس هناك أى اختلاف بين نسخة القرن الثالث ق . م . المترجمة إلى اليونانية عن الأصل العبرى القديم وبين نسخة القرن العاشر هذه غير المترجمة ، ففى كلتيهما لا توجد كلمة « بحر سوف » ولا كلمة « بحر القلزم » وإنما « يمّ سوف » ! . ومن هنا اتضحت الحقيقة وهى أن الخطأ جاء عن طريق المترجمين الذين لم يتّبعوا الترجمة الصحيحة وأهملوا المعنى من كلمة « يمّ » والمقصود به من كلمة « سوف » ...

فأما كلمة «يمّ» .. فهى كلمة مازالت حتى اليوم تعيش فى لغتنا العربية ونفهم أن من معناها «الماء» وأمّا قديماً فكانت تُطلق على فروع النيل ،

وأمّا كلمة « سوف » .. فهذه كلمة دخلت اللغة العبرية من اللّغة المصرية القديمة وتعنى « البوص » .. وهذا نبات يكثر وجوده فى المياه الضحضاحة عند مصبّات الترع والمصارف عامة وفى بحيرة المنزلة ، قبالة قنتير ، بصفة خاصة . ولمّا كان هذا النبات الذى تمتد فروعه كالسيوف ينمو بكثرة فى هذه الجهة وبارتفاع عظيم وكانت بلاد مصر ولا سيّما بلدة «برع موسى» تأخذ منه حاجتها وكانت كلمة « البردى » التى أطلقت عليه من بعد لم تعرف بعد ، لأنها لم تظهر فى اللّغة المصرية القديمة إلا فى عهـــد متأخر من عصر الرعامسة ، فقد عرفت مصر القديمة هذه البحيرة باسم « يمّ سوف » .

وهكذا يتضح لنا المعنى من كلمة « يمّ سوف » التى جاءت فى الأصل العبرى وتُرجمت فى « العهد القديم » إلى « بحر سوف » فإنّ معناها العبرى هو « بحيرة البوص » وهذه تشغل منخفضاً قد بقى حتى الآن تحت مستوى البحر ولمّا كان منسوب الماء لايزال حتى الآن ، كما كان ، يتأثر بدرجة عظيمة بالريح فى بحيرة المنزلة والبرلّس فإننا نلاحظ أن الطريق من باطيم حتى

برج البراس يُغطَّى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم يصبح جافاً عندما يهب الريح من الشرق حتى ليجعل هـذا « البحر » جفافاً يابساً ممّا يمكّن للانسان أن يسير عليه فاذا ما عاد الهواء يهبُّ غرباً عادت الأرض بحراً وإن كان هذا « البحر » ليس إلاَّ ماء ضحضاحاً لا يزيد عمقـه على قدمين ولا يتجاوز بأى حال ثلاثة أقدام .

ومن ثم فاذا كانت كل النظريات المتضاربة قد تلاشت أمام الـكشف الحديث الذي أثبت أن « بر رع موسى » أو « رعمسيس » هى قنتير الحالية وليست « تانيس » فليس إلاّ لنعلم أن « بحر سوف » هذا ليس إلاّ « بحيرة المنزلة » إن لم يكن جزءاً من بحيرة المنزلة ..

هذه هى الأماكن المصرية التى اجتازها « بنو إسرائيل » فى طريقهم إلى « حوريب » ثمّ من حوريب إلى « سيناء » وهذا يدفع بنا إلى استعراض المدة الزمنية التى اقتطعوها من مصر حتى سيناء .

يحدثنا مُـؤلفُ « سِفْر الخروج » الحديث الفيّـاض عن المدة الزمنية التى اقتطعها أبناء إسرائيل فى ترحالهم من مصر إلى سيناء ويستهله قائلا :

« وصنع بنو إسرائيل كما أمرَ موسى فطلبـــوا من المصريين أمتعة فضّـة وأمتعة ذهب وثياباً .

وآتى الربُّ الشعبَ حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين !

ثم ارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكـّوت بنحو ست مئة ألف ماش من الرجال خلا الأطفال ...

طُردوا من مصر ! . »(١)

للمرة تلو المرة يُؤكِّد لنا مؤلفُ « سِفر الخروج » بأن « بنى إسرائيل» قد طُردوا من مصر طرداً !. ولكن هذا المُؤلِّف الذى غمس بمداد البهتان قلمه وأجراه ينسب إلى موسى، عليه السلام ، ما أقترفه بنو إسرائيل فى حق المصريين من سلب حلىٍّ وثياب ، ماذا يستهدف من وراء ذلك ؟ .

يقينى أنه لا يستهدف إلا تمجيد عمــــلٍ هو فى طبيعة بنى إسرائيل غريزة فطرية ثمّ ، كيْما يصبغه بالصبغة الشرعية عاد به إلى مَن هو منه براء .. فأستغفر الله ! . .

ثمَّ .. ثم هذه الجملة الخاصة بهذا التعداد والترجمة هنا بلفظة « ست مئة » و « ألف » قد استبهم معناها على الـكثيرين فأخذوها على علاّتها وحسبوها ستمائة الف رجل خلا الأطفال والنساء ، غير ملتفتين إلى أن هذا العَدد قد تجاوز حدود المعقول لأننا إذا أضفنا إلى هذا الرقم امرأة واحدة وطفلين لحصلنا على مجموع يتجاوز تعداد المصريين أنفسهم فى ذلك الحين ! . وهذا ، حتماً ، خطأ آخر يعود بأسبابه إلى المترجمين الذين وضعوا كلمة « ألف » بعد « ست مئـة » وقد كان الأصحُّ أن تُوضع « ألف وست مئة ماش من الرجال ... » وهذا رقم لا يمـكن رفضه ، منطقياً ، لأنه يضع نفسه فى إطار المعقول .

ولـكن .. المسمع منّا يأبى إلاّ مواصلة الإصغاء إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا عن هذا الترحال الذى اتخذ مجراه فى ليلة سحب فيها رجالُ بنى إسرائيل معهم نساءَهم وأطفالهم وغنمهم وبقرهم ومواشيهم إلى حيث بدأ

---

(١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

تفسّحهم فى الأرض .. فلقد أبى هذا المؤلّف اليهودى إلاّ أن يجعل من ذكرى ليلة الارتحال هذه عيداً أسماه « عيد الفصح » .. ثمّ راح يحدثنا عنها قائلا ؛

« هى ليلة تُحفظ للربّ لإخراجهم من أرض مصر !

هذه الليلة تحفظ للرب من جميع بنى إسرائيل مدى أجيالهم ! »(١)

وأمّا إذا سألنا هذا المؤلف اليهودى قائلين ؛ كيف تحفظ هذه الليلة وأى لون من ألوان التعبد فيها يقام ؟ .. فالجواب سيكون ، إنّها ليلة تحفظ للرب بأكل اللحم ! . فلقد ؛

« قال الرب لموسى وهرون ؛

هذا رسم الفصح ؛

كل أجنبى لا يأكل منه ! وكل عبد مشترى بفضةٍ فأختنه ثم يأكل منه . والضيف والأجير لا يأكلان منه !

فى بيت واحد يؤكل لا تخرج من البيت من اللحم شيئاً ! .

وإذا نزل بكم غريب وأراد أن يصنع فصحاً للرب فليختتن كل ذكر له ثمّ يتقدم .. وكل أقلف لا يأكل منه ! . »

وأما ما هو نوع هذا اللحم الذى يُؤكل أو بالأحرى ما هو هذا الذى يأكله بنو إسرائيل وحدهم ولا يأكل منه الضيف والأجير خلا الغريب الذى لا يأكل منه أيضاً إلاّ إذا اختتن ؟.. فإن المؤلف اليهودى يتولى الشرح ويحاول إتقاءَ المآخذ فيجعل هذا اللون من المأكل فريضة بل وعبادة ويحدثنا قائلا ؛

---

(١) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

« وكلّم الربُّ موسى قائلا ، قدّس لى كل بكر كل فاتح رحم من إسرائيل من الناس والبهائم أنّه لى !

فقال موسى للشعب ؛ اذكروا هذا اليوم الذى خرجتم فيه من مصر ..

لا يُؤكل خمير !

اليوم أنتم خارجون فى شهر الأسباب . فاذا أدخلك الربُّ أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التى أقسم عليها الربُّ لآبائك أن يعطيك أرضاً تدر لبناً وعسلا فاصنع هذه العبادة فى هذا الشهر ؛

سبعة أيام تأكل فطيراً وفى اليوم السابع عيد للربّ .

فطير يؤكل فى السبعة الأيام فلا يُرى لك خمير ولا شىء مختمر فى جميع تخمك ! . . .

واحفظ هذه الفريضة فى وقتها سنة فسنة . ! » (١)

نظرة عابرة نلقيها على هذه النصوص التى تطلع علينا بأول لون من ألوان التعبد فى الدين اليهودى الحالى تُولّد فينا اليقين بأنه دين هو إلى الروحيات يشتد به الافتقار ! فهو يجافى تمام الجافاة أبسط لون من ألوان الروحيات ! . فلا ثمت تسبيحة هناك أو صلاة شكر أو دعاء إلاّ فطير يؤكل خلال سبعة أيام كذكرى ليوم خرجوا فيه فى مصر مرتحلين من رعمسيس إلى سكوت .

ثم ؛

« ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا بايتام فى طرف البرية » (٢)

---

(١) الأصحاح ١٣ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٣ « سفر الخروج »

وأما إذا سألنا هذا المؤلف اليهوذى قائلين : من كان دليلهم فى هذا الطريق ؟.. فالجواب يأتينا من شفتيه سخيًا يقول :

« وكان الربُّ يسير أمامهم نهاراً فى عمودٍ من غمام ليهديهم الطريق وليلاً فى عمود من نار ليضىء لهم ليسيروا نهاراً وليلاً .

ولم يبرح عمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلا من أمام الشعب ! ». (١)

غفرانك يا ألله ! ..

لا يسعنا أمام هذه النصوص الجديدة التى تجعل الربَّ يسير على هذه الصورة أمام بنى إسرائيل ، يستبدل نفسه من عامود غمام بعامود نار مرة ومن عامود نار بعامود غمام مرة أخرى ، إلاَّ الإستغفار !.. بل ونرانا نواصل الاستغفار طالما أن المسمع منا يواصل الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهوذى الذى يسترسل يحدثنا عن هذا الترحال ويقول بأنّ فجأة تغير اتجاه المسير فلقد :

« كلم الربّ موسى قائلا : مُر بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون تنزلون تجاهه على البحر ». (٢)

لماذا ؟ ! . .

« لأن الله قال : لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر ! فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف » (٣)

ولكن ! .

هذا التحول عن الطريق المستقيم الذى كان مُقدَّراً للمسير حتى « مَدْين » والذى اتخذ للتمويه والتضليل وإن كان لم يزل فى دلتا النيل

---

(١) الاصحاح ١٣ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ١٤ « سفر الخروج »
(٣) الإصحاح ١٣ « سفر الخروج »

قد جعل المصريين ، كما نفهم من تعبير مُؤلف « سفْـر الخروج »، يتوجسون من الإسرائليين   إلا أننا لا نفهم أبداً المنطق اليهوذى فى هذا النص القائل :

« وشدّد الربّ قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى اسرائيل. فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم ، جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه ، وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون ! . »(١)

ألم يفطن هذا المؤلف اليهوذى وهو يسطر هذه النصوص إلى ما يحمله قوله من التناقض فى المنطق والغرابة ؟. ولكننا لن نناقشه .. كلاّ ، فحسبنا الإلتفات إلى هذه النصوص فى قولها هذا بأن المصريين قد أدركوا الإسرائليين عند « فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون » .   ونحن إذا كنا قد علمنا أن « مَجْدل » إنما هى بلدة تقع على حافة الدلتا وأنها ليست إلاّ «تل الهر» اليوم ، وبالتالى ، نحن إذا كنا قد علمنا أن « بعل صفون » هى « أدفينا » اليوم وأن « فم الحيروث » هو مصبّ فرع من النيل بين بحيرات البلح فى الجزء الجنوبى الشرقى لبحرية المنزلة وأن هذا الفرع من النيل كان يَـصب فيها وأن « بحر سوف » هذا هو بحيرة المنزلة أو جزء منها ، لعلمنا أى « بحر » هذا الذى يعنيه مؤلف « سفْـر الخروج » بينما المسمع منا يواصل إليه الإصغاء وهو يسترسل قائلاً :

« فأدركهم وهم نازلون عند البحر ، جميع خيل مراكب فرعون وفرسانه وجنوده ، عند فم الحيروث أمام بعل صفون !

فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيـــل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم   ففزعوا جداً   وصرخ بنو اسرائيل إلى الربّ وقالوا لموسى :

---

(١) الاصحاح ١٤ « سفر الخروج »

هل لأنه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرّيـة ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ ! . . »[١]

وفى الواقع أن الإسرائليين قد أصبحوا بهذا الموقف فى مأزق حرج فقد كانت « بحيرة البوص » على يمينهم وحصن مجدل بمن فيه يحجز أمامهم الطريق من جهة الشمال وعلى يسارهم مستنقعات فرع النيل البلوزى بينما كان خلفهم ، كما يقول المؤلف اليهوذى ، الفرعون وجنوده فلم يكن لديهم وسيلة إلاّ الاستسلام وإلاّ أن تحدث معجزة فتهب ، كعادتها ، الريح الشرقية وتجفف الأرض وتمكنهم من المسير عليها وعبور هذا الماء قبل أن يعود الهواء ويهب غرباً وتعود المياه إلى ما كانت عليه بحراً . .

وهنا نعود إلى المؤلف اليهوذى ونصغى إليه وهو يواصل حديثه قائلاً بأن عند ذاك :

« قال موسى للشعب : لاتخافوا !

قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم فانكم كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيا إلى الأبد . »[٢]

وأمّـا كيف ؟..

فلقد :

« انتقـل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل . وسار وراءهم . وانتقـل عمود الغمام من أمامهم ووقف وراءهم . فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل ... فكان من هنا غماماً مظلماً وكان من هناك ينير الليل فلم يقترب أحد الفريقين من الآخر طول الليل ! . »[٣]

(١) الاصحاح ١٤ « سفر الخروج »
(٢) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »
(٣) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »

عبثاً نبحث فى البرديات عن هـــذه القصة ، قصة هذا « العامود » الذى وقف حائلاً بين المصريين والإسرائيليين طوال ليلة كاملة ، فلا نجد لها فى الوثائق المصرية أثراً فلا يأتينا عنها الذكر إلاّ من هذا المؤلف اليهوذى الذى نراه قد نسى أنه قبل هنيهة قال إن فى « العامود » كان « ربّ » إسرائيل » فعاد يقول بأنه « ملاك الله » بينما راح مسترسلا يواصل حديثه قائلا :

« ومدّ موسى يده على البحر .

فأجرى الربُّ البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة ! ... فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة ! ...

وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر ! ...

فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر ولم يبق منهم ولا واحد ! ... »(١)

من ثمّ فحقاً أنّ :

« الربّ رجل الحرب ! ...

مركبات فرعون وجيشه ألقاهما فى البحر فغرق أفضل جنوده المركبية فى بحر سوف !. »(٢)

حقاً !. حقاً يا « يهوه » ...

« من مثلك بين الآلهة ؟ .. »(٣)

---

(١) الاصحاح ١٤ « سفر الخروج »
(٢) الأصحاح ١٥ « سفر الخروج »
(٣) الأصحاح ١٥ « سفر الخروج »

وهنا . . هنا لنا كلمة هى بالطبع من حول هذه الريح الشرقية التى ظلت تهب عاتية طوال الليل فى الاتجاه الصحيح وفى الوقت المناسب حتى جعلت « بحر سوف » جفافاً ومكّنت « بنى إسرائيل » من العبور إلى الطرف الآخر . . فنحن إذا تذكرنا أن منسوب الماء لا يزال حتى الآن متأثراً بدرجة عظيمة بالريح فى بحيرة المنزلة والبرلّس ولاحظنا أن الطريق من بلطيم حتى برج البرلّس يُغطى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم يصبح جافاً عندما يهب الهواء من الشرق مما يمكن للانسان أن يسير عليها ، نفهم كيف كان عبور البحر هذا ، بحر سوف الأمس وبحيرة المنزلة اليوم ، الذى يتحدث عنه مؤلف « سفر الخروج » . .

كلاّ ! .

نحن لا ننكر أن ذلك كان معجزة وهو أن تجىء هذه الريح فى الوقت المناسب وأن تهب فى الاتجاه المطلوب وإنما نستنكر الصيغة التى يتحدث بها مؤلف « سفر الخروج » عن هذا الحدث الذى كان لابدّ له أن يتسق وقوانين الطبيعة ولا يحيد عن الأحكام الكونية التى وضعها سيدُ الكون ! .

وأمّا موضوع غرق « الفرعون » الذى يتحدث عنه هذا المؤلف اليهودى بهذه الصيغة فهو أمر إن لم يكن قد فهم خطأ فقد مازجه ولا شك عنصر التهويل لأن الواقع أنه لا يمكن لإنسان أن يتصوّر غرق إنسان وعربته ومن معه فى ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاثة . وليس هذا فحسب وإنّما غرق فرعون وجنده معه كان لابدّ أن يُحدث هزّة فى فى أرجاء البلاد وأن تسجله البرديات وليس فى الوثائق المصرية ما يشير إلى ذلك ويُدعّم هذا وجود موميات فراعنة هذا العهد ولا دليل هناك على الموت

باسفكسيا الغرق .. ولعل هذا التهويل قد جاء من جرّة قلم دفعتها شطحاتُ خيال هذا المؤلف الذى استغرقه وصف عبور أسلافه هذه البحيرة بالكيفية التى رواها بينما يروح منعطفاً من عندها مواصلا الحديث فيقول بأنهم بعد ذلك ارتحلوا :

« من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور . فساروا ثلاثة أيام فى البرية ولم يجدوا ماء ! فجاءوا إلى مارّة .

ولم يقدروا أن يشربوا ماء لأنه مُرّ ! . »(١)

هذه رواية لم يتدخّل فيها خيالُ هذا المؤلف اليهودى تدخلا كبيراً لأن البيداء التى تقع شرقى « يم يوسف » كانت تُسمى بالمصرية القديمة « شيحور » أى بحيرة حور .. ولمّا كنا نعلم أن مياه حور هذه التى ذُكرت فى خطاب « بيبس » هى التى كان يُستخرج منها الملح ولا تصلح مياهها للشرب نعلم لماذا لم تجد جماعة إسرائيل خلال اقتطاعها هذه البيداء ماء صالحاً للإرواء..

ومن ثمّ :

« جاءوا إلى إيليم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة . فنزلوا هناك عند الماء . »(٢)

ثمّ ؟ ..

« ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بنى إسرائيل إلى برية سين التى بين إيليم وسيناء فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى بعد خروجهم من أرض مصر . » (٣)

---

(١) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »
(٣) الاصحاح ١٦ « سفر الخروج »

ثمّ ؟! .

« ارتحل كل جماعة بنى إسرائيل من برية سين . . ونزلوا فى رفيديم ..

فى حوريب ! . »(١)

ثم ! .

« ارتحلوا من رفيديم وجاءوا إلى برية سيناء ..

هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل! ».(٢)

وأخيراً ! .

وأخيراً بلغت جماعة إسرائيل سفوح سيناء . . وأمّـا كم كانت المدة الزمنية التى استغرقها هذا الترحال من مصر إلى سيناء ! فسؤال ، تتولى الإجابة عنه نفس هذه النصوص التى تصرّح قائلة :

« فى الشهر الثالث لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى ذلك اليوم جاؤا إلى برية سيناء ! . .(٣)

هذه هى المدة الزمنية التى اقتطعها بنو إسرائيل من مصر حتى سفوح سيناء .. مدة لم تتجاوز الشهر الثالث لطردهم من مصر . وهى فترة مرّت بهم وهم يمرّون على جهات ، كلها ، معمورة وآهلة بالناس .. وهذه هى قصة طرد بنى إسرائيل كما حدّثنا به مؤلّف هذا «السفر» وكما تتبعناها على الآثار الباقية بقدر المستطاع ونريد هنا أن نؤكد أن حادث هذا « الخروج » كان ثانوياً

(١) الاصحاح ١٧ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »
(٣) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »

بالنسبة للمصريين حيويـاً عند الإسرائيليين ولذلك لم نجده فى النقوش المصرية إلا عرضاً على حين دُونت أحداثه فى النصوص اليهوذية تدويناً سخياً ، وهو وإن كانت الأحوال كلها تدل على أنه حادث قد وقع فعلا غير أن كل الدلائل أيضاً تشير إلى أن تفاصيله قد دونت على حسب الدرجة العقلية التى كان عليها هذا المؤلف اليهوذى مما يمكننا من القول بأن القفار التى يذكرها لم تكن ، قط ، بمتاهات لأنها جهات ليست بعيدة عن جنوبى فلسطين ، وليس جبل سيناء إلا بجوار هذا الجنوب . فإننا نعلم أن القوافل منذ سَحَر التاريخ كانت تخترق الطريق الجارى بالقرب من شواطىء فلسطين فى ارتحالها عن مصر وفى الترحال إليها وهذا مما يحملنا نطرق أمام هذه النصوص ونُفكِّر . وأمّا عدد السنين الأربعين التى راحت ترويها الشفاه اليهوذية فأمر يحتاج إلى تحقيق لأننا إذا نظرنا إلى ذلك من الوجهة التاريخية واقتربنا إليه من الطريقة العلمية لتحتم علينا أن نقول إن ذلك كان من مؤلف « سِفْر الخروج » جهلا ذريعاً بالتاريخ !..

والآن !..

الآن يطيب للمسمع منا الاسترسال فى إصغائه إلى هذا المؤلف اليهوذى الذى راح يشحذ قلمه من جديد ويطلق على جناح الهوى للخيال منه العنان ليعود إلينا محدثاً عن تاريخ «بنى إسرائيل» فى سيناء غير أنه يأبى إلاّ أن يبدأ هذا التاريخ من « حوريب » .. ومن ثمَّ فهو يستهل حديثه قائلا بأن جماعة إسرائيل لم تحل فى حوريب إلاّ ؛

« وأتى يثرون حمو موسى وإبناه وامرأته إلى موسى إلى البرية حيث كان نازلاً عند جبل الله .

فقال لموسى ؛ أنا حموك يثرون آت إليك وامرأتك وابناها معها .

فخرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله . وسأل كل واحدٍ صاحبه عن سلامته . ثم دخلا إلى الخيمة . »(١)

وهنا يكمل مؤلف « سفر الخروج » روايته المفتراة هذه فيقول بأن إلى كاهن مدين ، داخل الخيمة ، خلا موسى ؛

« فقص موسى على حميه كل ما صنع الرب بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل ...

وقال يثرون ؛ مبارك الرب الذى أنقذكم من أيدى المصريين ومن يد فرعون ! ... الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة !.. »(٢)

لا جدال ، أن المؤلف اليهودى يريد أن يقول إن كاهن « إيل شداى » قد تحقق الآن بأن « يهوه » فوق جميع الآلهة وأنه بذلك قد أقر فى تلك الليلة التى مرت على تلك «الخيمة» من عمر الزمن وكان صبحها ذلك الغد الذى يتحدث عنه هذا المؤلف قائلاً ؛

« لما كان الغد جلس موسى ليقضى للشعب فوقف الشعب أمامه من الغداة إلى العشى .

فلما رأى حمو موسى جميع ما يصنع للشعب قال ؛ ما هذا الذى أنت تصنعه للشعب ؟ وما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقفون أمامك من الغداة إلى العشى ؟

فقال موسى لحميه ؛ إن الشعب يأتوننى فيتلمسوا أمر الله ، إذا كانت لهم دعوى يأتوننى فأقضى بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه .

---

(١) الإصحاح ١٨ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ١٨ « سفر الخروج »

فقال لموسى حموه : ليس ما تصنعه بحسن !. » (١)

وفى الواقع أن التاريخ الدينى لهذه الجماعة الفطرية ليدلنا على أنها لم تكن فى مُستهل حياتها تدرى أى عمل لغضب الرب جلاب وأى الأعمال لمرضاته جاذب .. فلم تكن لها شريعة تَعرف فى لائحة أحكامها وقوانينها الفرائض والعبادات .. لهذا السبب كما يقول هذا المؤلف اليهودى :

« قال حمو موسى له : ليس جيداً الأمر الذى أنت صانع . إنك تكِلّ ! . . .

الآن اسمع لصوتى فأنصحك . .

كُنْ أنت للشعب أمام الله وقدّم أنت الدعاوى إلى الله .

وعلّمهم الفرائض والشرائع وعرّفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه وأنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة .. وتُقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء عشرات . فيقضون للشعب كل حين . ويكون أنّ كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك . .

إن فعلت هذا الأمر .. تستطيع القيام !.

فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال . » (٢)

وهنا ..

هنا يجب علينا أن نتمهّل قليلا أمام هذه النصوص التى مرّت الأجيالُ بها مروراً عابراً غافلة عن ما تحمل فى ثناياها من جرثومةٍ خطرة هى بهذا التنظيم الجديد ، تُكوّن نواة « دولة » رَمَى إليها هذا المؤلف بنظره

---

(١) الاصحاح ١٨ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٨ « سفر الخروج »

بينما كان على شاطىء الفرات يرسف فى قيود الأسر البابلى ويمهد لها بهذه السطور التى منح بها نفسه مطلق الحرية فى أن يتحدث عن موسى ، عليه السلام ، وفق هواه ويسترسل فى حديثه من حيث حلت جماعة إسرائيل فى «حوريب» ليقول إنها لم تحل هناك إلا لردح من الزمن قصير ثم غادرته إلى سفوح سيناء .

والآن .. الآن وقد وصل مؤلف «سفر الخروج» إلى سيناء نراه يشمر عن ساعديه ويبدأ فى صياغة رواية جديدة يستهلها من حيث قال :

« فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من أرض مصر ... جاؤا إلى برية سيناء .. وهناك نزل إسرائيل مقابل الجبل وأما موسى فصعد إلى الله ! . »(١)

وهنا ، يجب أن نتنبه إلى أن هذا المؤلف اليهودى إذ يستعمل فى نصوصه كلمة « الله » فليس المقصود بهذه الألوهية إلا « يهوه » .. وليس إلا عن « يهوه » هذا يتحدث هذا المؤلف اليهودى ويكمل روايته هذه قائلا و :

« صعد موسى إلى الله فناداه الرب من الجبل قائلاً :

كذا تقول لآل يعقوب وتخبر بنى إسرائيل : أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين !.. فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب !! . . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة ! . »(٢)

---

(١) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

مملكة ؟ .. وأُمةً ؟ ! .

لا جدال فى أن الأسس التى ألقاها هذا المؤلف اليهوذى فى حوريب بتنصيبه على الجماعات رؤساءَ ينقسمون إلى عدة مراتب هى التى قد بدأ يشيّد عليها البناء فى سيناء حيث راح يُسطّر بأن هناك قد سجّل الزمنُ تكوّن « الكهنوت الإسرائيلى » وقيام « مملكة كهنة » ونشأة « أمة مقدسة » و « شعب مختار » ..

يُحدثنا مؤلف « سِفر الخروج » بأن الكهانة قد بدأت لدى هذه الجماعة قبل أن يبدأ عندها الدين وإنَّها إلى « أُمة » قد تحوَّلت فى ذلك اليوم الذى كان عهدها فيه بالخروج من مصر غير بعيد يوم شاهدت فيه ، لأول مرة ، جبل سيناء فوقفت أمامه مبهورة بينما راح يهز الأعطاف منها شوقٌ إلى « يهوه » مُلِحٌّ يأبى إلاَّ الرؤية ! .

إن هذه الجماعة تريد أن ترى ربَّها ! .

وهنا نصغى إلى رواية المؤلف اليهوذى وهو يحدثنا عن هذا الحدَث قائلا بأن عند ذاك :

« ردَّ موسى كلام الشعب إلى الربِّ . فقال الربُّ لموسى :

ها أنا آتٍ اليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلَّم معك فيؤمنوا بك ..

اذهب إلى الشعب وقدّسهم اليوم وغداً . وليغسلوا ثيابهم . ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه فى اليوم الثالث ينزل الربّ أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء ! . » [1]

---

(١) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »

غفرانك يا ألله ! .

مرة أخرى لا يسعنا إلاّ الاستغفار أمام هذه النصوص التى وإن كانت لا تعنى بالربّ هذا إلاّ « يهوه » إلا أنها قد راحت تتجاوز المدَى فى افترائها على موسى ، عليه السلام ، بقولها هذا عنه وهو أنه قال إن الربّ سينزل أمام عيون بنى إسرائيل وذلك ليؤمنوا بصدقه فيما قال وإن ذلك سيكون بعد ثلاثة أيام وإن عليهم الاستعداد ، خلال هذه الأيام المحددة ، لملاقاة الربّ نازلاً فى ظلام السحاب إلى قمة سيناء . عليهم أن يغسلوا ثيابهم ويتهيأوا .

ولكن .. حذار !..

« احترزوا من أن تصعدوا الى الجبل أو تمسّوا طرفه !

كل من يمسّ الجبل يُقتل قتلاً ! ..

يُرجم رجماً ! أوْ يُرمى رمياً ! بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش !.» (١)

ولكن :

« عند صوت البوق فهم يصعدون الى الجبل !. » (٢)

واستعدّ بنو إسرائيل ، على حدّ رواية هذا المؤلف اليهودى ، وغسلوا ثيابهم وارتدوها نظيفة وبدأوا يزحفون نحو سفوح الجبل بينما أرهفت منهم المسامع تنتظر سماع دوىّ البوق من أعلى يُعلن نزول الرب على الجبل و :

حدَث فى اليوم الثالث لمّا كان الصباح أنّه صارت

---

(١) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة ! . »[١]

ارتعد كل فردٍ كان فى هذه المحلَّة ثمّ مذعوراً ، على حد قول هذا المؤلف ، تراجع عن مطالبه الأفرادُ من هذه الجماعات ولـكن ؛

« أخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ! . »[٢]

« الله » ؟ ! .

كلا ؟ . إننا لم ننس أنّ هذا المؤلف اليهودى إذ يتكلّم عن « يهوه » بصيغة الأُلوهية فانه لا يعنى فى واقع القول إلاّ إله إسرائيل هذا الذى يحدثنا عنه قائلاً بأنّ « شعبه » قد خرج بجموعه لملاقاته وأنهم فى انتظار نزوله على الجبل تراصّوا ؛

« ووقفوا فى أسفل الجبل .. »[٣]

ثمّ !

ثم ماذا حدَث ! .

سؤالٌ نلقيه إلى مؤلف هذا « السفْر » بينما نلقى إليه المسمع منّا ونحن نسمعه يحدثنا قائلا بأن سرعان ما جاءت اللحظة المرتقبة ! . فلقد تلبّدت سماء سيناء بالغيوم وجاءجات جوانبها بالرعود .. وما برقت فى الأُفق البروق إلاّ وانطلق بوق من مُحتجب مصدر يُعلن أنه قد ؛

« نزل الربّ على جبل سيناء ! »[٤]

---

(١) الاصحاح ١٩ سفر الخروج (٢) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »
(٣) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج » (٤) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

«كان جبلُ سيناء كلّه يُدَخّنُ من أجل أن الربّ نزل

عليه بالنار.(١)

بالنار ؟ ! .

سؤالٌ نلقيه عَبْر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودى وبالشرح لا يضنّ علينا هذا المؤلف الذى يكمل روايته هذه قائلاً بأن إله إسرائيل قد نزل، للإلتقاء بأبناء إسرائيل، بالنار وأن لهذا قد دخّن جبل سيناء كله؛

«وصعد دخانه كدخان الأتون ! .(٢)

وهكذا يروح مُؤلف «سفر الخروج» يُصوّر لنا على شريط الماضى هذا المشهد الذى استوحاه من وحى خياله العجيب بينما يستطرد فى حديثه مسترسلاً يقول بأن أمام دخان متكاثف أخذ يزداد تكاثفاً وأمام بوق منطلق أخذ يتزايد دويه على دوىٍّ دويّاً أشتد الفزع بهذه الجماعة، فلقد؛

«كان صوتُ البوقِ يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلّم

واللهُ يجيبه بصوت ! . .»(٣)

صورةٌ صارخةُ الألوان من صُوَر الأساطير إنما هى هذه الصورة التى يُصوّرها هذا المؤلف اليهودى للسفر الثانى من «الأسفار الخمسة» المنسوبة افتراءً إلى موسى !.. بل وإنها لصورة استنفدت من هذا المؤلف جهداً فى تصويرها حتى أنه غفل عن اختلاق صيغة يحدثنا بها عن لون ذلك الحديث الذى دار بين المُتكلّم، كما يدعى، والمجيب بينما كان بنو إسرائيل فى سفح

(١) الاصحاح ١٩ «سفر الخروج» (٢) الأصحاح ١٩ «سفر الخروج»
(٣) الاصحاح ١٩ «سفر الخروج»

الجبل يسمعون .. وكأنما قد شحت قريحته فاكتفى بأن يقول بأن عند ذاك ؛

« دعا اللهُ موسى إلى رأس الجبل . فصعد موسى . . »(١)

ولكن ، هذا المؤلف قد نسى ماقد سطر قبل قليل حينما قال بأن على هذه الجماعة عند سماعها البوق أن تصعد الجبل ، كما بذلك جاءت التعليمات من قبل ، فراح يُسطّر بأن عند ذاك ؛

« قال الربّ لموسى ؛ انحدر حذّر الشعب لئلاّ يقتحموا إلى الربّ لينظروا فيسقط منهم كثيرون ! وليتقدّس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الربّ لئلا يبطش بهم الربّ ! ..

اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك .»(٢)

وهنا .. يُشمّر هذا المؤلف اليهوذى عن ساعديه مُستجمعاً قواه من جديد ويسترسل محدثاً بأن موسى قد انحدر من حيث كان الدخان يتصاعد حاملاً إليهم هذه الشريعة وكلمهم قائلاً ؛

لقد ؛

« تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً ؛

أنا الربّ إلهك ! . .

لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .

لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ممّا فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض .

لا تسجد لهنّ ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور

---

(١) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

افتقد ذنوب الأباء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى . واصنع إحساناً إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى .

لا تنطق باسم الربّ إلهك باطلا . لأنّ الربّ لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً .

اذكر يوم السبت لتقدّسه !

ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وإبنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك . لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الربّ يوم السبت وقدسه .

أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يُعطيك الرب إلهك .

لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولاعبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك . »(١)

لا جدال فى أن فى بعض ما تتضمنه هذه النصوص نواحى أخلاقية رفيعة إلا أننا لن نتبيّن أبداً ماهية هذه القيم الأخلاقية ومرتبتها بين القوانين الوضعية لعالم الشرق القديم إلاّ تحت أضواء العصور السباقة على وجود « بنى إسرائيل » ، وذلك مكانه بعد صفحات .. وأمّا الآن فحسبنا أن نتابع مؤلف « سفْر الخروج » وهو يخرج بنا من هذا المشهد محاولا اقناعنا بأن

(١) الإصحاح ٢٠ « سفرالخروج »

« الصوت » عن أعالى سيناء جاء رهيباً أترع الجوانب عن هذه الجماعة بالفزع حتى أنهم قد :

« ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى : تكلّم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم الله معنا لئلا نموت !

فقال موسى للشعب : لا تخافوا !. »(١)

لا تخافوا ! .

« لا تخافوا لأنّ الله إنما جاء لكىْ يمتحنكم ولكىْ تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تُخطئوا .

فوقف الشعب من بعيد .

وأما موسى فاقترب من الضباب حيث كان الله !.. »(٢)

وفى الضباب حدث أنْ :

« قال الربّ لموسى ، هكذا تقول لبنى إسرائيل :

أنتم رأيتم أننى من السماء تكلّمت معكم .

لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب .

مذبحاً من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غنمك وبقرك . فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكراً آتى إليك وأباركك .

وإن صنعت لى مذبحاً من حجارة فلا تبنه منها منحوتة . إذا رفعت عليها إزميلك تُدنّسها . ولا تصعد بدرج إلى مذبحى كيْلا تنكشف عورتك عليه ! . »(٣)

---

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »
(٣) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

وهنا .. هنا يريد هذا المؤلف اليهوذى أن يقول بأنّ فى ذلك « اليوم » قد سُجل فى سجلِّ الأديان قيام الدين اليهودى ..

إن الدين اليهودى ، هـذا الدين الذى يدين به يهود العالم اليوم والذى يعود بوجوده المباشر إلى خادم موسى ، يشوع بن نون ، كما سيتجلى ذلك بعد قليل ، ليس هو ، كما يدّعى مؤلف «سفر الخروج» ، بدينٍ إلى موسى يعود.. ثمّ إنه دين لن نستطيع أن نستجليه تمام الاستجلاء ما لم نستعرض الأحكام التى كونته وهذه تضم السُّنن التى أستنها والتكاليف التى فرضها على أتباعه من تلك المجموعة من الناس التى كانت لا تُؤلفها الاّ وحدة الأرومة وإلاّ مجموعة تقاليد وبعض قيَم ورثتها عن أصول مختلفة من أمم الشرق القديم فلا دين هناك بين أفراد هذه الجماعة كان يُوحِّـد ولا شريعة هناك كانت على قوانينها هذه الجماعة تسير حتى ، كما يحدثنا المؤلف اليهوذى ، كان ذلك « اليوم » الذى كلمهم فيه إلهـهم من أعالى الجبل وجاءهم بتلك الشريعة التى كونتها القيَمُ الأخلاقية التى بسردها قد مررنا والتى على أثرها جاءت « الأحكام » . وهنا نستطيع أن نقول إنه لمـّا كان الحـكم على أية شريعة يأتى من نفس الأحكام التى تأتى بها وبالتالى لمّـا كان الحكم على أية جماعة دينية يأتى من نفس ماتتقبـّله هذه الجماعة من أحكام فلابدّ لنا من مواصلة الإصغاء الى هذا المؤلف وهو يواصل الحديث مُسجلاً تلك الأحكام التى يقول عنها بأنها جاءت فى سيناء ، مقتطفين منها مافيه الكفاية للدلالة على مكانة هذه الجماعة البدائية فى درجات الاجتماع .. فالمؤلِّـف اليهوذى يحدثنا بأن فى ضباب سيناء ، أيضاً ، حدث أن « قال الربّ لموسى » :

« وهذه هى الأحكام التى تضع أمامهم :

اذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حُرًّا ...

من ضرب إنساناً فمات يُقتل قتلاً ولكن ! الذى لم يتعمد بل أوقع الله فى يده فأنا أجعل مكاناً يهرب إليه …

اذا نطح ثورٌ رجلا أو امرأة فمات يُرجم الثور ! . وأما صاحب الثور فيكون بريئاً ! ..

إن نطح الثور عبداً أو أمةً يُعطى سيده ثلاثين شاقل فضة والثور يُرجم ! ..

وإذا نطح ثورُ إنسانٍ ثورَ صاحبه فمات يبيعان الثور الحى ويقتسمان ثمنه والميت أيضاً يقتسمانه لكن ! اذا علم أنه ثور نطّاح من قبل ولم يضبطه صاحبه يعوّض عن الثور بثور والميت يكون له .»(١)

ثمّ ؟ .. ثم ؛

« كل من اضطجع مع بهيمة يُقتل قتلاً !

من ذبح لآلهة غير الربّ يهلك …

لا تسبّ الله . لا تلعن رئيساً فى شعبك ! ..

وأبكار بنيك تُعطينى ! كذلك تفعل ببقرك وغنمك . سبعة أيام مع أمه وفى اليوم الثامن تعطينى إياه ! .(٢)

ثم ؟. ثم ؛

« ثلاث مرات تُعَيِّد لى فى السنة .

تحفظ عيد الفطر تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك فى وقت شهر أبيب لأنه فيه خرجت من مصر . ولا يظهروا أمامى فارغين !

---

(١) الإصحاح ٢١ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٢٢ « سفر الخروج »

وعيد الحصاد أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل .

وعيد الجمع فى نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل .

ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الربّ .

لا تذبح على خمير دم ذبيحتى . ولا يبت شحم عيدى الى الغد !

أول أبكار أرضك تحضره الى بيت الربّ إلـهك .

لا تطبخ جدياً بلبن أمه ! . . »(١)

هذا هو اللّون الجوهرى من هذه « الأحكام » التى يرويها هذا المؤلف اليهوذى ويقول إنها جاءت إلى جماعةٍ ما حلت فى سفح سيناء إلاّ واستعر بين ضلوعها اللهيب المتأجج شوقاً إلى بلوغ « الأرض الموعودة » !.. ثمّ ليتخذ هذا المؤلف من هذه الرغبة مادة يستهل بها مرحلة جديدة خطرة فى تاريخ عقيدة « الأرض الموعودة » إذ يجعل الصفحات منها تبـدأ على سفوح سيناء فى الانتشار . .

ويقيناً .. إن مؤلف « سفر الخروج » ليتّـخذ من سفوح سيناء صفحة يُسطّـر عليها تاريخ « بيوت إسرائيل » أو هذه الجماعة التى يُحدثنا عنها قائلاً بأنها ما حلـّت سفوح سيناء إلاّ وألهبت فكرةُ « الأرض الموعودة » منها المخيلة حتى المـدَى الذى بدأت به هذه « البيوت » تُطالب بامتلاك « الأرض الموعودة » ...

ولـكن ! . . ها هى ذى الأيام من حولها تنصرف رتيبة والأمل بامتلاك « الأرض الموعودة » يتباعد حتى ليبدو فى مدى التفكير سراباً يدفع بها إلى التململ فالملل ! .

الاصحاح ٢٣ « سفر الخروج »

أين « الوعد » ؟..

هَمهمَةٌ أطلقها مؤلف « سفْـر الخروج » على سفوح سيناء وجعل رياح الشكّ تدفعها من كل جانب بينما سكن إلى نفسه يتساءل : علامَّ اللَّجج ؟! . صبراً ، فماذا لو أنَّ « يهوه » لإسرائيل يقول :

« ها أنا مُرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته .. فانّ ملاكى يسير أمامك ويجىء بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم !..

أرسل هيبتى أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأُعطيك جميع أعدائك مدبرين . وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحيثيين من أمامك ! .(١)

ولكن !..

« لا اطردهم من أمامك فى سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ! قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تُثمر وتملك الأرض . واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر !

فإنى أدفع إلى أيديكم سُكانَ الأرض فتطردهم من أمامك !

لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً !

لا يسكنوا فى أرضك لئلا يجعلوك تخطىء إلىَّ ! . »(٢)

ومن هنا ينعطف مؤلف «سفر الخروج» ناحية العاطفة ويقول.. وهكذا :

---

(١) الإصحاح ٢٣ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

« جاء موسى وحدّث الشعب بجميع أقوال الربّ وجميع الأحكام . فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا ؛ كل الأقوال التى تكلّم بها الربُّ نفعل .

فكتب موسى جميع أقوال الربِّ .

وبكّر فى الصباح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل وإثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الإثنى عشر . وأرسل فتيان بنى إسرائيل فأصعدوا مُحرقات وذبحوا ذبائح سلامة للربِّ من الثيران .

فأخذ موسى نصف الدم ووضعه فى الطسوس . ونصف الدم رشّه على المذبح . .

وأخذ موسى الدم ورشّ على الشعب وقال ؛

هو ذا دم العهد الذى قطعه الربُّ معكم على جميع هذه الأقوال ! . »(١)

ثمّ إنّ الربّ ؛

« قال لموسى ؛ اصعد إلى الربِّ أنت وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد .

ويقترب موسى وحده إلى الربّ وهم لا يقتربون . وأمّا الشعب فلا يصعد معه . »(٢)

ثمّ ؟ ! . .

« ثمّ صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل ! » (٣)

---

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٢٤ سفر « الخروج »
(٣) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

« رأوا إله إسرائيل » ؟!..

سؤال ، نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى ، وهو علينا لا يضن بالجواب . . بل يجيبنا بالإيجاب قائلا :

« رأوا إله إسرائيل ! وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفّاف وكذات السماء فى النقاوة .

ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل . » (١)

أمام هذه الرواية التى تسجلها نصوصٌ من هذا « السفر » تُصرِّح كل الصراحة فى قولها بأن أشراف إسرائيل رأوا « إله إسرائيل » رأى العين ورأوا رجليه ورأوا يده لا يسع الفكرُ منّا إلا أن يطرق للحظة ! لاسيّما والنصوص فى هذه الرواية قد تجاوزت المدى اذ استرسلت تقول بأن أشراف إسرائيل قد عادوا يقولون للجماعة المنتظرة فى أسفل الجبل بأنهم قد رأوا إله إسرائيل وأنّه وإن كان لم يمد لهم يده فانما هم معه قد :

« . . أكلوا وشربوا ! . . »(٢)

والآن ؟.

الآن يحق لنا أن نتساءل : أية الصلات كانت الصلة التى يحملها هذا المؤلِّف اليهودى قائمة بين « يهوه » وبين « جماعة يهوه » ؟ !

لا جدال فى أن « مشكلة الصلة » تُعتبر فى الدوائر الفكرية أهمّ ناحية فى مشكلة التفكير الإلهى وأعمق مشكلات الألوهية إطلاقاً ولكننا إذ نلتقى فى هذا الصدد هذا السؤال فليس إلاّ لنترك الإجابة عنه لهذه النصوص

---

(١) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

التى تأتينا بصورة عن هذه « الصلة » ساذجة كل السذاجة ، نابعة من نفس، تفكيرها عن « يهوه » نفسه وآتية من خلال تصويرها لألوهية «يهوه» ولماهية هذه الألوهية !.. ولما كان العقل فى هذه الجماعة لم يتعرّض لمشكلة ما من مشكلات التفكير الإلهىّ فقد أخذت هذه الجماعة هذه العقيدة عن هذه النصوص وكما صوّرها لها هذا المؤلف اليهودى الذى يأبى إلا أن يكمل تصويره لهذه الصورة فيسترسل محدثاً بأنه بينما كان أشراف إسرائيل يحدثون الجماعة عن رؤيتهم فى أعلى لإله إسرائيل وكيف رأوا رجليه وكيف أكلوا معه وشربوا إلاّ وأعقب ذلك أن :

« قال الربُّ لموسى : اصعد إلىّ إلى الجبل وكُنْ هناك .

فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم .

فقام موسى ويشوع خادمه . وأما الشيوخ فقال لهم :

اجلسوا ههنا حتى نرجع اليكم وهو ذا هرون وحور معكم .. فغطّى السحابُ الجبل .. ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل .

وكان موسى فى الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة . »(١)

وهنالك . . هناك « فى وسط السحاب » :

«كلم الربُّ موسى قائلا :

كلِّم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة ! من كلّ مَن يحثه قلبه تأخذون تقدمتى . وهذه هى التقدمة التى تأخذونها منهم :

ذهب وفضّة ونحاس !

واسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص وجلود كباش

---

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

محمرّة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة . فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم . . »(١)

كيف ؟...

لا حاجة بنا إلى القاء هذا السؤال فانّما بالتفصيل يجىء من هذا المؤلف اليهوذى الإيضاح بأن « إله إسرائيل » قد واصل الكلام واضعاً شروط المسكن وفى وسط بنى إسرائيل فلقد :

« كلّم الربّ موسى قائلا ..: بحسب جميع ما أنا أُريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون :

فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وارتفاعه ذراع ونصف . وتُغشيه بذهب نقى . من داخل وخارج تغشيه ! وتصنع عليه أكليلا من ذهب حواليه وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع . على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان . .

وتضع فى التابوت الشهادةَ التى أعطيك .

وتصنع غطاء من ذهب نقىّ طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف ، وتصنع كروبين من ذهب . صنعة خراطة تصنعهما على طرفى الغطاء .

فاصنع كروباً واحد على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك ! . ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر . نحو الغطاء يكون

(١) الاصحاح ٢٥ « سفر الخروج » .

وجها الكروبين وتجعل الغطاء على التابوت من فوق ...

وأنا أجتمع بك هناك!

واتكلم معك من على الغطاء ، من بين الكروبين

الذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل !. »(١)

ثم ؟ !. ثم ؛

« تصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وارتفاعها ذراع ونصف . وتُغشّيها بذهب نقى . وتصنع لها إكليلا من ذهب حواليها . وتصنع لها حاجباً على شبر حواليها . وتصنع لحاجبها إكليلا من ذهب حواليها ..

وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التى يسكب بها من ذهب نقى ! ..

وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامى دائماً ! . . . »(٢)

ثمّ ؟ . ثم ؛

« تصنع منارة من ذهب نقى !

تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها . وست الشعب خارجة من جانبيها . . .

فى الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر . وفى الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر . وهكذا إلى الست الشعب الخارجة من المنارة . .

جميعها خراطة واحدة من ذهب نقى !

وتصنع سرجها سبعة . فتصعد سرجها لتضىء إلى مقابلها .

وملاقطها ومنافضها من ذهب نقى . من وزنة ذهب

(١) الإصحاح ٢٥ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٢٥ « سفر الخروج »

نقىٍ تصنع مع جميع هذه الأوانى ! »[1]

إن هذه لإنارة « المسكن » . وأما « المسكن » ؟ ...

« وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم وأسمانجونى وأرجوان وقرمز .

بكروبيم صنعة حائك حاذق تصنعها !

طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعاً وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع .

قياساً واحداً لجميع الشقق !

تكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض وخمس شقق بعضها موصول ببعض . وتصنع عرى من أسمانجونى على حاشية الشقة الواحدة فى الطرف ومن الموصل الواحد . وكذلك تصنع فى حاشية الشقة الطرفية من الموصل الثانى .

خمسين عروة تصنع فى الشقة الواحدة وخمسين عروة تصنع فى طرف الشقة الذى فى الموصل الثانى . تكون العرى بعضها مقابل لبعض .

وتصنع خمسين شظاظاً من ذهب . وتصل الشقتين بعضها ببعض بالأشظة فيصير المسكن واحداً .

وتصنع شققاً من شعر معزى خيمة على المسكن . احدى عشرة شقة تصنعها ، طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعاً وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع .

قياساً واحداً للاحدى عشرة شقة !

وتصل خمساً من الشقق وحدها وستاً من الشقق وحدها وتثنى الشقة السادسة فى وجه الخيمة . . . .

---

(١) الاصحاح ٢٥ « سفر الخروج »

وتصنع غطاء للخيمة من جلود كباش محمرّة . وغطاء من جلود تخس من فوق .! » (١)

ثم ، ماذا بعد ذلك ! . . بعد ذلك ؛

« تصنع الألواح للمسكن من خشب السنط . .

طول اللوح عشرة أذرع وعرض اللّوح الواحد ذراع ونصف ...

وتصنع الألواح للمسكن عشرين لوحاً إلى جهة الجنوب نحو التيمّن ...

ولجانب المسكن الثانى إلى جهة الشمال عشرين لوحاً ... ولمؤخر المسكن نحو الغرب تصنع ستة ألواح . . .

وتصنع عوارض من خشب السنط . خمساً لألواح جانب المسكن الواحد . وخمس عوارض لألواح جانب المسكن الثانى . وخمس عوارض لألواح جانب المسكن فى المؤخر نحو الغرب . والعارضة الوسطى فى وسط الألواح تنفذ من الطرف إلى الطرف . وتغشى الألواح بذهب . وتصنع حلقاتها من ذهب .. وتغشى العوارض بذهب .

وتقيم المسكن كرسمه الذى أظهر لك فى الجبل !. » (٢)

ثمّ ، ما ذا بعد ذلك !.. بعد ذلك ؛

« تصنع حجاباً من أسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم . صنعة حائك حاذق يصنعه بكروبيم !

وتجعله على أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب . رززها من ذهب ! ..

---

(١) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »

وتجعل الحجاب تحت الأشظة . وتدخل إلى هناك داخل الحجاب
تابوت الشهادة فيفصل لكم الحجاب بين القدس وقدس الأقداس .

وتجعل الغطاء على تابوت الشهادة فى قدس الأقداس . وتضع
المائدة خارج الحجاب والمنارة مقابل المائدة على جانب المسكن نحو
التيمن . وتجعل المائدة على جانب الشمال .

وتصنع سُجُفاً لمدخل الخيمة من أسمانجونى وأرجوان
وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز !

وتصنع للسّجف خمسة أعمدة من سنط وتغشيها بذهب ،
رززها من ذهب ! . . »(1)

ثمّ ، ماذا بعد ذلك !. بعد ذلك ؛

« تصنع المذبح من خشب السنط ! طوله خمس أذرع
وعرضه خمس أذرع مُربَّعاً يكون المذبح . وارتفاعه ثلاث أذرع . .

وتصنع قدوره لرفع رماده ورفوشه ومراكنه ومناشله
ومجامره جميع آنيته تصنعها من نحاس . .

كما أظهر لك فى الجبل هكذا يصنعونه !. »(2)

ثمّ ! . ثم ؛

« تصنع دار المسكن !..

طول الدار مئة ذراع وعرضها خمسون بخمسون وارتفاعها
خمس أذرع من بوص مبروم وقواعدها من نحاس .

---

(1) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »
(2) الاصحاح ٢٧ « سفر الخروج »

جميع أوانى المسكن فى كل خدمته وجميع أوتاده وجميع أوتاد الدار من نحاس !

وأنت تأمر بنى إسرائيل أن يُقدّموا إليك زيت زيتون مرضوض نقياً للضوء لإصعاد السرج دائماً ! . »(١)

ثمّ ! . . ثم بعد ذلك ؛

« قرّب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بنى إسرائيل ليكهن لى !

هرون ناداب وأبيهو اليعاذار وإيثامار بنى هرون .

واصنع ثياباً مقدّسة لهرون أخيك للمجد والبهاء !

وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثيابَ هرون لتقديسه ليكهن لى .

وهذه هى الثياب التى يصنعونها ؛

صدرة ورداء وجبّة وقميص مخرّم ، وعمامة ومنطقة . .

فيصنعون الرداء من ذهب واسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة حائك حاذق ! . .

وتصنع طوقين من ذهب . وسلسلتين من ذهب نقىٍّ . مجدولتين تصنعهما صنعة الضفر وتجعل سلسلتى الضفائر فى الطوقين .

وتصنع صدرة قضاء . . . تكون مربّعة مَثنيّة طولها شبر وعرضها شبر . وترصّع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . صفّ عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرّد الصفّ الأول . والصف الثانى بهرمان وياقوت

(١) الأصحاح ٢٧ « سفر الخروج »

أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهر وبشم وجمشت . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب .

تكونُ مطوّقة بذهب فى ترصيعها ! ..

وتصنع على الصدرة سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نقى ...

وتصنع جبّة الرداء كلها من أسمانجونى وتكون فتحة رأسها فى وسطها ... وتصنع على أذيالها رُمّانات من أسمانجونى وأرجوان وقرمز على أذيالها حواليها . وجلاجل ذهب بينها حواليها .

جلجل ذهب ورمانة جلجل ذهب ورمانة على أذيال الجبّة حواليها . فتكون على هرون للخدمة ليُسمع صوتها عند دخوله إلى القدس أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت ! ...

ولبنى هرون تصنع أقمصة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء .

وتُلبس هرون أخاك إيّاها وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لى .

وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة .»(١)

وأما ماذا « تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا لى » فإنما :

« هذا ما تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا لى :

خذ ثوراً واحداً ابن بقر وكبشين صحيحين . وخبز فطير وأقراص فطير ملتوتة بزيت . من دقيق حنطة تصنعها . وتجعلها فى سلة واحدة وتقدّمها فى السلة مع الثور والكبشين .

---

(١) الإصحاح ٢٧ « سفر الخروج »

وتُقدِّم هرون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء .

وتأخذ الثياب وتُلبس هرون القميص وجبّة الرداء والرداء والصدرة وتشدّه بزنار الرداء . وتضع العمامة على رأسه وتجعل الإكليل المقدّس على العمامة . وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه ..

وتُقدّم الثور إلى قدّام خيمة الاجتماع . فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الثور .

فتذبح الثور أمام الربّ عند باب خيمة الاجتماع . وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بأصبعك وسائر الدم تصبّه إلى أسفل المذبح .

وتأخذ كل الشحم الذى يُغشّى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشّحم الذى عليهما وتُوقدها على المذبح .

وأمّا لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنار خارج المحلّة .

هو ذبيحة خطيّة .

وتأخذ الكبش الواحد فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش .

فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشّه على المذبح من كل ناحية. وتقطع الكبش إلى قطعه . وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه . وتُوقد كل الكبش على المذبح .

هو محرقة للربّ . رائحة سرور ! وقود هو للربّ !

وتأخذ الكبش الثانى فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش .

فتذبح الـكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن هرون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى . وعلى أباهم أيديهم اليمنى . وعلى أباهم أرجلهم اليمنى . وترشّ الدم على المذبح من كل ناحية !

وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هرون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه .

ثمّ تأخذ من الكبش الشحمَ والأليّـة والشحم الذى يُغشّى الجوف وزيادة الـكبد والـكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى . فإنه كبش ملىء . ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب . وتضع الجميع فى يدى هرون وبنيه تُردّدها ترديداً أمام الربّ . ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة .

رائحة سرور أمام الربّ . وقود هو الربّ !

ثمّ

تأخذ الفصَّ من كبش الملىء الذى لهرون وتُردده ترديداً أمام الرب فيكون لك نصيباً ! وتُقدِّس فص الترديد وساق الرفيعة الذى ردد والذى رفع من كبش الملىء ممَّـا لهرون وبنيه . فيـكونان لهرون وبنيه ...

وأما كبش الملىء فتأخذه وتطبخ لحمه فى مكان مقدس . فيأكل هرون وبنوه لحم الـكبش والخبز الذى فى السـلة عند باب خيمة الاجتماع ..

وإن بقى شىء من لحم الملىء أو من الخبز إلى الصـباح تحرق الباقى بالنار . لا يؤكل لأنه مقدّس !

وتصنع لهرون وبنيه هكذا بحسب كل ما أمرتك . سبعة أيام تملأ أيديهم .

وتُقدّم ثور خطية كل يوم لأجل الكفّارة .

وتطهّر المذبح بتكفيرك عليه وتمسحه لتقديسه . سبعة أيام تكفر على المذبح وتقدسه فيكون المذبح قدس الأقداس !.. » (١)

وأمّا ما ذا سيقدّم على المذبح ؟ . . فسؤال نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى وليأتينا منه هذا الجواب :

« هذا ما تُقدّمه على المذبح :

خروفان حوليان كل يوم دائماً !

الخروف الواحد تُقدمه صباحاً

والخروف الثانى تقدمه فى العشيّة .

وعُشْر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرضّ .

وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد .

والخروف الثانى تقدمه فى العشية مثل تقدمة الصباح وسكيبة تصنع له .

رائحة سرور وقود للربّ !

مُحرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع ... حيثُ اجتمع بكم لأكلمك هناك ! . » (٢)

ثمّ ؟! .

---

(١) الاصحاح ٢٩ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٩ « سفر الخروج »

ثمَّ :

كلّم الربُّ موسى قائلاً :

وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب !

مُرّاً قاطراً خمس مئة شاقل

وقرفة عطرة نصف ذلك مئتين وخمسين

وقصب الذريرة مئتين وخمسين

وسليخة خمس مئة ، بشاقل القدس . ومن زيت الزيتون هيناً .

وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة ! .. »(١)

لا يسعنا أمام هذه النصوص إلاّ أن نتوقف قليلاً لأنّ هذا المؤلف اليهودى يحمل إلينا بها نغمة هى على بنى إسرائيل جديدة كل الجدّة لا لأنه لا عهد لإسرائيل بها فى تلك الفترة الزمنية التى يتحدث عنها هذا المؤلف فحسب وإنّما لأن هذه العناصر التى تجمع هذا الجمع و « بالزيت المقدس » تمزج وتعد « للمسحة » لم نعرفها إلاّ لمصر القديمة وكانت قاصرة على الملوك يوم كانت قبضتهم تمتلك السُّلطة الدينيـة إلى جانب المدنيـة فأى هدف ، من ثمّ ، يستهدفه مؤلف « سفر الخروج » من وراء هذه النصوص ؟ ! .

أيريد هذا المؤلف اليهودى أن يُشير لنا بهذا القول إشارة لا نكون مخطئين إذا قلنا إنها إشارة مباشرة بأن موسى كان يريد أن يصبح ، بهذه « المسحة » ، فى بنى إسرائيل مَلِكا ؟

لاشك فى أن هذا ما يدّعيـه هذا المؤلّف وأنه بهذا القول ليغبن لموسى ، عليه السلام ، رسالة هو عنها لاهٍ بهذا الحديث الذى يجعله صادراً

(١) الإصحاح ٣٠ « سفر الخروج »

عن « إلـه إسرائيل » إلى موسى والذى يختتمه بهذا النص :

« ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحَى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله !. »[1]

ولكن !..

هنا يطالع علينا مؤلف « سِفْر الخروج » برواية جديدة عن حدَثٍ آخر جديد .. فهو يحدثنا عن لوافح ذلك الشك العاصف الذى عصف بالقلب من إسرائيل وأحاط بموسى فى خلال تلك الليالى التى غابها فى معارج سيناء .. وليقول لنا بأن هذا الشك قد اتّخذ مظهر الحنين اللاّعج إلى ما قد ترك « بيوت إسرائيل » فى مصرَ من ألوان عبادة شعبية رمزت إلى معبودها بتمثال عجل ..

ومن ثم فليولى المسمع منا إلى هذا المؤلف الإصغاء وهو يواصل الحديث قائلا :

« ولما رأى الشعبُ أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّ هذا موسى ، الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه !

فقال لهم هرون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها .

فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هرون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكا !...

فلما نظر هرون بَنَى مذبحًا أمامه ونادى هرون وقال : غداً عيد للربّ !

(١) الاصحاح ٣١ « سفر الخروج »

فبكّروا فى الغـد وأصعدوا محرقات وقدّموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للّعب !. »[1]

كيف ؟!..

نحن لا نستطيع أن نمر بهذه النصوص مروراً عابراً ولا يسعنا إلا أن نقف أمامها متسائلين :

كيف يُمكن أن يحدث هذا وهذا المؤلف نفسه كان قد ذكر ، من قبل ، بأن شيوخ إسرائيل وعلى رأسهم هرون قد رأوا رأى العين «إلـه إسرائيل» وأنهم قد عادوا من أعلى الجبل مقتنعين بما رأوا وبه مؤمنين ؟ ! . ثمّ فى غضون غيبة لموسى فى طوايا سيناء يصنع هرون عجلا مسبوكاً من ذهب ويبنى له مذبحاً ثم يسعى إليه « بنو إسرائيل » بالذبائح للأكل والشرب ! وما فرغوا من ذلك إلاّ وقاموا يلعبون ناسين « يهوه » إلـه إسرائيل ؟!.

سؤال يقذف بنفسه إلى الخاطر بينما المسمع يواصل الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يواصل الحديث قائلا بأنّه ماطاب لبنى إسرائيل اللهو وما استطابوه وماراحوا يلعبون ويقدمون الذبائح : لا إلى « يهوه » وإنّما إلى الرب الذى صوره هرون على شبه عجل ، إلاّ وفجأة ، بصحبة يشوع بن نون ، هبط :

« موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده ! لوحان مكتوبان على جانبيهما . من هنا ومن هنا كانا مكتوبين .

واللوحان هما صنعة الله ! والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين ! . »[2]

---

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

وحدث أن :

« سمع يشوع صوت الشعب فى هتافه فقال لموسى : صوت قتال فى المحلّة ؟ فقال : ليس صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة . بل صوت غناء أنا سامع !

وكان عندما اقترب من المحلة أنه أبصر العجل والرقص !. »(١)

أبصر موسى عجلا مسبوكاً من ذهب حوله تمرح جماعةُ إسرائيل راقصة ويذهب بها المرح من حوله كل مذهب كما أبصر هرون واقفاً أمام هذا العجل وله يسكهن :

« فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يده وكسرها !. »(٢)

حتما كان أن ترتج لمرأى موسى جماعةُ إسرائيل وعلى رأسها هرون وأن ترتسم على الوجوه علامة استفهام غريبة كما كان حتما أن يرتد الواحد تلو الآخر جفلا أمام قطع متناثرة من « لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله ونفسها صنعة الله »..

لا جدال فى أن الألواح لم تكن بالشىء الجديد فالزمن إنما زمن سجلاته ألواح وقوانينه وأحكامه وعقائده كانت على الألواح تُحفر وتُسطر ومتاحف عصرنا الحاضر مترعة بهذه الألواح . . وإنما الجديد فى هذين اللوحين هو أنهما « صنعة الله » والكتابة عليهما « كتابة الله » وبنفس « أصبع الله » ومن ثم فهما لوحان لا كالألواح !..

وأمّا كيف كسر موسى هذين « اللّوحين » فلم يكن ذلك

---

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

إلاّ أثر انتفاضة غضب من هذه الجماعة المرتدة وأمّا كيف عادت هذه الجماعة إلى حظيرة « الرب » فسؤال جوابه عند هذا المؤلف الذى تابع روايته وفى غير تورّع راح يُصوّر موسى مقبلاً على هذه الجماعة يحدثها قائلاً بأنه وهو فى أعلى الجبل حدث أن :

« قال الرب لموسى :

اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر . زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكاً وسجدوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل !

فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم !..

فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال :

لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر ؟ ! .

لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ؟ !

ارجع عن حموّ غضبك واندم على الشرّ بشعبك ! اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ! عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد !

فندم الرب على الشرّ الذى قال إنه يفعله بشعبه ! » .[1]

لو استطعنا تصوّر هذه اللحظة من التاريخ اليهودى لانحسرت

---

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

أمامنا جلية في ضوء التحليل النفسي الشخصيةَ التي كتبت هذه السطور وانحلَّت في يدنا العناصر التي كوّنت الدين اليهودي الحالي . . وهذا يُحتم علينا أن نزداد اقترابًا من هذا المؤلف اليهوذي لارتباط هذا الدين به أتمَّ ارتباط وأن نصغي إليه وهو يُكمل روايته هذه قائلا بأن موسى كسر اللَّوحين :

« ثمَّ أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعمًا وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل ! . »(١)

ثمَّ ؟ . . ثم إلى هرون ، كما يحدثنا هـــذا المؤلف اليهوذي ، خلا موسى :

« وقال موسى لهرون : ماذا صنع بك هذا الشعب ؟ ! . .

فقال هرون : لا يحم غضب سيدي ! أنت تعرف الشعب أنه في شرّ ! فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّ هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ؟ فقلت لهم : مَن له ذهب فلينزعه ويعطني ! فطرحته في النار فخرج هذا العجل ! . . » (٢)

وهنا . . هنا يأبى مؤلف « سِفْر الخروج » إلاَّ أن يسير بروايته هذه حتى النهاية فيقول بأن عند ذاك :

« وقف موسى في باب المحلَّة وقال : مَن للرب فإليَّ !

فاجتمع إليه جميع بني لاَوي فقال لهم : هكذا قال الربُّ إله إسرائيل :

ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومُرُّوا وارجعوا من باب

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

إلى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه .

ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى . ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل !

وقال موسى : املأوا أيديكم اليوم للربّ حتى كل واحد بإبنه وبأخيه ! فيعطيكم اليوم بركة ! . »(1)

والآن . . الآن وقد أنهى هذا المؤلف هذه المجزرة البشرية ولطّخ كل واحد بدم أخيه وإبنه وصاحبه وقريبه ، فليس إلاّ ليتحول بخياله طاوياً به ليلة من عمر التاريخ الإسرائيلى مرت على هذا الحدث ليسرع بعد ذلك يُشمّر عن ساعده ويسطر :

« وكان فى الغد أن موسى قال للشعب ! أنتم قد أخطأتم خطّية عظيمة . فأصعد الآن إلى الربِّ لعلى أُكفِّر خطيتكم .

فرجع موسى إلى الربِّ وقال : آه . قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة ، وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب ، والآن . إن غفرت خطيتهم وإلاّ فامحنى من كتابك الذى كتبت :

فقال الربُّ لموسى : من أخطأ إلىّ أمحوه من كتابى . والآن اذهب أهد الشعب إلى حيث كلمتك . . . » (2)

اذهب . . :

« اذهب إصعد من هنا أنت والشعب ! . . إلى الأرض

---

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

التى حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً : لنسلك أعطيها ! . . أرض تفيض لبناً وعسلا ! . »(١)

وهكذا . . هكذا يعود بنا هذا المؤلف اليهوذى وينعطف ناحية « الأرض الموعودة » . . . هذه « الأرض » التى لذكرها ، كما تحمل إلينا منه النصوص ، اهتزت الأعطاف من بنى إسرائيل طرباً انعطفت به نفوسهم ناحية « يهوه » من جديد . . .

ولكن . . هنا يطلع علينا هذا المؤلف اليهوذى برواية أخرى جديدة محورها « إله إسرائيل » هذا الذى هبط به بعد هذا الحدث مباشرة من قمم الجبل إلى وسط بنى إسرائيل حتى لا تغيب العين منه لحظة عن هذه الجماعة التى اختارها لنفسه « شعباً » ويستهل هذه الرواية قائلا إن :

« الرب قد قال لموسى : قل لبنى إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة . إن صعدت لحظة فى وسطكم أفنيتكم . » (٢)

ولذلك :

« لا أصعد فى وسطك ! . »(٣)

رأى مؤلف « سفر الخروج » أن إسكان « إله إسرائيل » فى وسط إسرائيل أفضل من سكناه الجبل . . ففى سكناه فى وسط « شعبه » خير ضمان كى لا تعود هذه الجماعة إلى ما صنعت يوم طابت من هرون أن يصنع لها عجلا مسبوكا وراحت أمامه ترقص ! . . فلو لم يكن « يهوه » فى الجبل

---

(١) الاصحاح ٣٣ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ٣٣ « سفر الخروج »
(٣) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

وقتذاك لما استطاعت إسرائيل أن تصنع ما صنعت ! . . ومن ثمَّ فلتُنْصب له بين خيام جماعة إسرائيل خيمة ! . . أبى هـذا المؤلف إلاَّ أن يتمادى فى بهتانه فينسب ذلك إلى موسى قائلا بأن عند ذاك .

« أخذ موسى الخيمة و نصبها له .. ودعاها خيمة الاجتماع . .

وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل و يقف عند باب الخيمة . . فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته . . » (١)

فاذا فى هذه « الخيمة » ؟

« يتكلم الربّ مع موسى .. وجهاً لوجه كما يُكلِّم الرجل صاحبه ! . »(٢)

ولكن ! .. هـذه « الخيمة » لم تكن لتترك وحدها قطّ فا نّما إذا تركها موسى لأمر ؛

« كان خادمه يشوع بن نون .. لا يبرح من داخل الخيمة . » (٣)

وهنا . . هنا نرانا نتمهل ، لحظة ، لنقول :

ما هذا الخلط الذى يأتيه مؤلف « سفْر الخروج » وهو عن تلك « المكالمة القدسية » يتحدث هذا الحديث قائلا بأن إلى هذه « الخيمة » إذا ما أراد الربُّ موسى أو أراد موسى الربَّ « ينزل الرب » وفى « عامود سحاب » يقف بالباب ؟ ! .

---

(١) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

ترهات ! . .

لا جدال أنها لترهات يضيف بها هذا المؤلف إلى أضاليله أضلولة جديدة لاسيّما وأنه بعدأن نصب لإله إسرائيل خيمة واسكنه فى وسط إسرائيل وجعل العين من « يشوع بن نون » عليها أبداً ساهرة تلفّت فرأى أنه لم يضف على مسكن إله إسرائيل مهابة تليق بمرتبة ألوهيته .. ومن ثمّ شمّر عن ساعده من جديد ليطلع علينا يحدثنا قائلا بأن بعد أيام من نصب « الخيمة » :

«كلّم موسى كل جماعة بنى إسرائيل قائلاً : هذا هو الشيء الذى أمر به الربّ قائلا : خذوا من عندكم تقدمة للرب . . ذهباً وفضة ونحاساً واسمانجونيا وأرجونا وقرمزاً وبوصاً وشعر معزى وجلود كباش محمّرة وجلود تخس وخشب سنط وزيتاً للضوء وأطياباً لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة .

وكل حكيم القلب بينكم فليأت ويصنع كل ما أمر به الربّ : المسكن ، وخيمته وغطاؤه وأشظته وألواحه وعوارضه وأعمدته وقواعده .

والتابوت ، وعصويه والغطاء وحجاب السجف .

والمائدة ، وعصويها وكل آنيتها وخبز الوجوه .

ومنارة الضوء ، وآنيتها وسرجها وزيت الضوء .

ومذبح البخور ، وعصويه ودهن المسحة والبخور العطر وسجف الباب لمدخل المسكن .

ومذبح المحرقة ، وشباكة النحاس التى له وعصويه وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها .

وأستار الدار ، وأعمدتها وقواعدها وسجف باب الدار .

وأوتاد المسكن وأوتاد الدار ، وأطنابها .

والثياب المنسوجة ، للخدمة فى المقدس .

والثياب المقدسة لهرون الكاهن وثياب بنيه للكهانة ! . . »(١)

ومن ثمّ :

« خرج كل جماعة بنى إسرائيل من بين يدى موسى، وأتى كل من حرّكه قلبه وكل من سخت نفسه فجاءوا بتقدمه للرب .. أتى الرجال والنساء . فجاءوا بأسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب ! . . .

وكل من وجد عنده أسمنجونى وأرجوان وصبغ قرمز وبزّ وشعر معزى وجلود كباش مصبوغة بالحمرة وجلود سمنجونية أتى بها . وكل من كان عنده تقدمة من فضة ونحاس أتى بتقدمة للرب .

وكل من وجد عنده خشب سنط لصنعة ما من العمل أتى به . وكل امرأة حازقة غزلت بيدها وأتت بغزل من السمنجونى والأرجوان وصبغ القرمز والبز . . . والأشراف أتوا بحجارة الجزع وحجارة الترصيع . . وبالطيب والزيت . كل رجل أو امرأة من بنى إسرائيل سخت نفسه أن يأتى بشىء لجميع العمل الذى أمر الرب بأن يعمل على يد موسى، أتى به تطوعاً للرب ! . . » (٢)

---

(١) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »

وهنا :

« قال موسى لبنى إسرائيل : انظروا إن الرب قد دعا بصلائيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا . . . لإختراع أمثلة تصنع من الذهب والفضة والنحاس ولنحت الجواهر للترصيع ولنجارة الخشب . . وألقى فى قلبه أن يعلم هو وأهلياب بن أخيساماك من سبط دان . . . وملأ قلوبهما حكمة ليصنعا كل صنعة نجار ونسّاج حاذق ومطرز فى السمنجونى والأرجوان وصبغ القرمز والبز وكل صنعة حائك من صانعى كل صنعة . . . » (١)

ومن ثمّ :

« نادى موسى بصلائيل وأهلياب وكل ذى حكمة ..
فتسلّموا من بين يدى موسى جميع التقدمة التى جاء بها بنو إسرائيل لأعمال خدمة القدس ليصنعوها . فأقبل جميع الحكماء الذين يصنعون كل أعمال القدس كل امرىء منهم من عمله الذى يصنعه . . .
فصنعَ المسكن كل ذى حكمة من صانعى العمل . . » (٢)

وأمّا ما ذا صنعوا ؟ . . فقد :

« صنعوا عشر شقق من بزّ مشرور وسمنجونى وأرجوان وصبغ قرمز . طول كل شقة ثمان وعشرون ذراعاً فى عرض أربع أذرع . . ولفقوا خمساً من الشقق الواحدة إلى الأخرى وخمساً من الشقق الواحدة إلى الأخرى . وعملوا عرى . . صنعوا خمسين عروة . . وعملوا خمسين شظاظاً

---

(١) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »
(٢) الاصحاح ٣٦ « سفر الخروج »

من الذهب . . وصنعوا خمسين شظاظاً من نحاس . . وعملوا غطاء للخباء من جلود كباش مصبوغة بالحمرة . . وصنعوا ألواحاً للمسكن من خشب السنط . »(١)

هذا بعض ما عملوا . . .

وهنا :

« صنع بصلئيل التابوت . . وغشاه بذهب نقيٍّ من داخل ومن خارج ! . .

وصنع المائدة . . وغشاها بذهب نقيٍّ . . وصنع الأواني التي على المائدة صحافها وصحونها وجاماتها وكأساتها التي يسكب بها من ذهب نقيٍّ .

وصنع المنارة من ذهب نقيٍّ . . . وصنع مذبح البخور . . وغشاه بذهب نقيٍّ . .

وصنع دهن المسحة مقدساً . والبخور العطر نقياً صنعة العطار ! . » (٢)

ثمّ :

« صنع مذبح المُحرقة من خشب السنط . . . وصنع المرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس . . . وصنع الدار . . أستار الدار من بوص مبروم ! . . صنع كل ما أمر به الرب موسى . ومعه أهولياب . . نقّاش وموّش وطرّاز ! . » (٣)

ولذلك :

---

(١) الاصحاح ٣٦ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٧ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٣٨ « سفر الخروج »

« من الأسمانجونى والأرجوان والقرمز ، صنعوا ثياباً منسوجة للخدمة فى المقدس وصنعوا الثياب المقدسة التى لهرون . . . الرداء من ذهب واسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم .

مدّوا الذهب صفائح وقدّوها خيوطاً ليصنعوها . . كما أمر الربّ موسى ...

وصنعوا حجرى الجزع محاطين بطوقين من ذهب . . وصنعوا الصدرة .. رصّعوا فيها أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرّد .. والصف الثانى بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهر ويشم وجمست . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب ...

وصنع جبّة الرداء صنعة النسّاج كلها من أسمانجونى .. وصنعوا جلاجل من ذهب نقى . وجعلوا الجلاجل فى وسط الرمّانات على أذيال الجبّة . . .

وصنعوا الأقمصة من بوص صنعة النسّاج ، لهرون وبنيه . والعمامة من بوص ! .. »(١)

وهكذا :

« فعل موسى بحسب كل ما أمره الربّ . هكذا فعل ! وكان فى الشهر الأول من السنة الثانية فى أول الشهر أن المسكن أقيم . »(٢)

وعند ذاك :

« غطت السحابةُ خيمةَ الاجتماع وملأ بهاءُ الربِّ المسكن ! ..

---

(١) الاصحاح ٣٩ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٤٠ « سفر الخروج »

سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل !. »(١)

والآن ؟... الآن وقد أقيم « المسكن » على الصورة التى ارتضاها « إله إسرائيل » ... الآن « وقد سكن إله إسرائيل » وسط إسرائيل وعن قمة سيناء اتخذ خيمة الاجتماع » بدلا ، وذلك لترقب عينه عن قرب تحركات إسرائيل ، فليس إلا نتساءل : أى لون من ألوان العبادات والتعبد ستؤديه إسرائيل إلى « إله إسرائيل ؟ ! . . »

سؤال ، نلقيه إلى مؤلف « سِفْر الخروج » .. ولكن ! .. كفَّت يد مُؤلِّف « سِفْر الخروج » عن التسطير وتراخت وهناً من شطحات خيالٍ تمادى وفى مدى الترهات قطع شوطاً بعيداً ، غير أنَّ للاجابة عن هذا السؤال يهبُّ مُؤلف يهوذى آخر يتناول قلمه ويجريه لتؤلف منه سطور السفْر الثالث من « الأسفار الخمسة » وذلك ليحدثنا قائلا : بأنه ما أقيم « المسكن » وما أقيمت « خيمة الاجتماع » المسمَّاة « خباء المحضر » إلَّا لتقوم عبادة مُنظَّمة ! . . فلقد قامت نظم طقسية تُنظِّم هذه العبادة كما جاءت بذلك ، فى سفوح سيناء :

« الشريعة » و « الوصايا »

إن الشريعة كلمة ، كما يحمل مدلولها ، تعنى الأحكام الدينية والأحوال الشخصية والمدنية والجنائية . فالشريعة هى التى تُنظِّم شعائر العبادة وطقوسها وهى التى تعيِّن احتفالات العبادة وتعين الأعياد . ومن ثمّ فى الشريعة

---

(١) الاصحاح ٤٠ « سفر الخروج »

تأتى المشكلات الدينية قاطبة ومن أهمها نظرية الخير والشر ومشكلة الجريمة والعقاب وهذه تقود إلى مشكلة النفس وتنتهى بدورها إلى استعراض القانون. الأخلاق والقيم الأخلاقية . .

ومن ثمَّ حتما علينا الإصغاء إلى هذا المؤلف للسفر الثالث المسمى فى النسخة الكاثوليكية « سفر الأحبار » وفى النسخة البروتستانتية « سفر اللاَّويين » وهو يحدثنا عما تحمله هذه الشريعة عند بنى إسرائيل من وصايا وما تنص عليه من أحكام وما تسنه من قوانين . .

يستهل مؤلِّف « سفْر اللاّويين » حديثه قائلا :

« ودعا الربُّ موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً : كلِّم بنى إسرائيل وقل لهم : إذا قرَّب إنسان منكم قرباناً للربِّ من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم !

إن كان قربانه محرقة من البقر فذَكَراً صحيحاً يُقرِّبه . . » (١)

إلى أين يُقربه ؟ . .

« إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه !

للرضا عنه أمام الرب ! . . » (٢)

وأمَّا كيف يرفع ابن إسرائيل قُربانه ؟ « للرضا عنه أمام الربّ » فهكذا :

« يضع يده على رأس المحرقة . . . ويذبح العجل أمام الربِّ ؟ ، ويُقرِّب بنو هرون ، الكهنة ، الدَّم . ويرشُّون الدَّم مستديراً على المذبح الذى لدى باب خيمة الاجتماع ! ويسلخ المحرقة ويقطِّعها إلى قطعها . ويجعل

(١) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »
(٢) الاصحاح الاول « سفر اللاويين »

بنوهرون الكاهن ناراً على المذبح ويُرتِّبون حطباً على النار
ويُرتّب بنو هرون ، الكهنة ، القِطَع مع الرأس والشحم فوق
الحطب الذى على النار التى على المذبح . . » (١)

وأحشاء القربان وأكارعه . .

« وأمّا أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويُوقد الكاهن
الجميع على المذبح . . رائحة سرور للربّ ! . » (٢)

وإذا كان إبن إسرائيل قد قدّم قربانه من الغنم ؟

« إن كان قربانه من الغنم الضأن أو المعز . . فذكراً
صحيحاً يُقرِّبُهُ . ويذبحه على جانب المذبح إلى الشمال أمام الربّ .

ويرشّ بنو هرون ، الكهنة ، دمّه على المذبح مستديراً ! . .
ويقطِّعه إلى قطعه مع رأسه وشحمه ويُرتِّبهن الكاهن فوق
الحطب الذى على النار التى على المذبح .

وأما الأحشاء والأكارع فيغسلها بماء ويُقرِّب الكاهنُ الجميعَ
ويُوقد على المذبح . إنّه محرقة وقود رائحة سرور للربّ ! . » (٣)

ولكن ! . إذا كان لا قِبَل لفردٍ ما من أبناء إسرائيل بتقديم
الغنم فقدّم الطير ؟ . .

إن مُؤلِّف « سِفْر اللاّويين » لا يضنّ علينا بالإرشاد فيقول :

---

(١) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »
(٢) الإصحاح الاول « سفر اللاويين »
(٣) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »

« يقرِّب قربانه من اليمام أوْ أفراخ الحمام .

يقدمه الكاهن إلى المذبح ويحزّ رأسه ويوقد على المذبح ويعصر دمه على حائط المذبح . . »(١)

ثمّ :

« ينزع حوصلته بفَرْثها و يطرحها إلى جانب المذبح شرقاً إلى مكان الرماد . ويشقّه بين جناحيه لا يفصله ! ويُوقده الكاهن على المذبح فوق الحطب الذى على النار .

إنّه محرقة وقود رائحة سرور للرب ! . »(٢)

بهذه التقدمات يشرح هذا المؤلف اليهوذى الجديد صُوَر العبادة التى فُرضت من « إله إسرائيل » على بنى إسرائيل وينهج منهج زميليه فى الادّعاء والافتراء على موسى ، عليه السلام ، ولا يتورّع من القول بأن هذا ما أملاه « إله إسرائيل » على موسى للرضا عن إسرائيل وللتكفير ! . بل ولا يقف مؤلف « سفر اللاّويين » عند هذا المدى وإنما هو يتمادى فى شططه ويزيد فى افتراءاته على موسى فيقول بأن « إلــه إسرائيل » قد كلّم موسى فى « خيمة الاجتماع » قائلا :

« إذا قرّب أحدٌ قرباناً تقدمة للربِّ يكون قربانه من دقيق . . »(٣)

بيد أنّ حذارِ ! . . لا يُقربنّ أحد هذه التقدمة إلّا بعد أن :

---

(١) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٣) الإصحاح ٢ « سفر اللاويين »

« يسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً . ويأتى بها إلى بنى هرون ، الكهنة ، ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح . . .

والباقى من التقدمة هو لهرون وبنيه . » (١)

وهنا . . هنا نسأل هذا المؤلف اليهوذى الذى سجّل، عبر نصوصه، على نفسه هذه الشراهة التى أملت عليه ، نفسها ، هذه النصوص المفتراة قائلين ؛ وإذا جاء أحد من أبناء إسرائيل بتقدمة من الدقيق المخبوز ؟ . . وبإجابة اتّسمت بأفقع لون من ألوان العبادات البدائية يجىء إلينا الصوت من هذا المؤلف يقول ؛

« إذا قرّبت قربان تقدمة مخبوزة فى تنّور تكون أقراصاً من دقيق فطيراً ملتوتة بزيت ورقاقاً فطيراً مدهونة بزيت ! . . » (٢)

ثم فى استرسال بالغ بلغ من السذاجة أقصى مداه يحدثنا هذا المؤلف اليهوذى عن ما يمكن تقدمته من الطواجن فيقول ؛

« إن كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت تعمله ! . فتأتى بالتقدمة التى تصطنع من هذه إلى الربّ وتُقدّمها إلى الكاهن فيدنو بها إلى المذبح . ويأخذ الكاهن من التقدمة تذكارها . . . والباقى من التقدمة هو لهرون وبنيه ! . . » (٣)

---

(١) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ٢ « سفر اللاويين »

(٣) الاصحاح ٢ « سفر اللاويين »

وأمّا . . أمّا ؛

« إن كان قربانه ذبيحة سلامة فإن قرّب من البقر ذَكَراً أو أُنثى فصحيحاً يُقرّبه أمام الرب ! .

يضع يده على رأس قربانه ويذبحه لدى باب خيمة الاجتماع .
ويرشّ بنو هرون ، الكهنة ، الدم على المذبح مستديراً .

ويقرب من ذبيحة السلامة وقوداً للرب ؛ الشحم الذى يُغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعهما ويوقدها بنو إسرائيل على المذبح . . رائحة سرور للرب ! . . »(1)

وأيضاً ؛

« إن كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامة للربِّ ذكراً أو أنثى فصحيحاً يُقرّبه.

« إن قرّب قربانه من الضأن يقدّمهُ أمام الربّ يضع يده على رأس قربانه ويذبحه قدام خيمة الاجتماع
ويرشّ بنو هرون دمه على المذبح مستديراً !

ويُقرِّب من ذبيحة السلامة شحمها وقوداً للربّ ؛ الألْيَّة صحيحة من عند العصعص ينزعها والشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين وزيادة

(1) الأصحاح ٣ « سفر اللاويين »

الـكبد مع الـكليتين ينزعها ويوقدها الـكاهن على المذبح طعـام وقود للرب ! . . » (١)

وأيضاً :

« إن كان قربانه من المعزُ يقدّمه أمام الرب . يضع يده على رأسه ويذبحه قدام خيمة الاجتماع ويرشّ بنو هرون دمه على المذبح مستديراً ويقرب منه قربانه وقوداً للرب الشحمَ الذى يغشى الأحشاء . . كل الشحم للربّ ! . » (٢)

كل الشحم للرّب ؟ . . واللحم ؟ ! . اللحم إلى من يذهب ؟ ! .

سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى وإن كان لم يبذ رفيقيه فى الأضاليل فإنّما هو قد بذّهما فى الشراهة تطفح بها هذه النصوص وكأنّما هو الذى لم يستدر إلا من حول الطعام له تفكير ! . ولكنه عن هذا السؤال لن يجيبنا إلا بعـد قليل وبعد أن يسرد ألواناً أخرى من القرابين هى بمثابة تكاليف دينية وهذه لا تشمل أفراد المجتمع الإسرائيلى فحسب وإنّما أعضاء هيئة الكهنوت أنفسهم فلقد :

« كلم الربُّ موسى قائلا : إن كان الـكاهن الممسوح يُخطىء لأثم الشعب يقرّب عن خطيته التى أخطأ ثوراً ابن بقر ! . . . يُقدِّم الثور إلى باب خيمة الاجتماع أمام الرب ويضع يده على رأس الثور ويذبح الثور أمام الربّ ! ويأخذ الـكاهن الممسوح من دم الثور ويدخل به إلى خيمة الاجتماع ويغمس الـكاهن إصبعه فى الدم وينضح من الدم

---

(١) الاصحاح ٣ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ٣ « سفر اللاويين »

سبع مرات أمام الربّ لدى حجاب القدس ! ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذى فى خيمة الاجتماع أمام الرب . وسائر دم الثور يصبّه إلى أسفل مذبح المحرقة .. »(١)

وأيضاً ، إذا أخطأت ؛

« كل جماعة إسرائيل . . ثم عرفت الخطيّة التى أخطأوا بها يُقرّب المجمع ثوراً ابن بقر ذبيحةخطية . يأتون به إلى قُدّام خيمة الاجتماع، ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور أمام الربّ ويذبح الثور أمام الربّ ..

ويدخل الكاهن الممسوح من دم الثور إلى خيمة الاجتماع .. ويغمس الكاهن أصبعه فى الدم وينضح سبع مرات أمام الربّ لدى الحجاب .. ويجعل من الدم على قرون المذبح . . وسائرالدم يصبّه إلى أسفل مذبح المحرقة . . يفعل بالثور كما فعل بثور الخطيّة . ويحرقه كما أحرق الثور الأول ! إنه ذبيحة خطية المجمع »(٢)

وأيضاً ؛

« إذا أخطأ رئيس . . يأتى بقربانه تيساً من المعز ذكراً صحيحاً . ويضع يده على رأس التيس ويذبحه . . ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ثم يصب دمه إلى أسفل مذبح المحرقة . . فيُصْفح عنه . . »(٣)

وأيضاً ؛

(١) الاصحاح ٤ « سفر اللاويين »
(٢) الاصحاح ٤ « سفر اللاويين »
(٣) الاصحاح ٤ « سفر اللاويين »

« إن أخطأ أحد من عامَّة الأرض .. يأتى بقربانه عنزاً من المعز أنثى صحيحة !.. ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية فى موضع المحرقة . ويأخذ الكاهن من دمه بأصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح ... فيصفح عنه .. »(١)

ولكن :

« إن أتى بقربانه من الضأن .. يأتى بها أنثى صحيحة ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبحها ... ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح .. فيصْفَح عنه . »(٢)

ثمّ :

« إذا أخطأ أحد .. يأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه عن خطيته التى أخطأ بها أُنثى من الأغنام ، نعجة أو عنزاً من المعز ..

وإن لم تنل يده كفاية لشاة فيأتى بذبيحة لإثمه الذى أخطأ به يمامتين أو فرخى حمام .. يأتى بهما إلى الكاهن فيقرِّب الذى للخطية أولاً يحز رأسه من قفاه ولا يفصله ! .وينضح من دم ذبيحة الخطية على حائط المذبح والباقى من الدم يعصر إلى أسفل المذبح !..

وأما الثانى فيعمله محرقة كالعادة .. فيصفح عنه ! » (٣)

وهكذا تسير النصوص من هذا السفر الثالث من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، افتراءً ، إلى موسى وتسترسل بيد مؤلفها تفرض الفرائض ..

---

(١) الاصحاح ٤ « سفر اللاويين » (٢) الإصحاح ٤ « سفر اللاويين »
(٣) الأصحاح ٥ « سفر اللاويين »

وأما إذا أعدنا السؤال السابق وقلنا إلى من تذهب لحوم هذه التقدمات وهذه القرابين ؟ .. فالجواب يأتينا هنا من هذا المؤلف صريحاً يقول :

« يأكله هرون وبنوه !.. كل ذكر من بنى إسرائيل يأكل منها ! .. كل ذكر من الكهنة يأكل منها ! . . » (١)

أجل :

« كل ذكر من الكهنة يأكل منها ! . . شريعة واحدة ! الكاهن الذى يكفر بها تكون له ! والكاهن الذى يقرب محرقة إنسان فجلد المحرقة التى يقربها يكون له . وكل تقدمة خبزت فى التنور وكل ما عمل فى طاجن أو على صاج يكون للكاهن الذى يقربه ! وكل تقدمة ملتوتة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بنى هرون ! ...

أمر الرب أن تعطى لهم ، يوم مسحه إياهم من بنى إسرائيل... أمر الرب بها موسى فى جبل سيناء ! . » (٢)

يقيناً ...

لقد بلغ مؤلف « سفر اللاويين » أقصى المدى فى الجشع..! وفى غير تفريط هو فيه قد أفرط وهذا مما يجعل الفكر ، أمام هذه الصورة التى صورها ، يتمهل بنا قليلا سابحاً فى لجج التأمل بينما تنطلق المخيلة منا تتصور ، إذا أخذنا افتراضاً بقول هذا المؤلف ، يوماً من أيام بنى إسرائيل فى سفح سيناء .. يوماً لاينقضى إلا بين أنعام تساق وتذبح ودم يرش وشحم يوقد وكهنوت يقف بباب « خيمة الاجتماع » يستقبل الوفود الوافدة بخيراتها بكل ما طاب ولذ « لإله إسرائيل » نظرياً ولكهنوته عملياً بينما عبثاً ترهف

---

(١) الاصحاح ٦ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ٧ « سفر اللاويين »

الأذن منا كما تلتقط ورداً من الأوراد الدينية أو من الأناشيد نشيداً أو تسبيحة من صلاة !. كلا !.. فليس هناك إلا نعير بقر وثيران ومأمأة ضأن وماعز وصفق أجنحة يمام وأفراخ حمام !.. ليس هناك إلا كهنوت استغرقته عملية الذبح ورش الدم وفصل الشحم عن اللحم !.. فانما مؤلف « سفر اللاويين » قد جعل عمل الكهنوت الرسمى ينحصر فى الاهتمام بأمر القرابين وما قد وضع لهذه القرابين من شرائع يقومون على رعايتها فى صورة هذه الطقوس وكأنما هذا المؤلف اليهودى الآخر قد راعى تلك الطقوس التى كانت مرعية فى بلاد ما بين النهرين ، المهد التاريخى لإسرائيل . . فنحن نعلم أن القربان فى بلاد ما بين النهرين كان يتكون من طعام للمعبود يصحبه إراقة الدماء ونتبين ذلك من النقوش التى تركها الزمن على بعض اللوحات والاسطوانات . . على لوح من الألواح البابلية نرى « لوجال زاجيس » ، ملك أوروك ، يقدم خبز التقدمة وماء نقياً لرب « نيبور » .. ثم على إحدى الاسطوانات نرى قائمة لأنواع التضحيات التى تختلف تبعاً للغرض المراد ومن أبرز صور هذه القرابين : الثور والبقر والجدى والشاة والطير . تذبح ويتقبل الرب نصيبه الرمزى منها وأما الباقى فكان هذا الذى يأكله أهل الكهنوت .

أجل !.

منذ الألف الثالث ق . م . كانت الذبائح المضحاة فى بلاد ما بين النهرين تنظم فى عناية بالغة حتى أن « جوديا » ، ملك لاجاش ، قد حدد عدد الثيران والنعاج والحملان التى كانت تعد للتضحية بها فى معابد « لاجاش » باسم المدينة لأعياد السنة . بل وقد بلغت عناية « دونجى » ، ملك أور ، بهذه الفرائض غايتها حتى أنه فرض رواتب مادية لمحافظى المدن لهذا الغرض كما

يكفل تنظيم الذبائح الشهرية التي كانت تختلف في كل مدينة عن الأخرى تبعاً للموارد المادية التي كانت توضع تحت تصرّف كل معبد ومن أهمّ هذه المعابد ومن أشهرها كان « معبد أنو » في « أوروك »

حيث كانت هنـــاك وجبتان للربّ تتكوّنان من الشراب والخبز والفاكهة واللحوم التي تقدّم كل صباح وكل مساء وذلك طبقاً لوثيقة أعيدت كتابتها في عهد « السلوكيين » ومنها نفهم أن الصحاف الرئيسية كانت تقتضي وجود إحدى وعشرين خروفاً عمر الواحد منها سنتان عُلفت بالشعير . وأربع نعاج أطعمت باللبن . وخمساً وعشرين نعجة من المرتبة الثانية . وثورين . وعجل رضيع . وثمانية حملان وستين طيراً من نوعين مختلفتين . وثلاث دجاجات . وسبع بطّـات . وبيضاً . والخبز المعجون بالزيت . . . وتُقدِّم كتب الطقوس الخاصـة تفاصيل العمليات المتداولة التي تباشر خلال تقدمه هذه القرابين التي كان يمسح بدمائها حوائط المعبد وعلى المتعبدين ، بيد الـكاهن ، تُرشُ .

من هذه اللمحة يعرج بنا الخيال عائداً إلى مؤلف « سفـْر اللاّويين » وإليه نعود فنصغي وهو يحدثنا عبر نصوصه هذه المفتراة على موسى قائلا :

« وكلم الرب موسى قائلاً : خذ هرون وبنيه معـه والثياب ودهن المسحة وثور الخطية والـكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع .

ففعل موسى كما أمره الرب ...

ثم قال موسى للجماعة : هذا ما أمر الرب أن يفعل ! . »[1]

---

(١) الإصحاح ٨ « سفر اللاويين »

وأما ماهذا الذى يريد الرب أن يفعل؟ . فسؤال لا نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى إلا ونسمع منه الجواب الذى يُصور ، بهتاناً، هذا المشهد :

« قدّم موسى هرونَ وبنيه وغسلهم بماء .

وجعل عليه القميص ونطّقه بالمنطقة وألبسه الجبّة وجعل عليه الرداء ... ووضع العمامةَ على رأسه ووضع على العمامة إلى جهة وجْهه صفيحة الذهب الإكليل المقدس !..

ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدسه ونضح منه على المذبح سبع مرات ... وصبّ من دهن المسحة على رأس هرون ومسحه لتقديسه !

ثم قدّم موسى بنى هرون وألبسهم أقمصة ونطّقهم بمناطق وشدّ لهم قلانس » ...(١)

أمام هذه الصورة التى يُصوّرها قلم مؤلف «سفْر اللاويين» حتما للفكر منّا أن يتمهل قليلاً وتطويه لجج التفكير فى أمر هذه « المسحة » التى جعل هذا المؤلف موسى يتناولها ويمسح بها هرون ليتناولها من بعد الإسرائيليون عبر عهودهم التاريخية مزيجاً لمسح الملوك ، بينما نتابع هذا المؤلف من حيث انفضّت يده من تغسيل هرون وبنيه وتعميم هرون بنفس العمامة التى ظهرت فى عصر « جوديا » فى بلاد ما بين النهرين ثم أصبحت لباس الرأس عند حمورآبى ، فى نفس الوقت الذى يسترسل فيه هذا المؤلف ويقول بأنه ما « قدّم موسى بنى هرون وألبسهم أقمصة » إلاّ و :

« قدّم ثور الخطيّة ووضع هرونُ وبنوه أيديهم على رأس ثور الخطية .

---

١) الاصحاح ٨ «سفر اللاويين

فذبحه وأخذ موسى الدَم وجعله على قرون المذبح مستديراً باصبعه !... ثم صبَّ الدم إلى أسفل المذبح !.. وأخذ كل الشحم الذى على الأحشاء وزيادة الكبد والكليتين وشحمهما وأوقده موسى على المذبح ...

كما أمر الربّ موسى !. »(١)

ثمَّ ؟.. ماذا هناك ، بعد ، من افتراءات يفتريها مؤلف «سفْر اللاَّويين » على موسى وهو الذى قال عنه زوراً وبهتاناً أنه ذبح « ثور الخطية ومسح بالدم قرون المذبح ثم إلى أسفل المذبح صبه صباً ؟!. إن مؤلف «سفْر اللاَّويين » لا يرعوى ! . فإنَّما هـــذا المؤلف الثالث لثالث « الأسفار » يسترسل قائلاً :

« ثم قدّم كبشَ المُحرقة فوضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش . فذبحه ورشَّ موسى الدمَ على المذبح مستديراً . وقطع الكبش إلى قطعه وأوقد موسى الرأس والقطع والشحم . وأمَّا الأحشاء والأكارع فغسلها بماء وأوقد موسى كل الكبش على المذبح ! أنه محرقة لرائحة سرور . وقود هو الرب . كما أمر الربّ موسى ! .. » (٢)

ثمَّ ؟! . ثمّ ماذا هناك بعد من افتراءات على موسى ؟! .

إن هناك هذا الافتراء الجديد الذى يجىء به مؤلف « سِفْر اللاَّويين » قائلاً بأنَّ موسى بعد أن « قـدَّم كبش المحرقة » :

« قدّم الكبشَ الثانى . . فذبحه . وأخذ موسى من دمـّه وجعل على شحمة أذن هرون اليمنى وعلى أبهام يده اليمنى وعلى أبهام رجله اليمنى !

---

(١) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين »

ثم قدم موسى بنى هرون وجعل من الدم على شحم آذانهم اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى .

ثم رشّ موسى الدّم على المذبح مستديراً .

ثمّ أخذ الشحم ، الألية وكل الشحم الذى على الأحشاء وزيادة الكبد والكليتين وشحمهما والساق اليمنى . ومن سلّ الفطير الذى أمام الربّ أخذ قرصاً واحداً فطيراً وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة ووضعها على الشحم وعلى الساق اليمنى . وجعل الجميع على كفّى هرون وكفوف بنيه وردّدها ترديداً أمام الرّب . . . وأوقدها على المذبح ! . . .

ثم أخذ موسى الصدْرَ . . . لموسى كان نصيباً كما أمر الربُّ ! . . »(١)

ثمّ ؟ . .

« ثمّ قال موسى لهرون وبنيه : اطبخوا اللحم لدى باب خيمة الاجتماع وهناك تأكلونه والخبز الذى فى سلّ قربان الملء ! . »(٢)

والآن . . الآن وقد أتانا الجواب عن سؤال كنّا قد تساءلناه من قبل وهو إلى من يذهب اللحم ، فقد آن لنا أن نسأل عمّا حدث فى « اليوم الثامن » ؟ . وعن هذا السؤال يأتينا هذا الجواب :

« فى اليوم الثامن دعا موسى هرونَ وبنيه وشيوخ إسرائيل وقال لهرون : خذ لك عجلاً ابن بقر لذبيحة خطية وكبشاً لمحرقة صحيحين ! وقدّمهما أمام الرب . وكلّم بنى إسرائيل قائلا : خذوا تيساً من المعز لذبيحة

---

(١) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين »
(٢) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين »

خطّية وعجلاً وخروفاً حوليين صحيحين لمحرقة وثوراً وكبشاً لذبيحة سلامة للذبح أمام الرب. وتقدمة ملتوتة بزيت! . . »(١)

لماذا ؟! . لقد استعنّا على مؤلف « سِفْر اللاّويين » بمادة الصبر ونحن نُوالى إلى تراهاته الإصغاء وإنّنا لنستعين بنفس هذه المادة ونحن نسأله هذا السؤال إذ يأتينا فى كفر بيّن ، منه هذا الجواب :

« لأن الرّب يتراءى لكم ! . . »(٢)

ماذا ؟!.. أيسير مؤلف « سِفْر اللاّويين » على منوال مُؤلف « سِفْر الخروج » فيقول بترائى الرب ليقف بجماعة إسرائيل كما وقف بها زميله فى أسفل جبل كان البرق من حناياه يُدوى ومن فجوات فيه يدخن ؟!..

كلاّ .. سرعان مايستدرك هذا المؤلّف اليهوذى نفسه فتصرخ المعانى من سطوره تنادى بألاّ فزع هناك ولا خوف فإنّما « مجد الربّ » فقط ، هو الذى سيتراءى ! . ومن ثمّ راح يكمل روايته هذه قائلا بأن بنى إسرائيل قد هرَعوا :

« فأخذوا ما أمر به موسى إلى قُدّام خيمة الاجتماع . وتقدّم كل الجماعة ووقفوا أمام الرب . فقال موسى : هذا ما أمر به الرب تعملونه فيتراءى لكم مجد الرب .

ثم قال موسى لهرون : تقدّم إلى المذبح واعمل ذبيحة خطيّتك ومُحرقتك وكفّر عن نفسك وعن الشعب ..

فتقدّم هرون إلى المذبح وذبح عجل الخطية الذى له . وقدم بنو

---

(١) الاصحاح ٩ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ٩ « سفر اللاويين »

هرون إليه الدَّم . فغمس أصبعه فى الدم وجعل على قرون المذبح ثم صبَّ الدم إلى أسفل المذبح .. »(١)

يقيناً ، لقد بزَّ مؤلف « سفْـر اللاَّويين » زميليه فى مضمار السفه !.. وإذا كان مؤلف « سفر التكوين » قد وصمه بالانحلال الخلقى وإذا كان مؤلف « سفر الخروج » قد وصمه بجنوح الخيـــال وشططه فانَّمـا مؤلف « سفر اللاَّويين » قد فاق الإثنين فى ميدان العته .. فلا شىء يشتمل «سفره» عليه إلاَّ الذبح ورشّ الدم على حائط المعبد وصبّـه إلى أسفل المذبح وإلاّ غمس الأصابع به ونضحه على الثياب وعلى شحمة الأذن اليمنى وأباهم اليد اليمنى وأباهم الرجل اليمنى ... وليخرج من هذا كله بانتقاء ما لذَّ له من لحوم هذه الضحايا مُـلقياً بمهام طهيها على هرون نفسه وبنيه ومن معه من طائفة الكهنوت القاصرة على « بيت لاوى » ... وأمّا الشـحم والكليتين وزيادة الـكبد مـن هذه الذبائح فيناولها هذا المؤلف إلى هرون ويقول إنه قد :

« أوقدها على المذبح كما أمر الربُّ موسى !. »(٢)

ثمَّ ؟!. ثم ماذا سيجعل مُؤلِّـف « سِفْـر اللاَّويين » ، بعد ذلك ، هرونَ يفعل ؟!. لا جدال فى أن هذا المؤلف اليهوذى ما زال فى ضلاله يسير إذ يسترسل فى أفترائه على هرون قائلاً :

« ثم ذبح المحرقة ! فناوله بنو هرون الدّم فرشّـه على المذبح مستديراً . ثم ناولوه المحرقة بقطعها والرأس . فأوقدها على المذبح . ثمَّ غسـل الأحشاء والأكارع وأوقدها فوق المحرقة على المذبح .

---

(١) الاصحاح ٩ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ٩ « سفر اللاويين »

ثمَّ . . أخذ تيس الخطية الذى للشعب وذبحه وعمله للخطيَّة كالأول . . .

ثمَّ ذبح الثور والكبش ذبيحة السلامة التى للشعب وناوله بنو هرون الدم فرشَّه على المذبح مستديراً . والشحم من الثور ومن الكبش، الأليّة وما يغشى . والكليتين وزيادة الكبد . ووضعوا الشحم على الصدرين فأوقد الشحم على المذبح . وأما الصدران والساق اليمنى فردَّدها هرون ترديداً أمام الرب .

كما أمرَ موسى ! . . »(١)

وهنا . . هنا يرسم مؤلف « سفْر اللاَّويين » بنصوصه صورة تحمل الدليل الوافى على فطريته ومدى السذاجة التى كان عليها فى مضمار التفكير المنطقى إذ يُحدثنا عن كيف ترآءى مجد الرّب لهذه الجماعة التى جمعها حلقات من حول «خيمة الاجتماع» وجعلها تجتمع مطأطئة الرأس تنتظر فى شوق لهيف ترآئى مجد الرب الذى تراءى بالفعل ، على حدّ ادّعاء هذا المؤلف ، عندما :

« أخذ ابنا هرون ، ناداب وأبيهو ، كل منهما مجمرته وجعلا فيها ناراً ووضعا عليها بخوراً وقرّبا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها .
فخرجت نارٌ من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب ! . . »(٢)

هذا هو ، كما يُصوِّر مؤلف « سفْر اللاَّويين » ، مجد الرب!..

وأمَّا كيف اندلعت هذه « النار » ومن أىّ مصدر خرجت ؟ ولماذا كانت ! . فهذه أسئلة لا يتركنا هذا المؤلف إزاءها حيارى وهو فى

(١) الاصحاح ٩ « سفر اللاويين »
(٢) الاصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

افتراءآته على موسى قد تمادى . ومن ثمَّ فلا عجب أن يقطع شوطاً آخر في تماديه وتُصوِّر لنا نصوصُه هذه الصورة التي يريد أن يقول لنا بها إن هرون قد أقبل على موسى مستفسراً عن السبب الذى أدَّى إلى مصرع ابنيه على هذا النحو ؟. غير أنه عند ذاك ؛

« قال موسى لهرون ؛ هذا ما تكلَّم به الربّ قائلاً ؛ في القريبين منِّى أتقدَّس وأمام جميع الشعب أتمجَّد .

فصمت هرون . . . » (١)

وهنا .. هنا حتماً يسبح بنا الفكرُ أمام هذا الحديث الذى يحدثنا به مؤلف « سفْر اللاَّويين » عن تفجُّر هذه « النار » داخل الخيمة تفجّراً لم يجىء عرضاً وإنما كان مدبَّرا من الرب كيما يتمجَّد بمصرع هذين الكاهنين ... بل وعلى لوالبه الفكرية يدور الفكرُ منَّا أمام هذا الاستفسار الذى يشير إليه مؤلف «سفْر اللاَّويين» ويجعله قد أتى من جانب هرون ليليه هذا الأمر من جانب موسى وليتلوه هذا الصمت من جانب هرون مرة أخرى حتى ليبدو لنا هذا الحديث وكأنَّما هو معاول تاج بنا إلى الأغوار من النفسية التى كتبت هذا «السفْر»!.. هذه النفسية التى تتكشَّف عن جبروت عجيب هو موضع الذهول والتعجب نلمسه عبر افتراء جديد على موسى يقول بأنه عند ذاك ؛

« دعا موسى ميشائيل والصافان ، ابنى عزيئيل عم هرون ، وقال لهما ؛ تقدما ارفعا أخويكما من قدام القدس إلى خارج المحلَّة !

فتقدّما ورفعـــاهما فى قميصيهما إلى خارج المحلَّة ، كما قال موسى . »(٢)

---

(١) الاصحاح ١٠ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

كلا !.. لاحاجة بنا إلى التعليق على هذه النصوص فهى تفصح بنفسها عن نفسها ، لا عن مدى الافتراء على موسى ، عليه السلام ، فحسب وإنما عن مدى القسوة التى بها قد اصطبغت وخاصة عندما يتمادى هذا المؤلف اليهودى فى شططه ويسترسل فى حديثه قائلا بأن بعد ذلك اتّجه موسى إلى هرون وإلى ابنى هرون الباقيين :

« وقال موسى لهرون والیعازار وإيثامار ابنيه : لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا ! .. ومن باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا لئلا تموتوا ! ...» (١)

لماذا ؟ !..

هذا سؤال آخر والجواب عنه عسير إذا أحطنا بالمعنى الذى رمى إليه مؤلف « سفْر اللاويين » من وراء إبقاء هرون وابنيه الباقيين داخل « الخيمة » فهو قد قدّر أن « الخيمة » ستحول بين هرون وابنيه من جهة وبين الجماعة من جهة أخرى لفترة يهدأ فى خلالها الخاطر من هرون ومن ابنيه الآخرين معاً وتنسى الجماعة هـذا الحدث أو تتناساه فى نفس الوقت الذى لم ينس هـذا المؤلف شرهه الذى تسجله هذه النصوص القائلة :

« وقال موسى لهرون والعاذار وإيثامار ابنيه الباقيين : خذوا التقدمة الباقية من وقائد الرب وكلوها ! ... كلوها فى مكان مقدس لأنها فريضتك وفريضة بنيك من وقائد الربّ . فإنى هكذا أُمرت !

وأمّا صدْر الترديد وساق الرفيعة فتأكلونها فى مكان طاهر أنت وبنوك وبناتك معاً ! ...» (٢)

---

(١) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين » (٢) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

لم ينس هذا المؤلف اليهوذى الاحتياج إلى المأكل فى خلال تلك الفترة التى جعل هرون وابنيه يقضونها داخل « الخيمة » . بَيدَ أنه عاد فقدَّر بأن موقفاً كهذا لابدَّ وأن تعاف النفسُ فيه المأكل !.. ومن ثمَّ راح يسطر بأن ابنىّ هرون قد تركا « تيس الخطية » يحترق ..

« وأما تيس الخطية فان موسى طلبه فاذا هو قد احترق فسخط على العازار وإيثامار ابنى هرون الباقيين وقال : مالكما لم تأكلا ذبيحة الخطية ؟ ! .. أكلاً تأكلانها فى القدس كما أمرت ! ... »(١)

ولكن !.. فجأة ومرة واحدة يتجاهل مؤلف «سفر اللاَّويين» هذا الحدث وينصرف فى حديثه إلى ما يحاول أن يصرف بنا عنه التفكير ، فيأتى بالجديد من النصوص التى تجرى بسيل من التشاريع الجديدة وكأنَّما هو يريد أن يقول إنها قد استغرقت ، لا محالّة ، التفكير من هذه الجماعة خلال هذه الفترة الزمنية ومابعدها ، وأماهذهالتشاريع فيستهلها هذا المؤلف اليهوذى قائلا :

« وكلَّم الربّ موسى وهرون قائلا : كلِّما بنى إسرائيل قائلين : هذه هى الحيوانات التى تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض : كلّ ماشقّ ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فاياّه تأكلون إلاَّ هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف ، الجمل .. والوبر .. والأرنب .. والخنزير .. »(٢)

بهذه الصيغة تبدأ تشاريع الطعام وهى تشاريع استمدت أكثر موادها من التشاريع المصرية القديمة وخاصة فيما يختص بأكل الخنزير فقد كان أكله فى مصر القديمة محرماً . . ولكن ، ليس هذا كل ما ورد فى شريعة

---

(١) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين »
(٢) الإصحاح ١١ « سفر اللاويين »

والقرمز والزوفا « ويغمسها مع العصفور الحىّ فى دم العصفور المذبوح على المـــــاء الحى ويضح على المتطهر من البرص سبع مرات . . . فيطهر . ! » (١)

بهذه الخرافات يجرى قلم مؤلف « سفر اللاويين » وعند هذا المدى من التمادى لا يقف بل مستطيباً لنفسه التحليق فى هذا الجو الخرافى يزداد جنوحاً وإلى ترّهاته يضيف ترّهة جديدة تسجلها هذه النصوص التى لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الإيمان بقدسيتها هو ، بعينه ، الكفر الصريح !.. فنحن لا يسعنا إلاَّ الإستغفار بينما المسمع منا يصغى إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا هذا الحديث القائل :

« وكلّم الربُّ موسى بعد موت ابنى هرون عندما اقتربا أمام الربِّ وماتا وقال الربُّ لموسى : كلِّم هرون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت ! لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء ! . » (٢)

ولـكن !. : « بهذا يدخل هرون إلى القدس : بثور ابن بقر لذبيحة خطـيّة وكبش لمحرقة . . »

ومن جماعة بنى إسرائيل يأخذ تيسين من المعز لذبيحة خطية وكبشاً واحداً لمحرقة .

ويُقرِّب هرون ثور الخطية الذى له ويُكفِّر عن نفسه وعن بيته . ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع . ويلقى هرون على

---

(١) الاصحاح ١٤ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين »

التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل . . .

التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب يعمله ذبيحة خطيّة

وأما التيس الذى خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حياً أمام الرب ليكفّر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية .

ويقدّم هرون ثور الخطيّة الذى له .. ويذبح . . ثم يأخذ من دم الثور وينضح بأصبعه على وجه الغطاء إلى الشرق..وقدام الغطاء ينضح سبع مرات من الدم بأصبعه !

ثمّ يذبح تيس الخطيّة الذى للشعب ويدخل بدمه إلى داخل الحجاب ويفعل بدمه كما فعل بدم الثور وينضحه على الغطاء وقدّام الغطاء فيكفّر عن القدس من نجاسات بنى إسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم .

وهكذا يفعل لخيمة الاجتماع القائمة بينهم فى وسط نجاساتهم !. »(١)

ثمّ ؟ !

« ثمّ يخرج إلى المذبح الذى أمام الرّب ويكفّر عنه . يأخذ من دم الثور ومن دم التيس ويجعل على قرون المذبح مستديراً . وينضح عليه من الدم بأصبعه سبع مرات ويطهّره ويقدّسه من نجاسات بنى إسرائيل ففعل كما أمر الربّ موسى » .(٢)

أو شك ؟ ! . كلا ! . يقيناً إن بدم الثور وبدم التيس يتطهّر بنو إسرائيل! . . من نجاساتهم فلقد :

« كلّم الرب موسى قائلا : كلم هرون وبنيه وجميع بنى إسرائيل

---

(١) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين »

وقل لهم : هذا هو الأمر الذى يوصى به الرب قائلا : كل إنسان من بيت إسرائيل يذبح بقراً أو غنماً أو معزى ... وإلى باب خيمة الاجتماع لا يأتى به ليقرب قرباناً للرب أمام مسكن الرب .. يُقطع ذلك الانسان من شعبه ! .. » (١)

وهنا . . هنا ينتهى مؤلف « سفر اللاّويين » من تشاريع هذه الشرائع ليبدأ فى فرض الضرائب والأحكام ، وعليها يشتمل الإصحاح الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون والحادى والعشرون والثانى والعشرون من نفس « سفره » هذا ، وكلها أو بالأحرى جلّها ليست فى موادها ومادتها إلا رجع الصدى لفرائض وأحكام عرفناها فى مصر القديمة وفى بلاد ما بين النهرين لاوجه اختلاف إلا فى أن الفرائض والاحكام كانت فى هاتين الحضارتين القديمتين وضعية وأمّا فى هذا « السِّفر » فيأبى مؤلفه إلاّ أن يجعلها منزّلة وهو يسترسل فى حديثه ليحدثنا عما فرضه « إله إسرائيل » على بنى إسرائيل من «مواسم » و«محافل» حتى ينتهى بنا الإصحاح السابع والعشرون إلى القول بأن «هذه هى الوصايا التى أوصى الربّ بها موسى إلى بنى إسرائيل فى جبل سيناء ! »

والآن ؟ . . الآن وقد استنفد مؤلف « سفر اللاّويين » جهده فى سرد مواد يقول عنها بأنها « الفرائض والأحكام والشرائع التى وضعها الرب بينه وبين بنى إسرائيل فى جبل سيناء بيد موسى » ، تتراخى يده عن الامساك بالقلم بينما يبرز مؤلف آخر جديد تناول بدوره قلمه ليسطر السفر الرابع من «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى متخذاً لنصوصه محوراً « الأرض الموعودة » وليتخذ لحديثه نقطة بداية من حيث قال مؤلف « سفر اللاّويين » بأن بناء « مسكن الرب قد تمّ فى الشهر الأول من السنة الثانية للخروج من

(١) الإصحاح ١٨ « سفر اللاويين »

مصر » ومن ثم فإن الفترة الضرورية للتهيؤ للحرب قد اكتملت ومن هنا استهل نصوصه بهذا الافتراء ؛

« وكلّم الربُّ موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى فى أول الشهر الثانى ، فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر ، قائلا ؛ احصوا كل جماعة بنى إسرائيل ! . . من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب ! . . »(١)

كل « بيوت إسرائيل » خارجة للحرب إلاّ بيت «لآوى » . . فإنّما الرب قد أعفى « بيت لآوى » من خوض غمار المقاتلة والقتال فلقد ؛

« كلم الرب موسى قائلا ؛ أما سبط لآوى فلا تحسبه ولا تعده بين بنى إسرائيل . بل وكلّ اللاَّويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته وعلى كل ما له . هم يحملون المسكن وكل أمتعته وهم يخدمونه . وحول المسكن ينزلون فعند ارتحال المسكن يُنزله اللاَّويون وعند نزول المسكن يقيمه اللاَّويون والأجنبى الذى يقترب يقتل ! . »(١)

أوشك ؟ ! . . كلا ! . فلقد ؛

« كلّم الرب موسى قائلا ؛ وها إنى قد أخذت اللاَّويين من بين بنى إسرائيل ! . . . فيكون اللاّويون لى ! . . . » (٢)

وهنا لم يجد مؤلف « سفر العدد » إلا أن ينهج منهج المؤلفين الثلاثة الذين سبقوه فيسبغ القدسية على ما يفتريه من كلام فراح يخوض فى أودية الترهات وينسب إلى موسى ما هو ، عليه السلام ، منه برىء فازداد

(١) الإصحاح الأول « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٣ «سفر العدد »

كفراً بازدياده عليه افتراءاً إذ راح يسطر بأن عندذاك وقف موسى ينادى ؛

« إننـا راحلون إلى المكان الذى قال الربّ أعطيكم

إياه ! . »(١)

ولما كان حتما أن ترتفع الأبواق عند إعلان كل حرب فقد

أسرع هـذا المؤلف اليهوذى الرابع يقـول ؛ ورفع ابنـا هرون « البوقين

الفضيين » بالدوى المعلن ؛

الزحف الإسرائيلى صوب « الأرض الموعودة »

يصور لنا مؤلف « سفر العدد » هذا الزحف من وحى

خيال تصوّر فلول إسرائيل تسير فى اتباع لسبابة موسى وهى تشير إلى الأرض

الدفاقة باللبن والعسل ثم ليضع هذه الصورة فى إطار فرية على موسى ، عليه

السلام ، جديدة راح يحدثنا بأن القوم قد ؛

« ارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الربّ

راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلا . . . .

وعندارتحال التابوت كان موسى يقول ؛ قُم يارب ! . . .

وعند حلوله كان يقول ؛ ارجع يارب ! . »(٢)

هذا نص ينطوى على أصرخ ألوان التفكير الخراف بكل

ما تشتمل عليه هذه الكلمة من المفهوم العامى . فهو من الخرافات التى تنشأ

عن الترابط غير المنطقى ونجد له نظائر بالرجوع إلى تاريخ العقل الإنسانى منذ

---

(١) الاصحاح ١٠ «سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٠ « سفر العدد »

عصور ما قبل التاريخ وبدراسة المجتمعات البشرية التى مازالت تعيش عيشة بدائية ولذلك كان من وجهة نظر هذا المؤلف منطقياً طالما أن الرب قد نقل سكناه من الجبل إلى الخيمة وأصبحت غرفته الخاصة هى هذا « التابوت» الذى ألقاه هذا المؤلف على أكتاف « بنى إسرائيل» وبدأ به زحفهم صوب «الأرض الموعودة» ! ..

ولكن ! ..

يأبى مؤلف « سفر العدد» إلا أن يجىء برواية من حول هذا الزحف الذى جعله يتجه صوب «الأرض الموعودة» فهو يحدثنا بأن هذا الزحف وإن كان قد استهلّ مجراه بالتضام بين سائر أفراد هذا « الجيش » الذى تكون من أبناء إسرائيل بغية الاستيلاء على « أرض » عقد فى نفوسهم عنها اليقين بأنها قد مُنحت لهم منحة أبدية فإنما سرعان ما توقف هذا «الجيش» وأحجم ، فى تمرّد ، عن مواصلة المسير ! . فقد حدث أن انتشرت روح التذمر عقب ترك القوم لسيناء فدبّ دبيب التفكك فى أواصر هذا الجيش، ولم يكن هذا بالشىء الغريب . فلقد ارتحلت فلول إسرائيل وسارت وتابوت « عهد الرب »، الحامل «إله إسرائيل» ، نفسه بينها ومعها راحل ولكنها فى اتجاهها صوب «الأرض الدفاقة باللبن والفياضة بالعسل» لم تستقبل إلا جرداء بعد جرداء ولم تسلمها أرض جرداء إلاّ إلى أخرى جرداء حتى ولكأنّما « الأرض الموعودة » ليست فى مدى الواقع إلا مجرد سراب ! . .

إن جماعة إسرائيل ، كما يحدثنا مؤلف هذا «السفْر» ، لم تقاس قط الوحشة التى قاستها فى خلال هذه الفترة الزمنية التى يتحدث عنها وهى تسير فى أثر هذا « الجيش » الذى ما بدأ زحفه صوب « الأرض الموعودة »

إلاّ وتهافتت فيه الصبوة وإلا وتراجع فيه الجنوح وإلا وتثاقلت منه الخطى تثاقلا مصدره هذه القيافى التى توحى بالفزع من الآتى فزعاً يدفع بالنفس إلى الماضى والعودة إلى ما قد خلت به الخوالى من الأيام . .

كلا ! . لا إلى سيناء فقد كان العيش فى سيناء غير رغيد وإنما إلى مصر فقد كان العيش فى مصر ، وإن لم يكن رهيفاً ، غير عسير ! .

إن إسرائيل لم تقاس فى أيام عبودتها فى مصر هذا الشظف الذى تقاسيه الآن « كجماعة مقدسة » و « وكشعب مختار » ! . فلقد تفشت المجاعة وعضت بأنيابها هذه الجموع حتى المدى الذى دفعهم إلى أن يقفوا أمام أبواب خيامهم يستصرخون ويصرخون وحتى :

« بكوا وقالوا : من يطعمنا لحماً ؟

قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم .

والآن قد يبست أنفسنا ! .. » (١)

وهكذا . .

هكذا يسير هذا المؤلف اليهوذى بروايته ولا يرتضى لها إكمالا إلاّ بصوت له ينساب بين النصوص يصيح :

يا موسى ! .

ياموسى

أين « اللحم » ؟ أين « السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً » ؟

---

(١) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

أين القثاء ؟ والبطيخ ؟ والكرات ؟ وأين البصل ؟ ...

يا موسى

« لقد يبست أنفسنا » ! ..

وفى الواقع أن هذه الصرخات التى يطلقها مؤلف « سفر العدد » قد تعالت من جماعة إسرائيل فى خلال هذه الفترة الزمنية التى يتحدث عنها ولكنّ هذا المؤلف إذ يحدثنا عنها فلا يحدثنا إلاّ من خلال وحى خيال تمادى فى الجنوح وعلى ذلك يأتينا الدليل من نفس استرساله هذا بهذه النصوص التى يريد أن تكتمل بها روايته بهذا القول :

« فلمّا سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم ، كل واحد فى باب خيمته وحمى غضب الرب جداً ساء ذلك فى عينى موسى».[1]

وهنا .. هنا تتغير فى يد هذا المؤلف اليهودى الألوان ويبدأ فى رسم صورة جديدة لموسى ، هى فى الواقع صورة ترسمها أضواء التحليل النفسى لهذا المؤلف الذى أراد أن يصور لموسى قدرة خارقة على الإحاطة بنفسية الجماعات وعلى تحويل دفة الأمور من المجرى الصعب إلى المجرى السهل فهو لا يجعله يرد بكلمة واحدة على هذه الصرخات وإنما يجعله يتجه بخطوات وئيدة التحرك ثابتة الحركات ناحية « خيمة الاجتماع » حيث يسكن « يهـوه » لتسمعه جماعة إسرائيل شاكياً إياها إلى هذا الرب فلقـد :

« قال موسى للرب :

لماذا أسأت إلى عبدك ؟ .. حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علىّ !

---

(١) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

أولعلى ولدته حتى تقول لى احمله فى حضنك كما يحمل المُربِّى الرضيعَ إلى الأرض التى حلفت لآبائه ؟ ! .

من أين لى لحم حتى أُعطى جميع هذا الشعب ؟ !..

لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل علىَّ ! . . »(١)

يقيناً لقد التوى المقصد على مؤلف « سفْر العدد » فهو من حيث أراد لموسى تبجيلا أمعن عليه فى الافتراءات . . لا لأنه قد جعله يتحامل على نفسه بينما كانت مراجل الثورة تغلى فى صدور الجماعات ولا لأنه قد اتجه به إلى « مسكن الرَّب » وجعله يتّجه بصوته إلى الرّب كيما يخفّف من حدّة اللّهب المتقد فى الصدر من هذه الجماعات فحسب ، وإنما لأنه قال إن موسى قد اتّجه بعد ذلك إلى شيوخ هذه الجماعة وعرفائها محاولا تذويب عناصر الحقد التى دفعت بهم إلى محاولة زحزحة موسى نفسه عن منصب القيادة .

فنحن نسمع هذا المؤلف اليهوذى يحدثنا قائلا بأن عند ذلك :

« قال الربُّ لموسى : اجمع لى سبعون رجلا من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيبقوا هناك معك . فأنزل أنا وأتكلم معك هناك .

وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك ! . » (٢)

ثم :

(١) الاصحاح ١١ « سفر العدد » .
(٢) الإصحاح ١١ « سفر العدد »

« للشعب تقول ؛ تقدّسوا للغد فتأكلوا لحماً ! . .

تأكلون لا يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوماً ! بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ! ويصير لكم كراهة لأنكم رفضتم الرَّب الذى فى وسطكم وبكيتم أمامه قائلين لماذا خرجنا من مصر؟ . . » (١)

من أين ! . .

من أين ستأكل هذه الجماعة ، وعلى رأسها شيوخها ومن فى أيديهم أعنتها ، هذا اللحم ومن أى مصدر سيأتى كل ما يكفى هذه الجموع من اللحم ؟ . . سؤال ، يأتى عنه الجواب من هـذا المؤلف اليهوذى الذى قد راعى أن تكون الفترة الزمنية التى يتحدث عنها هى وقت هجرة طيور السلوى من كل عام كما قدَّر أن موسى ، وهو الذى كان قد عاش فى هذه البرية سنين طويلة ، له معرفة بموعد هذه الهجرة فى هـذا الوقت من كل عام . . فجرى قلمه بالتسطير يقول بأن عندذاك تساءل موسى ، وللرب ؛

« قال موسى ؛ ست مئة ألف ماش هو الشعب الذى أنا فى وسطه وأنت قد قلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم ؟ أم يجمع لهم سمك البحر ليكفيهم ؟ ! ..

فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه ..

فخرجت ريح من قبل الرب وساقت سلوى من البحر ...

فقام الشعب كل ذلك النهار وكل ذلك الليل وكل يوم الغد وجمع السلوى . . » (٢)

---

(١) الأصحاح ١١ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

ولـكن ! ..

« إذ كان اللحم بعد بين أسنانهم ، قبل أن يُقطع ، حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً ! . »(١)

وهـكذا .. مات مشتهو اللحم واللحم بعد بين أسنانهم لم يقطع .. وذلك ولا شك ، كان عقابا لهؤلاء المتمردين وأما للآخرين فـكان ردعاً وإرهاباً .. ولـكن ! . كيف مات هؤلاء ؟... هذا سؤال آخر الجواب عنه مطوى فى صدر هذا المؤلف الذى لم يكفه افتراء على موسى إلا وقال بأن الموتى لم يواروا التراب إلاّ وقام موسى ؛

« فدعا اسم ذلك الموضع «قبروت هتأوة» . لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا ! . » (٢)

ثم ؟ .. ثم عن « قبروت هتأوة » ، أو قبور الشهوة ، كان لابدّ من الارتحال السريع فالى أين سيزحف مؤلف هذا « السفر » بهذه الجموع وهو الذى قد أزمع أن يزحف بها صوب « الأرض الموعودة » ؟ ..

وإذن ، فلابد من أن يسطر قائلا إن ؛

« من قبروت هتأوة ارتحل الشعب إلى حضيروت » (٣)

ولـكن ! . حدث فى حضيروت أن ؛

« تـكلمت مريم وهرون على موسى .

---

(١) الاصحاح ١١ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١١ « سفر العدد »
(٣) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟ ! .
ألم يكلمنا نحن أيضاً ؟ . . . » (١)

ماذا يريد مؤلف « سفر العدد » أن يقول ؟ !. . أيريد هذا المؤلف اليهوذى أن يقول إن هنـاك سُحُباً كانت قد بدأت تتجمع بين موسى وبين هرون منذ وقف هرون يكهن للعجل المسبوك ، ومنـذ طلعت تلك « النـار الغريبة » وأحرقت ابنى هرون وإن هذه السحب قد تكاثفت الآن إلى غيوم فى « حضيروت » ؟

أم يريد هذا المؤلف اليهوذى أن يقول إن هناك مؤامرة كهنوتية يقف على رأسها رأس الـكهنوت نفسه ، هرون ؟ ! . . .

ولـكن . .

هنا هز هذا المؤلف رأسه .. ورنت منه العين متأملة هذا الأخ والشريك الذى تجنَّى عليه فجعله يتكاتف ومريم على إدارة الـكتف لأخيه .. بيد أن سرعان ما أسعفت هذا المؤلف قريحته فرأى أن من الأوفق أن تصمت من موسى ، إزاء ذلك ، الشفاه فراح يسطر :

« فسمع الرب !
وأما الرجل موسى فكان حليما جداً . »(٢)

لا جـدال فى أن مؤلف « سفر العـدد » قد أراد أن يتجـلَّى الحلم الموسوى تجلياً يرتسم لنا مـداه حينما جعل الشفاه منه تصمت إزاء هذا الحـديث . . ولـكن ، هذا المؤلف لم يرعو ! فقد راح مسترسلا

(١) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

وراء شطحات خيـاله فتصور موسى يتناول بيد مريمَ وبالأخرى هرونَ ويقودهما إلى « خيمة الاجتماع » ويسدل من ورائه على نفسه وعليهما لهذه « الخيمة » استارا . . ومن هنا راح يسطر :

« قال الرب حالاً لموسى وهرون ومريم : اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع . فخرجوا هم الثلاثة .

فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هرون ومريم فخرجا كلاهما .

فقال : اسمعا كلامى ! إن كان منكم نبى للرب فبالرؤية أستعلن له ! في الحلم أكلمه ! أما عبدى موسى فليس هكذا ! . . فما إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز ! .(١) »

هفوة كبرى يقع فيها هذا المؤلف تنتفى بها عنه المعرفة بأبسط قواعد المنطق ! . لم يتنبـه هذا المؤلف وهو يسطر قائلا بأن هرون ومريم عندما تكلما على موسى وقالا « هل كلم الرب موسى وحـده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضـــاً » إلا أنه من حيث أراد دحض قوليهما قد أيدهما فيما قالا ! . . إذ قال إن الرب قد اضطر إلى الظهور في عمود سحاب ووقف في باب « خيمته » حيث دعاهما وتحدث إليهما زاجراً وكلمهما قائلا « اسمعا كلامى » ! ؟ . .

ولـكن ! . مؤلف « سفر العدد » قد حرّر نفسه من كل قيد من قيود المنطق ولم يرتض لفكره إلا على جناح الهوى انطلاقاً يشطح به حسبما شاء وإلى حيثما شاء وكيفما شاء ! . . . ومن ثم فهو لم يفرغ من

---

(١) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

صياغة ماتقدم من نصوص الا لينهى روايته هذه قائلا بأن بعد ذلك قد :

« حمى غضب الرب عليهما ومضى ! ..(١)

كلا ، لن نتساءل إلى أين مضى « رب إسرائيل » ؟.. كلا. فان الذى يجىء فى عمود سحاب لابد له أن يمضى فى عمود سحاب . . . وإنما نقول إن هذه رواية بلغت من السخف المدى الذى لا يسع الإنسان عند سماعها إلا أن يطلق ضحكة مجلجلة فهى قصة لاتصلح حتى أن تكون من قصص الأطفال ، ولو كانت لكان مؤلفها موضع سخرية فكيف بهاقصة من قصص « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى وتعتبر ، فى نطاق التفكير الدينى اليهودى الحالى « مقدسة » ؟ ....

يقيناً إنه لعبث بالعقول وأى عبث أفدح من أن تعتبر هذه النصوص ذات مصدر قدسى !!..

ولكن ... حتماً علينا أن نوالى الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهوذى وأن نتنبه إليه وهو يزيح الأستار عن « الخيمة » ويخرج بمريم وبهرون . . . فلقد جابهت هذا المؤلف مشكلة وهى أنه ولا بدّ أن يأتى بصورة جديدة يصوّر فيها « غضب الرب » .. ومن ثم راح من جديد يسطر :

« فلما ارتفعت السحابة عن الخيمـــة إذا مريم برصاء كالثلج ! »(٢)

كلا ! . لا خوف على مريم فليس هـذا بمرض قد أصابها ،

---

(١) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

كما يبدو لأول نظرة فالبرص إنما هو مرض لايمكن قط أن يظهر فجأة . ومن ثم فان هذا اللون الذى كساها بخضابه لم يدم طويلا كما بذلك يحدثنا هذا المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك :

«التفت هرون إلى مريم وإذا هى برصاء فقال هرون لموسى :

ياسيدى ! لاتجعل علينا الخطية التى حمقنا وأخطأنا بها !.» (١)

ما هى هذه « الخطيّة » التى يدّعيها ولا يريد أن يفصح عنها حتى الآن مؤلف « سفر العدد » ؟ . .

هذا سؤال ستجيب عنه من بعد الأحداث يوم يطوى هذا المؤلف هرونَ فى « جبل هور » ومن أعلاه به لن يعود وأما الآن فيحدثنا قائلا بأن بعد ذلك :

« صرخ موسى إلى الرب قائلا : اللهم اشفها !

فقال الرب لموسى : لو بصق أبوها بصقاً فى وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام ؟ ! تُحجز سبعة أيام !. » (٢)

وبعد ذلك ماذا هناك فى جعبة هذا المؤلف ؟ . . ماذا هناك بعد أن أوقع الحكم الموسوى على مريم بالحبس سبعة أيام ؟ . . .

« بعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا فى برية فاران ». (٣)

لماذا ؟ ! . لأن الزحف صوب « الأرض الموعودة » سيبدأ

---

(١) الأصحاح ١٢ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

من « فاران » . . فان من هناك :

« كلّم الربّ موسى قائلا : أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل . رجلا واحداً لكل سبط من آبائه . . كل واحد رئيس فيهم .

فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب . كلهم رجال هم رؤساء بنى اسرائيل ... ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم : اصعدوا من هنا الى الجنوب واطلعوا الى الجبل وانظروا الأرض ما هى ؟ والشعب الساكن فيها أقوى أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ . . . وما هى المدن التى هو ساكن فيها ؟ أمخيمات أم حصون ؟ . » (١)

بمدد الصبر نتذرع ونحن نوالى الإصغاء الى فحش افتراءات هذا المؤلف الذى تمادى فى تصويره لموسى بصورة هو برىء منها هذا الرسول الكريم اذ جعله يرسل جواسيس يتجسسون « أرض كنعان » ويجوبون تلك الأنحاء القريبة من منابع الأردن عند مدخل حماه حتى صعدوا الى الجنوب وأتوا الى حبرون وليحدثنا بعد ذلك بأنهم قد :

« رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوما فساروا حتى أتوا إلى موسى وهرون وكل جماعة بنى إسرائيل الى برية فاران الى قادش وردوا اليهم خبراً . . . وقالوا : قد ذهبنا الى الأرض التى أرسلتنا اليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلا ! . . غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً ...العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب، والحثيون واليبوسيون والأموريون

---

(١) الاصحاح ١٣ « سفر العدد »

ساكنون فى الجبـــل ، والـكنعانيون ساكنون عنـــد البحر وعلى جانب الأردن . . » (١)

من اليقين أن هذه العبارة تدلنا دلالة كافية على كثافة السكان فى « أرض كنعان » وقوتهم وضخامة عمرانهم غرب الأردن عهد ذاك إزاء هذه الحفنة من بنى إسرائيل وهذا ، ولا شك ، هو الذى دفع مؤلف «سفر العدد» الى أن يقول بأن هؤلاء الجواسيس قد أبوا إلا أن يسدوا النصح قائلين :

« لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشدُّ منا . . » (٢)

ولـكن ! . . هنا حتمت سياسة هذا المؤلف اليهودى أن يضيف الى أكاذيبه أكذوبة جديدة فهـو لا يصور لنا موسى وقد أشاح بوجهه عن هـذا النصح وأنه قد اتَّجه الى صوت له إليـه يقول : « بل نصعد ونمتلـكها لأننا قادرون عليها » إلا ليقول بأن عنـد ذاك كان أن هبَّت العاصفة ! :

وهنا ..

هنا يبدأ مؤلف « سفر العدد » برواية جديدة يحدثنا بها عن تمرد كهنوتىّ على موسى وعن ثورة جماعية عليـه مستهلا روايته هذه بقوله بأن العاصفة قد هبت إثر تأليب هؤلاء الجواسيس جماعة إسرائيل على موسى فقد اتَّجه هؤلاء الجواسيس إلى جماعة إسرائيل قائلين :

« الأرض التى مررنا بها نتجسسها هى أرض تأكل سكانها ! . .

---

(١) الأصحاح ١٣ « سفر العدد »

(٢) المصدر نفسه

جميع الشعب الذى رأيناه فيها أناس طوال القامة ! .. فكنا فى أعيننا كالجراد وهكذا كنا فى أعينهم !.. » (١)

وسريان النار فى الهشيم سرى قول هؤلاء الجواسيس فى جماعة إسرائيل . . ؛

« فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت ! وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ؛ ليتنا متنا فى أرض مصر ! .. لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض ؟ لنسقط بالسيف ؟ . تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ؟ ! . أليس خيراً لنا ان نرجع الى مصر ؟ ! .

فقال بعضهم لبعض ، نقيم رئيسا ونرجع الى مصر !.. » (٢)

رئيس جديد ؟ . لا جدال فى أنه لتمرد جديد على موسى ! ..

ولكن ! ..

هذا التمرد على موسى ، عليه السلام ، من بنى اسرائيل ليس بغريب وان كانت هذه النصوص تجىء به تحت لون جديد فهو تمرد لا يحمل فى ثناياه أشد التحامل على موسى فحسب وانما هو يحمل فى نفس الوقت نوايا خلعه كرئيس والمناداة برئيس جديد !

بهذه النصوص يطلع علينا مؤلف « سفر العدد » مجاهراً بهذا التمرد الذى سجل انشقاق جماعة اسرائيل على موسى والا لما كانت هذه العاصفة

---

(١) الاصحاح ١٣ (سفر العدد)

(٢) الاصحاح ١٤ (سفر العدد)

قد تركت ذكرها فى تاريخ بنى إسرائيل حتى جاءت تُصوّرها هذه النصوص قائلة بأن فى محلّة إسرائيل دوّى هدير هذا التآمر وأنه ما انطلق وفى محلة إسرائيل تجاوب إلا و :

« سقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بنى إسرائيل!..»(١)

للخيال أن يتصوّر هـذه الصورة التى صوّرها مؤلف « سفر العدد » لموسى ولهارون معاً بينما تصمت منا الشفاه ويسبح منا التفكير فى هذه الترّهات التى جافت وتجافى الصورة الموضوعة فى الإطار الدينى لهاتين الشخصيتين الكريمتين.. ومن ثمّ فلا حاجة بنا إلى التعليق بأكثر من ذلك على هذه النصوص التى لم تقف فى تماديها عند هذا المدى وإنما استرسلت جانحة لتحدثنا عن موقف جماعة إسرائيل من هذا المشهد الذى لم يتورع هـذا المؤلف عن أن يصوره على هذا النحو :

« فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة إسرائيل . . .

ولكن !

قال كل الجماعة : أن يُرجما بالحجارة ! . . . »(٢)

وهنا .. هنا يقف مؤلف « سفر العدد » للحظة يحاول خلالها جاهداً أن يأتى ببدعة أخرى يعيـــد بها بنى إسرائيل إلى الصواب فلا يسعفه الخيال إلا ببدعة تبتعث فى الذاكرة منّا ذكرى ذلك المشهد الذى مر

---

(١) الاصحاح ١٤ «سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

به علينا من قبل .. ذلك المشهد الذى ابتدعه خيال هذا المؤلف نفسه حينما صوّر موسى يهب فيجمع سبعين من عرفاء بنى إسرائيل وشيوخها ويشد إليه داخل « الخيمة » منهم الوثاق . فهؤلاء كان حتما أن يأتى بهم هذا المؤلف الآن لنجدته ويجعل من سواعدهم سياجاً يدفع من خلاله موسى، آمناً، إلى باب « الخيمة » حيث :

« ظهر مجدُ الرب فى خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل ! »(١)

وأمَّا كيف « ظهر مجد الرب » فى هذه المرة ؟!.. فهذا سؤال الجواب عنه مطوى فى صدر يشوع بن نون حيث كان لا يترك « الخيمة » ، إذا خلت ، خالية منه أبداً . . هذه « الخيمة » التى اتجهت إليها سطور هذا المؤلف قائلة بأن « مجد الربّ » قد « ظهر » فيها عندما من داخلها إلى الجماعة فى الخارج تكلّم الصوت :

« وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب ؟ . .
وحتى متى لا يصدقوننى ؟ ! . . »(٢)

ترانى ماذا أفعل بهم ؟ ..

هكذا يسير منطق « إلـٰه إسرائيل » عبر نصوص مؤلف « سفر العدد » التى تسير قائلة بأن الرب قد استطرد قائلا لموسى : « إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم ! وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم ! ... »(٣)

كلا . . لا تعليق لدينا على هذه النصوص التى تحمل بين ثناياها البرهان القاطع على انتفاء القدسية عنها ، فحسبنا منها التأمل فيما عليه تشتمل من أباطيل تؤكدها ما سيتلوها من نصوص لاسيَّما ونحن نوالى إلى هذا

---

(١) الاصحاح ١٤ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »
(٣) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

المؤلف الإصغاء ونسمعه يأتينا برواية أخرى يأتى بها كنهاية لهذه الرواية . . . ومن ثم شمّر عن ساعده وراح يسطر قائلا بأن هذه الجماعة التى كانت تحف بأطراف « الخيمة » تتسمّع إلى صوت الربّ الآتى من داخلها يقول بأنه سيكيل لهم الصاع بالصاع وأنهم لو تجاسروا واستبدلوا بموسى رئيساً آخر فسيضربهم بالوباء وسيبيدهم ويستبدلهم بشعب آخر يختاره لنفسه ولن يسلم إلا إلى موسى مذه القياد، هذه الجماعةقد انتفضت فزعاً ولم تهدأ منها النفس إلا عند ما سمعت صوت موسى يرتفع مجيباً « الرب » يناشده بأن يحدّ من حدته ويعود بذاكرته إلى ماقد قطع على نفسه من عهود ووعود فلقد :

« قال موسى للرب : فيسمع المصريون ! . . ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا إنك يارب فى وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلا فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين :لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم قتلهم فى القفر ! فالآن لتعظم قدرة سيدى ! .. الرب طويل الروح . . . اصفح عن ذنب هذا الشعب ! . . . » (١)

لاجدال فى أن هذا المؤلف قد بلغ بهذه النصوص أقصى مداه فى العبث بالعقول ! . ومن هنا نرانا ، مرة أخرى ، نقترب من هذا المؤلف كيما نسلط عليه عن قرب أضواء « علم النفس » وهو يصور لنا هذه الصورة المفتراة عن موسى التى لايجعله يتجه فيها إلى الجماعة بحرف واحد من عتاب وإنما يجعله

---

(١) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

يتجه إلى « الخيمة » و يجيب الصوت المنطلق من داخلها بهـذا الـكلام المستدر من الجوانب عاطفة الحنان . فهو يجعله يخاطب « يهوه » مستعطفاً وله يصف بطول الأناة طالباً منه الصفح عن هذا « الشعب » الذى إذا صبّ عليه نقمته وأفناه فماذا ستقول الشعوب الأخرى عن هذا « الرب » وفى مقـــدمة هذه الشعوب ستـكون مصر ؟ ! .

وكالسّهب اللافح ، كما يحدثنا هذا المؤلف ، راح هذا القول يلفح النفوس من هذه الجماعة بلفحات الندم فـكان أن انقلب العصيان إلى خنوع وكان أن عاد التيار من جذر التمرد إلى مد الاستسلام حتى عادت كل الجماعة ، كما تدعى النصوص ، تستعطف موسى . .

لا ريب فى أن هذه النصوص تحمل لوناً من التفـكير عجيباً ! . فهو لون لا يتنافى وأبسط قواعد المنطق فحسب وإنما هو ينقضه نقضاً من الأساس ! . فأى ربّ هذا الرب الذى يمكن أن يحاجه إنســان ولا سيما بهذه الصيغة من المحاجة ! ؟ . نعم ؛ أى إنسان كان هذا الانسان الذى يستطيع أن يعزى هذا الحوار إلى مصدر قدسى ما خلا مؤلف « سفْـر العدد » هذا الذى لم ينته من سرد ما قد ابتدع من حوار إلاّ ووجد نفسه قد استشاط نقمة وغضباً حتى أبى إلا أن ينزل الانتقام بأولئك الذين أثاروا ثائرة الجماعة بينما رأى أن الصفح عن الجماعة هو الأنسب فى هذا المجال . . . وإذن فليشمّـر هذا المؤلف مرة أخرى عن ساعديه ويسطر قائلا بأن الجواب إلى موسى قد دلف يصفح عن الجماعة ويأمر بإعدام الثائرين . . فلقد ؛

« قال الرب ، قد صفحت حسب قولك ! .

ولـكن ! حىّ أنا ! . .

إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى . . وجربونى إلى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى حلفت لآبائهم ! وجميع الذين أهانونى لا يرونها ! . » (١)

ويقيناً ! « حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ ! . .

قل لهم . . . . لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى ! فى هذا القفر تسقط جثثكم ! . . لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكنكم فيها ! . . لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على ! فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون ! » (٢)

وهكذا أصدر مؤلف « سفر العدد » الحكم بالإعدام على الثائرين حكماً مشمولا بالنفاذ إذ أسرع يقول و :

« مات الرجال الذين أشاعوا المذمة ! . . » (٣)

والآن . . الآن لنا أن نسأل هذا المؤلف قائلين من كان أولئكم الرجال « الذين أشاعوا المذمة . » ومن مؤلف هذا « السفر » يأتينا الجواب صريحاً يقول بأنهم أولئك الجواسيس العشرة ! .. هؤلاء الجواسيس العشرة هم الذين أثاروا التذمر وأشعلوا نار التمرد وأوغروا الصدر الجماعى على موسى ما خلا اثنان ، أحدهما « كالب بن يفنة » وأما الآخر فكان « يشوع بن نون .. » (٤)

والآن ؟ الآن ، ليوالى المسمع الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى

(١) الاصحاح ١٤ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

الذى لم يجىء بقصته هذه ويكملها بمصرع الثائرين إلا ليصور لنا مدى ما أتى به من أكاذيب بهذا المشهد الجديد الذى يرسله نصوصاً تقول بأن :

« لمَّا تكلَّم موسى بهذا الكلام إلى جميع بنى إسرائيل بكى الشعب جداً . ثم بكروا صباحاً وصعدوا إلى الجبل قائلين : هوذا نحن نصعد إلى الموضع الذى قال الرب عنه فإننا قد أخطأنا ! » (١)

وهنا . . هنا نرانا نتساءل : تُرى ؟ . .

تُرى ماذا سيفعل مؤلف « سفر العدد » بهذه الجماعة التى صورها باكية نادمة وبخطئها قد اعترفت حتى أنها أرادت أن تتقدَّم فى السير صعوداً نحو « الأرض الموعودة » ، وهو فى نفس الوقت لم يزل يرى أن الفرصة بعد لم تسنح للاقدام على غزو « أرض كنعان » ؟ !.

إذن ، فليخرج من هذه المشكلة التى تعترضه بأن يقول إن موسى قد وقف فى هذه الجماعة ينهاها عن التقدم نحو تلك الأرض الفياضة باللبن والعسل قائلاً :

« لا تصعدوا . . لأن العمالقة والكنعانيين هناك قدامكم ! . » (٢)

ما هذا الخلط ؟ !. ما هذا الخلط فى التفكير الذى يأتى به مؤلف هذا « السفر » حتى المدى الذى تتناقض به نصوصه بعضها مع بعض ؟ . أليس هذا القول هو نفسه نفس ما جاء به أولئك الجواسيس العشرة من قبل وكان القتل عليه لهم عقاباً ؟ ! .

ولكن ! . إلى هذا الخلط لم يتنبه مؤلف «سفر العدد » ! فحسبه أنه قد راح بهذه النصوص يمهد لما سيتلوها من نصوص أخرى سيحدثنا بها عن

(١) الاصحاح ١٤ « سفر العد »

(٢) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

تلك الهزيمة التي حلّت بهذه الجماعة في استهلالها تاريخ الاعتداء . فإنما هذا المؤلف اليهوذي لم يرم من وراء ما تقدم من نصوص إلا إلقاء تبعة الهزيمة على هذه الجماعة التي دفعها السغب إلى « أرض تفيض لبناً وعسلا » فراحت تتدافع نحو الجبل تدافعاً سمته الفوضى وعدم التنظيم ومن ثم كان حتما الارتداد .

ومن هنا راح يسطر قائلاً :

« تجبروا وصعدوا إلى رأس الجبل ... فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم ! . » (١)

ولكن ! .. هنا يأبى هذا المؤلف اليهوذي إلا أن يجعل لروايته هذه خاتمة مثيرة فأطرق وفكّر . . . ثمّ خرج من تفكيره هذا بأن رأى أن هذه الهزيمة لابد وأن تكون باعثاً لقلق الرؤوس من هذه الجماعة . . ولما كان هؤلاء الرؤساء أعضاء الهيئة الكهنوتية ، فقد شحذ قلمه وأجراه قائلا : بأن عند ذاك هبت في داخل الصرح الكهنوتي عاصفة قوية أشدمن الأولى وأعنف أرسلت رياح التذمر ضد موسى ومن ثم راح يسطر قلمه :

التمرد الكهنوتي على موسى

يستهل مؤلف « سفر العدد » حديثه عن هذا التمرد الكهنوتي ضد موسى قائلا :

« وأخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى وداثان وابيرام ابنا البياب وأبون بن فالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بنى إسرائيل مئتين وخمسين رؤساء الجماعة ... فاجتمعوا على موسى وهرون وقالوا لهما :

(١) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

كفا كما ! . .» (١)

أجل . . كل :

« رؤساء الجماعة . . . اجتمعوا على موسى وهرون وقالوا :
وقالوا : كفا كما ! إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟ ! . .» (٢)

وهنا . . هنا رأى مؤلف « سفر العدد » ، وهو الذى جعل هذا التمرد على موسى يأتى من « بيت لاوى » ، وهو بيت موسى نفسه ، أن يجعل هذا لدى موسى موضع حسبان . فهذا بيت لئن رفعه موسى ، على حد قول هـذا المؤلف اليهوذى ، إلى الصدارة بأن أسلم ليده زمام الكهانة فليس ذلك إلا ليستمد منه قوة وليس إلا ليتخذ لنفسه منه سياجاً وأما تمرده هذا فإنما يحمل أخطر النتائج ! .

حقيقة أن هذا المؤلف كان ، من قبل ، قد أوغر الصدر من الجماعة على موسى ودفعهم إلى التفكير فى إقامة رئيس جديد من بيت لاوى غير موسى بيد أنه الآن وهو قد جعل بيت لاوى نفسه يتآمر ضد موسى وجعل الجانب الكهنوتى يطلق صرخته مدوية فليس إلاّ ليسير بنصوصه المفتراة هذه إلى أقصى المدى حتى أنه لم يعد من العجيب ، بعد ، أن نسمعه يحدثنا قائلا :

« فلما سمع موسى سقط على وجهه ! . .» (٣)

غفرانك يا ألله ! . .

---

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٣) المصدر نفسه

يقيناً لقد بلغ هذا المؤلف اليهوذى أقصى أبعاد السفه بهذا القول غير أنه سرعان ما عاد يتماسك ويتحامل على نفسه فاستقام يسطر قائلا بأن سرعان ما قام موسى بعد ذلك متجهاً إلى هذه الجموع من « بيت لآوى » صارخاً فيهم ؛

« كفاكم يا بنى لآوى !. . اسمعوا يابنى لآوى . . .

أقليل عليكم أن إآله إسرائيل أفرزكم من جمـــاعة بنى إسرائيل ليقربكم إليه ؟ ! . » (١)

وأنت ! . أنت يا « قورح » أصغ . . إن موسى لك يقول ؛

« أنت وكل جماعتك متفقون على الربّ .

وأمّا هرون فما هو ؟ حتّى تتذمّـروا عليه ؟ . » (٢)

هذه نصوص لها مغزاها ولا يسع الفكر إلا أن يعمل فيها تفكيره لا سيا وهى تسترسل فى كفر بـيِّن تقول بأنه بعد ذلك قد اتجه موسى يستدعى الزعيمين الآخرين ، داثان وأبيرام . . وهنا لنترك المسمع منا يصغى الى هذا المؤلف وهو يسترسل يحدثنا قائلا ؛

« فأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام . . .

فقالا . . ؛ أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلا لتميتنا فى البرية حتى تترأس علينا ؟ . . كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبنا وعسلا . . » (٣)

وعند ذاك ؛

« اغتاظ موسى جداً ! وقال للربّ ؛ لا تلتفت إلى تقدمتهما ...» (٤)

---

(١) الاصحاح ١٦ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »
(٣) الاصحاح ١٦ « سفر العدد » (٤) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

ولكن .. حدث عند ذلك أن :

« كلم الرب موسى قائلا : كلم الجماعة قائلا : اطلعوا من حوالى مسكن قورح وداثان وأبيرام .. اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ! . »(١)

لماذا ؟ ! . .

« لئلا تهلكوا ! إن ابتدع الرب بدعة . . »(٢)

يقينا إنها لبدعة إنما هى هذه البدعة التى تجعل الرب يبتدع « بدعة »

ولكن ! . . ماهى هذه البدعة ؟ ! . .

سؤال نلقيه الى هذا المؤلف وبالاجابة هو غير ضنين إذ يحدثنا قائلا بأن :

« لما فرغ موسى من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم ! . . فنزلوا وكل ما كان لهم . أحياء إلى الهاوية ! . . فبادوا ! . . . »(٣)

وأيضاً ، كتلك « النار الغريبة » التى خرجت من عند الرب وأكلت ابنى هرون

« خرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلا ! . . »(٤)

لا جدال فى أنه لمشهد أخرجه مؤلف « سفر العدد » على مسرح التاريخ العبرى عجيب ! . . ولكن لا تعليق يأبى منا على هذه المسرحية التى أخرجها هذا المؤلف اليهوذى بعد أن ألف فصولها من جنحات الخيال وشطحات الهوى وإن كان التفكير منا يأبى ألا أن يتخذ فى رحاب المنطق مداه فى

(١) الأصحاح ١٦ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »
(٣) الأصحاح ١٦ « سفر العدد »
(٤) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

هذه الفصول التى ما انتهى من تمثيلها وعليها أسدل الستار إلا وجعل سائر جماعة بنى إسرائيل يهمسون همسة واحدة سجلتها هذه النصوص تسجيلا يمكننا من أن نطلق عليه اسم :

الثورة الجماعية على موسى

يوالى مؤلف « سفر العدد » حديثه قائلا بأنه لم تمر من عمر الزمن على مصرع زعماء الثورة الكهنوتية على موسى وعلى احتراق من تضامنوا معهم ليلة من عمر الزمن إلا وهبت فى صبحها جماعة بنى إسرائيل ترسل شرر الغضب ... فلقد :

« تذمر كل جماعة بنى إسرائيل فى الغد على موسى وهرون قائلين :
إنكما قد قتلتما شعب الرب ! . » (١)

ومن هنا ينثنى هذا المؤلف فيصور لنا كيف اندلع اللظى الكامن فى الصدر الجماعى لهيباً دفع بالجماعة على موسى وهرون حتى هموا بالهجوم عليهما هجوماً ألجأهما إلى « خيمة الاجتماع » حيث أسرع « مجد الرب » فى الترائى كيما يرد عن موسى وهرون معاً غضبة الجماهير فالمؤلف يحدثنا قائلا بأنه :

« لما اجتمعت الجماعة على موسى وهرون انصرفا إلى خيمة الاجتماع وإذا هى قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب ! .. » (٢)

ويقيناً .. لطالما أنقذت هذه « السحابة » التى حاكها مؤلف « سفر العدد » مواقف عديدة شبيهة بهذا الموقف الذى سحب به بهذه « السحابة » سحب التذمر والتمرد والعصيان بعيداً عن موسى وجعله من خلالها يشق طريقه

(١) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

إلى قلوب هذه الجماهير الهائجة التى ما تراءت هذه « السحابة » لها إلاّ وعدلت عن عدوانها وعادت إلى الحظيرة منها الخطوات ..

بيد أنّ عند الحد لا يقف مؤلف « سفر العدد » وإنما هو قد ارتأى أن اختتام القصة بكارثة يكون أوقع فى النفوس فشمّر عن ساعده وقال إنه بينما كان «مجد الرب » يتراءى كانت الجماهير فى غفلة عمّا كان قد أصاب المحلة من وباء .. وما بدأ هذا الوباءُ يجتاح بعض أفراد فيها إلا وكان ذلك بمثابة التيار الذى حوّل منها الأعناق مستنجدة بموسى حتى المدى الذى اخفض منها لإمرته الرؤوس وذلك بينما كان هرون ، على حد تصوير المؤلف ، يدور بمجمرته بينها مطلقاً البخور ...

والآن ؟ . . الآن ومؤلف « سفر العدد » قد صوّر لنا جماهير قد ثارت ولم تهدأ الا باجتياح الوباء « المحلة » وعن الانصراف إلى الاسترسال فى ثورتها قد صرفها الانشغال بموتاها نرانا نتساءل :
تُرى ؟ . . كيف سيُنْهِى هذا المؤلف روايته هذه عن هذا التمرد وعن هذه الثورة ؟! . .

يقيناً ليس أمام هذا المؤلف إلا أن يرى أنه لو كان أمر الكهانة منحصراً فى هرون لما كان قد استطاع هذا الكهنوت من بيت لاوى أن يتمرد هذا التمردا . وإذن .. فلينهى هذا المؤلف روايته بهذه النصوص قائلا :

« وكلم الربُّ موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل وخذ منهم عصا عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم اثنتى عشرة عصا .

واسم كل واحد تكتبه على عصاه واسم هرون تكتبه على عصا لاوى . . . . ليرأس بيت آبائهم عصا واحدة ! وضعها فى خيمة

الاجتماع أمام الشهادة حيث أجتمع بك . » [١]

لماذا ؟ . هذا سؤال لا يتولى الإجابة عنه إلا هذا المؤلف نفسه الذى استرسل فى شططه ليحدثنا قائلا إن « إله إسرائيل » قد واصل الكلام قائلا :

« فالرجل الذى أختاره تفرخ عصاه !

فأسكن عنى تذمرات بنى إسرائيل التى يتذمرونها عليكما ! . » [٢]

حسب هذا المؤلف اليهودى أنه بهذا القول قد وجد لنفسه مخرجاً بل ووسيلة لإفراغ أمر الكهنوت فى يد هرون وبذلك أضاف إلى افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، افتراء جديداً إذ ادّعى أنه خرج من «خيمة الاجتماع» يقول ذلك لبنى إسرائيل .. وأنه بذلك قد :

« كلّم موسى بنى إسرائيل فأعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا . لكل رئيس حسب بيوت آبائهم اثنتى عشرة عصا . وعصا هرون بين عصيهم . فوضع موسى العصىّ أمام الربّ فى خيمة الشهادة ! » [٣]

تُرى ؟ ! . تُرى أىّ واحدة من هذه العصىّ هى التى سيجعلها هذا المؤلف تفرخ ؟ . . كلا ! . لن نسأل هذا المؤلف كيف يمكن لعصا أن تفرخ فحسبنا معرفتنا بما عليه تشتمل نصوصه من جنوح إذ أبى إلا أن يضرب موعداً لهذا التفريخ غد اليوم التالى . . ذاك « الغد » الذى جعله هذا المؤلف يوماً تمّ فيه ، على حد روايته :

---

(١) الاصحاح ١٧ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

حصر الكهانة فى هارون ونسل هرون

يحدثنا مؤلف « سفر العـــدد » قائلا : لقـد جمع موسى العصى الاثنتى عشرة ومن بينها عصا هرون ووضعها فى « الخيمة » أمام « الرب » وتركها لليلة . . وفى الغد : .

« وفى الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة وإذا عصا هرون . . قد أفرخت ! . » (١)

« عصا هرون . . . أفرخت » ؟ ! .

سؤال ، نلقيه عبر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودى ليرسل إلينا عبر نصوصه الجواب مؤكداً بأن عصا هرون لم تفرخ دون سائر العصى لبيوت إسرائيل فحسب وإنما :

« أخرجت فروخاً ! وأزهرت زهراً ! وأنضجت لوزاً ! . » (٢)

ما هذا الهراء ؟ ! . فى ليلة واحدة تفرخ عصا وتخرج فروخاً وتزهر زهراً وتنضج لوزاً ؟ ! .

ولكن ! . ما هو الهدف من وراء هذه الأكذوبة التى اختلقها هذا المؤلف ونسبها ، بهتاناً ، إلى موسى ؟ ! . . يقيناً إن ذلك لم يكن إلا لغاية يفصح عنها هذا المؤلف من خلال نصوصه القـائلة بأن بعد ذلك خرج موسى من « الخيمة » :

« فأخرج . . جميع العصى من أمام الرب إلى جميع بنى إسرائيل فنظروا وأخذ كل واحد عصاه . . . » (٣)

(١) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »
(٣) الإصحاح ١٧ « سفر العدد »

غير خفى أن مؤلف « سفر العدد » يريد أن يقول لنا بأن أصحاب العصى قد نظروا إلى عصيهم فى صمت ثم تناول كل واحد منهم عصاه وراح فى أرجاء المحلة يضرب بها بلا عصيان وبدون أن تتحسس الأيدى منهم ما على عصا هرون من فروخ ومن زهر ومن لوز لأن هرون ، نفسه ، لم يتناول عصاه ، فقد :

«قال الرب لموسى : رد عصا هرون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ علامة لبنى التمرد ، فتكف تذمراتهم عنى لكى لا يموتوا ! . »(١)

وهنا لا يتنبه هذا المؤلف اليهوذى إلى ما يقول وهو يسترسل يحدثنا بأن عند ذلك هب سائر بنى إسرائيل يخاطبون :

« موسى قائلين : إننا فنينا وهلكنا ! . . كل من اقترب إلى مسكن الرب يموت ؟! . »(٢)

كلا ! . لم يتنبه هذا المؤلف إلى ما قد أتى به من بهتان بهذا الحدث الذى اختلقه ، حدث تفريخ عصا هرون ، فلقد استغرقته هذه الرواية التى رمى من ورائها إلى حصر الكهانة فى هرون ونسل هرون وحدهم فنحن نسمعه يوالى بهتانه قائلا بأن عند ذاك :

« قال الربُّ لهرون : أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس . وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم . وأيضاً إخوتك سبط لاوى سبط أبيك قرّبهم معك فيقترنوا بك ويؤازروك . وأنت وبنوك قدام خيمة الشهادة فيحفظون حراستك وحراسة الخيمة كلها ولكن ! . . »(٣)

---

(١) الاصحاح ١٧ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

« ولكن » ماذا ؟ ! .

« ولكن إلى أمتعة القدس وإلى المذبح لا يقتربون ! .. »[١]

لماذا ؟ ..

« لئلا يموتوا ! .. »[٢]

وأما أنت أنت يا هرون ؛

« أنت وبنوك معك فتحفظون كهنوتكم مع ما المذبح وما هو داخل الحجاب ... عطية أعطيت كهنوتكم . »[٣]

فلقد ؛

«قال الرب لهرون ؛ وها أنذا قد أعطيتك حراسة وقائعى مع جميع أقداس بنى اسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك ! .. كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التى يردونها لى . .. هى لك ولبنيك فى قدس الأقداس تأكلها ! .

الرفيعة من عطاياهم مع كل ترديدات بنى اسرائيل لك أعطيتها ولبنيك وبناتك معك !.. كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة،أبكارهن التى يعطونها للرب،لك أعطيتها ! أبكار كل ما فى أرضهم التى يقدمونها للرب لك تكون !. كل محرم فى اسرائيل يكون لك ! كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك ! ...»[٤]

---

(١) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »
(٣) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »
(٤) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

نغمة جديدة ولا ثمت شك إنما هى هذه النغمة التى يجيئى بها مؤلف « سفر العدد » وبها يحصر أمر الكهانة في هرون ونسل هرون . . لا لأن الرب قد بدأ يكلم هرون مباشرة وإنما لأن هذا المؤلف اليهودى يجعل لهذه النصوص رنةً خاصةً يرهف اليها المسمع من سائر اللاويين فهى تقصيهم عن مناصبهم الكهنوتية وتعلن حرمانهم من مخصصاتهم السابقة فى نفس الوقت الذى تحمل الى هرون عطية سخية تتلخص فى تنازل الرب عن كل ما تقدمه اسرائيل له من ضحايا لهرون ! . . وحقاً إنها لعطية بالغة السخاء حتى لتبدو وكأنما هى قد مُنحت فى لحظة رضا أو استرضاء وإن كانت فى واقعها ليست إلا وسيلة ابتدعها هذا المؤلف كيما يقيد هرون إلى « يهوه » فيكفل بذلك انحرافه عن رب إسرائيل إلى رب سواه . . ولكن ، ثمة سؤال يرتسم هنا فى أفق التفكير وهو : ألم يفطن هذا المؤلف إلى ماذا سيفعل هرون وبيت هرون بهذه المآكل التى ولا بدَّ أنها قد توفرت توفراً يزيد عن ما هم إليه فى حاجة؟.

يبدو أن هذا المؤلف قد تنبه ! فلقد أعقبت هذه العطية السخية لحظة استدراكية فراح مؤلف «سفر العدد» يستبدل بعض هذه اللحوم بالفضة ومثاقيل الفضة . . . فنحن نسمع النصوص تسترسل ولهرون بلسان إله إسرائيل تقول :

« كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة .

وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة ! خمسة شواقل من شاقل القدس ! ...» (١)

---

(١) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

حقاً إن مؤلف « سفر العدد » قد بزَّ رفاقه فى الشراهة بل وإنه لشره فى غير هوادة ! ولا تفوق شراهته إلا افتراءاته على هرون إذ صوَّره تساق إليه التقدمات فينتقى منها كل ما يشتهى ويطيب للمذاق بينما يقوِّم ما سوى ذلك بمثاقيل الفضة من مثاقيل القدس وإليه تحمل هذه الفضة ، طيعة صاغرة ، جماعة إسرائيل . . بيد أن وراء هذه الصورة تقف الغاية التى رمى إليها هذا المؤلف وهى من خلال سطوره تنطق وكأنما هى تقول . . ما لهرون ، وله قد تنازل الرب له عن مخصصاته ، يمد ببصره إلى الرياسة فى إسرائيل ؟ ! . . .

ولكن ! . يأبى مؤلف « سفْر العدد » الاَّ أن يجعل هرون يمد ببصره الى مرتبة الرياسة . . . ومن ثم فليأت بنصوص أخرى يُنحّى بها هرون عن منصبه ويدفع إلى المقدمة بابنه « اليعاذار » الذى لذكره لا نشم رائحة دخان يبعثها مؤلف هذا « السفر » من داخل « خيمة الاجتماع » وإنما نحن نرى بالفعل هذا الدخان الذى يطلقه هذا المؤلف ويرسم به حاجزاً بين الأخوين مما يجعلنا نتبين أن هذا المؤلف لا يستهدف بذلك إلا دفع هرون إلى المؤخرة ودفع « اليعاذار » إلى المقدمة . فالنصوص تنطلق معبرة عن هذه الصرخة المكبوتة بصيحة شنعاء تعلن :

« الرب يأمر بموت هرون »

من صدر مؤلف « سفر العدد » تنطلق هذه الصيحة فى أعقاب ارتحال « بنى إسرائيل من « برية صين » فى الشهر الأول ومن « قادش » إلى « جبل هور » .. فهناك :

« كلَّم الربّ موسى . . قائلا : يُضمُّ هرون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التى أعطيت لبنى إسرائيل ! ..

خذ هرون واليعاذار ابنه واصعد بهما إلى جبل هور واخلع

عن هرون ثيابه وألبس اليعاذار ابنه إياها .

فيضم هرون ويموت هناك !..»[١]

بعيداً عن ضجة القوم وضجيج الجماعة رأى مؤلف « سفر العدد » أن يصعد بموسى إلى قمة « جبل هور » فراح يصوره مصطحباً اليعاذار وصاعداً بهرون إلى قمة هذا الجبل ثم راح يضع اللمسات الأخيرة لهذه الصورة الشنعاء فشمّر عن ساعده وأطلق خياله على جناح الجنوح يتخيّل ثلاثتهم وقد غيبتهم عن عين الجماعة « قمة هور » ثم انحنى على القرطاس وأجرى قلمه يسطر؛

« صعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة »[٢]

ولكن ! . . سرعان ما عادت هذه الأعين تحملق مرتاعة وهي ، كما يدّعي هذا المؤلف زوراً وبهتاناً ، ترى موسى واليعاذار يهبطان السفحَ بدون هرون بينما قد ألقيت على اليعاذار ثياب هرون ! ..

أين هرون ؟ !

كلا لا يسألن ، بعد ، سائل هذا السؤال فلقد ؛

« مات هرون !

هناك على رأس الجبل ! .»[٣]

إذن .. هرون قد مات ! ..

بالإيجاب يأتي من هذا المؤلف اليهوذي الجواب وفي غير ما خشية من ضمير يصيح علاّم الحيرة وَعلاّم العجب فلقد ؛

---

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٠ «سفر العدد »

« فعل موسى كما أمر الرب ! . » (١)

حتى المدى امتدت ، فى تطاول ، افتراءآت هذا المؤلف اليهوذى على هذا الرسول الكريم ! . . فأى عبث هذا الذى تعبثــه بالعقول هذه المسرحية المشوشة الوضع والإخراج والتى لايستعرضها الخيال منا إلا ويعوذ بالله منها طالباً لنفسه الرحمة من عناء اللحوق بشطحات هـذا المؤلف الذى افترى على موسى ، عليه السلام ، كل هذا الافتراء بهذه النصوص التى صوره بها تحت هذه الصورة الشنعاء وأشرك فيها معه ابن هرون ، نفسه ، « اليعاذار » ! . .

ولـكن . .

هنا تزداد سجف التـــــاريخ انحساراً عن مؤلف « سفر العدد » الذى ما انتهى من روايته هذه المفتراة إلاّ ليسدل عليها الستار قائلاً بأن صرخات العويل قد تعالت من أرجاء هذه « المحلة » مصدرها هذه المجموعة من « بنى إسرائيل » التى راحت تذرف الدمع سخيناً ؛

« على هرون ثلاثين يوماً ! . (٢)

إذن لابد لهذا المؤلف من الارتحال سريعاً ببنى إسرائيل بعيداً عن « جبل هور » . . وسرعان ما قد فعل ! . فقد شمّـر مرة أخرى عن ساعديه وتناول فى عصبية قلمه وراح يضيف إلى أكاذيبه أكذوبة جديدة بأن صوّر موسى واليعاذار يبتعدان ببنى إسرائيل عن « جبل هور » وليدورا بهم من حول « أرض أدوم » . . ثم التفت هذا المؤلف إلى هذه الجماعة فوجد أن الضيق الذى أصابها فى « هور » لم يبارحها وليس هذا فحسب وإنما ازدادت النفس

---

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر العدد »

منهم ضيقاً فى هذا الطريق الوعر الذى أترعته الحيات السامة فمن كل فجوة ومن كل أخدود استقبلتهم حتى لدغت وحتى أماتت منهم الكثيرين بينما كان الهمس ، كما يقول هذا المؤلف ، يسرى من « خيمة الاجتماع » بأن ذلك لم يكن إلا العقاب الذى حل بهم نتيجة على إطلاق ألسنتهم فى حق موسى إثر موت هرون . . فكان أن سطر :

« فأتى الشعبُ إلى موسى وقالوا : قد أخطأنا إذ تكلمنا على الربّ وعليك ! . . »[1]

وهنا . . هنا لم يجد مؤلف « سفر العدد » مخرجاً إلاّ أن يأتى بنصوص جديدة يضاعف بها إساءته إلى هذا الرسول الكريم . . فهو يصوِّر موسى يقوم فيصنع حية نحاسية ويرفعها على سارية كيما ينظر إليها كل لديغ بغية الإبراء . . ونحن إذا علمنا أن هذا لم يكن إلا تعويذة فى مصر القديمة مرعية لعلمنا تحت أى تأثير كتب هذا المؤلف اليهوذى هذه النصوص التى لم يفرغ من تسطيرها إلا ورأى أن عليه بعد ذلك أن يجعل موسى يرتحل ببنى إسرائيل عن هذا المكان من مكامن الحيَّات فراح يصوره مرتحلا حتى جعله يأتى بهم إلى « الجواء التى فى صحراء موآب » . .

ومن الجواء رأى هذا المؤلف أن طريق هذه الجماعة إلى «الأرض الموعودة» تعترضه تخوم ممالك أخرى ... وإذن ماذا عليه لو جعل موسى يرسل رسلا يستأذنون له بالمرور بهذا الطريق ! . وإذن فليسطر بأن موسى قد أرسل :

« رسلا إلى سيحون ملك الأموريين قائلا : دعنى أمر فى أرضك لا نميل إلى حقل ولا إلى كرم ولا نشرب ماء بئر . فى طريق الملك نمشى حتى

---

(١) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

فتجاوز تخومك ! »(١)

ولكن ! . كان الرفض .. :

« فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور فى تخومه بل جمع سيحون جميع قومه وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية فأتى إلى ياهص وحارب إسرائيل »(٢)

وهنا تمتد يد مؤلف « سفر العدد » فتؤرخ :

« واقعة ياهص »

لا جدال فى أن بهذه الواقعة قد تنفَّس تاريخ بنى إسرائيل عن حدث كان له فى نفسية هذه الجماعة أثره فيما بعد فإنما هذه المعركة التى يقول عنها مؤلف « سفر العدد » بأنها معركة قد دارت رحاها بين الإسرائيليين من جهة وبين العاموريين من جهة أخرى لم تكن فى واقعها التاريخى إلا بمثابة الانطلاقة الأولى صوب «الأرض الموعودة» لهذه الحفنة من الناس الذين يحدثنا عنهم مؤلف « سفر العدد » بأنهم قد لقوا سيحون :

« فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه من أرنون إلى يبوق إلى بنى عمون ... فأخذ إسرائيل كل هذه المدن وأقام إسرائيل فى جميع مدن الأموريين فى حشبون وفى كل قراها ! .. »(٣)

لا غروَ من ثم أن تنطلق، لأول مرة ، صرخة تكشف عن مدى ما يكنه من إسرائيل الضمير :

« ويل لك يا موآب !

---

(١) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

هلكت يا أمة كموش !

قد صير بنيه هاربين وبناته في السبي ... هلكت حشبون
إلى ديبون ! . » (١)

وهكذا امتدت يد هذا المؤلف اليهودي تسجل بأن « واقعة ياهص » كانت أول انتصار حربي لإسرائيل .. وهذا في واقع الأمر ما قد حدث فإن هذا « السفر » وإن كان ليس إلاّ كغيره من « الأسفار » قد أترعته المبالغات والتهاويل وشطط الخيال فإن هذا لا يمنعنا من الانتصاف للحقيقة فنقول بأن من مجريات الأحداث السياسية لذلك العصر في « أرض كنعان » يمكننا استخلاص الحقيقة من أن هذا الانتصار الاسرائيلي على موآب كان حقيقياً غير أن ما قد أحاط بهذا الانتصار من مبالغات كان هو الشيء غير الحقيقي ! .. ونستبين ذلك تماماً إذا أحطنا علما بموقع حشبون الجغرافي . فإن حشبون لم تكن ، يومذاك ، إلا قرية ! . . وما زالت حتى اليوم قرية فإنما حشبون الأمس ليست إلا قرية « حسبان » القائمة اليوم في البلقاء من شرق الأردن !

ومن هنا ندرك أن هذا الانتصار الذي سجلته اليد اليهودية كان حقيقياً وأما مدى أهميته في ضوء الواقع فلم يكن إلا في امتداد الزحف الإسرائيلي صوب ما يسمونه ، ادعاء ، « أرض الآباء » إذ ما أقام بنو إسرائيل في أرض الأموريين إلا ردحاً قصيراً من الزمن أعقبته وثبة جديدة ألصقها مؤلف « سفر العدد » بموسى حيث سطر :

« وأرسل موسى ليتجسس ! » (٢)

---

(١) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

وهنا رأى مؤلف «سفر العدد» أن الاستمرار فى الزحف صوب «الأرض الموعودة» قد غدا ممكناً، فراح يسطر بأن بنى إسرائيل قد تدافعوا وتقدموا حتى؛

« طردوا الأموريين الذين هناك ثم تحولوا وصعدوا فى طريق باشان . »[(١)]

ولكن ! ... هنا ؛

« خرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب فى إذْرَعى . »[(٢)]

وهنا امتدت ، مرة أخرى ، يد مؤلف « سفر العدد » فأرخت ؛

« واقعة إذرعى »

عن هذه الواقعة الأخرى يحدثنا هذا المؤلف قائلا بأن الدائرة على عوج وقومه قد دارت أيضاً فلقد ؛

«قال الرب لموسى ؛ لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع أرضه وقومه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن فى حشبون ! . . »[(٣)]

ومن ثمّ ؛

« فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا أرضه ! . »[(٤)]

(١) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ٢١ « سفو العدد »
(٣) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »
(٤) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

ومرة أخرى ، أيضاً ، امتدت يد هذا المؤلف اليهودى فسجلت أن « واقعة إذرعى » كانت انتصار حربياً آخر لإسرائيل . . ولنرى أن إلى « واقعة ياهص » ثم إلى « واقعة إذرعى » يعود بأسبابه التدافع الإسرائيلى صوب « الأرض الموعودة » تدافعاً إيجابياً فلقد تحول بعد هاتين الوقعتين التوثب إلى الوثوب واستحال الإحجام إلى الإقدام ، على حد تصوير مؤلف هذا « السفر » ، إذ ليس إلا فى أعقاب « واقعة إذرعى » كان ان ؛

« ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا فى عربات موآب من عبر أرض أريحا . »[1]

وهناك .. هناك فى صحراء موآب عبر أرض أريحا تنتشر صفحة أخرى جديدة يُجرى عليها هذا المؤلف قلمه وينشر بها الجديد من الأحداث... فان موآب وإن كانت قرية وشأنها فى ذلك لم يكن الا كشأن أدوم وحشبون من حيث المرتبة الجغرافية إلا أنها كانت تعتبر دويلة من الدويلات التى كانت عهد ذاك منتشرة على « أرض كنعان » . ولما كان لكل دويلة ملك من رؤساء كنعان فقد ؛

« كان بالآق بن صفور ملكا لموآب فى ذلك الزمان . »[2]

ومن هنا يبدأ هذا المؤلف اليهودى يروى رواية جديدة يستهلها قائلا ؛

« لما رأى بالآق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين

---

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

فزع ! . . »[1]

أما موآب فقد أطلقت ، فى ارتياع ، صرخة من خلالها :

« قال موآب لشيوخ مديان : الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل ! . . »[2]

وعند ذاك هبّ ملك موآب :

« فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور . . . »[3]

وأمّــا من كان بلعام بن بعور ؟ .. فسؤال ، نلقيه إلى هذا المؤلف ومنه يأتى إلينا الجواب : بأن بلعام بن بعور كان يعتبر فى مديان وعند موآب « نبياً » وكان فى اعتبار قومه ، وعلى حد تعبير ذلك العصر ، شأنه كشأن الـ « الـكلاماه » من فئة الـكهنوت البابلى وهذه فئة كان قد نيط بها أمر « الـكلام مع المعبود » . وهنا نترك نصوص هذا المؤلف ، نفسها ، تحدثنا بينما نقف نحن بدون تعليق نتأمل هذه الصورة وهى فى إطار هذا « السفر » موضوعة وفى معرض التاريخ الدينى اليهودى الحالى قائمة .. فالنصوص تسترسل وفى سخاء عجيب تحدثنا قائلة بأن بالاق بن صفور قد :

« أرسل رسلا إلى بلعام بن بعور ... ليدعوه قائلا :

هو ذا شعب قد خرج من مصر .. وهو مقيم مقابلى . فالآن تعال وألعن لى هذا الشعب ! ..

فانطلق شيوخ مديان ، وحلوان العرافة فى أيديهم ، وأتوا إلى بلعام وكلموه بكلام بالاق .

---

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

فقـــــال لهم : بيتوا هنا الليلة فأرد عليكم جواباً كما يكلمنى الرب . . » (١)

يقيناً لقد راعى مؤلف «سفر العدد» منطق العصر الذى يتحدث عنه فإن هذا النص يعود بالذاكرة منا إلى معتقد بابلى قديم حمله المرتحلة من بلاد ما بين النهرين إلى حيث رفَّ أيضاً على أرض كنعان وهو القائل بأن المعبود يتصل بالأتقياء عن طريق الأحلام . . ومن هؤلاء كان « بعل فغور » وهو المعبود الذى يتحدث عنه أيضاً مؤلف هذا « السفر » بصيغة الألوهية ، ويحدثنا عنه وعن بلعام قائلا :

« فأتى الله إلى بلعام وقال : من هم هؤلاء الرجال الذين عندك ؟

فقال بلعام لله : بالاق بن صفور ، ملك موآب ، قد أرسل إلى يقول هوذا الشعب الخارج من مصر قد غشى وجه الأرض . تعالى ألعن لى إياه ! ...

فقال الله لبلعام : لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك ! ... » (٢)

ومن ثم :

«قام بلعام صباحاً وقال لرؤساء بالاق : انطلقوا إلى أرضكم لأن الرب أبى أن يسمح لى بالذهاب معكم ... » (٣)

لماذا ؟ ! . ألم يجد بلعام فيما منحه بالاق له من مال ما يكفى للقيام بهذه « اللعنة » ؟ .. يبدو أن الأمر كان كذلك ، إذ :

---

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد » (٢) الإصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٣) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد »

« عاد بالاق وأرسل أيضاً رؤساء أكثر وأعظم من أولئك فأتوا إلى بلعام وقالوا له : هكذا قال بالاق بن صفور . لا تمتنع من الإتيان إلى لأنى أكرمك إكراماً عظيما وكل ما تقول لى أفعله ! . » (١)

وإذن فليرفع بلعام أسهمه ! . ومن هنا :

« أجاب بلعام وقال لعبيد بالاق : ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلهى .. » (٢)

ولكن ! .

« امكثوا هنا أنتم أيضاً هذه الليلة لأعلم ماذا يعود الرب يكلمنى به .. ! » (٣)

وأمام وعد بإكرام جزل ووافر عطايا حدث أن :

« أتى الله إلى بلعام ليلا وقال له : إن أتى الرجال ليدعوك فقم واذهب معهم ! .. فقام بلعام صباحاً وشد على أتانه وانطلق مع رؤساء مؤآب .. » (٤)

ولكن ! .. ما كاد بلعام يشدّ على أتانه وفى رضوخ لأمر « ربه » انطلق إلى بالاق إلا وعليه :

« حمى غضب الله لأنه منطلق !. » (٥)

لماذا ؟ ! .

---

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٥) الإصحاح ٢٢ « سفر العدد »

أما لماذا حمى غضب « بعل فغور » إ له بلعام على بلعام لأنه انطلق وهو الذى ، على حد ترّاهات هذه النصوص ، كان قد أمره بهذا الانطلاق فسؤال يقذف بنفسه إلى الخاطر أمام هذه المتناقضات التى تتنافى وكل معايير المنطق بينما تتولى النصوص اليهوذية الإجابة عنه بحديث يطلق الخيال منا إلى عالم سحرى عجيب مادته قد صيغت من عنصر التهاويل وأما كل ما يجرى فى رحابه فهو ، ولا جدال ، من صنع عقل وليد ! .

على جناح جانح من أوهام الطفولة الباكرة ينطلق هذا المؤلف ويتجاوز حدود المنطق ويحدثنا من ورائه بأن غضب إله بلعام على بلعام لم يحم إلا وأسرع « ملاك الرب » يمنع بلعام من الانطلاق بأتانه إلى حيث يريد . . فلقد :

« وقف ملاكُ الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه !

فأبصرت الأتانُ ملاكَ الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل .

فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق ! . » (١)

أبصرت الأتان « ملاك الرب » ، وفى يده سيفه المسلول ، فحادت عن الطريق فضربها بلعام ليردها إلى الطريق ، ولكن ! . . :

« وقف ملاكُ الرب فى خندق للكروم له حائط من هنا وحائط من هناك . فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط ! فضربها أيضاً ! . . » (٢)

---

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

ولـكن ! .

هل تستطيع أتان بلعام محاورة « ملاك الرب » ؟ ! . .

كلا ! . فلقد ؛

« اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف فى مكان ضيق حيث ليس سبيل للنـكوب يميناً أو شمالا ! ..» (١)

وأما ماذا فعلت الأتان عند ذلك ؟ . . فإنها ؛

« لما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام ! . . (٢) »

وهنا ؛

« حمى غضب بلعـام وضرب الأتان بالقضيب ! .. »(٣)

وعندذاك ! .. عندذاك ؛

« فتح الربُّ فم الأتان ! ... » (٤)

ماذا ؟ ! ..

نعم ! . ؛

« فتح الرب فم الأتان ! وقالت لبلعام ؛ ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات ؟ !

فقال بلعامُ للأتان ؛ لأنك ازدريت بى ! لو كان فى يدى سيف لـكنت الآن قد قتلتك !

فقالت الأتان لبلعام؛ ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك

---

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ٢٢ « سفرالعدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

إلى هذا اليوم ؟ هل تعودت أن أفعل لك هكذا ؟ .. »(١)

وهنا نرنو إلى مؤلف « سفر العدد » بنظرة تخترق الأجيال إليه في نفس الوقت الذى له نسأل ، وماذا كان جواب بلعام أمام هذا المنطق الذى جاء من « الأتان » ؟ . .

وفى ثقة ويسر يجيبنا هذا المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك أجاب بلعام الأتان :

« فقال ، لا ! . »(٢)

ولكن .. حدث عند ذاك أن :

« كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق . . . : فقال له ملاكُ الربِّ : لماذا ضربت أتانك ؟ ! .. ها أنذا قد خرجت للمقاومة .. فأبصرتنى الأتان ومالت من قدامى . . ولو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها !

فقال بلعام لملاك الرب ، أخطأت ! إنى لم أعلم أنك واقف تلقائى فى الطريق . والآن إن فجّ فى عينيك فإنى أرجع ! . . »(٣)

ولكن :

« قال ملاكُ الرب لبلعام ، اذهب مع الرجال وإنما تتكلم بالكلام الذى أكلمك به فقط !

فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق .. »(٤)

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »
(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

حتى الآن لا نستطيع أن نفهم لماذا كان هذا كله ولكننا ، ولا جدال ، نفهم أن هذه الرواية ليست إلا محض خرافة حاكها الخيال من هذا المؤلف وانطلق بها على أجنحة الهوى حتى إلى هاوية الخزعبلات بهما هوى ! . فهى رواية لا يقبلها العقل وترفضها البداهة ويأباها المنطق فحسب، وإنما هى فى واقعها ليست إلا امتداداً لتلك الأسطورة التى كانت معروفة فى مصر القديمة وبالتحديد فى عصر الرعامسة . . فليست رواية الأتان التى تتكلم بصوت آدمى إلا رجع الصدى من قصة الثعبان الذى يتكلم بصوت آدمى ! ...

وأما تلك الرواية الأخرى التى تقول بظهور « ملاك الرب » .. فهذه رواية ليست فى واقعها ، أيضاً ، إلا امتداداً لمعتقد قديم عرفته بابل ومصر القديمة على سواء ، فإنما أساطير القدامى مترعة بالكثير من الروايات عن كائنات مجنحة بين الإلهية والبشرية ومن ثمَّ فالمؤلف اليهودى إذ يأتى بهذه الصورة فإنما هو قد راعى التفكير الدينى للعصر الذى كان عنه يتحدث وهو بهذه النصوص يسترسل قائلا :

« فلما سمع بالاق أن بلعام جاء خرج لاستقباله .. فقال بالاق لبلعام : ألم أرسل إليك لأدعوك ؟ .. أحقًّا لا أقدر أن أكرمك ؟ ! .

فقال بلعامُ لبالاق : ها أنذا قد جئت إليك .. الكلام الذى يضعه الله فى فمى به اتكلم ! . .

وفى الصباح أخذ بالاقُ بلعام وأصعده إلى مرتفعات بعل فرأى من هناك أقصى الشعب . » (١)

---

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

وأطرق بلعام لحظة هب على أثرها :

« فقال بلعام لبالاق : ابن لى هنا سبعة مذابح وهيء لى ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش .

ففعل بالاق كما تكلم بلعام . وأصعد بالاق وبلعام ثوراً وكبشاً على كل مذبح .

فقال بلعام لبالاق : قف عند محرقتك فأنطلق أنا لعل الرب يُوافى للقائى . فمهما أرانى أخبرك به . . » (١)

وهنا نترك للخيال منا حرية التفكير فى أن يتصور هذا المشهد الذى ترسمه هذه النصوص وهى عن بلعام تحدثنا قائلة :

« ثم انطلق إلى رابية فوافى اللهُ بلعامَ ! . » (٢)

أى عبث هذا العبث بالعقول ؟ !

وأى « إله » هذا الذى يوافى المرء عند الرابية ؟ ! .

نحن نعلم أن هذه النصوص لا تعنى بهذا الإلـه إلاّ « بعل فغور » إلـه مؤآب ولكن ذلك لا يمنعنا من التدليل على عدم شرعية هذه النصوص التى تقول بأن « الله » قد وافى بلعام عند الرابية حيث هناك :

« وضع الرب كلاماً فى فم بلعام وقال : ارجع إلى بالاق وتكلم هكذا . . : من أرآم أتى بى بالاق مَلِك موآب من جبال المشرق . تعال العَن لى يعقوب وهلمّ اشتم إسرائيل .

كيف ألعن من لم يلعنه الله ؟! وكيف أشتم من لم يشتمه الرب ؟!» (٣)

---

(١) الإصحاح ٢٣ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ٢٣ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٣ « سفر العدد »

حقاً لقد حار الفكر منَّا بين «يهوه» وبين «بعل فغور» هذين الربّين اللذين يتكلّم عنهما هذا المؤلف بصيغة الألوهية وفى هذا اعتراف منه صريح بوجود آلهة أخرى غير إله إسرائيل ، وأن « يهوه » هذا ليس إلاَّ رباً خاصاً بإسرائيل ! .. بيْد أن تُرى أى شيء كان قد حدث ، فى واقع الأمر ، عند تلك الرابية ؟ . . . ومن ذاك الذى كان قد وافى بلعام هناك حتى جعله ، بعد انقلاب إلى موآب ، على موآب ينقلب ؟ ! . .

إننا لن نستطيع انتزاع الجواب من صدر هذا المصدر اليهوذى وإنما مما لا نزاع فيه هو أننا نستطيع الاهتداء إليه من مجريات أحداث هذه الرواية نفسها . . فان بلعام كما يبدو من خلال هذه الرواية كان شخصية قد نيط بها حل ما يطرأ على القوم من ملمات الأمور ومفاوضة أى عدو يريد اقتحام حرمة البلاد وإلا لما كان قد ناداه ملك موآب إليه وبذل له الفضة والعطايا ثمناً لهذا الانتقال . وأما كيف جاء هذا الميل عن موآب بعد الميل إليها فلم يكن إلاَّ بعد ذلك الحدث «عند الرابية» والذى على أثره انطلقت صيحة بلعام فى موآب تقول « كيف ألعن إسرائيل » . إنه :

« شعب يقوم كلبوة ! . .

لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى ! . . . »(1)

وأما إذا سألنا هذا المؤلف لماذا كان هذا الوصف ! . فالجواب يأتى يحدثنا بأنه قد حلّت « روح الله » على بلعام فانطاق يقول ، هذا :

« وحى بلعام بن بعور وحى الرجل المفتوح العينين وحى الذى يسمع أقوال الله !... ما أحسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا إسرائيل ؟!.

(١) الاصحاح ٢٣ « سفر العدد »

يأكل أمماً ! . . يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيـل فيحطم طرفى موآب ! . »[1]

لا جدال فى أن هذا المشهد ليس إلاّ فصلا من رواية مُثلت على مسرح تاريخ هذه الجماعة التى وصفت نفسها بالقدسية و بأنها مباركة من الرب. وأما النتيجة التى تفتقت عن هذا المشهد فاختلاط أبناء إسرائيل بالموآبيين فى غير صدام وحتى المدى الذى يحدثنا عنه مؤلف هذا « السفر » قائلا لقد ؛

« أقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنـات موآب ! . »[2]

فى « شطيم » ، « شط اليـــوم » فى منطقة بيان ، أقام إسرائيل ، وفى عبث بالقيم الأخلاقية تناهى مـــــداه ، كما نفهم من مؤلف « سفْر العدد » ، أوغل « الشعب المختار » فى انحلاله وانحرافه الخلقى ، بل ولقد بلغ الشطط بهذا « الشعب المقدس » فى هوى بنات موآب أقصـاه حتى أنه بغيـــة استرضائهن قد انحرف إلى إلـه موآب عن « إلـه إسرائيل » وولى وجهه عن « يهوه » واتّجه يعبد « بعل فغور » !.. فلقد ؛

« تعلق إسرائيل ببعل فغور ! . »[3]

وهنا علقت عينا هذا المؤلف اليهودى بالأفق للحظة قدّر خلالها بميزان الغد نتائج ميل هذه الجماعة عن « يهوه » إلـه إسرائيل إلى « بعل فغور »

---

(١) الاصحاح ٢٤ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ٢٥ « سفر العدد »
(٣) الاصحاح ٢٥ « سفر العدد »

إلـه موآب فكان حتماً عليه أن يشمّر عن ساعده من جديد ويسطر قائلا بأن عندذاك :

« حمى غضب إسرائيل ! . (١)

وأما كيف يعبر هذا المؤلف عن هذا الغضب ؟ فليس إلا باضافة افتراء جديد على موسى عليه السلام ! . . . فالقلم في يده قد جرى يقول : بأن الرب قد وافى موسى وله منادياً قال :

« ياموسى ! خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس . فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل !

فقال موسى لقضاة إسرائيل : اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور ! . . » (٢)

ثم ؟ . .

« ثم كلم الرب موسى قائلا : ضايقوا المديانيين واضربوهم ! . » (٣)

اضربوهم ؟ . بلى اضربوهم فلقد :

« كلم الرب موسى قائلا : انتقم نقمة لبنى إسرائيل ! . .

فكلم موسى الشعب قائلا : جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الربّ على مديان ! . » (٤)

وارتفعت يدُ مؤلف « سفر العدد » بقلمه تشير لجند إسرائيل بالهجوم . . . . ثم عادت تسطر :

---

(١) الاصحاح ٢٥ « سفر العدد »
(٢) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »
(٣) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »
(٤) الاصحاح ٣١ « سفر العدد »

« أرسلهم موسى ألفاً من كل سبط إلى الحرب ! هم وفينحاس ابن اليعاذار الـكاهن إلى الحرب ! . » (١)

وتحت إمرة فينحاس وقيادته انحدرت إسرائيل على مديان ؛

« كما أمر الرب ! .

وقتلوا كل ذكر !

وملوك مديان اقتلوهم فوق قتلاهم ! .. خمسة ملوك ، صناوى وراقم وصور وحور ورابع .

وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف ! . » (٢)

كلا لن نتساءل قائلين كيف ، بعد انحراف عن قومه إلى إسرائيل يقتل بلعام بسيف إسرائيل ؟ .. وإنما نتساءل ، إذا كان كل ذكر فى مديان قد قُتل بسيف إسرائيل ائتماراً بأمر « يهوه إلـه إسرائيل » فبماذا أمر « إلـه إسرائيل » « شعبـه » أن يفعل بنساء مديان وأطفال مديان ؟ ! . . .

سؤال ، تأتى الإجابة عنه من هذه النصوص وهى تسترسل صريحة تقول :

« سبى بنو إسرائيل نساء مديان ! . وأطفالهم ! ونهبوا جميع بهائمهم ومواشيهم ! . » (٣)

والمدن المديانية ؟ ... ماذا فعل بنو إسرائيل بمدن مديان ؟ ..

سؤال آخر تأتى الإجابة عنـه من نفس هذه النصوص وهى فى زهو وخيلاء تحدثنا عن توغل إسرائيل فى مدن مديان بل وفى تفاخر

---

(١) الاصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٣١ « سفر العدد »

تسجل عليهم بأنهم قد :

« أحرقوا جميع مساكنهم ومدنهم وجميع حصونهم بالنار !
وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ! . »[١]

وأما ماذا فعل بنو إسرائيل بهذه الأسلاب والأنهاب ! .. فسؤال آخر يأتى الجواب عنه من نفس هذه النصوص الحاملة فى ثناياها البرهان الدامغ على عدم شرعيتها وهى عن سؤالنا هذا تجيب :

« أتوا إلى موسى واليعاذار الكاهن . . . بالسبى والنهب والغنيمة . . .

فخرج موسى واليعاذار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم..»[٢]

ولكن ! . هذا « الشعب المبارك » لم يكد يطرح أمام موسى هذه الأسلاب والأنهاب بعد سبى الأطفال والنساء إلا :

« وسخط موسى على وكلاء الجيش ! .. »[٣]

لماذا ؟ ! . هذا سؤال آخر يأتى الجواب عنه من نصوص استقت مدادها من مادة البهتان إذ تصور موسى وقد خرج على رؤساء الجيش ساخطاً :

« وقال لهم .. ، هل أبقيتم كل أنثى حية ؟ ! ..
اقتلوا كل ذكر من الأطفال !

وكل امرأة عرفت رجل بمضاجعة ذكر اقتلوها !

لكن . جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفهن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات ! .. »[٤]

---

(١) الاصحاح ٣١ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ٣١ « سفر العدد »
(٣) الإصحاح ٣١ « سفر العدد » (٤) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

ما هذا العبث الساخر بالقيم الأخلاقية وبالأديان ؟ ! يقيناً إنه لعبث لا يحتاج إلى تدليل على انتفاء القدسية عن هذه النصوص ! ..

ولكن . ! هنا لنا كلمة نقولها وإلى مؤلف « سِفْر العدد » ناقمها عَبْر الأجيال وهى : أن هذه « العملية » التى قامت بقتل كل طفل ذكر وكل أنثى ثيّب ولم تستبق إلا الإناث الأبكار متعة لرجال إسرائيل ليست عملية هى العنف بعينه وتحمل فى ثناياها أصرخ ألوان القسوة وأقسى ما بلغته القسوة من ألوان الإيذاء فحسب وإنما هى عملية كان الأجدر بهذا المؤلف ألا يجعلها تقع فى « مديان » ! . . .

أنسى مؤلف « سِفْر العدد » أن مديان كانت الملجأ الوحيد الذى لجأ إليه موسى ، عليه السلام ، فى أعقاب ذلك الحدث فى مصر ؟ أم غفل هذا المؤلف عن أن بمديان تربط هذا الرسول الكريم رابطة نسب ومصاهرة بابنين له فيها وزوجة أولى هى بنت كاهنها يثرون ؟ ! .

يقيناً لقد غاب عن ذاكرة مؤلف « سِفْر العدد » حديث زميله مؤلف « سِفْر الخروج » عندما تحدث عن استقبال يثرون لموسى وترحيبه به وبنى إسرائيل وشكره للرب على خلاصهم ، وإلا فما الذى جعل مؤلف « سفر العدد » يفعل ذلك وليس هناك أى إصحاح فيما قد سبق فيه ما يشير إلى تبدّل حالة الصداقة والسلم تلك إلى هذه الحالة من العداء ؟! ... ولكنه هو يطلع علينا فجأة بقصة هذا الغزو والفتك بالمديانيين وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم وإحراقها بهذه القسوة التى بلغت أقسى ما تبلغه القسوة من ألوان الإيذاء ليحمل إلينا الدليل الكافى على ما ينطوى فى نفوس بنى إسرائيل من غلّ وحقد وشرّ ضدّ غيرهم من الشعوب والتذرّع بأتفه الأسباب إلى حربهم كهذه الذريعة التى

ساقها هذا المؤلف، نفسه ، من مادة تعلق إسرائيل، «بعل فغور» وحملهم إليه نفس ما كانوا يحملونه إلى «يهوه» من الكباش والثيران ! وهذا مما يجعلنا نقول إن نسبة هذا «السفْر» إلى موسى إنما هى من أفدح المآخذ التى تؤخذ على مؤلف هذا «السفْر» ! . فانّ هذه النصوص التى تجعل موسى ، عليه السلام ، يسخط على الرؤساء من إسرائيل لاستبقائهم الأطفال وبعض النساء هو الذى يدفع بنا إلى أن نعلى الصوت قائلين بأن صفة القداسة ترتد عن هذا «السفر» كل الارتداد والبرهان على ذلك هو نفس هذا المؤلف الذى لم يتورع من أن ينسب ، افتراء كما اعتاد وتعود ، هذا الفعل إلى موسى ! .. بل وفى تطاول يأتى بفرية جديدة عليه ، عليه السلام ، فيقول بأن يومئذاك :

«كلّم الربُّ موسى قائلا : احص النهب المسبى ، من الناس والبهائم ، أنت واليعاذار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة ... وارفع زكية للرب !.. نفساً من كل خمسمائة من الناس ، والبقر والحمير والغنم من نصفهم تأخذونها وتعطونها لأليعاذار الكاهن ! . . ومن نصف بنى إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للاّويين

ففعل موسى واليعاذار الكاهن كما أمر الرب موسى ! . »(١)

والآن ؟ . أليس هناك حد يمكن أن يقف عنده مؤلف «سفر العدد» ؟ . . كلا ! . . إنما هو يمعن فى الافتراء والأضاليل ويتوغل قائلا بأن عند ذاك تقدم «الوكلاء» إلى موسى :

« .. فأخذ موسى وأليعاذار الكاهن الذهب منهم ! . . »(٢)

---

(١) الإصحاح ٣١ «سفر العدد»

(٢) الاصحاح ٣١ «سفر العدد»

إلى أين سيذهب هذا المؤلف اليهوذى بكل هذا « الذهب » ؟ .

إن مؤلف « سفر العدد » قد سال فى يده الذهب فتغير عن ذى قبل حتى إنه إلى داخل « خيمة الاجتماع » قد بدأ الآن يُدخل الذهب ! . فلا غرو من ثمّ أن نراه يتوغل فى تضليله ويوغل فى ضلالتـه ويسطر بأن اليد الموسوية قد بدأت تمنح المنح ، لا بالذهب فحسب وإنما بالممالك ! . فهو يجعلها تهب مملـكتى «حشبون» و « باشان » لسبطى رأوبين وجاد وذلك عندما جاءا يطلبان هذه المنحة بحجة أنهما أصحاب ماشية وأن تلك الأرض صالحة للرعى . .

ولـكن !. هذا المؤلف اليهوذى الذى أسرع بمنح هذين السبطين هذه المنحـــة قد وجد نفسه أنه بفعـله هذا قد تسرّع ! . فلقد تراجع هذان السبطان ، وبدلاً من أن يشد أزر باقى الأسبـاط راحا يصدان سائر إخوانهم عن مواصلة الترحال صوب الأردن . . ومن ثم كان حتما عليه أن يسطر :

« قال موسى لـبَنى جاد ورأوبين : هل ينطلق إخوتـكم إلى الحرب وأنتم تقعدون هنا ؟ لماذا تصدون قلوب بنى إسرائيل عن العبور إلى الأرض التى أعطاهم الرب ؟ ! .

هـكذا فعل آباؤكم حين أرسلتهم من قادش فحمى غضب الرب فى ذلك اليوم وأقسم قائلا : لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر ، من ابن عشرين سنة فصاعدا ، الأرضَ التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب! لأنهم لم يتبعونى تماماً ! . .

فحمى غضب الرب على اسرائيل وأتاههم فى البرية أربعين سنة ! حتى فنى كل الجيل الذى فعل الشر فى عينى الرب !

فهو ذا أنتم قد أقمتم عوضاً عن آبائـكم .. أناس خطاة ! . »(١)

---

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر العدد »

ما هذا المنطق المعكوس ؟ ! سؤال نلقيه إلى مؤلف هذا «السفر» قائلين : ألم يجد « يهوه » شعباً يختاره أصلح من هذا الشعب الذى يصفه بالشر ويصف سلالته بأناس خطاة ؟ ! . أم أن ما فى الجماعة من صفات قد وافقت من هواه الهوى ؟ ! سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى منح نفسه مطاق الحرية فى التكلم بلسان موسى ، عليه السلام ، غير أننا نراه فى شاغل عن الجواب بحصر عدد كل جماعة بنى إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعدا ليكون جندياً فى إسرائيل ! . . فلقد مضت أربعون سنة وجماعة إسرائيل تتحفز الانطلاق صوب « الأرض التى أعطاهم الرب » ومن ثم فلا غرو أن نراه يتناول قلمه ويجريه راسماً هذه الصورة التى سجلت :

ارتسام رقعة « الأرض الموعودة » فى إطار الفرات والنيل

فى تطاول امتدت يد مؤلف « سفر العدد » ترسم على قماش الزمن صورة « الأرض الموعودة » وفى تمادٍ نسبتها إلى موسى بل وفى افتراء سافر على هذا الرسول الكريم راح القلم فى هذه اليد يسطر بأن موسى هو القائل :

« هذه هى الأرض التى تقع لكم نصيباً :

أرض كنعان بتخومها ! . إلى وادى مصر ! . »(١)

وهكذا فى إطار الفرات والنيل ارتسمت رقعة « الأرض الموعودة » لوحة وقف أمامها هذا المؤلف اليهودى يمنح نفسه مطاق السلطان فى تقسيمها بين أسباط إسرائيل وكيما يعطى قضيته صفة شرعية راح يقول إن موسى هو ، نفسه ، قد تابع الكلام قائلا لبنى اسرائيل :

---

(١) الاصحاح ٣٤ « سفر العدد »

« هذه هى الأرض التى تقسمونها بالقرعة ... هذان اسما الرجلين الذين يقسمان لكم الأرض ؛ اليعاذار الكاهن ويشوع بن نون . »(١)

لقد عرفنا أن اليعاذار هو ابن هرون وأما يشوع فلم يطلع علينا من قبل وله هذه الصفة الرسمية التى خلعها عليه هذا المؤلف حتى أنه فوّض اليه أمر تقسيم هذه « الأرض » .. ثم إن اقتران اسمه باسم اليعاذار يحمل فى مضمونه ارتفاعه إلى مرتبة خطيرة ذات شأن ، وهذا مما يجعل الفكر منا يتحوّل بالانتباه إليه ! . .

ولكن ، حتى يطلع علينا يشوع بن نون تحت صورة واضحة نرانا ، ونحن فى صدد تقسيم هذه الأرض ، لا نتساءل ؟ ما هو نصيب اللاّويين من هذه « الأرض » إلاّ ليلتقط منا السمع هذا الجواب ؛

« كلم الرب موسى فى عربات موآب .. قائلا ؛ أوص بنى اسرائيل أن يعطوا اللاّويين من نصيب ملكهم مدناً ! . ومسارح للمدن ! .

فتكون المدن لهم للسكن ومسارحها تكون لبهائمهم .

ثمانى وأربعين مدينة مع مسارحها ! »(٢)

ولكن . . .

« المدن التى تعطون للاّويين تكون ست منها للملجأ ... ثلاثاً من المدن تعطون فى عبر الأردن . وثلاثاً تعطون فى أرض كنعان » .(٣)

لماذا ؟ ! .

« لكى يهرب اليها القاتل ... القاتل الذى قتل نفساً سهواً .. »(٤)

---

(١) الاصحاح ٣٤ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ٣٥ « سفر العدد »
(٣ و ٤) المصدر نفسه

وهنا يطرق الفكر منا بينما تستعيد المخيلة صوراً باهتة فى جبين الماضى البعيد ولا يقطع عليه هدأة هذه التأملات الا صوت هذا المؤلف اليهوذى وقد عاودته حمى امتلاك « الأرض الموعودة » فيصيح :

أى اسرائيل

« انكم عابرون الأردن الى أرض كنعان . . ! »(١)

من ثم عليك ، أى اسرائيل ، أن تذكر ما قد سمعته من وصايا حينما :

« كلم الربُّ موسى فى عربات موآب عـلى أردن أريحا قائلا :
كلم بنى إسرائيل وقـل لهم : إنـكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان . فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم .. وتخربون جميع مرتفعاتهم !

تملـكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتـكم الأرض لـكى تملـكوها ! .

وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يـكون الذين تستبقون منهم أشواكاً فى أعينكم ، ومناخس فى جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها . فيكون إنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم! . »(٢)

أى إسرائيل !.

إنـكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، لتخرجوا أهلها منها وتمتلـكوها .. وإذن . . دكوا مشارف كنعان . اطردوا أهل البلاد من أرضهم، خربوا بيوتهم ! أبيدوهم . اقتلوهم . إن إلهك ، ياإسرائيل، يأمرك بذلك ولك يقول إنك إذا لم تأتمر بهذا الأمر فسيصنع بكم ما قد انتوى

(١) الاصحاح ٣٣ « سفر العدد »
(٢) الاصحاح ٣٣ « سفر العدد »

صنعه بهم !..

وائتمرت إسرائيل بهذا الأمر كما تحدثنا بذلك هذه النصوص التى تحمل الإلماح الكافى لأثر الوقائع التى جرت فعلا عند زحف بنى إسرائيل صوب «الأرض الموعودة».. فقد راحوا يشفون غلاً كان بين جوانبهم دفيناً وغيظاً كان فى صدورهم كظيما حتى ليمكننا القول بأن هذه النصوص هى فى واقعها رجع الصدى للوقائع التى جرت مع أهل البلاد من سكانها الأصليين ... فلقد زحف أبناء إسرائيل على غرب الأردن وتغلبوا على مساحة كبيرة فيها وقتلوا من قتلوا من الرجال بعد الاطفال والنساء كما يحدثنا بذلك هذا المؤلف اليهوذى الذى يضاعف افتراءاته على موسى، عليه السلام، قائلا :

« هذه هى الوصايا والأحكام التى أوصى بها الرب إلى بنى إسرائيل عن يد موسى ! . » (١)

ما هذا الهراء المبثوث على موسى عليه السلام ؟ ! . . يقيناً إنه لهراء مبثوث على هذا الرسول الكريم وهذا مما يجعل الإيمان بقدسية هذه النصوص هو، بعينه، الكفر !. وكأنما هذا المؤلف قد أحس بأنه قد أفرط فى كفره فتراخت يده وهناً عن التسطير بينما قفز أمامنا مؤلف يهوذى آخر أبى إلاَّ أن يلصق بموسى ما قد اقترفه رفاقه فى حق هذا الرسول الكريم، فهو يهب صائحاً بأن هذه هى حقاً :

« شريعة إسرائيل ! »

يطلع علينا هذا المؤلف اليهوذى الجديد للسفر الخامس، من الكتاب المقدس للدين اليهودى الحالى، الحامل اسم « سفر التثنية » تارة واسم « سفر

---

(١) الاصحاح ٣٦ « سفر العدد »

تثنية الاشتراع » تارة أخرى ، مؤكداً بأن :

« هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل فى عبر الأردن ... ففى السنة الأربعين .. كلم موسى بنى اسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إلهـهم ! . »(١)

وأمّا ما هى هذه «الشريعة » ؟ .. وما الذى تحمله من قيم ومن معان ؟. فسؤال بعد آخر نلقيه إلى هذا المؤلف الجديد وإلينا منه يأتى الجواب عبر قلم فى يده جرى فصور موسى ، عليه السلام ، بصورة بزّ فيما أتى بها من ألوان الأضاليل مَن سبقوه من مؤلفى « الأسفار » إذ استرسل يقول :

«فى أرض مؤآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا : الرب إلـهنا كلمنا فى حوريب قائلا : كفاكم قعود فى هذا الجبل ! تحولوا وارتحلوا ! وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ! . أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات ! .. »(٢)

هذه هى « الشريعة » !. وهذا ما تحمله هذه الشريعة من قيم ومن معان لا تمثّل إلا صرخة أطلقها هذا المؤلف اليهودى فى ذلك الزمن البعيد وما زال منهـا الصدى يجلجل فى المسمع اليهودىّ حتى اليوم ! . . فلم تكن هذه النصوص إلا الصرخة التى احتفرت عقيدة امتلاك «الأرض الموعودة» فى الوعى اليهودى غداة هب هذا المؤلف اليهودى يصيح :

أى إسرائيل ! . كفاكم قعود فلقد استكفيتم تقاعداً عن تحقيق حلم الآباء ! . ازحفوا صوب « الأرض الموعودة »

---

(١) الاصحاح الاول « سفر التثنية »
(٢) الاصحاح الأول «سفر التثنية»

وامتلكوها ائتماراً بما شرع لكم إلهكم من شريعة تقول ؛

« ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم ....
أن يعطيها لهم ! . »[١]

وأما إذا سأل سائل وقال ، ولماذا لم يعط الرب للآباء هذه « الأرض » وهو بإعطائهم إياها كان لهم قد أقسم ؟ فإنما لذلك أسباب وهى أنكم كنتم فى ذلك الوقت قلة ، وأما الآن فإن ؛

« الرب إلهكم قد كثركم ! . »[٢]

ومن ثم فالآن يستطيع هذا المؤلف الجديد أن يرسل صرخته وبلسان موسى ، فى افترائه عليه ، يصيح ؛

أى إسرائيل ! .. لقد كنا حفنة مبعثرة فى راحة الأيام وأما اليوم قد كثرنا إلهنا و ؛

« جئنا إلى جبل الأموريين الذى أعطانا الرب إلهنا . انظر ! قد جعل الرب إلهك الأرض أمامك !

اصعد ! تتملك ، كما كلمك الرب ! . .

لا تخف ! ولا ترتعب ! »[٣]

وعلى هذا المنوال تجرى النصوص من هذا « السفر » وخاصة الاصحاحات الثلاثة الأول وهى ليست إلا تكراراً لما كان من سيرة بنى إسرائيل فى « برية سيناء » ومجريات الأحداث التى جرت عليهم منذ اتجاههم نحو شرق الأردن الى أن استولوا على دويلتى « حشبون » و « باشان » مما ورد ذكره من قبل

---

(١) الاصحاح الأول « سفر التثنية » (٢) الاصحاح الاول « سفر التثنية »
(٣) الاصحاح الاول « سفر التثنية »

« اليوم الذى وقفت فيه أمام الرب إلـهك فى حوريب حين قال لى الرب اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى ... »[١]

ألا تذكرون حينما :

« تقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب ؟ فكلمكم الرب من وسط النار ! . . »[٢]

حقيقة إنكم :

« لم تروا صورة بل صوتاً »[٣]

ولكن ! .

« هل سمع شعب صوت الله وتكلم من وسط النار كما سمعت أنت ؟ ! . »[٤]

كلا ! . . هذا جواب لسؤال ترتد عنه الشكوك ! . فمن اليقين انه لم يسمع أحد « صوت الله » حتى ولا جماعة اسرائيل ! . ولكن هذا المؤلف اليهوذى كان يعلم تمام العلم أن هذا كان معتقد العصر الذى كان يعيش فى خلاله ذلك الجيل من أبناء أسرائيل ومن هنا راعى ذلك عند ما غمس بمداد الخرافات قلمه وأجراه مسطراً هذه النصوص التى نجد لها نظائر مسجلة على الصحف الصلصالية التى ألقتها إلينا المعاول الأثرية بين الرافدين ، وبالتالى ، على البرديات التى احتفظت لنا بها يد الزمن فى وادى النيل حيث ساد هذا المعتقد الوادى خلال العصور التاريخية قاطبة وخاصة عصر الرعامسة ، وهو المعتقد القائل بأن المعبود يتجلى من خلال النار ... فهناك بردية تعود بكتابتها إلى عهد

---

(١) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »
(٢) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »
(٣) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »
(٤) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

« رع موسى » الثانى تقول :

« فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة لا يقتربنَّ أحد من النار ... لأن الإلـه رع قد تجلى فى ذلك اليوم فى النار ! . »

ومن ثم فيقيناً إن هذا المؤلف اليهوذى حينما سطر هذه السطور قد راعى هذا الاعتبار لاسيّما وقد كانت مصر القديمة تحتفل كل عام بذكرى هذا التجلى للاله رع فى النار احتفالها بذكرى أخرى مماثلة وهى تجلى الرب «أوزير» أيضاً ، من خلال النار ! . .

ومن هنا نعلم أن هذا المؤلف اليهوذى وهو يحدث قومه بهذا الحديث لم يأت بحديث على مسامعهم غريب ولذلك نراه وهو يسجل أضاليله هذه قد تناولهـا الخيال منهم بالتجسيم ثم بعد من شطحات المخيـلة جرت يده فسطرتها نصوصاً «مقدسة» تتحدث عن أشياء وكأنما هى قد وقعت بالفعل ... كما بذلك يطلع علينا ونحن نتابع إليه الإصغاء بينما يسترسل فى افترائه ويقول إن موسى هو ، نفسه ، الذى لإسرائيل قد قال :

أى إسرائيل ! . لقد اختارك الرب شعباً مقدساً ولذلك :

« من السماء أسمعك صوته ! . وعلى الأرض أراك ناره ! .. وسمعت كلامه من وسط النار ! ... » [1]

أف ! .

أف لهذا المؤلف وأف من افتراءآته على موسى وهو عليه يتقـول ويُمعن فى تطاوله عليه فيقول إنه قد دعا جميع إسرائيل وقال لهم : أولا تذكرون يوم :

---

(١) الأصحاح ٤ « سفر التثنية »

« . . سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار ؟ ! . »[1]

في ذلك اليوم :

« تقدمتهم إلى وقلتم .. هو ذاالرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار ! ... فتقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا . بكل ما يكلمك الرب إلهنا نسمع ونعمل .

فسمع الرب صوت كلامكم حين كلمتونى وقال الرب لى : سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذى كلموك به . قد أحسنوا فى كل ما تكلموا . ياليت قلبهم كان هكذا ! ..

إذهب وقل لهم : ارجعوا إلى خيامكم ..

وأما أنت فقف هنا معى فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التى تعلمهم فيعملونها فى الأرض التى أنا أعطيهم ليمتلكوها ! . »[2]

هراء ! . .

هراء عجيب هذا الهراء اليهوذى الحامل فى نفسه البرهان على أنه الإفتراء بعينه على موسى عليه السلام ولذلك فكل تعليق فى هذا الصدد إنما هو قاصر على عمل العقل وإعمال الفكر .. وأما ما هى هذه « الوصايا والفرائض والأحكام » التى يعلمها « إله إسرائيل » لموسى ، على حد افتراء هذا المؤلف ، ليعلمها موسى بدوره لإسرائيل وليعمل بها هذا « الشعب » الذى أحسن فيما تكلم وليت قلبه كان مثل لسانه ؟ . فذلك افتراء آخر على موسى يأتى به هذا المؤلف القائل بأن موسى لإسرائيل قد قال :

« هذه هى الوصايا والفرائض والأحكام التى أمر الرب إلهكم

(١) الاصحاح ٥ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٥ « سفر التثنية »

أن أعلمكم فى الأرض التى أنتم عابرون اليها لتمتلكوها ! .

اسمع يااسرائيل ! ..

متى أتى بك الرب إلهك الى الأرض التى حلف لآبائك ، ابراهيم واسحاق ويعقوب ، أن يعطيك . الى مدن عظيمة وجيدة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها

وأكلت وشبعت .

فاحترز ! ..لا تسر وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم لأنّ الرب إلهكم إله غيور فى وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض ! ..

احفظوا وصايا الرب إلهكم » (١)

يقيناً ان هذه لنصوص أخرى هى ، أيضاً ، الى التعليق فى غير حاجة ! . فهى بما تحمله من منطق معكوس تقدم البرهان الدامغ على انتفاء القدسية عنها . . . غير أن فيها بما تحمله من وصف لأرض كنعان تنويه بما كانت عليه هذه « الأرض الموعودة » من عمران وخاصة غرب الأردن الذى كان يومذاك الهدف الرئيسى لإسرائيل . ولكن ، ماهى «وصايا اله اسرائيل لإسرائيل» ؟.

من شمتى هذا المؤلف اليهوذى يأتينا الجواب فيأتينا بافتراء آخر على موسى جديد إذ ينقول عليه قائلا بأنه قام فى إسرائيل ينادى :

يا إسرائيل ! . .

« متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها

---

(١) الاصحاح ٦ « سفر التثنية »

لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك .. وضربتهم فانك تحرمهم !

لا تقطع لهم عهداً !

ولا تشفق عليهم ! . . »(1)

اسمع :

« اسمع ياإسرائيل ! أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ... فتطردوهم وتهلكوهم سريعاً كما كلمك الرب ! . . »(2)

ولكن ! . .

« لا تقل فى قلبك : .. لأجل أنى برئ أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض ! .. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم ! بل لكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك ! ..

ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة ! .. »(3)

لا شك ، ياإسرائيل ، إنك « صلب الرقبة » ! . لا برَّ فى طبعك ولا عدالة فى قلبك ! .

أو لا تذكر ، يا إسرائيل ، ماذا قد فعلت ؟ ! .

« اذكر ! لا تنس كيف أسخطت الرب إلهك فى البرية من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيت إلى هذا المكان كنتم تقاومون الرب ! .

حتى فى حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم ! . »(4)

---

(1) الاصحاح ٧ « سفر التثنية »

(2) الاصحاح ٩ « سفر التثنية »

(3) الاصحاح ٩ « سفر التثنية »

(4) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

ما هذا الخلط ؟.. وما هذا العبث ؟!.. وما هذه الترهات التى ينتشر عنها هذا السفر الأخير من هذا الكتاب « المقدس » الذى يعتمد عليه يهود العالم كل الاعتماد فى ادعائهم بملكية رقعة من الأرض يسمونها « أرض الآباء !. »

ثم أى كفر هذا الذى يتمرغ فيه مؤلف هذا « السفر » وهو يواصل التسطير فى افتراء على موسى إذ يجعله هو المتحدث بهذه النصوص التى تحمل البيان الكافى للخطة الوحشية التى يجب على بنى إسرائيل أن يسلكوها مع أهل البلاد من سكان هذه « الأرض الموعودة » ؟!.. ففى هذه النصوص بيان صارخ للخطة الإرهابية التى اعتزمتها اسرائيل نحو أهل البلاد من سكانها الأصليين واتجاه غادر نحو العدوان المباشر الهادف الى ابادة السكان فى غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة واحدة هى أنهم غير أصحاب « الأرض الموعودة » دون ما إنذار ولا دعوى الى سلم مما يسجل على اسرائيل قسوة جامحة مصدرها، ولاشك، الفكرة الإختصاصية وسياسة العزلة التى تأصلت فيهم وكانت من أسباب عقدهم النفسية والتى، ولا جدال، كانت أقوى مظاهر ما انبثق عن نفوسهم من عداء كظيم لغيرهم من الناس .. ونظرة واحدة نلقيها على هذه النصوص تأتى الينا باليقين على انتفاء القدسية عنها ودليلنا هو هذا المنطق المعكوس الذى يجعل هذا « الرب» يصف هذه الجماعة بقسوة القلب وعدم البرّ « وصلابة الرقبة » والشر ثم يختارها شعباً دون سائر الشعوب !

ما هذا السفه ؟!.. لا شك فى أن مؤلف هذا « السفر » قد بزّ رفاقه فى الافتراء على موسى لاسيما وهو يروح مُؤكداً ما قد أتوا به من ترهات هى لا يستسيغها منطق فحسب وإنما لا يقبلها عقل طفل !. وإلا فلنصغ

إليه وهو يوالى على موسى افتراءآته والنستعن بمدد الصبر عليه ونحن نسمعه يحـدثنا بأن موسى قد اتجه يخاطب إسرائيل قائلا :

يا أيهـا القوم الخطاة ! ألا تذكرون ؟

« حين صعدت إلى الجبل لـكى آخذ لوحى الحجر . . أقمت فى الجبل أربعين ليلة لا آكل خبزاً ولاأشرب ماء .. وفى نهاية الأربعين .. قال لى الرب قم انزل عاجلا من هنا لأنه قد فسد شعبك ! . هذا الشعب شعب صلب الرقبة ! اتركنى فأبيدهم ! .

فانصرفت ونزلت من الجبل ... فنظرت وإذا أنتم قد أخطأتم إلى الرب إلهـكم ! . . ثم سقطت أمام الرب ، كالأول ، أربعين ليلة لا آكل خبزاً ولا أشرب ماء ! من أجل كل خطاياكم التى أخطأتم بها بعملـكم الشر أمام الرب لإغاظته ! » (١)

وأما لماذا « سقطت أمام الرب » ؟ فليس ذلك إلا ؛

« لأنى فزعت من الغضب والغيظ الذى سخطه الرب عليكم ليبيدكم ! وصلّيت للرب وقلت ؛ ياسيد الرب لا تهلك شعبك وميراثك ! . .

لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته !

لئلا تقول الأرض التى أخرجتنا منها إن الرب لم يقدر أن يدخلهم الأرض التى كلمهم عنها ! . » (٢)

ولـكن ! .

---

(١) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

(٢) الاسحاح ٩ « سفر التثنية »

« على هرون غضب الرب جداً ليبيده ! . . »(١)

أية فرية على موسى ، عليه السلام ، أشــد فداحة من هــذه الفرية التى يرتــكبها هذا المؤلف فى حق هذا الرســول الــكريم إذ يصوره متجهاً إلى إسرائيل يحدثها بمثل هــذه الخزعبلات التى ، ولا شــك ، ليست إلا من أوهام هذا المؤلف الذى لم يــكفه ، بعد ، كل ما قد افتراه على موسى وإنما هو يمضى فى تقوله عليه ويقول إنه قد استرسل فى حديثه لإسرائيل قائلا :

« وسمع الرب لى تلك المرة أيضاً ولم يشأ الرب ان يهلــكك .
ثم قال لى الرب : قم اذهب للارتحال أمام الشعب ليدخلوا ويمتلــكوا الأرض التى حلفت لآبائهم ان اعطيهم ! .

فالآن ياإسرائيل ماذايطلب منك الرب إلهــك ؟ »(٢)

أى إسرائيل !

ان الرب إلهــك لا يطلب منــكم الا أن :

« تدخلوا وتمتلــكوا الأرض التى أنتم عابرون اليها . . .

فتأكل . . . وتشبع ! . . » .(٣)

من ثم تشددوا جميعاً وإلى « الأرض الموعودة » شدوا الرحال جميعاً فأنكم :

« تأكلون هناك ! . . وتفرحون بــكل ما تمتد اليه أيديــكم ! . .

---

(١) الاصحاح ٩ «سفر التثنية »
(٢) الإصحاح ١٠ « سفر التثنية »
(٣) الاصحاح ١١ « سفر التثنية »

« لأنك شعب مقدس ! . اختارك الرب لـكى تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب ! . » (١)

كلا ! .

كلا ، لا نسل ياإسرائيل لـماذا اختارك الرب واختصك بهذا التفضيل على الرغم من شرور فى قلبك وانحرافات فى طبعك وصـلابة فى العنق وانحلال فى الخلق ! ! .

كلا ، لا تسل ياإسرائيل لماذا ؟.. وأما إذا ألححت بالسؤال فاعلم بأن ذلك ليس إلا لـكى تكونوا جبهة قوية ضد كل الشعوب التى :

« . . إذا دفعها الرب إلـهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحـد السيف ! .

واما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك !

هـكذا تفعلون بجمع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلـهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ! . . » (٢)

اسمع ! . . ؛

« اسمع ياإسرائيل ! أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائـكم ! لا تضعف قلوبكم لا تخافوا ! . . .

حين تقرب من المدينة لـكى تحاربها استدعها للصلح .

---

(١) الاصحاح ١٤ « سفر التثنيه »

(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر التثنيه »

ما قد رواه ذلك المؤلف الآخر ، الذى سبق هذا المؤلف ، من ترّهات يوم راح يروى لنا رواية صعود موسى بهرون إلى قمة « هور » .. بينما الفكر منا يواصل التأمل فى اصحاحات هذا « السفر » الذى يشتمل معظمه على تحذير من الأنبياء والرائين الذين يدعون إلى عبادة رب آخر غير «يهوه» آله اسرائيل بل وإيجاب قتلهم حتى ولو ظهرت على أيديهم « معجزات » ! لذلك أصغ ، ياإسرائيل، إلى هذا الحكم :

« إذا قام فى وسطك نبىٌّ أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة . . . فلا تسمع . . . ذلك النبىّ أو الحالم يُقتل ! . . » (١)

هذا النص هو سر سياسة العدوان التى لقى بها كل « نبى » لا يدعو إلى عبادة « يهوه » إلــه إسرائيل الجفوة من إسرائيــــل ومن أشهر ضحاياهم كان المسيح عليه السلام نفسه ! . . فقتلا يقتل كل « نبى » وقتــلا يقتل حتى الأخ إذا أغوى أخاه ، سرًّا ، إلى عبادة رب آخــر غير « إلــه إسرائيل » . . بل وحتى ياإسرائيل :

« إن سمعت عن احدى مدنك التى يعطيك الرب إلــهك لتسكن فيها قولاً . . تذهب وتعبد آلهة اخرى . فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بــكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ! تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة ! . . » (٢)

لماذا ؟ . . اليك الجواب :

---

(١) الإصحاح ١٣ « سفر التثنيه »
(٢) الإصحاح ١٣ « سفر التثنيه »

فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك
للتسخير ويُستعبد لك !

وإن لم تسالمك . . فحاصرها وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك
فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ! . » [١]

يقيناً إنه لنص رهيب إنما هو هذا النص الذى يأمر باستعباد جميع شعوب المدن التى توافق على الاستسلام وهذا قاصر على المدن البعيدة أولاً دون مدن « أرض كنعان » التى يقع على ذكورها الحكم قتلا بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما فى المدينة فيكون غنيمة لرجال إسرائيل !.

هذا هو قانون الحرب عند إسرائيل وهذا هو دستوره الذى ينم عن مشاعر سفاحة عطشى إلى الدم مما يعطينا صورة واضحة بل وفكرة شاملة عن نوايا « إسرائيل » فى عصرنا الحاضر تجاهنا وتجاه سائر الشعوب من غير اليهود فى اتباع لخطى هؤلاء الذين راحوا يزحفون صوب « الأرض الموعودة » وبين جوانبهم تصطلى نيران الغل والحقد وفى سمعهم يدوى هذا الصوت الصارخ :

افعل ! . . :

افعل « كما أمرك الرب إلهك ! . » فإنما هذه هى :

« كلمات العهد التى أمر الرب موسى أن يقطع مع بنى إسرائيل فى أرض موآب فضلاً عن العهد الذى قطعه معهم فى حوريب ! » [٢]

لا جدال فى أن هذه السلطة التى يطلع بها علينا قانون الحرب فى

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٢٨ « سفر التثنية »

إسرائيل إنما هى سلطة مطلقة كانت قاصرة عند ذاك على أصحاب العروش وأما موسى ، عليه السلام ، فلم يكن من أصحاب العروش حتى يستطيع هذا المؤلف الافتراء عليه فيقول بأنه قد أمر بإطاحة الرؤوس ! . . بيد أن مؤلف « سفر التثنية » وهو الذى افترى على موسى كل هذه الافتراءات ، لم يضره أن يصور موسى متوثباً لاعتلاء عرش بل ويتمادى فيصوره مُهيئاً الأفئدة من هذه الجماعة إلى هذا الأمر . . ومن هنا راح يتقول عليه قائـلا بأنه قد اتجه إلى إسرائيل ، وقـــد شارفوا مشارف « الأرض الموعودة » ، يناديهم :

يا إسرائيل ! . . .

« متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهـك وامتلـكتها وسكنت فيها فإن قلت أجعل علىّ ملـكا كجميع الأمم الذين حولى فأنت تجعل عليك ملـكا الذى يختاره الرب إلهـك . وعندما يجلس على كرسى مملـكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب ! . . » (١)

بهذا النداء ، على حدِّ ادعاء هذه الرواية المفتراة ، نادى موسى إسرائيل — بينما كانت يده قد انتهت من كتابة نسخةمن هذه الشريعة فى كتاب هو هذه التوراة . . فلقد :

« كتب موسى هذه التوراة ! . . » (٢)

حتى المدى امتد بهذا المؤلف اليهوذى التمادى فى حق موسى ، عليه السلام ، فأبرزه فى صورة هو منها برىء . . ولـكن ! . الذى قد دار بعد فى مخيلة هذا المؤلف فأمر مستتر إذ أننا نراه فجأة وبدون سابق مقدمات يتغير

---

(١) الإصحاح ١٧ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٣٠ « سفر التثنية »

فى يده الأسلوب وتتغير العبارة وبعد أن حاول اعلاء موسى عـلى عرش عاد وعاودته شطحاته أشدّ عن ذى قبل وراح يلتف من حول شخصية أخـرى بينما كان القلمُ فى يده يجرى مُسجِّلاً :

بروز يشوع بن نون فى إطار التاريخ الإسرائيلى

مرة واحدة وفى تحول عجيب تحول مؤلف « سفر التثنية » عن موسى بن عمـران إلى يشوع بن نون وبينما بدأ يُجـلى عن يشوع سحب الزمن بدأ يجمعها من حول موسى بل وإلى غيومه راح يحيك هذه السحب من حول موسى فى تكتل رهيب ويجعل مصدرها هذا الذى كان من الجواسيس الذين استكشفوا مكامن « أرض كنعان » ثم ارتفع إلى تلك المرتبة التى منحته حق تقسيم هذه « الأرض » بين أسباط إسرائيل ولـكن ، يأبى هذا المؤلف أن يستهل حديثه عن يشوع إلا ببهتان جديد يضاعف به من افتراءآته على موسى ، عليه السلام ، لا لأن هذا المؤلف جاء بنصوص تصـور لنا يشوع فى صورة أكثر اعجازاً وأقوى من موسى شخصية فحسب وإنما لأن هذه النصوص تشير إلى بروز يشوع فى إطار التاريخ الإسرائيلى فى أعقاب كتابة موسى هذه التوراة وأثر نظرة خفية انسدل على أثرها الجفن من يشوع قام بعدها فأقبل عـلى موسى يوعز إليـــه بالانتقال إلى مداولة سريعة :

« فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى خيمة الاجتماع »(١)

لماذا ؟! هذا سؤال يأتى الجواب عنه من النصوص التى يسرى من ثناياها فحيح التهامس بأن نهاية موسى قد أمست وشيكة الوقوع ! .

---

(١) الاصحاح ٣١ « سفر التثنية »

كيف ؟ ..

هذا ما سيصوره لنا هذا المؤلف بعد أن عهد له بمقدمة يصور بها اتجاه إسرائيل بكايتها إلى الصوت من موسى وهو ينطلق ، فى تلك اللحظات ، ينادى :

يا إسرائيل :

« اجمعوا لى كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ! . »(١)

وأما ما هى هذه « الكلمات » ؟ فها هى ذى :

ياإسرائيل ! يا :

« جيل أعوج ملتو !

الرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم ؟ ! .

أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم ! لو عقلوا لفطنوا ! .. »(٢)

يقيناً إن يهود العالم أجمع لو عقلوا لفطنوا إلى مدى افتراءات هذا المؤلف الذى جاء يُحدثهم هذا الحديث عن ذلك « اليوم » الذى جاء انقضاؤه بغدٍ غدا بعده موسى طيفاً فى أفق التاريخ ! .

أين موسى ؟ ! .

سؤال ، جعله مؤلف « سفر التثنية » يدوى فى أرجاء محلة إسرائيل وجعل جوابه سبابة يشوع وهى إلى قمة « عباريم » فى جبل « نبو » تشير :

---

(١) الإصحاح ٣١ « سفر التثنية »
(٢) الاصحاح ٣٢ «سفر التثنية »

هناك! .

هناك ، فى قمة « عباريم » من جبل « نبو » موسى ! .

إذن . متى سيعود موسى ؟ . .

سؤال آخر جعله هذا المؤلف يدوى فى كل خيمة من خيام إسرائيل والعين من هذه الجماعة قد علقت بتلك القمة التى كانت السبابة من يد يشوع إليها تشير بينما انطلق الصوت منه بين هذه الجماعات يصيح :

إن موسى لن يعود ! . .

لماذا ؟ ! . .

سؤال آخر كان جوابه الصوت أيضاً من يشوع الذى ارتفع ، لأول مرة ، جهيراً يقول لقد :

« كلم الربّ موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا : إصعد إلى جبل عباريم. هذا جبل نبو فى أرض موآب الذى قبالة أريحا ، وانظر أرض كنعان التى أنا مُعطيها بنى إسرائيل ملكا .

ومت فى الجبل ! . . » (١)

إذن ، لقد مات موسى ؟ ! . .

ولكن ! . كيف مات موسى ؟ ! . .

ومن شفتى يشوع بن نون جاء الجواب : وعلاَم العجب وقذف سؤال بعد سؤال ؟ ... فلقد مات موسى فى جبل نبو تماماً :

« كما مات هرون فى جبل هور ! . . » (٢)

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »
(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

وهنا . .

هنا يطرق الفكر مناً وأما الشفاه فتؤثر الصمت على الكلام بينما يلتقط المسمع منا من هذا « السفر » أصداء صرخة دوت فى المحلة وأما رجع صداها فكان أسئلة ترف من جديد على الشفاه انحصرت فى كلمة واحدة وهى :

لماذا أمر « الرب » بموت موسى ؟ ! .

عن هذا السؤال يأتى الجواب من شفتى هذا المؤلف الذى لم يكن صرير قلمه إلاّ رجع الصدى من صوت يشوع القائل : أتدرون لماذا أمر الرب بموت موسى ؟ ! . . . إنكم لاتدرون ماذا قد حدث ؟ . .

لقد :

« كلّم الربُّ موسى قائلا :

مت فى الجبل ! . كما مات هرون أخوك فى جبل هور . .

لأنكما خنتمانى ! . »(١)

أستغفر الله ! . . ولكن ، كيف ؟ .

كلاّ ! . . لن نظفر من هذا المؤلف اليهودى بجواب ما لم نجاره مجازاً فى منطقه المعكوس فنقول : لقد قلتم إن هرون ، عندما صاغ العجل ، قد خان مرة الرب وأما موسى ؟ ! متى خان موسى الرب ؟ ! ..

وفى كفر صارخ يأتينا الجواب من هذا « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى الذى يختتم روايته عن وفاة موسى رامياً إيّاه بالخيانة ومُسجلاً على نفسه هذه النظرة إليه بصوت هذا المؤلف اليهودى الذى جاء بالجواب المؤكد أن موسى قد خان الرب :

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

« عند ماء مريبة قادش ! فى برية صين . . » (١)

يقيناً إن هذا المؤلف اليهودى إذ يعود بنا إلى « ماء مريبة » فليس ذلك إلا ليذكرنا بما قد أتى به، نفسه، من افتراءآت لحظة تصور أن العين من يشوع قد تنبهت إلى اليد من موسى فى نفس اللحظة التى انفضت من كتابة « نسخة من التوراة » ! .

إلى تلك اللحظة التى استهل هذا المؤلف اليهودى نصوصه المفتراة هذه فصوّر لنا موسى وقد وقف فى خلالها وفى المخيلة منه ترتسم رقعة « الأرض الموعودة » والحلم بتحويلها من أرض موعودة إلى أرض لإسرائيل « مملوكة » يقوم عليها لإسرائيل ملك يستهل أول خطوة إلى عرشه بكتابة « نسخة من التـوراة » يعود بنا هذا المؤلف فيصوّر لنا فيها العين من يشوع بن نون وقد استقرت على موسى استقراراً كان له فى مخيلة هذا المؤلف نتيجته التى أضاف بها إلى افتراءآت منه سبقت افتراءً آخر تمثل فى تصويره لموسى صاعداً إلى حيث لم يعد من هناك أبداً بينما ارتفعت قبضة يشوع وأطبقت بمخالبها على عنق إسرائيل وبينما كان فى سفح الجبل صوت ينطلق فى جماعة إسرائيل قائلا بأن موسى كان قد قال :

« الربّ إلـهنا كلمنا فى حوريب قائلا، كفاكم قعود فى هذا الجبل تحولوا ارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبال والسهل والجنوب وساحل البحر . . أرض الـكنعانى ولبنان إلى النهر الـكبير نهر الفرات ! . . ادخلوا وتملّـكوا الأرض . .

---

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

لكنكم لم تشاؤا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم .
وتمرمرتم فى خيامكم . . .

وسمع الربّ صوتَ كلامكم فسخط وأقسم قائلا : لن يرى الناس من هذا الجيل الشرّير الأرض الجيدة التى أقسمت أن أعطيها لآبائكم ! . .

وعلىّ ، أيضاً ، غضب الرب بسببكم قائلا : وأنت لا تدخل إلى هناك !
يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل إلى هناك ! . . »(١)

ثم إن موسى قد واصل الكلام قائلا ، ولقد :

« تضرعت إلى الرب فى ذلك الوقت قائلا : يا سيد الرب أنت قد ابتدأت تُرى عبدك عظمتك ويدك الشديدة ... دعنى أعبر وأرى الأرض الجيدة التى فى عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان .

ولكن !

الرب غضب علىّ بسببكم ولم يسمع لى ! بل قال لى الرب كفاك ! لا تعد تكلمنى فى هذا الأمر ! . . لا تعبر هذا الأردن وأما يشوع . . هو يعبر ! . » (٢)

نعم ! . . لقد :

«غضب علىّ الرب بسببكم وأقسم أنى لا أعبر الأردن ولا أدخل الأرض الجيدة التى يعطيك إلهك نصيباً ! فأموت أنا فى هذه الأرض لا أعبر

(١) الاصحاح الاول « سفر التثنية »
(٢) الاصحاح ٣ « سفر التثنية »

الأردن ! . »(٣)

ما هذا العبث بالعقول الذي يجيء به هذا المؤلف اليهودي بنصوص يسبغها بالقدسية طالباً من العالم تصديق هذا المنطق المعكوس ؟ ! . بل وما هذه الافتراءات على موسى، عليه السلام ، التي تزداد عليه بهتاناً فتقول ؛

«قال الرب لموسى ؛ خذ يشوع بن نون . . وضع يدك عليه . وأوقفه قدام اليعاذار الكاهن . . لكى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل . . حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون ! . »(١)

ولكن .. هنا نرانا نطرق ، للحظات ، أمام هذا الانقلاب الواضح الذى جعل فيه مؤلف « سفر التثنية » اليد من يشوع بن نون بمؤازرة اليعاذار ، ابن هرون ، الكاهن الأكبر تتداول مقاليد الحكم تناولاً مكنها من أن تشير إلى قمة « جبل نبو » وباسرائيل تصيح كفوا أسئلة فإنه كما من قبل قد طوى « هور » هرونَ فقد طوى « نبو » موسى ! .

وهكذا طوَت هذه التوراة المفتراة لموسى، عليه السلام ، حياة ! .

ولكن !،

لئن طويت الحياة الموسوية تحت هذه الصورة التى رسمتها شفتا يشوع بن نون وغدا موسى بعدها طيفاً فى أفق التاريخ فليس إلا لتهب عن حوله للزمن أنفاس رفرفت عليه بقداسة خلت منها هذه « الأسفار الخمسة » المعروفة باسم التوراة ! . . هذه التوراة التى تنسب إليه زوراً وبهتاناً والتى تحمل البرهان القاطع على أن الدين اليهودى الحالى ، بنظرته هذه إلى

(١) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »
(٢) الاصحاح ٢٧ « سفر التثنية »

موسى ، لا علاقة له بموسى على وجه الإطلاق ! . .

وكيف ؟ ! . .

إن هذا التوراة التى بين أيدينا ، وهى مصدر العقيدة للدين اليهودى الحالى ، تعتبر موسى خائناً غضب الرب عليه وأمر بموته جزاء خيانته .. فكيف ، بعد ذلك ، يمكن أن ينسب هذا الدين اليهودى الحالى إلى موسى ؟ ! .

إذن ؟ ! .

إلى من ينسب هذا الدين اليهودى الحالى ؟ . . إن هذا ما ستتكشف عنه هذه التوراة نفسها وستفصح بنصوصها عن أن هذا الدين اليهودى الحالى لا يعود بمصدره إلا إلى ذاك الذى تولى قيادة بنى إسرائيل أثر وفاة موسى عليه السلام . . ذاك الذى اتخذ من موسى قاعدة بنى عليها له سلطان تحول بها موسى إلى مجرد رمز بينما أسلس العنق الإسرائيلى لقبضته العنان . . ذاك الذى ببروزه على صفحة التاريخ اليهودى بدأ فى الواقع تاريخ هذا الدين وكان أن بدأت ، بالفعل ، حياة عقيدة « الأرض الموعودة » . . .

هذا هو ، فى واقع الأمر ، الأمر الصحيح ! . .

بوفاة موسى آل أمر بنى إسرائيل إلى يشوع وهذه حقيقة يحدثنا بها مؤلف يهوذى آخر أبى إلا أن يطلق على كتابه اسم : « سفر يشوع » . . . ففى هذا السفر ، المتصل بالتوراة اتصالا وثيقاً والذى يكوّن معها وحدة مؤتلفة مما حدا بكثير من العلماء إلى اعتبار التوراة ستة أسفار لا خمسة ، نمسك بخيوط الأحداث التى عقدت فى جبين الزمن عقدة هذا الدين اليهودى الحالى وليس ذلك لأننا نجد فيه المصادر المختلفة للتوراة فحسب ولا لأنها قد مزجت

فيه مزجاً فحسب وإنما لأن الحقيقة تطلع علينا من ثناياه صارخةً تقول : إنّ بنى إسرائيل قد انحرفوا بعد وفاة موسى إلى يشوع انحرافاً كلياً أصبح فيه موسى ليس إلاّ مجرد رمز بينما أمسى يشوع هو القائد الحربى الحقيقى والزعيم الدينى لبنى إسرائيل والبرهان على ذلك هو هذا الاعتراف الصادق الذى يُسجله مؤلف « سفر يشوع » عندما أبرز يشوع فى صورة أكثر إعجازاً وأقوى شخصية من موسى . . . فهو يقص علينا قائلا :

« كان بعد وفاة موسى أن الرب كلم يشوع بن نون . . قائلا : موسى عبدى قد مات فالآن قم أعبر هذا الأردن ، أنت وكل هذا الشعب ، إلى الأرض التى أعطيها لهم لبنى إسرائيل ! . . . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات ! . . .

ولا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك . . كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك فى كل ما تأمره يقتل ! . »[1]

إن مؤلف « سفر يشوع » يريد بنصوصه هذه أن يقول لنا إنه تماما كما كلم الرب موسى من قبل كلم الرب يشوع من بعد وليتخذ من هذا القول نقطة بداية يسير بها حتى النهاية مرسلا القول على عواهنه ليقول بأن الرب إذا كان قد أجرى على يد موسى معجزات فانه قد آثر يشوع بمعجزات أعظم ! . إذا كان موسى قد آثره الرب بمعجزة شق البحر فانما يشوع قد بزه بمعجزات أكبر ! . . فلقد توقف ماء الأردن وانفلق لكى يمرّ عليه يشوع يقود بنى إسرائيل من ورائه !. وهذا بالإضافة إلى المعجزة الكبرى عند مدينة جبعون

---

(١) الإصحاح الأول « سفر يشوع »

« إن الربّ كلم يشوع بن نون . . . قائلا : موسى عبدى قد مات! الآن قم اعبر هذا الأردن ! . كما كنت مع موسى أكون معك ! . »(١)

بهذا النص تبدأ السُّجف السياسية والدينية فى الانحسار عن يشوع ابن نون ، القائد الحربى والزعيم الدينى الحقيقى لبنى إسرائيل ، وعن دوره الفعّال فى تاريخهم . . . هذا الدور الذى يفصح عنه هذا النص القائل :

« قال الرب ليشوع : اليوم أبتدئ أعظمك فى أعين جميع إسرائيل كى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك ! . .

فقال يشوع لبنى إسرائيل : تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب إلـهكم . . »(٢)

تُرى ؟ ! .

تُرى أى صوت آخر كان هذا « الصوت » الذى سمعه بنو إسرائيل ، على حد رواية هذا المؤلف اليهوذى الجديد ؟ ! . .

يقيناً إن هذه النصوص لا تحتاج إلاّ لإعمال الفكر فيما تشتمل عليه من معان !.. فهى ، أولا ، تسوّى يشوع بموسى مساواة تامة من حيث « المكالمة » ثم هى ، بالتالى ، ترفع من مكانة يشوع كواسطة يُسمع كلام « الرب » إلى « شعبه » من أفراد هذه الجماعة الذين كانوا ، بعد أن أسمعهم يشوع كلام الرب إلـهم ، قد :

« أجابوا يشوع قائلين : كل ما أمرتنا به نعمله وحيثما ترسلنا نذهب . . . كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك فى كل ما تأمره به

---

(١) الاصحاح الاول « سفر يشوع »
(٢) الاصحاح ٣ « سفر يشوع »

يقتل ! . » [1]

ومن هنا ننتزع الحقيقة من صدر التاريخ اليهودى نفسه وهى أن يشوع هو الذى انتهز الجزر الكنعانى وعرف كيف يميل وميول بنى إسرائيل رؤساء وجماعة ويهوى على أعناقهم بقبضته فى اللحظة التى اشتد فيها تمردهم على ذلك الرسول الكريم .. وهذه المعرفة أو بالأحرى هذه الدراية بضمائر ونفوس جماعة إسرائيل هى التى مكّنت يشوع من التمكن من ناصية بنى إسرائيل فتزعّم فيهم القيادة وانطلق بهم يسوقهم إلى ما وراء أريحا حتى عبر بهم الأردن إلى ضفته الغربية وتمّ له الاستيلاء على هذا الجزء الغربى الذى قسمه بين « بيوت إسرائيل » . . وتؤيد ذلك المعاولُ الأثرية التى تشير إلى آثار هذه الموجة العاتية التى زحفت فدمرت «لآشيش» ثم أوغلت فأغرقت شمال «البحر الميت» واجترفت « جريكو » ثم انحرفت فقوّضت « بيت إيل » . وهذا ما يجعلنا نقول بأن بيشوع، وليس إلاّ بيشوع، قد امتد هذا المد الإسرائيلى سعيراً فأحرق بالنار المدن الكنعانية الواحدة تلو الأخرى وقتل أهلها برمتهم من رجال ونساء وأطفال بل وفى حُمّى لا واعية انطلق هذا المد مجنوناً فلم يسلم من التدمير من يده شىء حتى السائمة !.. لم يستبق يشوع من البهائم واحدة ! البقر والغنم والحمير أحرقها يشوع أحياء ! كل ما استولى عليه يشوع دمره تدميراً وقتله قتلا وأحرقه حياً!. أباد يشوع كل شىء باستثناء المعادن وسبائك الفضة والذهب ! .

وهكذا تنحسر سجف تاريخ الدين اليهودى الحالى عن يشوع كصاحب هذا الدين وباذر تلك السياسة العدوانية الحقيقية فى تاريخ بنى إسرائيل والتى بلغت أقصى مداها من القسوة والوحشية ! . فإنه هو الذى قبض ، فى تلك

(١) الاصحاح الأول « سفر يشوع »

اللحظة التى انحرف فيها بنو إسرائيل عن موسى ، على زمام الأمور فى إسرائيل فأعان وفاة موسى وتولى هو فيهم الحكم بينما أسلس له أفراد إسرائيل الأعناق إشباعاً لما فى نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه فى معاملة مَن سواهم من الناس .. ولكن!.. لما كان فى الالتصاق باسم موسى ماعنحهم بين الشعوب حيثية وكياناً وبالتالى وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد أبوا إلا أن يظهروا بأن الأيام لا تزيدهم بموسى إلا استقطاباً وإلا بطيفه تشبثاً فتنادوا بأنهم موسويون وأما واقع الأمر وحقيقته فليسوا هم إلا يشوعيين ! . يشوعيين قلباً وقالباً وليس إلا كى يصبغوا أدواءهم السياسية بصبغة شرعية راحوا بإملاء من نزعاتهم هذه يسطرون ما يتخيلون ويمعنون فى أضاليلهم فينسبون هذه « الأسفار الخمسة » إلى موسى وإنما هو برىء من كل ما جاء فى هذه « الأسفار » التى بلغت المدى فى تطاولها عليه حتى رمته فى نهايتها بالخيانة بقدر ما رفعت من شأن يشوع حتى صاغت باسمه سفراً خاصاً هو هذا الذى سجَّل :

تكوين الدين اليهودى الحالى وعودته بأصوله

إلى

يشوع بن نون

إن الأدلة التاريخية المنتزعة من نصوص « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى تتضافر وتقدم « يشوع بن نون » على أنه صاحب هذا الدين الذى يدين به اليهود منذ عصره حتى عصرنا الحاضر وهذا الرأى يتخذ دعامة له من أمرين :

الأول : أن موسى عليه السلام قد توى وهذه « الأسفار » التى تنسب إليـه كانت لم تكتب بعد ! . وهذا ما يجعل موسى لا صلة له بهذا « الـكتاب المقدس » إطلاقاً .

والآخر : أن يشوع هو الذى بدأ به تاريخ بنى إسرائيل على صفحة التاريخ السياسى والدينى معاً . فاذا كان إلى ما أتى به يشوع من عدوان قد أثبتت المعاول الأثرية أدلته المادية هو السمة البارزة فى السياسة اليهودية حتى اليوم فانما إلى ما أتى به يشوع من تعاليم يعود بتكوينه الدين اليهودى . . وبرهان ذلك أن الدين اليهودى الحالى لم يتكون فيصبح لبنى إسرائيل ديناً خاصاً بهم من بين الأديان إلا بعد استيلائهم على بعض الأجزاء من « أرض كنعان » واحتلالهم إياها ! .

من ثمّ فإذا كان لا صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا « الـكتاب المقدس » الذى لم يتكون الدينُ اليهودى الحالى إلا من نصوصه التى سارت وفقاً لسياسة يشوع وتعاليم يشوع ... وإذا كان يهود اليوم ، بالتالى ، يتمسكون بهذا «الـكتاب» ويدعون قدسيته ويعتبرون ما يحتويه من نصوص قد كونت لهم هذا الدين الذى به يدينون فأية صلة هناك تربط اليهود بموسى ؟ ! .

ثمّ ! . .

ثمّ إذا كان هذا «الـكتاب المقدس» ، نفسه ، قد انتهى فى حديثه عن موسى إلى أن يتهمه بالخيانة وبغضب الرب عليه فقال بأن «الأمر» بموته فى « جبل نبو » قد جاء لأنه قد « خان الرب » وهذا فى نفس الوقت الذى يعلى من شأن يشوع إعلاء عجيباً لا نتبينه فحسب من النصوص التى تقول بأن بحر الأردن قد انفلق لأمره وأن حركة الزمن قد توقفت لإشارة من يده

وإنما من النصوص التي تجعله زعيماً دينياً كلمه الرب ومنحه سلطاناً مطلقاً على بني إسرائيل غدا به قائداً حربياً لهذه الفئة التي راح يعيث في أجزاء من « أرض كنعان » ويسنّ لها هذه السياسة العدوانية ضد سائر الشعوب والتي ما استقر بها في تلك الأنحاء المقام إلا وكوّنت سياسةُ يشوع لها هذا الدين الذي تفصح عن مرتبته بين الأديان هذه النصوص نفسها التي تكونه والتي سارت وفقاً لتعاليم يشوع ، فإنّ هذا هو ، نفسه ، البرهان على قولنا بأنّ يهود اليوم ليسوا موسويين على الإطلاق وإنما هم يشوعيون في الصميم!.. وإلاّ فكيف يمكن أن يكون اليهودي تـبّاع موسى وها هي ذي نظرة الدين اليهودي الحالي إلى موسى قد تكشفت من خلال كتابهم هذا « المقدس » نفسه ؟ ! . .

هاهو ذا أمامكم « الكتاب المقدس » انشروا صفحات « الأسفار الخمسة » تطالعكم الحقيقية الصارخة وتناديكم من ثناياه قائلة : بأن اليهود ليسوا أتباع موسى وإنما هم أتباع يشوع ، ذاك الذي صعد مع موسى إلى قمة الجبل ثم عاد بدونه وأعلن أن موسى من هناك لن يعود وما ذلك إلا لأنه قد خان الرب فغضب عليه وقال له اصعد إلى الجبل ومت هناك ! . . .

وإذن ؟ ! . .

إذن ، أليس من واجب التاريخ الحاضر تصحيح إسم هذا الدين فيستبدله من الدين الموسوي إلى الدين اليشوعي ؟ ! .

وحقاً ! كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين اليهودي الحالي ، هذا الدين اليشوعي الذي تكونه هذه « الأسفار الخمسة » وهي التي ترميه بالخيانة وبغضب إلـه إسرائيل عليه وتأمر بموته في الجبل عقاباً ؟ ! . .

ثم كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين

اليهودى الحالى وهذه « الأسفار الخمسة » التى تـكون هذا الدين نفسه لم تؤلف ولم تـكتب ولم تبرز على صفحة التاريخ الدينى إلا بزمن طويل بعد موسى ! .

إذن ...

متى كُتبت هذه « الأسفار » ولماذا كتبت ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال يُحتم علينا استعراض التاريخ السياسى لـ « بيوت إسرائيل » منذ احتل بهم يشوع بن نون تلك الأجزاء من « أرض كنعان » حيث هناك راحت تتوالى عليهم الأيام وتتدرج بهم من «عهد يشوع» إلى « عهد القضاة » إلى « عهد الملوك » الأول الذى بدأ بـ «شاؤل» وبرز ببيت يهوذا غداة امتلاك داود آخر حصون كنعان « صهيون » وانتهى بوفاة سليمان ..

فى خلال تلك العهود لم يؤلف «سفر» واحد من هذه «الأسفار» !..

ولـكن ! ... بعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى قسمين ، شمالا وجنوباً .. فأما الجزء الجنوبى بما فيه القدس فقد اقتطعه بيتا يهوذا وبنيامين وهؤلاء أقاموا عرشاً اقتصر ولاته على سلالة سليمان وحفدة داود . . ولما كان « بيت داود » هـذا من سلالة يهوذا وكان هو البيت المالك فقد عرفت هذه المنطقة باسم « اليهودية » أو « مملـكة يهوذا » . . وأما الجزء الشمالى ، حول سامريا ، فقد اقتطعته « البيوت العشرة » وهذه آثرت أن تطلق على هذه المنطقة اسم جدها الأعلى ، ومن هنـا عرف هذا الجزء الشمالى باسم « إسرائيل » أو « مملـكة إسرائيل » .

بهذا الانقسام الذى قامت به فى الشمال « مملكة إسرائيل » وفى الجنوب « مملكة يهوذا » بدأ دبيب الوهن يسرى فى أوصال تينك المنطقتين على

سواء وسرعان ما لحت ذلك « أشور » فأسرعت للانقضاض مستهدفة المنطقة الشمالية أى إسرائيل وقد جرد الأشوريون فى عهد « شالم نصر » الثالث ، « شلمنصر » ، جيشاً على « إسرائيل » هذه فهزمها عام ٨٥٣ ق . م ، فى موقعة « كركر » وهـذه هى الموقعة التى قضت على التاريخ السياسى لإسرائيل إذ مـكنت الأشوريين بعد ذلك وفى عهد « سرجون » الثانى من ضم هذه المنطقة الشمالية ، نهائياً ، إلى «أشور» فاندمجت إسرائيل ، عام ٧٢٠ ق . م . ، فى أشور وإلى ذلك كان قد مهّـد «سرجون» الثانى ، عام ٧٢١ ق . م ، نفسه عندما نال أفراد هذه « القبائل العشر » بالقتل فسحقهم سحقاً تاماً وأفناهم إفناءً كاملاً وحمل القلـّة التى تبقّـت منهم إلى بلاده أسرى ... وهكذا أذاب الغزو الأشورى سلالة « البيوت العشرة » من نسل إسرائيل وغيبهم التيار الزمنى تمام المغيب ومن ثم زال من التاريخ هذا القسم الشمالى المعروف باسم « إسرائيل » ومُحيت « مملـكة إسرائيل » من خريطة الوجود . . .

ثم حلّ البابليون فى العراق محل الأشوريين وكما فعلت أشور من قبل بالقبائل العشر فى الشمال فعلت بابل بالقبيلتين الباقيتين فى الجنوب . . فلقد ضم البابليون هذه المنطقة الجنوبية المعروفـة باسم « اليهودية » إلى بابل ، عام ٥٨٥ ق . م ، وأمست فلسطين بأجمعها جزءاً من الدولة البابلية وإلى ذلك كان قد مهد «نبوخضرنزار» الثانى عندما أطاحت أسيافه ، سنة ٥٨٦ ق . م ، بأهل اليهودية ودمر الهيكل ثم حمل الرؤساء من قبيلتى يهوذا وبنيامين إلى بابل أسرى وفى مقدمتهم أفـراد « بيت داود » من سلالة يهوذا وأعضاء « مملـكة يهوذا » . .

هؤلاء الأسرى من سلالة يهوذا الذين أبوا إلا الجلوس على شاطىء

الفرات يبكون ويتباكون ويتذاكرون ملكا لهم كان فى أورشليم قاعدته «حصن صهيون» هم الذين راحت هبّات التذاكر عنه تعصف بأفئدتهم وتستحث الشوق فى صدورهم إلى تفيىء ظلال صهيون من جديد حتى أصبح الحنين إلى صهيون رمزاً للحنين إلى عودة المملكة الدائرة !.

فى غضون هذا المنفى ألقى أبناء يهوذا هؤلاء فى تربة الزمن بذور الصهيونية بل كانوا هم الصهاينة الأول الذين بدأوا تاريخ الصهيونية غداة بدأت قرائحهم تبحث عن أجدى الوسائل لإعادة بيتهم، «بيت داود»، إلى مملكة يهوذا وعرش صهيون من جديد !. فبدأت الأيدي منهم تنشر القراطيس لتجرى عليها الأقلام مستهدفين من وراء ذلك شيئاً واحداً انحصر فيه تفكيرهم وهو عودة «دولتهم» الدائلة ... هذا التركيز فى تعبيد الطريق نحو هذا الهدف المرسوم، وهو العودة إلى عرش صهيون، هو الذى صرفهم إلى استعمال معول واحد وهو هذا الذى جاء بهذه المشكلة التى تجابه جبهة الزمان إذ لم يكن هذا المعول إلاّ بدعة «الأرض الموعودة» !.

هذا هو الواقع التاريخى !.

وهذه هى الحقيقة، فليس إلا لكى يضمن أبناء يهوذا لبيتهم، بيت داود، عودة إلى صهيون جرت أقلامهم على القراطيس فكونت هذه «الأسفار» المفتراة على موسى والتى تدافعت بنصوص تترى عن أن أرض فلسطين هى لهم كانت قد منحت منحة من إلههم، نفسه «يهوه»، إله إسرائيل !.. وهذه حبكة سياسية تنم عن دراية تامة بالنفسية البشرية ومدى تأثير العاطفة الدينية فى الجماعات اذ أن على المنحة الإلهية لا يمكن لبشر الاعتراض !..

وأما كيف جاءت هذه « المنحة » ومتى كانت ؟ فهذا من الطبيعى لابد وأن يكون سباقاً على العهد الذى كانوا فيه يسطرون هذه « البدعة » . ولكى يصبغوا قضيتهم بصبغة شرعية بدأوا بهذا « الوعد » بابراهيم ..

هذه الأقلام التى جرت فى أيدى أبناء يهوذا وجاءت بهذه النصوص التى غلفتها بالقدسية هى فى الحقيقة السّجلات التى تكشف من أمر هذا « الوعد » الذى لم يكن فى واقعه إلا وعداً تابعاً لمآرب السياسة وألعوبة فى يد هؤلاء المؤلفين اليهوذيين منذ بدأوا يكتبون « سفر التكوين » حتى « سفر التثنية » فأتموا بذلك هذه « الأسفار الخمسة » التى لم يكن إلاّ لإضفاء الصفة الشرعية عليها نسبوها إلى موسى متنادين بأنّها هى هذه « التوراة » التى أنزلت على موسى ! .

وهكذا فى ذلك العهد وفى أسر الفرات كتبت هذه « الأسفار الخمسة » التى لم تؤلفها إلا مُخيِّلات هذا السبط من يهوذا والتى عن مدى مرتبة مؤلفيها فى عالم الأخلاق تفصح نصوصها أبلغ الإفصاح !.. أولاً من خلال تصويرهم موسى ، عليه السلام ، شخصية غامضة مُبهمة شريرة لاعمل له إلا فرض الأتاوات وذبح الضحايا ورش الدماء على الحيطان وأباهم اليد اليمنى واليد الشمال وإلاّ الصعود إلى « يهوه » والهبوط من لدنه ثم إسكانه « خيمة » يطلق صوته من داخلها بهذه « الأوامر » من أمور الترّهات وانتهائهم بهذه الشخصية الكريمة إلى اتهامها بخيانة الربّ ! . ثم من خلال تصويرهم الفاحش للوط ، عليه السلام ، وابنتيه ! . ثم من خلال إسفافهم فى تصوير إبراهيم عليه السلام ، وأهله إسفافاً هوى بهؤلاء إلى الدرك

الأسفل من الأنهيار الخلق الذى لم يدر بخـــــلدهم ، وهم فى حمى سعيرهم هذا ، مدى عمق الهوة إلى تردَّوا فيها ! . فلقد نسوا كل شيء إلا غاية واحدة مستهدفين من ورائها التمهيد لعودة « بيت داود » و « مملكه يهوذا »ولهذا كان حتما ، كما رأينا ، أن يتحول هذا « الوعد » فى يدهم من شخص إلى آخر حتى يصلوا به إلى « ذرية داود » أى هم أنفسهم ، أما وأنهم قد بدأوا به بـإبراهيم فإن ذلك لم يكن ، كما قلنا ، إلاَّ حبكة سياسية كيما تـكسب قضيتهم الصبغة الشرعية . . فلقد انبثق هذا « الوعد » عن مصالح السياسة وتحـــــولت به « الوعود » تحولا يتسق وهذه المصالح دون ما أدنى التفات إلى ماسطروه من إسفاف فى المنطق وطفولة فى التفـكير فقد كان « الوعد » لإبراهيم فحولوه إلى إسحاق ليخرجـوا منه إسماعيل ! . . ثم حولوه إلى إسحاق ليحوِّلوه إلى يعقوب أى اسرائيل وليحصروه فى سلالة إسرائيل ! . . ثم حولوه الى ذرية داود لينحصر ، وهم من مملـكة الجنوب ، فى مملـكة الجنوب دون الشمال وتعود « اليهودية » إلى الوجود ! . .

هذا هو الهدف الحقيقى من وراء هذه المحاولات المتـكررة فى صورة انتقال هذا « الوعد » من شخص إلى آخر حتى ينتهى إلى « يهوذا » ومنه إلى « بيت يهوذا » ... فإنَّ هناك شرياناً واحداً يجرى فى هذه « الأسفار » يمجِّد « يهوذا » و « بيت يهوذا » وهذا الشريان هو الذى ينبض بفكرة « الأرض الموعودة » وهو نفسه هؤلاء الصهاينة الأوَل من « بيت يهوذا » الذين تعهدوا فـكرة « الأرض الموعودة » بالإنماء وحولوها إلى عقيدة هى فى حقيقتها ليست إلاَّ فـكرة نابعة لقيام الدولة وسقوطها فى « بيت داود » متخذين حجة على هذا التحويل « الوعد » من فرد إلى آخر بأن « يهوه » كان ينسى « وعده » فيجدده !.

وهذا هو الهدف نفسه الذى دفع بهذه الفئة من سبط يهوذا ، هؤلاء الصهاينة الأول الذين حملوا لواء العودة إلى « صهيون » ، إلى كتابة هذه « الأسفار » التى لا يقوم الدين اليهودى الحالى إلا عليها ولا يتخذ يهود العالم اليوم حجتهم فى ادعائهم بأحقيتهم بفلسطين إلا مما تشتمل عليه من نصوص هى هـذه التى مازالت تحوم من حولها أنفاس اليهوذيين منذ اللحظة التى نفثت فيها القدسية فى ذلك العهد الذى أعادهم فيه الفتحُ الفارسى لبابل إلى أورشليم حيث هناك بدأ بروز هـــــذه « الأسفار الخمسة » المكونة « التوراة » على صفحة التاريخ الدينى ! . .

هذه هى « التوراة » !.

هذه هى « توراة » اليوم التى لم تُكتب إلا بأقلام هؤلاء الصهاينة الأُول وفى ليالى الأسر الطويل على شاطىء الفرات والتى ليس إلا على وهم من الإيمان بقدسيتها منذ ذلك العهد الذى عاد فيه اليهوذيون من الأسر إلى أورشليم حتى هذا العهد الذى يعيش فيه اليهود فى عالمنا الحاضر ، كان أن قامت ، كامتداد من هذه الصهيونية القديمة ، الدعوى الصهيونية الحالية بملكية فلسطين وافتعلت « دولة إسرائيل ! . . »

وهكذا تولّـد وهم عن وهم وجاء من باطل باطل ! .. فلا سند للصهيونية الحالية إلا هذه « النصوص » التى افتعلتها الصهيونية القديمة بهذه « الأسفار » التى طلعت مسيجة بالقدسية غداة عاد أبناء يهوذا من أسر الفرات إلى ظلال صهيون من جديد وهذا مما يجعل الغزو الفارسى ودخول « كورش » بابل فاتحاً من أبرز الأحداث فى تاريخ اليهود إذ لم تمر سنتان بعد دخوله بابل إلاّ وبدأت الفصيلة الأولى من اليهود رحلتها إلى الأرض التى كانوا قد خرجوا

منها قبل ذلك الحين بخمسين عاماً وعلى الرغم من أن هذا الجيل الجديد من أبناء يهوذا الذى جاء فلسطين لم يجد الترحيب الذى كان له ينشد ، إذ أنه قد وجد أقواماً آخرين من « الساميين » وعلى وجه التحديد من العرب الذين تدفقوا إليها من الصحراء السورية ومن شبه الجزيرة العربية إلا أن تولى «دارا الأول» الحكم جاء بالجديد فلقد أقام « دارا » هذا والياً على اليهودية فرداً من « بيت داود » نفسه هو « زرُبابل بن شألتيئل » وسمح لليهود بإعادة بناء الهيكل فبدأوا فى بنائه فى السنة الثانية من حكم « دارا » وأتموه فى السنة السادسة من هذا الحكم ، عام ٥١٨ ق . م ، ومن هنا عادت أورشليم ، شيئاً فشيئاً ، مدينة يهودية من جديد ومن جديد ترددت فى هيكلها حشرجات الضحايا المذبوحة بيد أهل الكهنوت ... بينما تسارعت الأيدى الكهنوتية فى تدوين هذه «الأسفار» فى نسخ كثيرة حتى يتم تداولها بين هذا الجيل الجديد من أبناء يهوذا الذين تناولوها مغلّفة بالقدسية وليسيجوها بدورهم بالتقديس ثم راحوا يورثونها لأبنائهم جيلا بعد جيل ولتتشبث بها من هؤلاء الأيدى ضنينة بها من التبديد . فلقد عانقهم من الإيمان وهمه بأنّ يدَهم قد امتلكت من إلههم صكاً شرعياً على تمليكهم فلسطين وكل الرقاع المترامية من الفرات إلى النيل ! ..

هذا هو تاريخ بروز هذه « التوراة » على صفحة التاريخ الدينى وهذا هو الأصل فى إحكام عقد عقدة .. «الأرض الموعودة» فى صدر هذه الجماعة إحكاماً كان فى واقع الأمر محنة لهم لا منحة بما أصابتهم به هذه العقيدة من مرض نفسى تظهر عليهم أعراضه فى كل مظهر من مظاهر حياتهم الخاصة والعامة، لا فى صورة هذا التعالى والاستعلاء عن الناس « كشعب مختار » ولا فى صورة هذه العزلة التى أحاطوا بها أنفسهم منكمشين فى قوقعة تخيلاتهم فحسب وإنما فى إضمارهم الإضرار بكل من سواهم واستحلالهم إيذاءهم حتى القتل كما عن ذلك

يتفتق تاريخهم منذ ذلك اليوم الذي تكونت فيه هذه الجرثومة السرطانية فى جسم المجتمع البشرى حتى هذا اليوم كصفة طبعت الجماعات منهم والأفراد على سواء إلا من فرد بين هؤلاء الأفراد أو آخر شذ عنهم بطبعه فنبذوه بطبيعتهم!.
وفى مقدمة هذه الأمثال كان من قد ألمحنا إليه قبل قليل، والى اليهودية زربابل ابن شألتئيل .. وهنا نرانا نتمهل قليلا لنستعرض صفحة هامة من تاريخ اليهودية فى ذلك الحين لما كان لها من أثر على الأجيال فيما بعد ... فان أفراد « بيت داود » الذين عادوا إلى أورشليم معتزمين أن يعيدوا دولتهم الدائلة من جديد بملك كان لا بد أن يكون من نسل داود فانما هم قد وجدوا أن اليد الكهنوتية لا تمتد وأنها كما مسحت من قبل شاؤل وداود وسليمان بالزيت المقدس ملوكا مسحاء تأبى أن تمسح « زربابل » بهذا الزيت المقدس ملكا مسيحاً .

والواقع أن تفكير « بيت داود » فى قيام ملك منهم وبالذات من نفس « نسل داود » كان قد جاء فى غضون الأسر البابلى وكان حتماً له أن يجىء طالما أن هذا الأسر كان قد اجترف « بيت دواد » نفسه فى المقدمة وغدت سلالة دواد فى هذا الأسر تعيش كما كان طبيعياً أن يمهد دعاة هذا « البيت » إلى ذلك السبيل .. وبالفعل بدأ هؤلاء يعبدون الطريق وتزعم هذا الأمر « حجى » وإلى جانبه « زكريا » ، النبى العاشر فى سجل أنبياء اليهودية الإثنى عشر، كما بذلك تأتينا الأدلة تترى من خلال سفريهما ، آخر سفرين قبل السفر الأخير فى « العهد القديم » .. وأما الآن وقد أعادهم الفرس إلى أورشليم فعاد إلى أورشليم « بيت داود » وعلى رأسه سليل داود نفسه وأبرز فرد فيه « زربابل بن شألتئيل » وهذا قد عين من قبل الفرس والياً على يهوذا فإن الهدف أمام بيت داود ودعاته يلوح وشيك التحقيق ولا يتوقفن ذلك إلا على مؤازرة الكهنوت وعلى رأسه الآن « يهوشع بن يهوه صادق » وليس على

هذا الكاهن الأكبر إلا إعداد « المسحة » لمسح زربابل وإشعار السلطان الفارسى بإعلان هذا الوالى ليهوذا ملكا على يهوذا لا سيما ودعاة بيت داود قد أطلقوا أصواتهم من منطقة الجليل إلى حيث تجاوبت فى أورشليم . .

ولكن ! . .

أهل الكهنوت الذين كانوا قد لبثوا ، منذ هوت أورشليم وهُدم المعبد الأول عام ٥٨٦ ق . م ، يتخيلون هذا « الملك المسيح » صاحب عرش يفتتح بيت المقدس بالسيف ويعيد فيها الدولة الدائلة ، قد عادوا بعد العودة من الأسر ، عام ٥٣٦ ق . م ، يطمعون هم أنفسهم فى هذا الملك ومشاركة بيت داود فى الحكم وساعدهم على ذلك ودعاة « زربابل » هذا الملك المنتظر والوالى الحالى لليهودية الذى رأته أورشليم حاملا الحجارة على كتفيه لإعادة بناء المعبد وتراه فى تنقلاته « راكباً على حمار تارة وتارة أخرى على جحش ابن أتان » كما إلى ذلك يشير الإصحاح التاسع من « سفر زكريا » . . ومن ثم فاذا أراد بيت داود لمُلْكه أن يعود فذلك أمر يعترضه شرط كهنوتى واحد وهو أن يكون الحكم بين «زربابل» و «يهوشع» مشاركة ...

بيد أن هنا تميد هوة فى تاريخ اليهودية غاب فيها « زربابل » وكأنما لم يكن له وجود على الإطلاق بينما راح يرفّ عليها صمت عجيب تحولت به مرة واحدة ، عام ٥٢٠ ق ، عن « زربابل» سليل داود والجد الأعلى ليوسف النجار ، دفة التاريخ ! . .

وهكذا أخفق « بيت داود » وانتصر « بيت صدُوق » من أهل الكهنوت الذين راحوا مع الأيام يدفعون بهذا البيت إلى التوارى فالانغمار فى ركب الحياة وزحام المعاش بينما انتقل الحكم نهائياً إلى اليد الكهنوتية .

وهكذا هدمت اليد الكهنوتية « مُلك يهوذا » .. وفى غفلة عن أن عقيدة « الأرض الموعودة » لم تكن إلا لإعادة « بيت داود » امتدت هذه اليد محمومة تقبض فى تشنج على « الأرض الموعودة » وتدير دفة المعتقد الدينى إلى الناحية التى تماشى مالها من مصالح شخصية ، ومن هنا أخذ الكهنة فى وضع حكم دينى قالوا إنه يقوم على المأثور من أقوال السلف وتقاليد الآباء وعلى « أوامر الرب » .. وتزعَّم « عزرا » هذا الأمر فدعا الجماعة اليهودية ، ٤٤٤ ق . م ، إلى ما أسماه « اجتماع خطير » وأخذ يقرأ عليهم ما سماه « شريعة موسى » التى لم تكن فى واقعها إلا تلك « الأسفار الخمسة » التى دبجها يراع أولئك المؤلفين اليهوذيين الذين حسبوا أنهم قد مهدوا بها الطريق لإعادة « مُلك يهوذا » .. وعندما فرغ « عزرا » من قراءتها أقسم الجميع على أن يتخذوا من هذه « الشرائع » دستوراً يسيرون وفقه .. وبهذا عملوا بالفعل فقد ظلت هذه « الشرائع » دستوراً يسيرون وفقه حتى اليوم ، فهو المحور الذى تدور من حوله الحياة الخاصة والعامة لهذه الطائفة الدينية ولا يزال تقيدهم به من أهم الظواهر المستقرة فى معاملاتهم مع من سواهم من الناس فمنذ تلك اللحظة التى ناول بها « عزرا » المجتمَع اليهودى هذه « الأسفار » كتاباً « مقدساً » وعلى هذا المجتمع قد خيَّمت ، بلونها القديم ، ألوهية « يهوه » ورفّ دين يشوع ابن نون ! .

هذا هو ما يسميه اليهودُ بالإصلاح الدينى الذى جاء به هذه الشخصية الكهنوتية التى نراها واضحة من خلال سفرها ، «سفر عزرا» ، غداة غيّبت اليد الكهنوتية « زربابل » وبدأت تدفع « بيت داود » إلى الخلف .. ولكن ! . هذه الشخصية الكهنوتية التى هبت تؤيد الحكم الكهنوتى قد تنبهت إلى أن هذه الجماعات التى تخاطبها إنما هى قد وعت أحداث الماضى

القريب وأن بذاكرتها قد علقت عن «زربابل» الذكرى وعن « بيت داود » الذكريات بل ومازال طيف « الملك المسيح » الذى كانت تراه أورشليم مجسّداً فى شخصية « زربابل » يحوم فى آفاق التفكير ! هذه العوامل ، مجتمعة ، هى التى دفعت « عزرا » إلى أن يطلق نداء كان له رجع الصدى السريع فى هذه الجماهير وهو أن فى « زر بابل » لم تتوفر فيه شروط « الملك المسيح » وأن الحكم إذا كان قد غدا كهنـوتياً فليس ذلك إلا لإدارة دفة الأمور ولفترة موقوتة .. ستنتهى بمجىء مَن ستتوفر فيه الشروط المطلوبة لفرد من بيت داود يمكن أن يمسحه الكهنوت « مسيحاً » فيكون « ملك اليهود » ! ..

وهكذا حول « عزرا » الأذهان من الماضى إلى المستقبل ومن هنا تعلّقت الآمال بعودة الملكية على يد سليل من آل داود راحت الفكرة عنه تزداد مع الأيام رسوخاً طالما أن الكهنوت نفسه قد أسهم فى إيداع هذه الفكرة فى تربة الأجيال بينما كان الزمن يسير حتى العهد الذى هب فيه من شواطىء البحر الأبيض الأرج الغنوصىّ مضمخاً بعبير الفلسفات الفيثاغورية والأفلاطونية والرواقية وأقبل يعانق نواحى فى هذه الأرجاء ما تنسمته إلا وبدأ يمسح عنها الطابع اليشوعى القديم وإلا وبدأت يد الزمن تفصلها فصلا باتراً عن هذا المجتمع اليهودى العتيد! .. هذه الناحية هى التى خضبها من الفيثاغورية عمق الزهد ومن الأفلاطونية « الطهر الأفلاطونى » و « الحب والمحبة الأفلاطونية » و «خلود النفس» الأفلاطونى بينما كان قدر راقها من الرواقية عقيدة «اللـّوغوس» أو « الكلمة » فاعتنقتها عقيدة ... ولكن ، لما كان فى الاعتقاد بهذه المعتقدات الفكرية وبالأخص عقيدة الخلود ما يتعارض كل التعارض وتعاليم الدين اليهودى الذى يعتبر الحياة قاصرة على هذا الحيز من الدنيا فقد انشطر هذا المجتمع اليهودى إلى أكثر من فرقة نستطيع أن نحصرها ، فى هذا الصدد ، فى هذه

الشعب الثلاث :

الشعبة الصدوقية . والشعبة الأسينية . والشعبة الفريسية .

فأما « الشعبة الصدوقية » فهي الجانب الكهنوتي المتمثل « في بيت صدوق » ويؤازر هذا الجانب العدد الأكبر من أصحاب الثراء المادي وفي ركبيهما تسير الجماعات . . هذه الشعبة ، التي أنشأت الـ « ساندهارين » وجعلت من هذا المجمع الديني اليهودي مقراً لحكمها في تمسُّكٍ بأُلوهية «يهوه » وتشبث بتعاليم يشوع ابن نون ، هي التي رفضت رفضا حاسما نسائم الروح الهابة بعطر الخلود وحجتها أن « توراتها » تتعارض وعقيدة الخلود .

وأمـــا « الشعبة الأسينية » ومن هذه « الشعبة » سيكون « يوحنا المعمدان » . . . فهي ليست إلاَّ رَجْـع الصدى للمذهب الفيثاغوري والمذهب الغنوصي معاً !. ومن هنا اعتنقت الحب دينــاً ولفظت الطقوس الدموية ورش الدماء فنبذت التطهر بالدم إلى التطهر بالماء حتى أصبح الاغتسال شعيرة مرعية في صلب مذهبهم وتخلت عن المتلـكات الشخصية وآمنت بخلود النفس فتخلت عن دين يشوع بن نون ! . .

وأما « الشعبة الفريسية » وهذه التي سيكون منها يوسف « النجار » حفيد « زربابل بن شألتئيل » ، فهي هذه الناحية التي اعتنقت الأفـلاطونية والرواقية معاً فذابت عنها مادية السلف ذوبــاً تاماً وبلغت من الشفافية المــدى الذي أضفى عليها لوناً من الصفاء الروحي بلغ بها الذروة من طهارة الخلق ومكارم الأخلاق حتى أصبح « الطهر الفريسيّ » مثلا وحتى غدا التفاني في ضروب الأعمال الصالحة طابعاً مميزاً فيهم وأما الزهد فقد أمسى طابعهم الذي بدأ به انسلاخهم شيئاً فشيئاً عن « يهوه » إلــه إسرائيل إلى ألوهية إلــه عالمي هو « الأب الرحيم » . . وواكبت هذه النزعة هذا الزهد الذي أخذ يشتد عليهم ظهوراً كلما اشتد

و « الأمثال » و « الجامعة » هو الذى اتخذ مظهره هذا فى الحد من طغيان الصدوقيين .. هذا الطغيان الذى استهل تاريخه منذ دُفع « زربابل » فى هوة التاريخ والذى ، بالتالى، بلغ مداه منذ قام « عزرا » يتلو « الشريعة » ثم أسفر فى الأحوال السياسية والاجتماعية التى كانت تمر بها أورشليم وقت كتابة هذه الأسفار الفريسية مما يجعل الزمن نفسه يرهص إلى ظهور « مخلص » ينشر على الأرض حكم السماء !..

مَلِك ؟

إن المُمْلَكُ مورث التعلق بأهداب الماديات والأيدى التى جرت فسطرت هذه الأسفار إنما هى أيدى قد سطرتها بإملاء نفس تأملت هذه الدنيا فنفضت أيديها هذه من كل الماديات !.. ومن ثم فالمخلِّص الذى تدفع لظهوره الأحداث لن يكون ملكا يرفع يده بصولجان وإنما سيكون روحاً هى مرآة عاكسة لروح السماء !. ومن ثم سيكون من صفاته التجرد عن هذا التكالب على جمع المال !.. لن يجمع الفضة والذهب ويكيلها بمثقال بعد مثقال وإنما بيدٍ سيبدد هذا السراب وبالأخرى سيجمع البشر كافة فى رحاب أخوة عالية ويربط فيما بينهم برباط المحبة والسلام ويعلمهم إلقاء الأعمال الصالحة بذوراً ، لن تفسد أبداً ، فى تربة السماء !. ومن ثمَّ تصبح الأرض مملكة حكمها حكم السماء ، الكل فيها سواسية وصالح الأعمال فيها أنفس المقتنيات !..

من ثمّ . . .

فإن هذا « المخلص » لن يحتاج إلى مسحة من الكهنوت !. لا لأنَّ الذكريات عن « زربابل » جذوة ثاوية تحت رماد الأيام تلهب الخيال فحسب ولا لأن قيام « مملكة السماء » على الأرض لن يحتاج إلى تأييد كهنوتى فحسب

« يسوع » ! .

تلك هى الفترة الزمنية التى نرى من خلالها انقسام اليهودية إلى فئات من حول الحامل هذا الاسم .. فئة تراه الإبن الأكبر ليوسف ... ولما كان يوسف حفيد زُربابل نفسه وسليل بيت داود وما لقب « النجار » الذى علق به إلا دلالة على احترافه صناعة النجارة وعلى ما آلت إليه حالة آل داود بعد زربابل فقد رأت أن يسوع ، وقد ثوى الآن يوسف ، هو الشخصية الجديرة بأن يكون « المسيح » . وفئة أخرى ، وهذه كانت طائفة الكهنوت من بيت صدوق ، رأته متحدياً لسلطتها وليس هذا فحسب وإنما هو قد جاء ، فى صورة التكميل ، ناقضاً لشرائع دين لم يتناوله التبديل منذ قننه عزرا على أساس كان قد وضعه يشوع ابن نون ! . ولهذه الطائفة الكهنوتية يؤازر « بيت هيرود » وهذا يراه ثائراً على العرش !. وبين تكاتف هذه الفئات المناوئة عصفت عواصف السلطة الزمنية والدينية معاً ومرة واحدة اغبرت الآفاق بينما نرى يسوع من خلالها وقد أصبح روحاً فى أفق الخلود ! .

إن المجال ليس بمجال التحدث عن المسيح والمسيحية إلا من الإلمـاح إلى ما لقيه المسيح ، عليه السلام ، من اضطهاد ومحاربة من اتباع يشوع ابن نون مما يجعل كل محاولة يقوم بها يهود اليوم لتبرئتهم مما يعتبره المسيحيون دماً قد سفك محاولة ترفضها رفضاً باتاً ذمةُ التاريخ ! .

راجعوا « العهد الجديد » وتصفحوا بدقـة وعناية صفحات « الأناجيل » تنتشر أمامكم قصة محنة السيد المسيح .. وبعد ذلك ستعلمون أن أى قرار يُبرىء اليهود من « دم المسيح » ليس إلا مؤامرة استعمارية لاصالة لها

ولذلك ؛

« من الواجب الديني أن يلعن اليهودى ، كل يوم ، ثلاث مرات رؤساء المذهب المسيحى ! . »

بل إن ؛

« من الواجب الديني على كل يهودى أن يلعن المسيحيين، كل يوم، ثلاث مرات ويطلب من إلهه أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم ! . »

إن من الواجب ؛

« على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة ! . »

لذلك فإن ؛

« العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود به ! . »

ولذلك ، تُعتبر ؛

« كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام ، فيجب على اليهود تخريبها ! . »

بل إن ؛

« قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها ! . »

اعلموا ؛

« أن كل مسيحى هو عدو ليهوه ولليهود ! وليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم ! . »

ولكن ! .

هنا تنبهوا ! .

إن المسيحيين ليسوا هم وحدهم أعداءكم وإنما سائر الأمم ، ياأيها اليهود ، لكم أعداء ، لأنهم لا يدينون بدينكم ولذلك فإنه ؛

ليف ؟ ...

« إن حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟ »

ومن ثمّ تنبهوا !..

« إذا احتاج غير اليهودى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل معه الربا المرة بعد المرة حتى يعجز عن سداد ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله ! .. »

ولذلك ؛

« لليهودى أن يستحل فى معاملة غيره ، فيما عدا اليهود ، كل وسائل الغش والخداع ! . »

وإذن ! .. ؛

« إذا جاء أمامك ، بدعوى ، يهودى وغير يهودى فإذا أمكنك أن تجعل اليهودى رابحاً فافعل ! . . »

كيف ؟ ! . .

« استعمل الغش والخداع فى حق غير اليهودى حتى تجعل الحق لليهودى ! . »

ولذلك ؛

« مُصرّح لك أن تحلف أيماناً كاذبة ! »

أجل ؛

« لليهودى أن يؤدى عشرين يميناً كاذبة ولا يُعرِّض أحد إخوانه اليهود لضرر ما !.. »

بل .. ؛

«يجوز لليهودى أن يشهد زوراً وأن يقسم بحسب ما

تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك فى سره ! . . »

ثقوا ! . . .

« إن كل خير يصنعه يهودى مع غير يهودى هو خطيئة عظمى !

وكل شر يفعله معه هو قربان ليهوه يثيبه عليه ! . . »

كل شر يفعله اليهودى بغير اليهودى هو قربان ليهوه ، حتى السلام غير جائز ! . . فاعلموا :

« محظور على اليهودى أن يُحيى غير اليهودى بالسلام ما لم يخش ضرره أو عداوته والنفاق جائز فى هذه الحالة ، فلا بأس من ادعاء محبة غير اليهودى إلى غير اليهودى إذا خاف اليهودى من أذاه !

ولذلك مصرح لليهودى أن يوجه السلام إلى غير اليهودى ولكن على شرط أن يستهزئ به سراً ! . »

ولكن ! . . تنبهوا ! . .

« لليهودى أن يستعمل فى معاملة غيره ، فيما عدا اليهود ، كل وسائل الغش والخداع ! . . .

بل والقتل أيضاً ! . »

القتل ؟ ! . نعم ، القتل بدون استثناء ! . .

يا أيها اليهودى ! . اقتل ! . . :

« حتى الصالح من غير اليهود

حلال قتله بيد اليهودى ! . »

اقتل ! . . :

«اقتل الصالح من غير اليهود ! فإنّما محرّم على اليهودى أن ينجّى أحداً من غير اليهود من هلاك ! . »

كلا ! .

« لا يصح لليهودى أن ينقذ حياة أحد من غير اليهود ! ..»

لا تشفقنّ !..

« إن الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى !

إذا رأيته واقعاً فى نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه ! .

إذا رأيته واقعاً فى حفرة لا تنقذه بل عليك أن تسدها عليه بحجر ! .. »

هذا هو العدل !.. فانّما ؛

« من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل غير يهودى !

لأنّ من يسفك دم غير اليهودى يقربّ قرباناً إلى يهوه ! .. »

يا أيها اليهود ! .. لا تتوانوا ! ... فإنّما ؛

« على اليهودى أن يقتل من يتمكّن من قتله فاذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع ! . »

هذه هى شريعتكم ، يا أيها اليهود ، وأنتم فى حال السلم وأما فى حال الحرب فأعلموا أنه ؛

« إذا انتصر اليهود فى موقعة وجب عليهم استئصال أعدائهم عن بكرة أبيهم !..»

اعملوا بذلك ، يايهود العالم ، فإن ؛

«من يخالف ذلك فقد خالف الشريعة ! .. »

يايهود العالم !..

هذه شريعتكم شريعة إلهكم « يهوه » الذى اختاركم لنفسه

« شعبا مختاراً » !.. لا يتخلفّن أحد منكم عن العمل بأوامرها حتى يسرع الزمن فيأتى ، « مسيحكم » فإنه :

« لا يأتى المسيح الحقيقى إلا بعد انقضاء حكم الأشرار هؤلاء الخارجين على دين بنى إسرائيل !..»

سارعوا إلى العمل بأوامر شريعتكم حتى يسرع الزمن و :

« يأتى المسيح ... وفى ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له ! وفى ذلك الوقت يكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه ! . »

عند ذاك ،

« يتحقق أمل الأمة اليهودية !.. وتكون هى الأمة المتسلّطة على باقى الأمم !. »

وأما حتى ذلك الحين فانّ :

« اليهود يعيشون فى حرب عوان مع باقى الشعوب منتظرين ذلك اليوم يوم يأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المرتقب ويحكم اليهود نهائياً باقى الأمم يوم يكون اليهود قد أصبحوا غاية فى الإثراء لأنهم يكونون قد حصلوا على جميع أموال العالم ! . »

يومذاك ! .

يومذاك ، يا يهود العالم ، ستكون أيامكم كلها أعياداً كأيام هذين العيدين المقدسين ، عيد « البوريم » وعيد « الفصح » . . هذين

العيدين اللذين لا تتم لكم فيهما الفرحة إلاّ بأكلكم الفطير الممزوج بالدماء البشرية!..(١)

نعـــــــم!...

« عندنا مناسبتان دمويتان تُرضيان إلهنا يهوه.. عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية!.»

والآن؟..

الآن هذه هي خلاصة تعاليم التلمود وأصول الشرائع التلمودية التي جاءت تَفْرِض هـذا القدر المحتوم الذين يعيش اليهود بينهم أو تدوس أقـدام اليهود أرض بلادهم وكان المقصود بذلك هم المسيحيون أولاً وبالتالي أصحاب الأديان الأخرى، قبل أن تشمل هذه التعاليم الإسلام..

وأما الآن والتعاليم التلمودية لا تقتصر على صبّ هذا القدر المحتوم على المسيحيين وحدهم وإنما على المسلمين وعلى كل أصحاب دين من غير اليهود فإنّ الأمر ليس بالسهل البسيط!.. أقول ذلك وأؤكده لأنها الحقيقة التي يخفونها عنّا والتي لا يستطيعون أن يتخلّوا عنها ما لم يتخلّوا عن دينهم نفسه!.

إن نظرتهم إلى أنفسهم تفرض عليهم قتلنا لأنها هي صلب دينهم وصميمه وليس ذلك إلاّ لاعتبارهم أنفسهم «الشعب المختار» وأنهم وحدهم هم البشر الحقيقيون ومن عداهم فهم من نسل تلك الشيطانة التي اتّصل بها آدم وأولئك الذكور من الشياطين الذين كانت تتصل بهم حواء!. لذلك وضعوا من سواهم من أصحاب الأديان الأخرى في مرتبة السائمة ولذلك حلّل « التلمود » ذبحنا

---

(١) راجع الأسانيد الخاصة بهذه « الذبائح البشرية » تجدها في صفحة « المراجع » الخاصة بهذا البحث.

دون تمييز بين شيخ منًّا أوْ طفل فالإبادة هى مصير البشرية من غير اليهود فى شريعة « الأسفار الخمسة » و « التلمود » ! .. ومن ثمّ فالقتل هو نصيب أهل البلاد التى أهداها « يهوه » لشعبه « المختار » من نهر مصر إلى نهر الفرات أوّلا ثم ، بالتالى ، كل العالم ! .

أجل ... هذه هى خلاصة الشرائع التلمودية التى جاءت تفرض هذا القدر المحتوم للذين تدوس أقدام اليهود أرض بلادهم وما ذلك إلاّ لأن « التلمود » هو تقنين الدين اليهودى فى جوهره وتفسيراً للصفة المادية التى تتصف بها « الأسفار الخمسة » ولذلك عرف بأنه « التوراة الشفوية » وليس ذلك إلاّ لأنّه المرآة العاكسة لما فى « الأسفار الخمسة » من تعاليم تجعله وإيَّاها صنوين بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر وأنهما يمثلان وجهين لعلة واحدة ! ..

أجل ! . هذه هى خلاصة الشرائع التلمودية التى تُمثِّل أصدق تمثيل الدين اليهودى الحالى « دين الأسفار الخمسة » التى كتبها اليهوذيون الذين أسسوا الصهيونية . فإنّما الصهيونية ، والصهيونية تعتبر الامتداد الطبيعى للدّين اليهودىّ والتطور التاريخى لهذا الدين ، هى نفسها الامتداد الطبيعى للشرائع التلمودية .. وإذا كانت الصهيونية تستمد الركائز لدعوتها الإجرامية من « الأسفار الخمسة » فإنّها هى تستمد دستورها الرهيب من هذه « التوراة الشفوية » التى يتخذها يهود العالم ، لا الصهاينة وحدهم فحسب ، دساتير ساروا عليها حتى العصر الحاضر منذ ذلك العصر الذى انتهت فيه أيدى الحاخامات من كتابتها فى زمن كان تاريخه قبل مشرق الرسالة الإسلامية بقليل وكان فى خلاله قد عمّ انتشار هذا التلمود بين يهود العالم والعمل بما جاء فيه شاملاً تلك

البقعة من شبه الجزيرة العربية والتي كانت تسمى « يثرب ! . . » . وهنا لنا كلمة نقولها وهي :

إنّ الإسلام حينما جاء ، جاء وهذه الشرائع التلمودية كانت هي الدساتير المعمول بها عند يهود شبه الجزيرة العربية كما كان الدين اليهودي دين « الأسفار الخمسة » فيها مُمثلاً ومن هنا نفهم لماذا جاء القرآن الكريم مُرشداً إلى أنّ ما في أيدي اليهود من توراة هي توراة افتروها على موسى عليه السلام « يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ! . »(١) ومن هنا نفهم لماذا نسخ الإسلام ، مع اعترافه برسالة موسى ، لهم ديناً لا يعود بتكوينه إلاّ إلى هذه « الأسفار الخمسة » أوْ « التوراة المكتوبة » وإلاّ إلى هذا « التلمود » أو « التوراة الشفوية » والأولى قد ألفها اليهوذيون مؤسسوا الصهيونية الأولى والآخر قد ألفه الحاخامات من رؤساء هذا الدين الذي يستحلّ ذبح من لا يدين به واستنزاف دمه قطرة بعد قطرة !. .

جاء الإسلام فوجدهم يعبدون ربّاً رمزاً هو للهمجية والوحشية يسمونه « يهوه » ويدْعُونه إله إسرائيل ويلقبونه « ربّ الجنود » ويصورونه سفاحاً متعطشاً لسفك دماء البشرية من غير اليهود ، الشعب المختار هذا الذي عليه أن يقدّم القرابين البشرية لإرضائه ومزج مايستنزف من دمائها بفطير كل عيد ! . ثمّ هم يحتكرون أنفسهم له ويحتكرونه لأنفسهم ويريدون إحلاله على عرش الألوهية مكان « اللّـــه » ربّ العالمين ! . .

جاء الإسلام فوجدهم يقدسون « كتاباً » هو صورة للبذاءة تكشف عن حقيقة تكوين هذا الدين بما نسبوه فيه للأنبياء والمرسلين من

---

(١) سورة البقرة .

ارتكاب المعاصي والرذائل والفجور ، وبما أباحوه فيه من ألوان الانحلال الخلقى والسرقة ، وبما انتهجوه فيه من أساليب فى الحياة ملتوية كل الالتواء تناولت نفس « الوصايا العشر » التى جاء بها موسى ، عليه السلام ، يوم جاء لهدايتهم فأبوا عليه إلاّ تمرداً وتآمراً وخيانة ! .. فان هـذه الوصايا الناهية عن القتل والسرقة والزنى لا تؤخذ لديهم إلاّ عـلى معنى لا تقتـل اليهودىّ ولا تسرق اليهودىّ ولا تزن باليهودية ! ..

جاء الإسـلام فوجدهم يتداولون « تلموداً » مثلاً على الفحش والرذيلة والانحلال يهاجمون فيه السيد المسيح ، هذا الذى سفه بتعاليمه أحلامهم وشذّ عن خططهم الجهنمية وأساليبهم الملتوية فى الحياة ، بأسلوب قذر وهم ينكرونه ولا يعترفون برسالته ولا يقتصرون على ذلك وإنما هم يتطاولون إلى عرض مريم نفسها فيرمونها بأشنع رمية بينما جاء الإسلام يعترف بابن مريم مسيحاً وروحاً إلهـياً و « كلمة الله » المتجسدة لهداية البشرية وأما مريم فيصون شرفها فى نظرة قدسية سامية ، وينعتها بأطهر نساء العالمين قاطبة . ثم هذه الصوامع مراكز الرهبان وهـذه الـكنائس مراكز القسيسين يعتبرها اليهود مـكان قاذورات ، ولا يعتبرها الإسلام إلا مراكز لإشعاع الطهر والحب والسلام ! .

جاء الإسلام فوجدهم يعيشون على الربا ويتوصلون بواسطة هذه القاعده الأولى التى يترَكز عليها كيانهم إلى خططهم الإجرامية الهادفة إلى استعباد من سواهم من البشر !.. وجدهم يستخدمون هذا السيف البتّار للنظام الاجتماعى فى تحقير من سواهم وتدنيس أعراضهم وتلويث شرفهم وامتصاص دمائهم ! .
وجدهم يتخذون رائداً القتل الفردى والقتل الجماعى ، تارة عن طريق الذبح وتارة أخرى عن طريق تسميم الآبـار فيخربون البلاد التى يعيشون فيهـا ولا

يحفظون لأهلها جواراً بل ويعثون بين جنباتها تخريبـا وفساداً ممـا يجعلهم يكونون فيها بؤرة بغى وفساد ومنكر !.

ومن ثم كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى مكارم الأخلاق وبين دين يدعو إلى الفحشاء بنشر الرذيلة حيثما كان ويحارب الفضيلة فى كل مكان فاتما هم :

« لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ! . »(١)

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى التواضع والدعة ولا يفرق بين عربى وغير عربى إلا بالتقوى وبين دين يدّعى التعالى ويترعه الغرور ويملأه البغض والحقد والكراهية لسائر الشعوب ! . .

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يحتم المساواة بين الناس ويدعو إلى البـذل والعطاء وعدم خزن الفضة والذهب وبين دين يرى سائر الناس شياطين أو سائمة ويَعْبُد الفضة ويُؤلِّه الذهب !.

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يرفع من شأن إبراهيم ولوط وموسى ومريم وابن مريم ويصفهم بألوان من المحامد وبين دين ترميهم كتبه بأرجس الصفات فالتوراة تصف إبراهيم بالفسوق ولوطا بالفحشاء وموسى بالخيانة ! . و « التلمود » يقدح فى « كلمة الله » ويتناول عرض « البتول » وينالها بالمثالب فى تعريض صارخ ! . .

هذا هو السرّ فى التفرقة التى وضعها القرآن الكريم بين موسى و « صحف موسى » وبين اليهود وصحفهم هذه من « توراة مكتوبة » ومن

---

(١) الآية ٧٩ (سورة المائدة)

« توراة شفوية » ! أو هذه « الأسفار الخمسة » وهذا التلمود ! .

هذا هو السرّ فى إلغاء الإسلام لهذا الدين اليهودى الذى كان وباؤه قد انتشر وداؤه قد استشرى لا فى «يثرب» فحسب ولا فيما حول يثرب فحسب وإنما فى أطراف شبه الجزيرة العربية عند مشرق الإسلام ! .

هذا هو السّر فى استئصال الإسلام لهذا السرطان من جسم المجتمع العربى والذى كان لا ينمو إلا على حساب الفتك به فتكا لا شفقة فيه ولا رحمة ! .

هذا هو السّر فى محاربة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ليهـود شبه الجزيرة العربية وأما فى استئصاله شأفة من هناك منهم فلم يكن ، عليه السلام ، إلا أول محارب لأسس الصهيونية والعامل الأول فى حقل التاريخ الذى استطاع معوله اقتلاع جذور ذلك النبت الضار من هناك قبل أن يتفاقم نموه كما نما فى غيرها من البلدان وأثمر هذه الأشواك السامة التى تلفح سمومها فى عالم الشرق الأوسط الآن ! . .

هذا هو الواقع التاريخى . .

ومن ثمّ فإننى إذا قلت إن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، كان أول محارب لأسس الصهيونية وإنه قد تمكن من اقتلاع نبتها من تربة شبه الجزيرة العربية فإننى بقولى هذا أكون قد قرّرت واقعاً تاريخياً وأما إذا قلت إنه ، عليه السلام ، قد حاربها محاربة إيجابية بأن ألغى إلغاء تاماً الدين اليهودى الحالى فاننى أكون قد قررت حقيقة تاريخية لأن الصهيونية هى اليهودية واليهودية هى الصهيونية ! . فما اليهودية والصهيونية إلا وجهان لجسم ممسوخ واحد وكلمتان للتعبير عن داء واحد خبيث ! .

كيف ؟ .

هذا سؤال يشارف بنا الهـدف من موضوع هذا البحث ويجابهنا نفسه بهذا السؤال :

ما هى الصهيونية وما هى اليهودية ؟ .

وما هى الرابطة بين الصهيونية واليهودية ؟ .(١)

فى الواقع أن اليهودية كدين وأن الصهيونية كحركة سياسية لا يختلفان . . فإنما اليهودية كدين ليس ديناً كسائر الأديان لأنه دين لا يعبر عن طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر أيضاً عن حركة سياسية امتدت أصولها منذ أن قُوض « بيت يهوذا » ودالت « دولة يهوذا » وزالت من خريطة الوجود . . ومن هنا كان ارتباط اليهودية بالصهيونية منذ ذلك التاريخ .. منذ ذلك التاريخ أصبحت اليهودية والصهيونية صنوين بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر وأصبحتا تمثلان وجهين لمشكلة واحدة ومن هنا يجىء مفهوم الصهيونية وهو أنها الحركة اليهودية التى تسعى بكل قواها وبكل ما تستطيع اتخاذه من الوسائل إلى إعادة « مملكة اليهودية » وبناء هيكل سليمان على أنقاض « المسجد الأقصى » ومن ثم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك يهودى هو « المسيح المنتظر » ومن هنا عرفت الصهيونية بأنها « الامتداد الطبيعى لليهودية والتطور التاريخى لهذا الدين » وهذا هو الواقع التاريخى لأن الدين اليهودى لا يعبّر عن طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر عن حركة سياسية أيضاً بدأ عملها الجدّى منذ أدال البابليون من « مملكة يهوذا » .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (ZIONÎSM)

بقصد بناء الدولة الجديدة من الناحية العملية كأرض منحت من الإلـه !

ومن ثمّ فلا يمكن تدمير الصهيونية إلا بتدمير اليهودية .. »

« وايزمان »

هذه هى الحقيقة فإنه :

« حيثما يـكون الصهيونيون عاملين نشطين تـكون اليهودية حيّـة فعّالة ! . » (1)

« شخنر »

هذا هو الواقع ولذلك وضح المؤتمر الصهيونى الأول هذه الحقيقة بصورة صريحة أعلنت :

« إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية »

« هرتزل »

هذه هى الحقيقة . فإن بين اليهودية ، كدين ، و بين الصهيونية كحركة سياسية ، صلة ليست بالوثيقة فحسب وإنما هى واحدة لأن الصهيونية لا تستمد مبدأ وجودها إلا من اليهودية ... فالركائز التى ترتـكز الصهيونية عليها فى دعوتها السياسية هى « الأسفار الخمسة » والدستور الذى تسير وفق تعاليمه هو « التلمود » فإن :

« الشعور الدينى هو مصدر الصهيونية والحافز لقيامها هذا الشعور الناجم عن التقاليد والمعتقدات الدينية والمبنى على أقدم الذكريات للبلاد التى نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى والتى مارس اليهود فيها حريتهم ! . »

« هرتزل »

---

(1) سولومون شخنر « ١٨٤٧ -- ١٩١٥ »

ومن هنا كان ارتباط اليهودية بالصهيونية بمعنى أن اليهودية قد ظهرت على حقيقتها تحت هذا الطابع الصهيونى البحت . وأما لماذا نشأ فى أذهان الكثيرين أن الصهيونية شىء واليهودية شىء آخر فليس ذلك إلا لأن مفكرى اليهود قد حرصوا ، منذ مستهل الدعوة الصهيونية الحديثة ، على ألا يكشفوا عن هذه الحقيقة بدافع من حرصهم على إخفاء نواياهم الحقيقية محاولين أن يخلعوا على إعلان « الحركة الصهيونية » وأهدافها ومبادئها وبرامجها ثوباً إنسانياً عاماً بأن راحوا يوهمون العالم بأن الهدف منها هو مدّ يد المساعدة إلى اليهود «المضطهدين» فى أرجاء العالم والبحث لهم عن ملجأ يَحيون فيه ويُحيون فيه لغتهم ويمارسون فيه طقوسهم الدينية بحرية تكفل لهم الطمأنينة وأما أنهم يطلبون فلسطين ملجأ فليس ذلك إلا لأنها لبنى إسرائيل « منحة إلهية » ! . هذا من ناحية وأما من ناحية أخرى فقد خشى اليهود أن يكون لإعلان الحركة الصهيونية رد فعل ضد اليهود فى بعض الدول الغربية التى كانت قد اضطرت إلى التنكيل بهم بالفعل نتيجة حتمية لمحاربتهم الاقتصادية إياها فى الخفاء ولاستنزاف دماء من كانت تقع عليه أيديهم من أهلها عملا بشرائع التلمود .. ولذلك نفى الصهاينة كل صلة بين الحركة الصهيونية وبين مجموع اليهود فى العالم زاعمين أن الحركة الصهيونية حركة مستقلة ، وخاصة بعدد قليل من المفكرين اليهود ولكن ! . الواقع التاريخى القديم يثبت بطلان هـــذا الزعم بشكل لا يقبل الجدل ويؤيده الواقع التاريخى الحديث وهذا مستمد ، نفسه ، منهم ! . فإنما هم أنفسهم الذين أعلنوا هذه الحقيقة الصارخة صريحة تقول :

« إن العقيدة الصهيونية ليست إلا الإيمان باليهودية وما تعنيه من مفاهيم وتاريخ وعادات وتقاليد من ناحية الهجرة إلى فلسطين للإقامة ..

هذا هو مفهوم الصهيونية وأما الصهيونية فى مبناها ومرماها فقد تبينا أنها حركة تابعة لقيام الدولة وسقوطها فى « بيت داود » وأما اسمها هذا فليس إلا كلمة اشتقت من اسم « صهيون » كانت كنعان قد أطلقتها على ذلك الجبل الواقع ناحية الشرق من مدينة « القدس القديمة » ، « أورشليم » ، بمعنى الصون والتحصين لأن المكان كان فعلا من حصون الروابى العالية وأما المرمى من وراء انتساب الصهاينة إلى هذا الجبل فحجتهم الجوهرية هى هذه النصوص :

« وأخذ داود حصن صهيون وأقام داود فى الحصن وسماه مدينة داود ! . » (١)

هذا هو الأصل من هذه الكلمة وهذا هو مصدر التمسك بها ! . . فإذا كانت « صهيون » هى « مدينة داود » فمعنى ذلك أن « صهيون » هى عاصمة مملكتهم ورمز مجدهم ومن هنا بدأ تاريخ الصهيونية فى الانتشار كحركة تبعت قيام الدولة وسقوطها فى « بيت داود ! . » وهذه هى حقيقة الصهيونية فى واقعها التاريخى ، حركة سياسية قديمة تعود بأصولها الى أعقاب الغزو البابلى لأورشليم . . فإن أولئك اليهود الذين كانوا قد سيقوا إلى بابل أسرى ، عام ٥٨٦ ق . م ، كانوا هم أنفسهم بذور الصهيونية !. . أولئك هم أول من ترنم باسم صهيون ذلك الترنم الذى ولد فكرة « العودة » إلى صهيون . . فلقد ارتسمت هذه « الفكرة » فى عقولهم عن طريق التباكى والبكاء والمراثى والرثاء والنواح على دولة دالت وأرض انقطعت بينهم وبينها الصلات فلم تعد إلا ذكرى تتردد

---

(١) الاصحاح ٥ « سفر صموئيل »

وترانيم تتغنى وآهات تنفس عن صـــدور كليمة لجسد بالٍ يريدون أن يبعثوا فيه الروح من جديد !... هذه هى حقيقة الصهيونية فى واقعها التاريخى ، وهذا هو أصل هذه « الفكرة » التى بدأت منذ ذلك العهد تمر بمراحل كان لها تأثيرها النفسى فى تاريخ هذه الجماعة الدينية . . ومن أبرز هـذه الحركات على التاريخ ظهوراً كانت حركة « يهوذا المكابى » فى عهد أنطيوخوس الرابع ، أيفانوس ، الذى بدأ حكمه عام ١٧٤ ق . م . وكانت هذه الحركة من أشد الحركات عنفاً وعتواً حتى أنها تمكنت من ترديد اسم صهيون من جديد ومن ترميم الهيكل وبناء المعبد وحتى أصبح تاريخ يوم تدشينه عيداً عنـد اليهود يحتفلون به ثمانية أيام من كل عام ابتداء من يوم ٢٥ ديسمبر . . وأما آخر مراحل هذه الحركة الصهيونية القديمة فكانت حركة « باركوشباس » فى عهد «هادريان» ، ١١٧ — ١٢٨ م ، وهى التى حثت اليهود على السعى للتجمع فى فلسطين وإعادة بناء المعبد الذى كانت قد هوت عليه المعاول الرومانية مرة أخرى من سنة ٦٦ إلى سنة ٧٠ م ، كما عملت على تأسيس « دولة يهودية » وتنصيب ملك عليها من « بيت داود » حتى أمست هذه « الفكرة » تعبر عن حقيقة قائمة فى نفوسهم وحتى تأصلت فى أعماقهم بتوالى القرون التى تلت انهيار « دولة يهوذا » على أيدى الرومان سنة ١٣٥ م . انهياراً كاملا بينما بدأ يتراكم على ذكراها ركام السنين . .

أجـــــل . .

لردح من الزمن ظلت هذه « الفكرة » ، فكرة العودة إلى صهيون ، فى مرحلة ركود لا تحتل من المخيلة اليهودية إلا كما يحتل الخيال أى حلم بعيد المنال لا تخطر على خواطرهم إلا خواطر تبعثها أناشيدهم الدينية فتستعيد

ذكراها فى نفوسهم وتذكى فى هذه النفوس لها لظى بينما كانت ذكريات المذابح الرومانية لم تزل عالقة فى نفوسهم وتدفع بهذه « الفكرة » إلى التوارى وراء غيم داكن كان قد تكتل فى آفاق الذاكرة ولا سيما عند دخول فلسطين فى حوزة الدولة العربية عقب ظهور الإسلام . فقد بدأ كل أمل لليهود فى العودة بالتلاشى كما أن سياسة الكنيسة الكاثوليكية التى بادلتهم العداء وموجات الانتقام التى عرضوا أنفسهم لها والحملات التى أثاروها على أنفسهم فثارت ضدهم فى معظم البلاد الغربية قد جعلتهم ينطوون على أنفسهم ، غير أن الفرصة لم تكد تسنح أمامهم من جديد إلا وكانت حركة صهيونية أخرى مشابهة لحركة « باركوشباس » ومثلها فى المصير وتلك كانت حركة «موزس الكريتى».. غير أنه مع مرور الأيام بدأت فكرة « العودة إلى صهيون » فى الظهور على مسرح التاريخ الحديث ، فقد ظهرت ببعض المحاولات الفردية بين حين وآخر فى صورة دعوى تدعو الجماعة اليهودية إلى الأرض الممنوحة لهم من إلههم .. ولكن لما كانت هذه العودة قد ارتبطت فى أذهانهم بظهور « المسيح الحقيقى » الذى سيقيم « دولة يهوذا بن إسرائيل » فقد ارتبطت هذه الفكرة الدينية بالفكرة السياسية وكان مظهر هذا الارتباط أكثر من حدث :

الأول : ظهور « دافيد روبينى » ، خلال القرن السادس عشر ، يؤازره تلميذه سولومون مولوخ ، ١٥٠١ — ١٥٣٢ ، موجهاً الدعوة إلى زعماء اليهود لغزو فلسطين وتأسيس « دولة يهودية » فى أرضها الممنوحة لهم حسب نصوص التوراة والتلمود ! .

الثانى : ظهور « منشة بن إسرائيل » ، ١٦٠٤—١٦٥٧ ، داعياً إلى

توطين اليهود فى بريطانيا توطئة لإعادتهم إلى فلسطين !

الثالث والأخير : ظهور « شبتاى زيفى » خلال القرن السابع عشر ، ١٦٢٦ — ١٦٧٦ ، ومناداته بنفسه « المسيح المنتظر » المختار من « إله إسرائيل » لإعادة « مملكة يهوذا » والعودة بـ « أبناء إسرائيل » إلى « أرضهم » الممنوحة لهم حسب نصوص التوراة والتلمود ! .

فأما الحدث الأول فقد نبّه الأذهانَ اليهودية إلى إخراج فكرة « العودة إلى صهيون » من حيز الأمل إلى حيز العمل .

وأما الحدث الثانى فقد كان النواة الأولى للصهيونية الحديثة التى وجدت لها أرضا خصبة فى بريطانيا ترعرعت فيها ونمت .. فلقد استطاعت بعد ذلك وفى مدى ثلاثة قرون من الزمن أن تسخّر القوى البريطانية من أجل تحقيق أهداف الصهيونية خاصة واليهود عامة ! .

وأما الحدث الثالث والأخير فقد كان إخفاقه فى دائرة العصر الذى نبت فيه ، والذى نجد سيرته فى كتب التاريخ الحديث ، هو السبب المباشر فى يقظة السلالة الخزرية وفى :

انتقال عقيدة « الأرض الموعودة »
من المجال العاطفى إلى المجال السياسى

نبه فشل « شبتاى » الأذهان من مفكّرى اليهود بين شعوب الغرب ، وهم السلالة الخزرية التى كانت قد وزعت على الدول المختلفة فى شرق أوروبا ، إلى إمكان الاتحاد مرة أخرى ليكونوا « دولة يهودية » على غرار مملكتهم تلك « مملكة الخزر » التى كانت تتحكم فى شرق أوروبا .. نبّههم

الى ذلك علمهم بأن انتظار « مسيح منتظر » لن يكون إلا انتظاراً فاشلا ! . فاذا كان الأمل فى العودة إلى صهيون عن طريق « مسيح منتظر » لن يتحقق أبداً فانها فى المجال السياسى عوضاً عن هذا المجال العاطفى .. ومن هنا بدأ الاتجاه السياسى يبرز على الاتجاه العاطفى حتى أصبح عملا إيجابياً له دوره الفعّال غداة استهل نشاطه ، فى فرنسا منذ سنة ١٧٩٨ ، بأولئك الكتّاب الغربيين الخزريين الأصل الذين انطلقوا يثيرون حماسة اليهود لإعادة دولتهم الدائلة فى فلسطين ومن أخطر ما جرت به الأقلام اليهودية عام ١٧٩٨ كان ذلك النداء الذى نقتطف منه الفقرات التالية :

« أيها الاخوان ! ...

لشدّ ما رزحتم تحت أثقال الجور والاضطهاد فهلا تودون أن تتخلصوا نهائياً من هذه الحالة المقرونة بالإذلال والانحطاط التى وضعكم فيها أناس من الهمج ؟..

إننا نرى الازدراء مرافقاً لنا فى كل مكان فالبدار البدار ! ..

ثم !

قد آن الأوان لنهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين الأمم فهيّا بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل أورشليم ! ...

إن عددنا يبلغ ستة ملايين منتشرين فى أقطار العالم . وفى حوزتنا ثروات طائلة واسعة وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب أن نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا وإن الفرصة لسانحة ومن واجبنا اغتنامها !

يجب العمل بالوسائل التالية لتحقق هذا المشروع المقدس وهى :

إقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون فى الخمسة عشر بلداً التالية وهى إيطاليا وسويسرا والمجر وبولونيا وروسيا وبلاد الشمال وبريطانيا العظمى وإسبانيا وبلاد ويلز والسويد وألمانيا وتركيا وآسيا وأفريقيا .

إن اللجنة الممثلة لليهود المقيمين فى هذه البلدان كلها يمكنها أن تبحث فى مهمتها وتتخذ من القرارات ما تراه نافعاً فى صددها ويكون من الواجب على جميع اليهود قبول هذه القرارات وأن يجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة لهم من الخضوع له . أما البلاد التى ننوى قبولها باتفاق مع فرنسا فهى : إقليم الوجه البحرى من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر . فهذا المركز هو الملائم أكثر من أى مركز آخر فى العالم يجعلنا قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية ! . ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا ومرقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها من بلدان أورو . ولما كانت بلادنا فى موقع متوسط من العالم فانها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التى تنتجها البلاد الغنية ..

أيها الإخوان ؛

يجب ألا تدخروا وسيلة أو تضحية فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية أى الرجوع إلى بلادنا ! ..

يا أيها الإسرائيليون ! ..

إن الفرصة الآن سانحة فحاذروا أن تفلت من أيديكم !.»[1]

---

(١) يقظة العالم اليهودى ايلى ليفى أبو عسل « مطبعة النظام مصر ١٩٢٤ »

هذا النداء الذى جاء فى صورة خطاب والذى قد مهد الطريق أمام المرحلة التالية للصهيونية العالمية هو نفسه الذى أشعل حماس اليهود فى فرنسا بادىء ذى بدء ودفع بهم إلى « نابليون » يحملون إليه المال سلاحاً ويطرحونه بين يديه مساعداً فى امتلاك الشرق العربى مقابل وعده إياهم بمنحهم فلسطين .. ولعب المالُ اليهودى دوره وسجل التاريخ بأنه بناء على دعوة من نابليون قد تمّ اجتماع المجلس اليهودى الأعلى الـ « ساندهارين » !

فى نفس اللحظة التى عُـقد فيها الـ « ساندهارين » بدأت الصهيونية القديمة فى التنفس ! . بدأت الجرثومة القديمة التى تكونت فى غصـــون الأسر البابلى فى التحرّك إيذاناً بأن الحياة قد بعثت فيها من جديد !. فلقد مضى على ذلك النداء قرن كامل من الزمن كانت المعاول اليهودية خلاله قد عملت كادحة فى تعبيد الطريق إلى ما كانت قد أشارت إليه من أطماع تطاولت إلى الوجه البحرى من مصر حالمة باغتصاب مياه النيل لإرواء صحراء النقب ونقل الوعد النظرى بـ « الأرض الموعودة » إلى حقيقة واقعة ! . .

وكانت المعاول اليهودية هى الذهب ! . .

فى الحقل البريطانى

عملت هذه المعاول أول ما عملت فى بذر السموم فيه فى صورة الاسترلينى والذهب مفرغة بذلك ما فى جعبتها من نقمة كانت مكبوتة فى الصدر منذ خرجت من هذه البلاد طرداً فى عهد إدوارد الأوّل عام ١٢٩٠ حتى عادت إليها ، عام ١٦٥٦ ، تدفع ثمناً لهذه العودة تأييدها المادى الواسع لثورة « كروموبل » . .

وحذا اليهود العائدون إلى بريطانيا حذو هذين المولين ، منشّـة ابن إسرائيل وموزس كارفاجال ، اللّذَين موّلا بسخاء ثورة « كروموبل » فتدفق

المال اليهودىّ على بريطانيا تدفقاً على أسس مدروسة رُوعى فى بذله توطيد جسم هذا السرطان فى البلاد حتى لا يتعرض إلى ما قد تعرض له من قبل !.

وأمام سياسة التسامح التى كان لا بدَّ على « كروموبل » أن يفرضها على أهل البلاد من المسيحيين مقابل هذا العون المادىّ أخذ اليهود فى استغلال النفوس وإذلالها بالمال عن طريق تسلطهم على ميادين الاقتصاد والسياسة . ففى مجال الصحافة سيطر اليهود على دور النشر حتى امتلكوها وفى مجال الاقتصاد أصبحوا القوة الجبارة المتحكمة فى اقتصاديات البلاد وفى المجال السياسى وصلوا إلى أعلى المناصب حتى تمكن هذا الأخطبوط من نشر أذرعته الفتاكة على الجزيرة البريطانية !. ومن أبرز مظاهره الحديثة كانت مذكرة « اللوردشافتسبرى » إلى وزير خارجية بريطانيا فى خلال مؤتمر لندن ، الذى عقد عام ١٨٤٠ ، وكانت ثمرة ذلك أن أعلنت بريطانيا حمايتها لليهـــود فى فلسطين وفقاً للرسالة التى بعث بها « بالمرستون » رئيس وزراء بريطانيـا حين ذاك إلى القنصـل البريطـانى فى القدس ، ولم تكن هذه الحماية إلاَّ المقدِّمة لذلك الوعد الذى أصدرته بريطانيا فيما بعد وسمى « وعد بلفور » ! . وهو هذا الوعد الذى مكـّن هذا الأخطبوط من نشر أذرعته الفتاكة أيضاً فى سائر الأقطار الأوروبية ولم ينج بلد من بلدان هذه القارة القديمة من قبضاته العاتية التى ما أطبقت عليه من أطرافه إلا وامتدت بأذرع أخرى راحت تعتصر عصراً القارة الجديدة وإلا لتبدأ هذه اليهودية التى أصبحت الآن عالمية تسفر عن حقيقتها مطالبة أولئك الساسة الذين كانت قـد ابتاعت نفوسهم وأذلَّتها مادياً بأن لها حقـاً عليهم هو مساعدتها على العودة إلى « أرضها » . فقد آن الآن لـكى تعود إلى « صهيون » وتستقرّ فى « أرضها الموعودة » !.

واستجمع الأخطبوط اليهودىّ قواه وتحرّك للافتراس فكانت حركته هذه هى التى سجّلت :

انبثاق « الصهيـــونية »

استهلت الصهيونية العالمية تاريخها الحديث بطابع فردىّ فى أوّل الأمر مثلته إمّـا شخصيات بارزة أو منظمات متناثرة فى مناطق شتى من العالم كانت تقوم على تمويل أساطين المال من أمثال « مونتفيورى » و « روتشيلد ». ولكن جهودها لم تلتق كلها فى حركة واحدة ويبدأ ستار التاريخ فى الانحسار ليشهد العالم ميلاد الفكر اليهودىّ الحديث وأسس العمـــل المنظم لإنشاء « الدولة اليهودية » فى الظاهر و « مملكة الخزر » فى الواقع إلاّ إثر مذبحة اليهود فى روسيا حيث شعر سلالة الخزر بأنه لم يعد فى إمكانهم إعادة مملكة الخزر اليهودية فى نفس الرقعة التى كانت تحكمها فنقلوهـا إلى صعيد الشرق الأوسط ووجدوا فى عقيدة « الأرض الموعودة » وسيـلة لتحقيق أهدافهم وهذا هو الذى أدّى إلى ظهور « ثيودور هرتزل » ، ١٨٦٠ — ١٩٠٤ ، عـلى مسرح التاريخ وعقده أول مؤتمر صهيونى ونشره كتابه « الدولة اليهودية ».

لأوّل مرة ارتفع الصوت اليهودىّ جهيراً ينادى العالم بأنه تبعاً لنصوص « التوراة » والتلمود يتحتّم تكوين مجتمع يهودىّ يحكم نفسه بنفسه فى فلسطين كأرض هى لليهود قد مُنحت من إلـه إسرائيل وبرهان ذلك هذه « الأسفار » وهذا « التلمود » . . ومن هنا نفهم الصهيونية بمعناها الخاصّ كفكرة نابعة من عقائد « الأسفار الخمسة » و « التلمود » كما نفهم محتواها الفكرى من « هرتزل » نفسه الذى كان أوّل من رفع صوته بهذا القول :

« إن هدف الحركة الصهيونية هو :

تنفيذ شريعة التلمود القائمة على أسس الأسفار الخمسة بإنشاء وطن قومىّ يهودىّ فى فلسطين ! .. »

« فلسطـــــين ؟ !. »

أجـــــل !..

« إن فلسطين هى وطننا التاريخىّ الذى لن ننساه ! .. »

أنسى هذا الصوت الخزرىّ الأصل أن وطنه التاريخىّ لم يكن قط ، فلسطين ؟ ! . كلا ! لم ينس ولكنه تناسى واستطاع أن يُوهم العالم بأنّ صرخته إنما هى صرخة نابعة من أعماق التاريخ ! ..

وهكذا كان المؤتمر الصهيونىّ الأوّل ، الذى عقد عام ١٨٩٧ ، بزعامة سليل الخزر هذا بمثابة حجر الأساس فى بناء هذه الحركة على أسس سياسية تستهدف إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين يَكفل قيامَه القانونُ الدولى ! ..

وأمّا كيف ؟ .. فلقد عرّف هرتزل ، بنفسه ، فى هذا المؤتمر الحركةَ الصهيونية بأنها ؛

« حركة الشعب اليهودىّ فى طريقه إلى فلسطين ! . »

وهكذا أعطى « هرتزل » لليهودية معنى جديداً إذ أخرجها من النطاق المغلق إلى المسرح السياسى الدولى . . وبهذا الاتجـاه نحو إثبات أن اليهوديـة دين وشعب وقومية وأن فلسطين هى وطن هذه القومية اليهوديـة ثمّ التحول التام بعقيدة « الأرض الموعودة » من المجال العاطفى إلى المجـال السياسى

وأصبحت هـذه العقدة النفسية مشكلة دولية معقّدة لاستمدادها أصولهـا من الفكر الصهيونى النابع ، نفسه ، من عقائد « الأسفار الخمسة » وشرائـــع « التلمود » ولاستمدادها حيويتها من ارتباط الفكر الجماعى اليهودى بما جاء فى هذه التوراة وفى هذا التلمود ! .

لا جدال فى أن « هرتزل » قد لجـأ إلى طريق الأسطورة ليؤيد سياسته بينما كانت يده تسطر صفحات مؤلفه « الدولة اليهودية » الذى أثـار من الاهتمام والحماسة ما قد شجّع اليهود على عقد أول مؤتمر لهم هو الذى عقد فى ٢٩ أغسطس من عام ١٨٩٧ متوخين أن يستعيدوا به ذكرى ذلك اليوم الذى أدال فيه الرومان « دولتهم » من فلسطين نهائياً ، ٢٩ أغسطس من عام ٧٠ م إلهاباً للمشاعر وإرساء لحجر الأساس فى بناء هذه « القومية » التى أعطاهـــا «هرتزل» طابعها عندما قام هو نفسه يفتتح جلسة هذا المؤتمر الأوّل بهذا القول :

« إننا هنا لنضع حجر الأساس لبناء المـأوى الذى يأوى الشعب اليهودى ... إنّ الصهيونية هى عودة اليهود إلى اليهودية حتى قبل عودتهم إلى الأرض اليهودية !..

إن الصهيونية هى القومية الجديدة للشعب اليهودى ! . »

فى المؤتمر الصهيونى الأوّل أطلقت هذه الصرخة لتكون النواة من قرارات هذا المؤتمر التى تتلخص فيما يـــلى :

استعادة « أرض مملكة إسرائيل » بحدودها التاريخية .

إعادة تكوين « الشعب اليهودى » فى وطنه القديم .

إيقاظ « الوعى القومى » بين يهود العالم !..

ومن ثمّ وُضع في هذا المؤتمر شعار العَلم اليهودى ، وهو المكون من اللونين الأزرق والأبيض ، لون رداء الصلاة إلى «يهوه» كما وضع النشيد القومى اليهودى «الأمل» ، كما وضعوا رمزاً لأنفسهم يتمثل فى « الأفعى » !.. كما وُضعت أسس الهيئات الصهيونية العالمية .. وليفرض على كل يهـــــودى الاكتتاب سنوياً بمقدار « شيكيل واحد » ، وهو ما يعادل نصف دولار ، لبناء « دولة إسرائيل » ! .. وهكذا خرجت الصهيونية العالمية إلى الوجود واغتمرت كل فرد يهودى كقضية بالغة القِدَم متصلة بالدين اليهودى نفسه وأصبحت جزءاً من تفكير كل يهودى ! ..

هذا هو الواقع ... فمن اليقين الذى لا شك فيــه ، أن القلب اليهــودى ، حيثما كان مــكانه من الأرض ، لا بدّ وأن يعتنق مبادئ هــذا المؤتمر كعقيدة لاتصالها بالدين اليهودى نفسه حتى لقد أصبحت محور تفكير كل يهودى مهما أخفاها ، خوفاً ، وتستر فدفاها عن نفسه !..

من ثمّ !..

لاتصدّقوا يهودياً يقول لــكم إنه غير صهيونى !. وأنى يمكن لأىّ يهودى ، مهما كانت جنسيته ، رفض هذه المبادئ الصهيونية وهى دعامة دينه وقوام كيانه ، ولو رفضها لرفض يهوديته ودينه وكيانه نفسه ؟! ..

من ثمّ !..

لا تصدقوا يهودياً يقول لــكم إن الصهيونية شئ واليهودية شئ آخر .. كلا !.. فإنّ الصهيونية متصلة بالدين اليهودىّ نفسه كعقيدة بالغــة القدم وضاربة بأعراقها فى أعماق تاريخية ولم تتخذ لها شكلا بارزاً إلاّ فى أعقاب هذا المؤتمر الذى كان ، بالفعل ، نقطة بدء ونقطة تحوُّل هامة فى تاريخ اليهود للأسباب الآتية :

أولاً : أضفى هذا المؤتمر على العقيدة اليهودية القديمة ثوباً جديداً حين أكد أن الصهيونية هى القومية الجديدة « للشعب اليهودى » على اعتبار أن هذه الطائفة المبعثرة الأفراد بين الشعوب تؤلف « شعباً واحداً » وبالتالى لتحديده هدفاً واحداً وهو إعادة « مجد إسرائيل » عن طريق إقامة « دولة » خاصة بهذا « الشعب » وهذا هو الهدف الذى يتطلع ، نحوه ، كل يهودى ! ..

ثانياً : وضع خطة عملية مدروسة لتحقيق هذا الهدف عن طريق تشجيع برنامج الإستعمار واحتلال أرض العرب بشراء الأراضى من العرب من ناحية وعن طريق تشجيع هجرة اليهود من ، ناحية أخرى ، إلى فلسطين كأرض هى لهم موعودة ! ..

ثالثاً وأخيراً : نقل المشكلة اليهودية إلى الصعيد العالمى بعد أن كانت تعتبر مشكلة داخلية للدول التى يقيم فيها اليهود

وهكذا نرى أن الصهيونية الجديدة التى رسمها « هرتزل » فى مؤتمره جاءت ترتكز على دعامات ثلاث ، هى شراء الأرض من العرب والهجرة اليهودية والدخول فى معترك السياسة الدولية لكسب عطف الدول الكبرى وتأييدها من أجل خلق « دولة يهودية » فى فلسطين ، ليست إلا الصهيونية القديمة فى صورة جديدة وأنه لم يفعل شيئاً إلا أنه ابتعثها من مضجعها فأكد وجودها بأن نقلها من الماضى إلى الحاضر وأخرجها من النطاق الذى كان قد أغلقه عليها الرومان إلى المجال الدولى الذى أفسحه أمامها الاستعمار وكانت سبباً له مجريات الأحداث فى خلال القرن التاسع عشر عندما استطاعت السلالة الخزرية باسم الصهيونية أن تشغل لها مكاناً وسط أحداث القارة الغربية واتخذت

من التنافس بين الدول الغربية وبروز سياسة التحالف والتكتل الدولى وظهور الأفكار القومية وسيلة استغلتها لمصلحة اليهود إلى درجة أن أحسّ زعماء اليهود أن الظروف الدوليـة أصبحت تسمح باخراج « الوطن القومى اليهودى » إلى حيز الوجود ومن ثم تمكن «هرتزل» من نشر كتابه «الدولة اليهودية» الذى كان ، ولا جدال ، فاتحـة عهد جديد بالنسبة لليهود إذ أصبحت أمانيهم ماثـلة أمام أعينهم كحقيقة محسوسة بعد أن كانت مجرد خواطر ومحض آمال فمنذ نُشر هذا الكتاب ، عام ١٨٩٦ ، والفقرات منه تلهب المخيلة اليهودية !..

فى «الدولة اليهودية» جمع «هرتزل» هؤلاء الأفراد من هذه الطائفة الدينية وأوْهم العالم أن هذه الطائفة ، التى ينتمى أفرادهـا إلى شعوب مختلفة ، هى « شعب » له كيانه الخاص !.

فى « الدولة اليهودية » استطاع « هرتزل » أن يكون من مادة الأساطير حجر الأساس فى بناء صرح « دولة يهودية » !..

فى « الدولة اليهودية » أرشد « هرتزل » هذه الجماعة إلى فلسطين ومن خلال سطوره أرسل فحيحه هو نفسه كرأسٍ لهذه « الأفعى » يناديهم :

إلى فلسطين ! . .

« إن فلسطين هى وطننا التاريخىّ الذى لن ننساه ! ... »

لا غرو من ثمّ أن يكون لهذا « الكتاب » ، الذى أعطى للعقيدة الدينية القديمة طابعها السياسى الحديث اعتماداً على الحق الروحانى ، أثره العميق.. فقد أضرم فى صدر كل يهودى ضرام الجموح ! . .

وهكذا ! .

بدأ سلب العَرب بشراء الأراضى من العرب ! .

وهكذا بدأ احتلال الأراضى العربية فى صورة الهجرة اليهودية ..
وهكذا بدأ النداء « بالقومية » و « بالجنسية اليهودية » ! .

ومن ثمَّ فإذا كان الأمل فى « مسيح منتظر » قد صادف فى تاريخ اليهود الإخفاق تلو الإخفاق فقد نقله «هرتزل» من إخفاق فى دائرة الدين إلى نجاح فى دائرة السياسة الاستعمارية ، ودليلنا على ذلك الأحداث التى تلت نشر هـذا الـكتاب ومدى الأثر الذى تركه هـذا المؤتمر الصهيونى الأول فى نفوس اليهود من التصريح الذى أدلى به « هرتزل » فى صحيفته بقوله :

« لو طُلب إلى تلخيص أعمال المؤتمر فإنى أقول بل أنادى على مسمع الجميع : إننى قد أسست الدولة اليهودية ! ..

إن العالم سيشهد بعد خمس أو خمسين سنة قيام الدولة اليهودية حسبما تمليه إرادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة » ! ..

وتمكنت عينا هذه « الأفعى » من تنويم أجزاء من هذا العالم وأرسلت فحيحها هذا إيحاء ، حتى أنه لم تمض خمســــون سنة من هذا المؤتمر الصهيونى الأول إلا وأعلنت « الأمم المتحدة » ، ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، قرارها بتقسيم فلسطين وقيام « دولة خزرية » دعية النسب إلى إسرائيل باسم « دولة إسرائيل » ! ..

لا غرو من ثمَّ أن نرى صورة كاتب « الدولة اليهودية » تتصدر قاعة الـ « كنيست » وهو يـكرم رسمياً كرسول لهذه « الدولة » التى افتعلها من مادة الأساطير بينما يتغافل أصحابها عن أنها « دولة » خزرية الأصل أسطورية المـادة تقوم قوائمهـا على أساس من نصوص « الأسفار الخمسة » و « شرائع التلمود » ! ..

ومن عنصر هذا «الحق» الموهوم الذى استهل تاريخ انبثاقه بهذا النص الوارد فى السفر الأول من « الأسفار الخمسة » المفتراة على موسى والقائل بأن « الرب » قد قطع مع أبرام ميثاقاً قائلا :

« لنسلك أعطى هذه الأرض !..

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ! .»(١)

هذا النص الأسطورى هو الأساس الدينى لهذه الدولة الأسطورية وبالتالى لادّعاء اليهود امتلاك فلسطين والدعامة الجوهرية التى تتخذها الصهيونية عقيدة تبنى عليها دعوتها لدعوة اليهود إلى « العودة » إلى الأرض الممنوحة لهم من «إلهـهم» وإلى « دولة » لهم فيها تتخذ من نصوص التوراة والتلمود دساتير حتى تتمكن هذه « الأفعى » أن تزحف من هناك وتطبق بمخالبها على جسم المجتمع البشرى ثم تطويقه كله تطويقاً لا تبقى له بعد باقية وحينذاك تستطيع أن ترفع رأسها ويكون العالم كله لها ملكا وليس ذلك ، كما تدعى ، إلاّ ائتماراً بأمر « إلـه إسرائيل » وتمسكا بهذا « الحق الروحانى » الممنوح لها من « يهوه » والمسجّل فى « الأسفار الخمسة » وفى « التلمود » ! .

ويقيناً ،لم يكن إلاّ على أساس من هذا « الحق الروحانى » وحده الذى ادعته الصهيونية ومازالت تدّعيه قد استطاعت أن تغوص إلى عالم الأساطير ثم تطفو على صفحة الحاضر وبلعبة « سحرية » تفتعل صرح وليدتها «دولة إسرائيل» ! .. وهذا مما يجعلنا نتساءل :

ما هو تاريخ هذا « الحق الروحانى » الذى تدّعيه الصهيونية لوليدتها « دولة إسرائيل » وهى فى ذلك تتخذ « الأسفار الخمسة » دعائم

(١) الإصحاح ١٥ « سفر التكوين »

و « التلمود » مساند ؟!.

أمَّا تاريخ « الأسفار الخمسة » فسنتعرض له بعد قليل مختتمين به هذا البحث وبذلك نسدل الستار على فصول هذه المهزلة التى لعبت دورها الخطير على مسرح التاريخ السياسى باسم الدين . . وأما تاريخ «التلمود» فقد عرضنا ، قبل ، بعض نصوصه المتعلقة بهذا البحث وبذلك تبين لنا أنه ليس إلا المرآة العاكسة لما جاء فى « الأسفار الخمسة » من نصوص لأن كل ما يحتويه من شرائع ليس إلا تقنيناً لهذه « الأسفار » !.

ولكن ! لما كانت الصهيونية قد اتخذت من النصوص التلمودية شريعة ومن تعاليمها منهجاً وضعت على أسسه خططها لامتلاك العالم فنحن نستطيع القول بأن ما وضعته الصهيونية من دساتير عليها سارت وعليها تسير ليس إلا مرآة تعكس ، بدورها ، شرائع التلمود .. وهذه الدساتير تطلع علينا واضحة كل الوضوح من خلال تلك المجموعة من « الوثائق السِّرية » التى تمخضت عنها حركة «هرتزل» يوم رأس أول مؤتمر صهيونى واتخذ إلى جانب القرارات العلنية قرارات أخرى سرية . فأما العلنية فقد مررنا بها وأما «السرية» فهى تلك التى قررها هذا المؤتمر الصهيونى الأول يوم ضم كبار اليهود الذين أطلقوا على أنفسهم لقب « حكماء صهيون » ووضعوها دساتير لما سيتلو هذا المؤتمر من مؤتمرات أخذت تنعقد سنوياً فى أكثر من بلد من بلدان الغرب وتضم رؤوس هذه « الأفعى » من اليهود الذين يطلق عليهم أيضاً لقب « حكماء صهيون» وهذا مما يحتم علينا أن نلقى نظرة على هذه « القرارات السرية » التى تمخض عنها هذا المؤتمر الصهيونى الأول لحكماء صهيون الأول وكما أرسلتها رؤوس هذه «الأفعى» فحيحاً فى كل متجه وكما سطروها هم أنفسهم بعد أن ناقشوا الخطط والوسائل التى تمكنهم من إطباق مخالبهم على كل بقعة من بقاع العالم وعلى كل

شعب فيه الواحد بعد الآخر مما . . يسجل:

ارتسام الحركة الصهيونية

فى « بروتوكولات حكماء صهيون »

تحمل إلينا هذه « الوثائق السرية » ، والتى لم تعد سراً منذ اكتشافها عام ١٩٠٢ ، صورة القرارات التى قننت المؤامرة الصهيونية التي وضعها المؤتمر الصهيونى الأول سنه ١٨٩٧ . لا ننشرها إلا ونرانا نقول بأنهم حتماً قد راعوا فيها بدقة بالغة شرائع التلمود ! . .

تستهل هذه « البروتوكولات » قرارتها بمواد خمس صاغتها معاول لهدم العالم المسيحى أولا والإسلامى وباقى الأديان ثانيا كيما يستطيع اليهود بعد ذلك إخضاع العالم جميعاً لسيطرتهم وهذه هى :

المادة الأولى :

زعزعة كل مقومات العالم الحاضر ونظمه لتمكين اليهود من الاستئثار بحكم العالم والاستحواذ على خيراته لأن اليهود ، وهم « الشعب المختار » ، هم وحدهم من نسل آدم وحواء ولذلك ما خُلق العالم إلا لهم وإلا ليكونوا سادته . ومن حقهم وحدهم ، استعباد من فيه وحكمهم وتسخيرهم بكل الوسائل . إن الناس ، ما عدا اليهود ، ليسوا إلا شياطين وبهائم ! .

المادة الثانية :

تحقيق سيادة الصهيونية باقامة امبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم قاطبة ويتعاقب على عرشها ملوك ممن يعملون بشريعة « التوراة » و « التلمود » ويكون مقرها «أورشليم» أولا ثم تستقر فى «روما» إلى الأبد وبذلك تكون قد

قامت مكان الامبراطورية الرومانية التى أدالت « دولةيهوذا » وفى نفس الوقت تكون قد احتلت القاعدة الحالية للدين المسيحى الذى يجب أن يزول ! .

إن الامبراطورية اليهودية العالمية لن تقوم إلا إذا زالت جميع الأديان بصفة عامة والمسيحية بصفة خاصة . ومن ثمَّ يتحتم القضاء على الأمم المسيحية حتى يمكن بعد ذلك القضاء على بقية الأمم و لأديان ! ..

إن القضاء على الأمم المسيحية يتيح الفرصة للقضاء على الأمم و الأديان لأنَّ المسيحية أوسع الأديان انتشاراً وأممها أقوى الأمم وأوسعها نفوذاً ولها الزعامة فى التوجيه العالمى . فاذا ركزت الصهيونية طايعة ضرباتها وأعنفها على الأمم المسيحية وأمكن القضاء عليها كانت هزيمة بقيه الأمم ومحو باقى الأديان أيسر وأسرع ، فلا يبقى بعد ذلك إلا الدين اليهودى وإلا القومية اليهودية !

وأما الوسائل التى يتحتم اتخاذها لبلوغ هذه الغاية فتنحصر فى : العمل على إفساد أنظمة الحكم الحاضر ! .

المادة الثالثة :

يتحتم أن يصبح زعماء الأمم جميعاً كقطع الشطرنج فى أيدينا ! نستميلهم ونغريهم من طرق شتى أهمها الرشوة والنساء ! كما أن منها العنف والارهاب بل والقتل فى الخفاء إذا لم تنجح وسيلة غيره !

يتحتم أن نُتعامل أفراد الأمم جميعاً بالحيلة تارة وبالعنف تارة أخرى بأن تساس كما تساس قطعان الماشية !

المادة الرابعة :

ينبغى للصهيونية أن تسيطر على كل وسائل النشر والإعلام من صحف وكتب وأن تستخدم ، بسخاء ، الذهب !

المادة الخامسة :

إن التشتت الذى أصاب اليهود « الشعب المختار » فى كل أقطار العالم ليس ، كما يبدو ، مصدر ضعفهم وإنما هو فى الواقع مصدر قوة لهم ! فإنّ هذا التشتت فى أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوى نفوذ فى كل قطر إذ يستطيعون من خلال تشتتهم هذا أن يتسللوا إلى كيان الدول لتسخيرها لمصالحهم الذاتية !.

والآن ؟ ! ..

هذه المواد الخمس هى فى الواقع ليست إلا عبارات اقتطفناها مما جاء فى « بروتوكولات حكماء صهيون » وهى وإن كانت لا تغنى عن قراءة التقارير كلها إلا أنها تعطينا فكرة واضحة عن خطة الصهيونية وأساليبها لإخضاع العالم قاطبة وإقامة عرش صهيون على الدنيا على أساس أنهم العنصر الإنسانى الوحيد ومن عداهم من البشر ففى مرتبة السائمة فهم أولاد حواء وآدم وأمّا نحن فمن نسل الشياطين ! .. هذا هو السرّ فى سياسة العزلة التى يحيط بها اليهود أنفسهم وهذا هو السرّ فى استعلائهم على الناس حتى تمادوا فراحوا يزعمون أن « يهوه » لم يعد ذلك الرب القَبَلى بين الأرباب القدامى وإنما هو قد ارتقى إلى مصاف الألوهية وأصبح إلـه العالم وأنه إلههم وحدهم وأنهم « شعبه المختار » وليس للأمم الأخرى حظ من رضاه ولذلك لا يمكن لليهودى أن يقبل مشاركة أحد فى هذا الاحتكار وليس فى استطاعته أن يقيم سلطانه على عقيدة عامة تشاركه فيها الأمم الأخرى لأنه يرفض التنازل عن عقيدة « الشعب المختار » التى ميزه بها « يهوه » على شعوب العالم جميعاً ! . ولذلك أقول لا يلتبسنّ عليكم إذا سمعتم يهودياً يقول بأنه يؤمن بإلـه العالم ويعبده فإنما هو لا يقصد بهذا القول إلاّ « يهوه » هذا الذى يدعوه فى صلاته باسم « إلـه إسرائيل ! » .

« القرار الأول » :

إن الغاية تبرر الوسيلة . ومن ثمَّ فعلينا ، ونحن نضع خطتنا لامتلاك العالم ، أن لا نلتفت إلى ما هو خيّر وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد . ولذلك يجب أن يكون شعارنا كل وسائل الدهاء وأن يكون جواز المرور لدينا هو الخديعة والكذب والادّعاء ، فإن حقنا في قوتنا ! لاعيب ولا عار في أن تكون جاسوساً أودساساً بل هذه فضيلة لأنها ستمكّننا من إقامة « دولة صهيون » ! ..

« القرار الثاني » :

إن الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام هي التي يمكننا عن طريقها أن نحصل على توجيه دفة الأمور لصالحنا ، وهذه قد حصلت عليها أيدينا ! فلقد أصبحنا ، بفضل الصحافة ، قوة دولية ومن خلالها أحرزنا نفوذاً وبفضلها كدّسنا الذهب ! فيجب ألا تفلت من أيدينا بل ويجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف ! ..

« القرار الثالث » :

في إمكاننا الآن أن نؤكد لكم أننا قد أصبحنا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية ، شعار شعبنا ، دورتها ! وحينما تغلق هذه الدوائر ستكون كل دول الغرب المسيحية محصورة فيها بأغلال لن تتحطّم ! .

تذكروا ! ..

أن الثورة الفرنسية من صنع أيدينا . وأننا منذ ذلك الحين ونحن نقود الأمم من خيبة إلى خيبة تمهيداً لملك من دم صهيون نعده لحكم

العالم ! ..

« القرار الخامس » :

لقد أصبحنا أقوياء جداً واقتصاديات العالم تعتمد علينا . المال كله فى أيدينا ، فأيدينا تملك أعظم قوة فى هـذا العصر وهى الذهب ! . وإن الحـكومات لاتستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ما ، ولو صغيرة ، دون أن نتدخَّل فيها سراً ! ..

إن شريعتنا تقول إننا مختارون من الله لنحكم الأرض وقد منحنا الله العبقرية كى نـكون قادرين على القيام بهذا العمل ! .

بكل ما قد عرضناه من الوسائل سنضغط على الأمم المسيحية حتى تضطر إلى أن تطلب منَّـا أن نحكمها دولياً ! وعندما نصل إلى هذا الهدف سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحـكم فى جميع أنحاء العالم . وعند ذاك نستطيع أن نشكِّـل حكومة عالمية عُليا ! .

« القرار السابع » :

لقد اعتادت البلاد جميعاً أن تستغيث بنا عند الضرورة ومتى لزم الأمر . ولذلك يجب علينا أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات ! أولاً فى كل أقطار العالم الغربى . ثمَّ بمساعدة العالم الغربى ، نفسه ، ننشر فى سائر أقطار العالم الفتن والخصومات ..

بهذه الوسائل سنتحكم فى أقدار كل الأقطار ! .

إن لنا القدرة على خلق الاضطرابات فى كل قطر كما نريد ! فلقد نصبنا شباكنا فى جميع الحـكومات ولم نحبكها إلا عن طريق الخدمات المالية

الأمميون أى مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا !

وبأموالنا ستمتد سلطتنا الكاملة ! ..

« القرار الحادى عشر » :

إن الأمميين كقطيع الغنم وإننا الذئاب !..

هل تعلمون ماذا تفعل الذئاب بالغنم ؟ !..

إذن ، ادفعوهم إلى هذا المصير ! ..

لقد شتتنا إلــهنا فى أرجاء الأرض لنفعل ذلك، وهذا هو السرّ من وراء هذا التشتت الذى حلّ بنا . فإن من رحمة « يهوه » أن « شعبه المختار » قد شُتت ، لأن هذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فنّياً أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التى إذا ماطبقناها على هذا المثل وصلنا ، حتما ، إلى أعتاب السلطة العالمية !.

« القرار الرابع عشر » :

حين نُمكّن لأنفسنا فنصبح سادة العالم لن نبيح قيام أى دينٍ غير ديننا !..

« القرار الثانى والعشرون » :

فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة و نعنى بها الذهب !.

ففى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه ! .

أفلا يزال ضرورياً لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمنا هو إرادة إلــه إسرائيل ؟!.

« القرار الثالث والعشرون » :

" إن ملكنا سيكون مختاراً من «يهوه» !. وعندئذ نستطيع أن

نرفع أصواتنا ونصرخ فى وجه العالم قائلين :

صلّوا ليهوه !

واركعوا أمام هذا المَلِك الذى أعاد « مُلْك داود » والذى يقود يهوه ، نفسه ، نجمه ويتوجه ملكا على العالم بأجمعه ! .

لامكان بعد ذلك لبابوات المسيحيين ، فسيصبح « ملك اليهود » هو « البابا » .... « البابا » الحقيقى للعالم بأكمله ! ..»

والآن ؟ .

الآن ، وهذه هى بعض قرارات من « بروتوكولات حكماء صهيون » ماذا نرى ؟ ! .

نظرة واحدة نلقيها على هذه النقط الأساسية فى « بروتوكولات حكماء صهيون » ترينا أنها ليست إلا صورة مطابقة لأوامر « التوراة المكتوبة » و « التوراة الشفوية » .. فأمّا التوراة الشفوية ، أو «التلمود» فهو كتاب قد مررنا بتاريخ كتابته ومن ثمّ فهو لايمت إلى موسى ، عليه السلام ، بأسباب !.. وأما إلصاق «التوراة المكتوبة» بموسى فلم يكن ذلك إلاّ استغلالا لاسمه لأن هذه « الأسفار الخمسة » التى يقوم عليها الدين اليهودى الحالى قد وُضعت ، كما سنرى بعد قليل ، بعد مضى قرون من الزمن طوال على وفاة موسى وأماهذا الفحيح السّام الذى ينبعث من سطور هذه «البروتوكولات» ينفث شرر النقمة فى كل متجه ، متذرعاً بأن علة ذلك هى محاربة العالم لهم فإن لنا فى هذا الصدد كلمة وهى : إن قول اليهود بأن محاربة العالم لهم ، وهو ما يسمونه بالاضطهاد ، هو علة هذا الجهاز التنفيذى لدينهم والمسمى بالصهيونية وأن قيام الصهيونية يقضى على هذه العلة إنّما هو يقول لا أساس له البتّة من الصحة !

لأن الصهيونية ، نفسها ، هى أعراض لداء مزمن وهذا الداء هو فى اليهود أنفسهم بل هو اليهود أنفسهم !.. وإلا فمن اضطهدهم يوم اضطهدوا أنفسهم ويوم تمردوا على موسى ، عليه السلام ، وخانوه وكتبوا فى أسفارهم ، هذه التى ينسبونها إليه ، أنه قد « خان الرب » وأن عليه غضب الرب وقال له اطلع إلى الجبل ومت هناك فى الجبل ؟ ! ..

من اضطهدهم يوم انقسموا على أنفسهم فى مملكة سليمان ثم تقاسم كل شطر من شطريها على أهله وراحوا يتراشقون بسهام العداء ؟ ! . .

من اضطهدهم يوم وصفوا أنفسهم بأنفسهم بالفساد والشر وغلظة الطبع وصلابة الرقبة ؟. ولن يصمهم أعدى أعدائهم بشر مما وصموا به أنفسهم فى « أسفارهم » هذه التى من عجيب المفارقات أن يتخذوها فى الوقت نفسه دعامة وسنداً !.

إنهم هم الذين قضوا على أنفسهم وجروا على أنفسهم ، « الاضطهاد » فى كل بقعة وفى كل عصر وبين كل قبيل ، لأن العلة ليست فى غيرهم وإنما فيهم وليس للأمم من حيلة معهم إلا أن تُخضعهم آخر الأمر ! فإنَّ آفتهم الكامنة فيهم أنهم كائن ممسوخ من الوجهة الاجتماعية لأنهم جماعة مقتضبة لم تصبح أمة ، واشتبكت مع العالم وهى فى مرحلة غير نامية وغير قابلة للنمو لاتصافها بصفات ليست ناجمة عن الحروب التى عرّضت نفسها لها عبر القرون الطويلة ولكنها وليدة الدين اليهودى نفسه فان الخلق اليهودى الذى لم يكن فى جميع العصور إلا وباء يهدِّد سلامة المجتمع البشرى وأمنه وأواصره بالفساد ليس وليد « الاضطهاد » وإنما وليد الدين اليهودى نفسه ! .

إن الخلق اليهودى الذى استباح أبغض الوسائل لتحقيق أغراضه

وسعى جاهداً لينفرد بسلطان المال على مصير المجتمع فحاربه بأخس الوسائل وعمل وسعه على إفساد أخلاقه وتمزيق أُسره وهدم أديانه وقيمه ومقوماته لكى يتسلط عليه فيسخّره فى مصالحه ويستأثر بخير العالم دونه ، ليس وليد « الاضطهاد » وإنما هو وليد الدين اليهودى نفسه ! . .

إن الخلق اليهودى الذى يهدر المبادىء الإنسانية ويقوّض مقاييس الأخلاق ، إنما ينبع من العزلة التى يفرضها أصحاب هذا الخلق على أنفسهم وإن موقفهم العدائى من كل أمة يحملون جنسيتها ومعاداتهم كل الأديان ولا سيّما المسيحية والإسلام ، ليس إلاّ وليد هذا الدين اليهودى نفسه المبنى على التوراة والتلمود وعلى ما فيهما من تعاليم وشرائع ترسم بوضوح خطط تدمير العالم كى يحكم اليهود على أنقاضه ! .

ولما كانت الصهيونية لا تسعى إلا لتحقيق هذه الأهداف التى يرسمها الدين اليهودى فإنما ذلك لأن الصهيونية هى اليهودية أو بعبارة أوضح معنى وأصح قولا ؛ هى الجهاز التنفيذى للدين اليهودى ! . .

وإذن ؟ . . هل يمكن ليهودىّ ، كائناً ما كان ، أن يعارض الصهيونية وهى ليست إلا الجهاز التنفيذى لدينه ؟ ! . .

كلا ! . . .

لا جدال فى أن الصهيونية هى الجهاز التنفيذى لليهودية .. فإنما اليهودية القديمة هى الصهيونية الحديثة والصهيونية الحديثة هى الصهيونية القديمة التى انبثقت فى غضون الأسر البابلى لأولئك الذين كتبوا « الأسفار الخمسة » من سبط يهوذا وحولوا بدعة « الأرض الموعودة » إلى عقيدة دينية وصاغوها لواءً حملوه للعودة إلى « صهيون » فأسّسوا بذلك الصهيونية وجعلوها الجهاز التنفيذى لهذا الدين الذى جاءت شرائع التلمود تمثله تمام التمثيل

وهذا هو الدليل الدامغ عـــلى أن اليهودية هى الصهيونية والصهيونية هى اليهودية وهذا مما يجعلنا نقول إن «حاييم وايزمان» ، خليفة «هرتزل» فى قيادة الحركة الصهيونية الحديثة ، كان على حق عندما قال :

« إن الصهيونية واليهودية متلازمتان متلاصقتان ولا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية » ! ..

وهنا ..

هنا أقول إن الحركة الصهيونية ، سواء منها الصهيونية الغربية التى كان يتزعمها « هرتزل » أو الصهيونية الشرقية وهذه كان يتزعمها « وايزمان » أول رئيس لـ « دولة إسرائيل » الأسطورية وتفتقها عن صهيونية عالمية ، قد تناولها أكثر من قلم فى عصرنا هذا بالشرح . .(١) ومن ثم فالحديث عنها كرة أخرى ليس إلا تـكراراً ولذلك قد قصرت هـذا البحث على سبر الأسس التى تقوم عليها الصهيونية وهى الدين اليهودى الحالى ووضعت موضع المقارنة ، الأسس الجديدة للصهيونية الحديثة والأسس القديمة لليهودية الحالية فى « الأسفار الخمسة » وفى « التلمود » حتى يتبين لنـا أن خليفة مـؤلف « الدولة اليهودية» ومن كان أول رئيس لهذه « الدولة » الأسطورية كان صادقاً عند ما قال بأن اليهودية والصهيونية متلازمتان متلاصقتـان وأنه لا يمـكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية !..

وهذا هو الواقع ..

إن الحركه الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذى لهذا الدين اليهودى الحالى الذى بنـاه يشوع بن نون ولذلك انصب بحثنا على سبر « الأصـول »

(١) ومن أهم هذه المراجع « الصهيونية العالمية » للاستاذ عباس محمود العقاد

و «الظروف» و «التيارات» و «العوامل» و «الأسباب» التى أفضت إلى تكوين «الفكرة» التى تستمد الصهيونية منها مبدأ وجودها ألا وهى «عقيدة الأرض الموعودة» .. هذه «العقيدة» التى لم تفتعل «دولة إسرائيل» الحالية إلا على أساس منها ولم تقم إلا غداة تجمع «أبناء الخزر» فى تكتل وأطلقوا من حناجرهم صيحة واحدة كان رجع صداها تلك «الحجة» التى تذرع بها ممثلهم وتجاوبت فى أرجاء «الأمم المتحدة» تقول :

«قد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسى أو القانونى ولكنها حق لنا على أساس روحانى فهى الأرض التى وعدنا بها الله وأعطانا إياها ! . ومن الفرات إلى النيل ! . . »

ولذلك :

«يجب على كل يهودى أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودى أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة ! ..

إن هذا اليهودى يكفر يومياً بالدين اليهودى !.. »(١)

هذه الصيحة التى دوت ، ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، عندما عُقد فى القدس المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرون لم تكن فى مداها الواقعى إلا ترديداً من تصريح أبرز زعيم من زعماء الحركة الصهيونية الحديثة وأول رئيس لـ «دولة إسرائيل» لأنها لم تكن ، بالتالى ، فى واقعها الإيجابى إلا باكورة لحركة «شيبات زيون» ، أى «محبة صهيون» ، التى امتدت فروعها الأخطبوطية فى كل ركن من أركان الغرب والشرق حتى تفتقت عن الحركة

«١» «بن جوريون»

الصهيونية العالمية التى تعتبر جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة تسميها « الجنسية الإسرائيلية » وإن واجبها ينحصر فى تطبيق هذا المبدأ وهو :

« توطيد دعائم دولة إسرائيل وتقويتها وجمع شعب يهود العالم فيها واعتبارها وطن جميع اليهود فى كل أنحاء العالم ! » (١)

من هنا نفهم إلى أى مدى تطورت الصهيونية حتى غدت عالمية ، لا تستهدف إلا مرمى واحداً وتتخذ من « دولة إسرائيل » قاعدة لهذا المرمى !.. فالصهيونية العالمية اليوم ترى أن إقامة « دولة إسرائيل » عاملا أساسياً لتجميع جميع يهود العالم على أساس التظاهر بأن هذا هو الحل الوحيد لقضية كل يهودى وأما المرمى من وراء ذلك فهو التكتل فى فلسطين ثم الزحف منها على العالم ولذلك اتجهت الدعوة الصهيونية الحديثة فى كافة أنحاء العالم إلى تعلم اللغة العبرية كوسيلة نحو التكتل القومى وكمظهر صادق من مظاهر ربط الولاء إلى هذه القومية الجديدة فى فصم للولاء الذى كان يربطهم بالبلاد التى نشأوا فيها وللجنسيات التى يحملونها !.. ولا حائل يحول بين اليهودى وبين ذلك طالما أنه يدين باليهودية ، فاليهودية هى الصهيونية ، وبذلك ظهرت اليهودية بمظهرها الحقيقى باسم الصهيونية العالمية .. هذه الصهيونية التى ليست فى حقيقتها ، سواء منها القديمة والحديثة والغربية والشرقية وهذه العالمية ، ليست إلا اليهودية الشيوعية الأصيلة ! ..

كيف ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال يأتينا من نفس أسس هذه الحركة الصهيونية العالمية القائمة على ركائز أربع هى :

أولا : الروابط التاريخية والدينية القديمة التى تربط اليهود بأرض

---

(١) « وايزمان »

فلسطين والصهاينة بصهيون .

ثانياً : يمثل اليهود فى شتى أنحاء العالم شعباً واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه ، إلى فلسطين ومن ثمَّ يعتبر جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة هى « الجنسية الإسرائيلية » .

ثالثاً : إن « الأرض الموعودة » التى وعد بها « إلَـه إسرائيل » شعبه « المختار » لتكون لهم وطناً وملكاً أبدياً هى فلسطين وما حولها من أراضٍ تمتد من الفرات إلى النيل !.

رابعاً وأخيراً : أن « الرب » قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل فى النهاية إلى السيادة على العالم ... ولذلك تكون فلسطين قاعدة الامبراطورية اليهودية العالمية المنشودة ! .»

هذه هى الركائز الأربع التى تمثل أسس الحركة الصهيونية العالمية وليس علينا إلا أن نناقشها ركيزة ركيزة وكل واحدة على حدة حتى يتبين لنا ماهية هذه الدعائم التى تستند إليها الصهيونية وعليها ترتكز دعواها ..

أولاً :

ما هى هذه الروابط التاريخية والدينية القديمة التى تربط اليهود بأرض فلسطين والصهاينة بجبل صهيون ؟ ..

لنجعل الفصل فى هذا القول هو الاحتكام إلى التاريخ التاريخ السياسى ، أولاً ، ثم التاريخ الدينى .. وهذا ما يدفع بنا إلى أن نتساءل :

هل لليهود حق سياسىٌّ فى فلسطين ؟ ..

إن الحق السياسى فى أى اقليم إنما تقرره أصول ثابتة أساسية تتلخص فى الصفة العنصرية وفى الأسبقية إلى سكناه وطول مدة الحكم

واستمرارها . . ومن ثمَّ فلنعد إلى البيانات التاريخية الخاصة بفلسطين . .

لقد عُرفت فلسطين في التاريخ القديم بـ « أرض كنعان » نسبة إلى قبائل الكنعانيين التي استقرت فيها إثر إحدى تلك الهجرات من جزيرة العرب إلى الشمال في الألف الثالث ق . م ولقد عرفنا أن هذه البقعة ظلت تسمى بأرض كنعان حتى مغرب الألف الثاني ق . م . وليس إلا بعد أن غزتها ، حوالي سنة ١٢٠٠ ق . م ، تلك القبائل الآتية من كريت وعن طريقها وفي مقدمتها قبيلة « فيليستيا » ثم استقرت على شواطئها بين يافا وغزة وبعدأن اندمج الكريتيون والكنعانيون ، بالاختلاط والتصاهر ، سميت تلك المنطقة نسبة إلى هذه القبائل باسم فلسطين وأصبح هذا الاسم يطلق على جميع الأراضي الساحلية والداخلية التي كان يسكنها الكنعانيون .. ثمَّ لم يلبث أن ساد العنصر الكنعاني على فلسطين مرة أخرى وأصبح سكانها هم أهلها الأوَّل من هؤلاء الكنعانيين العرب .

وفلسطين بحكم موقعها الجغرافي بين القارات الثلاث القديمة كانت طوال تاريخ الحضارة تقريباً جسراً يعبره الغزاة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب كما يمر عليه الفاتحون من الشمال بمحاذاة الساحل إلى الجنوب حيث الجزيرة العربية ومن أفريقيا الشرقية إلى الشمال . كما كانت بالنسبة لخصب تربتها واعتدال مناخها قبلة للقبائل الرحّل المتنقلة من الجنوب والشرق والغرب وليس إلاّ في فترة من تاريخ ذلك العهد كان أن ارتحلت من الفرات الأدنى تلك العائلة العائدة بأصلها إلى « بابر » فاختارت « أرض كنعان » ملجأً وسكنت بين أهل هذه الأرض من الكنعانيين ! . .

أجل . .

لقد خضعت هذه البقعة لعناصر شتى ، وفى فترة خاصة من تاريخها كانت خاضعة لحكم هذه الجماعة من سلالة إسرائيل ولكن ذلك كان لفترة وجيزة من الزمن وكما دالت ممالك غيرها فى هذه المنطقة دالت هى أيضاً بل وذابت سلالة إسرائيل نفسها فى تيار الزمن ولم يعد هناك إلا يهود كانوا قد تهودوا ولا تربطهم بأبناء إسرائيل نفسه صلة عنصرية فما هى ، بعد ، هذه الروابط التاريخية التى تربط يهود اليوم بفلسطين والصهاينة بصهيون ؟ . .

أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم ببنى إسرائيل وتربط سلالة الخزر ببنى إسرائيل ؟ !..

إن الصلة بين صهيون والصهاينة إنما هى صلة لا تحمل من المعنى الجغرافى إلا الاسم ولا شئ غير ذلك !. وأما الصلة التى تربط اليهود بفلسطين فليست إلا من خيوط الوهم المحض قد حيكت منها الروابط !..

هذه هى الحقيقة النابعة من أغوار التاريخ !..

فأما صلة الصهاينة بفلسطين فلقد ذكرنا هذه الحقيقة التاريخية فى مستهل بحثنا هذا عندما فرقنا بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود » وقلنا إنه فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى أبدى « بولان » ملك الخزر رغبته فى الاطلاع على الدين اليهودى ، ثم وافق هواه فاعتنقه ولم يلبث أن أرغم شعبه على اعتناقه وهكذا أصبحت تلك المملكة التى كانت تحتل منطقة تقع بين جبال الأورال شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً مملكة يهودية صرفة !. ثم تعرضت هذه المملكة لغزوات شتى وتفرق أبناؤها ، وكان عددهم يربو على عشرة ملايين نسمة ، على دول شرق أوروبا وهؤلاء هم اليهود الغربيون

من سكان شرق أوربا وهؤلاء هم أصحاب الحركة الصهيونية الحديثة وإذن !. أى الروابط التاريخية هناك تربط هؤلاء الصهاينة بفلسطين ؟..

أى الروابط التاريخية تربط سلالة الخزر بسلالة إسرائيل ؟ !..

إن الخزر شعب غير سامى ومن الوجهة العلمية فى علم الأجناس ينتمى إلى سلالة القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا ثمّ طرد فى القرن الأول الميلادى فراح يتوغل فى شرق أوروبا وليس إلا بعد سبعة قرون من الزمن اعتنق اليهودية ديناً فأى الروابط التاريخية ، إذن ، تربط هذا الشعب غير السامى الذى لم تسكن له صلة إطلاقاً بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى « أرض كنعان » بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى أرض كنعان ؟ ! .

ثمّ ، بالتالى ، أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم الحاضر بفلسطين وأية قرابة لهم ببنى إسرائيل ؟ !..

إن يهود عالم اليوم ليسوا من سكان فلسطين الأصليين والعودة إلى التاريخ نفسه إنما هى على هذه الحقيقة برهان ... حقيقةً لقد جاء الفتح الفارسى لبابل وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين فعاد منهم كثيرون وأقاموا معبدهم بل وأنشأوا فيها حكومة لهم ولكن !. المجموعة الساحقة من هذه الجماعة الدينية لم تكن إلاّ جماعات قد تهودت !.. فلقد كانت اليهودية ، كدين ، فى خلال القرون الطوال قبل الميلاد وبعده قد انتشرت فى أجزاء مختلفة من العالم .. فقد أعتنقتها جماعات صغيرة من الشعوب التى كانت تسكن نفس فلسطين . ثم أسهم أسرى الحروب والتجار والمشردون من اليهود بنقلها إلى شعوب القبائل فى شمالى أفريقيا حتى مراكش وحتى الحبشة وتوغلوا بها حتى الصين والهند واليمن ومن هنا انتشر الدين اليهودى بين فئات كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة..

ففي كل جنس كنا نجد أقلية صغيرة تهودت واعتنقت اليهودية ديناً.. ومن ثمّ فإن هؤلاء اليهود ينتمون إلى أجناس لا صلة لها قط تاريخية بفلسطين ولا يوجد أي الروابط التاريخية تربطهم بفلسطين ولا أية قرابة لهم ببني إسرائيل ؟!.

إن إسرائيل نفسه وأسباطه الإثنا عشر لم تكن لهم صلة تاريخية بفلسطين ، فكيف بسلالة الخزر وبفئات تهود أسلافها وتوارثت دينها هذا عن هؤلاء الأسلاف ولا يعود العنصر منها إلا إلى أجناس مختلفة متفرقة في أرجاء العالم ؟ !..

وإذن !.. فان الحجّة الأولى للصهيونية الحديثة ، وهى القائلة بالروابط التاريخية لليهود فى فلسطين ، تنهار من أساسها ! .. لا لأنه لا رابطة تاريخية لسلالة الخزر بفلسطين فحسب ولا لليهود ، وبالتالى ، ولا لأن بنى إسرائيل أنفسهم لا صلة لهم تاريخية بفلسطين فحسب وإنما لأن بنى إسرائيل أنفسهم لا وجود لهم اليوم إلا كأطياف عابرة فى مخيلة التاريخ !..

إنّ يهود اليوم ليسوا من سكان فلسطين الأصليين ولم تكن لهم بفلسطين فى عهد من العهود صلة عنصرية ولا روابط تاريخية يمكنهم الاستناد إليها وهذه حقيقة تكشف عن ماهية الدعوى التى يستند إليها الصهيونيون فى « حقهم السياسى » فلسطين وهى الدعوى القائمة على قيام حكم لبنى إسرائيل فيها ، هو فى الواقع حكم لم يندثر ويتلاشى منذ نيف وثلاثين قرناً من الزمن فحسب وإنما هو حكم لم يدم إلاّ للمحة فى جفن الزمن كما أنه لم يبسط سلطانه على كل فلسطين ! ..

ولكن !.

ما زال الصهيونيون يستندون فى مطالبهم الإقليمية فى فلسطين

إلى هذه الفترة من الحكم التى كان فيها لبنى إسرائيل وهى الفترة التى بدأت بـ « شاؤل » وانتهت بالغزو البابلى لمملكة الجنوب .. بَيْد أننا هنا نتساءل ؛ ألا يرى هؤلاء الصهاينة اليهود واليهود الصهاينة أنّ هذا التحديد نفسه يهدم دعواهم من أساسها ؟ !.. فإن حكم «شاؤل» لم يكن قط ذا سيادة حقيقية على البلاد التى كانت أكثر بقاعها تقع تحت الظل الكنعانى والفلسطينى كما كانت ، بالتالى ، تقع تحت نفس هذا الظل إبّان السنوات السبع من حكم داود فى حبرون قبل أن يهزم الفلسطينيين ويستولى على آخر حصون كنعان ، حصن صهيون ، ويتّخذ من القدس عاصمة لمملكةٍ هى ولئن بلغت ذروتها فى عهد سليمان الاّ أن القسم الأكبر من فلسطين لم يدن لها بالطاعة ولم يعترف لها بالسلطان !..

ثمّ إنّ هذه المملكة ، التى لم تعمر أكثر من تسعين عاما ، قد انشطرت عقب وفاة سليمان وانقسمت إلى «مملكة إسرائيل» فى الشمال و «مملكة يهوذا» فى الجنوب وهذا الانقسام ، نفسه ، لم يجئ أيضا بالاستقلال الحقيقى لكلتا المملكتين لأنّ كلا منهما كانت تخضع إلى دولة عظمى خارجة وإلى حماية هذه الدولة كانت باستمرار وجودها تدين حتى جاء الغزو الأشورى فاكتسح « مملكة إسرائيل » ومحاها محواً من صفحة التاريخ ثمّ جاء الغزو البابلى فأدال من « دولة يهوذا» من الجنوب ثمّ حمل « يواقيم » آخر ملوكها من « بيت يهوذا» والآلاف من رجال « اليهودية » أسرى إلى بابل وفى مقدمتهم « سبط يهوذا » نفسه وهؤلاء هم الذين تعهّدوا فكرة «الأرض الموعودة» بالإنماء عندما رفّ عليهم ذلّ الأسر وابتعث الذكريات عن حال مماثل كان فى أرض النيل للآباء فراحوا يصبّون النقمة على الفرات والنيل معاً ويسطرون بأن « الأرض

الموعودة » من الفرات إلى النيل ، بينما لم يسعهم إلاّ النباكى على أورشليم الضائعة والترنم على ضفاف الفرات بذكرى صهيون !.

ومن ثمّ فنحن إذا سلـّمنا بـأن مدى الحـكم لبنى إسرائيل ، لا لليهود ، فى فلسطين كان من «شاؤل» ١٠٠٧ ق.م ، إلى « يواقيم » ٥٨٦ ق.م ، فـإننا نتوصـّل إلى حـكم دام نيفاً وأربعة قرون من الزمن وهـذا المدى الزمنى فقط هو الذى يستند إليه الصهيونيون فى مطالبهم الإقليمية فى فلسطين ويستمدون منه الرابط التاريخى والحق السياسى فى أرض لا تربطهم بها صلة تاريخية ، قـّط ، وذلك لسبب واحد آتٍ من نفس تاريخهم نفسه وهو أنهم ليسوا إلا يهوداً من نسل آباء كانوا قد تهودوا وليسوا ، قـّط ، ببنى إسرائيل !.

وهنا لنا كلمة نقولهـا وهى :

إن هؤلاء اليهود الذين يستندون إلى هذا المدى الزمنى فى مطالبهم الإقليمية فى فلسـطين إنما هم يتجاهلون المـدى الزمنى لحـكم العرب فلسطـين !.. ألا يذكـر الصهاينة المدى الزمنى لحـكم العـرب فلسطين ؟!..

إن الفتح العربى ، ٦٣٦ ، قد اغتمر فلسطين .. بل واغتمرها اغتماراً كان من أثره أن ضاعف صبغها بالصبغة العربية الخالصة ، فلقد أمتد للعرب حكم فى فلسطين لم يدم نيفاً وأربعة قرون من الزمن وإنما !.. إنما نيفاً وأربعة عشر قرناً من الزمان !.

يقيناً إن هذه الفترة من تاريخ فلسطين لـكفيلة بالرد على مزاعم الصهاينة فى ندائهم بالحق السياسى لليهود فى فلسطين وهى نفسها ، بالتالى ، البرهان على تثبيت دعائم العروبة فى فلسطين تثبيتاً تنهار أمامه ما تستند إليه الصهيونية

العالية من حُجج ومزاعم ...

هذا هو الواقع إذ عدنا إلى استعراض التاريخ ، فليس إلاّ على أساس إحصائى صرف تتكشف هذه الحقيقة ونخلص بها إلى النتيجة الحتمية من هذا السؤال الذى ألقيناه لنجد أن أصحاب « الحق السياسى » فى فلسطين إنما هم : العرب ! ..

وهـــــنا ..

هنا يجابهنا هذا السؤال :

هل لليهود « حق قانونى » فى فلسطين ؟..

منطقياً أن الجـواب عن هـذا السؤال هو : لا أحقية لشعب فى فلسطين إلاّ لشعب فلسطين ..

ولـكن ... من هو « شعب فلسطين » ؟ ...

من الأسانيد التاريخية نستطيع أن نتخذ من العصر الـكنعانى : بداية فنقول إن من الـكنعانيين ، والـكنعانيون موجة عربية بحتــة قذفتها شبهُ الجزيرة العربية ، قد تـكوّن شعب فلسطين فهو شعب عربى محض !..

حقيقة أن الدم الكنعانى قد ذاب فى الدماء التى مازجته والتى كان ، فى خضم الغزوات والفتوح ، بها قد امتزج . غير أن هناك مازالت نسبة مئوية من الدم العربى أعلى من النسبة المئوية لأى دم آخر وذلك يعود بأصوله إلى هذا الأصل الـكنعانى العربى البحت كما يعود بأسبابه إلى ذلك التدفق العربى على البـلاد واستيطانه لها خلال نيف وأربعة عشر قرناً من الزمان .. وهذا ممـا يجعل من المنطق ، والنسبة المئوية العليا هى للدم العربى ، أن نقول إن فلسطين هى أرض

العرب وإن العرب هم أصحاب « الحق القانونى» فى فلسطين !.

ومن ثمّ ، فإن هذه الحجّة

الصهيونية القائلة بالراوبط التاريخية والدينية لليهود فى فلسطين إنما هى حُجّة إذا جزمنا بصحتها ، على أساس من معبد كان لهم فيها وهيكل كان قد بناه سليمان ، فليس إلاّ لنقول :

متى كانت الرابطة الدينية حُجّة للاستيلاء على بلدٍ يقوم فيه رمز من حوله تترابط أفئدةٌ بالإيمان ؟ ! ..

هذا هو العالم المسيحى !. أيتخذ من وجود قبر السيد المسيح ، عليه السلام ، فى القدس ذريعة للإستيلاء على فلسطين ثم الزحف منها على بلاد العالم ؟ ..

وهذا هو العالم الإسلامى !. هل يتخذ من وجود «البيت الحرام» فى مكة أو يتخذ من وجود ضريح الرسول ، عليه السلام ، فى المدينة ذريعة للاستيلاء على أحد البلدين ثم الزحف منها على بلاد العالم ؟ ! .

كلا ! ..

وإذن !. فانّ حجة الصهاينة من حيث التذرع بذكرى هذا الارتباط الدينى لليهود بفلسطين إنما هى حجة واهية لا تقوم على أساس سليم من المنطق بل وإنما الحجة تنقض نفسها بنفسها لأنّ الارتباط الدينى بأى بلد لا يمنح لأحد « الحق السياسى » أو « الحق القانونى » فى الاستيلاء عليه ! .

وهكذا تنهار الركيزة الأولى من الركائز الأربع الممثلة أسس الحركة الصهيونية العالمية .

وأما الركيزة الثانية وهى القائلة بأن اليهود يمثلون فى شتى أنحاء العالم شعباً واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه إلى فلسطين ، ومن ثمّ يجب أن يعتبر جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة هى «الجنسية الإسرائيلية» فهذه ركيزة نقترب منها بهذا السؤال :

هل « للجنسية الإسرائيلية » وجود ، حقاً ، ؟ . .

هذه الركيزة القائلة بأن جميع يهود العالم ينتمون إلى « بنى إسرائيل » ومن ثمّ فهم يكوّنون « جنساً » وبالتالى «شعباً» ثمّ «أمة» ومن هنا يريدون الاستقرار فى وطنهم السابق إنما هى ركيزة لاسند لها من الواقع التاريخى إطلاقاً وليست فى واقعها إلا خرافة تاريخية ابتدعتها الدعاية الصهيونية ، يدحضها البحث العلمى الصحيح وينقضها العلم الأثنولوجى الحديث .

البرهان ؟ . .

البرهان مستمد من علماء اليهود أنفسهم . فلقد وضع « جروفتش » ، أستاذ علم الأجناس فى « الجامعة العبرية » ، تقريراً أوضح فيه نتائج التجارب التى قام بها على المهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى « إسرائيل » من مختلف أنحاء العالم . وكان المرمى من وراء هذه التجارب هو فحص دماء هؤلاء الذين دفعت بهم « الوكالة اليهودية » إلى فلسطين لبيان ما إذا كان اليهود جنساً واحداً له فصيلة واحدة من الدم طالما أن العلم الأثنولوجى الحديث قد تمكن من تعيين فصائل الدّم لكل شعب من الشعوب على أساس من براهين أثبتت أن الدم موروث وأن كل شعب من الشعوب القديمة له فصيلة من الدم ورثها عن أسلافه وأورثها لسلالته .. وقد أوضحت هذه التجارب أن

نسبة ضئيلة جداً من يهود الأقطار العربيةهم من نسل سامى الجنس وأما المجموعة الـكبرى من يهود العالم وخاصة يهود أوروبا الشرقية فـلا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية !.

ومن ثمّ فإنّ الركيزة الثانية التى أقامتها الصهيونية الحديثة على أساس أن يهود العالم أجمع يمثلون أعضاء فى «جنسية واحدة» وأن لهم على هذا الأساس حقاً فى فلسطين إنما هى ركيزة متداعية لاستحالة اعتبار اليهود جنساً واحداً له مميزاته الأنثولوجية الخاصة وهذا ما يجعلنا نفرق بين «بنى إسرائيل» وبين انتشار الدين اليهودى وبين انتشار اليهود فنذكر أن الدين اليهودى الذى أخذ فى الانتشار فى عهد الدولة الرومانية عامة وبعد سقوطها خاصة قد أنشأ طوائف من اليهود لا تمت إلى «بنى إسرائيل» بأوشاج قرابة ولا بصلة سوى صلة العقيدة ومن هؤلاء هذه النسبة الضئيلة من يهود اليوم الذين ينتمون إلى الفصيلة السامية ومن هؤلاء أيضا يهود العالم الغربى ، وخاصّة أوروبا الشرقية ، الذين لا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية ولا صلة لهم باسرائيل ولا بآباء إسرائيـل ولا بأبناء إسرائيل ، هؤلاء الذين طواهم تيار الغزوات المتوالية والمتتالية فى لجة التاريخ !..

ومن ثمّ !.

على هذا الأساس العلمى البحت تنهار للصهيونية الحديثة حجّة تقول بأن يهود العالم أجمَع أعضاء فى جنسية واحدة هى «الجنسية الإسرائيلية» طالما أن العلم الإنثولوجى قد أثبت بأنه ليس هناك فى «علم الأجناس» شىء اسمه «الجنسية الإسرائيلية» !..

يقيناً !.. يقيناً علمياً ، لا نقاش فيه ، أنه ليس هناك بين الأجناس البشرية شىء اسمه «الجنسية الإسرائيلية» وبهذا كان قد أقرّ ، أيضاً ،

« المجلس اليهودى الأمريكى » معترفاً :

« إن اليهودية لم تكن جنسية فى يوم من الأيام بل إنها دين والجماعات البشرية التى يطلق عليها اسم يهود هى جماعات تتمتّع بجنسية الدولة التى تنتمى إليها » !..

هذا الاعتراف بجانب ما قدّمناه من برهان أثنولوجى على انتفاء « الجنسية الإسرائيلية » عن اليهود هو بدوره جانب من الدعامة التى نستند إليها قائلين :

إن اليهود ليسوا شعباً بل طائفة دينية تضم جماعات مختلفة الأجناس من الناس اعتنقوا ديناً واحداً !.

وإذن !..

متى كان لطائفة دينية تضمّ جماعات مختلفة من الأجناس وطن واحد ؟ !.

إن يهود العالم أجمع ليسوا إلاّ طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الأجناس وليس لطائفة دينية حقوق قومية ولا حقوق تاريخية فى بلد من البلدان ومثل هذا الادّعاء لا يقره «القانون الدولى » لأنه لا يعترف بالأديان كأساس قومى ولا يقيم العلاقات الدولية على أسس دينية وإنما يعترف بالجنسيات وإلاّ لطالبت كل جماعة دينية أن تكوِّن لنفسها دولة استناداً إلى هذا القول !. وهذه هى « البهائية » يمكن أن نتخذها مثلاً .. ينتشر البهائيون فى كل ركن من أركان الأرض وينتمى أفرادها إلى جنسيات مختلفة ويمثلون طائفة دينية واحدة تستمد وجودها من مصدر إيرانى بحت فماذا يكون حكم المنطق التاريخى

عليهم إذا حاولوا التجمُّع وادعوا امتلاك إيران ؟ !.

ومن ثمّ تنهار من أساسها هذه الركيزة الثانية التى استطاعت بها الحركة الصهيونية العالمية ، تحت وهم « الجنسية الإسرائيلية » ، تجميع اليهود فى فلسطين وإقامة « دولة » لهم فيها تحت اسم «دولة إسرائيل» .. هذه «الدولة» التى يُعد قيامها افتياتاً على القانون الدولى وخرقاً صريحاً للمواثيق الدولية ! . .

وهنا نأتى إلى الركيزة الثالثة التى تمكنت بها الصهيونية العالمية من افتعال « دولة إسرائيل » بالفعل الا وهى القائلة بأن فلسطين هى «الأرض الموعودة» التى وعد بها «يهوه» إلـه إسرائيل «شعبه المختار» لتكون لهم وطناً وملكا أبدياً يشمل كل ماحوله من أراضى تمتد من الفرات إلى النيل .. وذلك على أساس ؛

« مصدر عاطفى دائم مستقل عن الزمان والمكان ، قديم قدم الشعب اليهودى ذاته ويتمثل فى الوعد الإلهى بالعودة .. ذلك الوعد الذى يرجع إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا أبدياً » !..[1]

ومن ثمَّ

وهت كل حجة فى يد الصهيونية الحديثة والصهيونية العالمية على هذا الادعاء إلا حجة واحدة بها تتشبث وهى هذه التى تتمثل فيما تحمله فى .ها من «كتاب» تحفه بالقدسية و تُسجِّل نصوصهُ « الأسفارَ الخمسة الأوّل» الممثلة للتوراة هذا « الوعد » بأرض كنعان المترامية فى أحضان الفرات والنيل !..

---

(١) « بن جوريون »

كلا !..

كلا ، ليس هذا بالقول الجزاف وإنمـا هو الواقـع المرتسم سطوراً على مدخل الـ « كنيست » ينادى :

« حدودك يا إسرائيل من الـفُرات إلى النيل !. »

ثمّ من « تل أبيب » ما زال يصيح :

« ومن البحر المتوسط حتى الفرات ، ومن لبنـان حتى نهر النيـــــل !. » (١)

لاجدال أن هذا «الوعد» مصدره «التوراة» ، ولكن !.. حتى نتناول هذه « التوراة » ونضعها ، بعد قليل ، فى ميزان التاريخ ونسلّـط عليها أشعته سابرين ماهيتها وشرعيتها من حيث الصحة والبطلان وعند ذلك تنهار من أساسها هذه الركيزة الثالثة ، نسترسل قائلين :

إننا من هنا نرى أن الصهيونية الحديثة لا تقف عند المدى الذى مكّـنها من افتعال « دولة » لها فى فلسطين وإنما هى على أساس من هذه النصوص الواردة فى « التوراة » تمادى بأطماعها إلى الاستيلاء على الشرق الأوسط بأجمعه وتستهدف مد نفوذها عـلى سائر هذه الأنحـاء التى حددتها « الأسفارُ الخمسة » ومن هنا راحت تطلق الصيحة فى كل الأرجاء قائلة بأن رقعة « الأرض الموعودة » غير قاصرة على فلسطين وإنمـا هى تشمل كل البقاع الممتدة من الفرات إلى النيل وأنّه يجب الاستيلاء على كل هذه الرقاع تحقيقاً للنصوص الواردة فى التوراة !..

وهنا نأتى إلى الركيزة الرابعة وهى القائلة بأن « يهوه » قد تعـهّد

---

(١) المصدر نفسه

بأن يرقى بذرية إسرائيل فى النهاية إلى السيادة على العالم   ومن ثمّ تكون فلسطين قاعدة الإمبراطورية اليهودية العالمية !..

نعم ، إنّ :

« على الشعب اليهودى أن يجمع قواه لتحقيق هذه الأهداف والاستعداد للوصول إلى الهدف النهائى فى بناء الدولة اليهودية التى تضمّ يهود العالم جميعاً وتحقيق النصوص الواردة فى التوراة !. » (١)

ومن ثمّ فإننا من هنا نرى أن بقاء «دولة إسرائيل» فى فلسطين لا يُعدّ إلاّ مرحلة إذا لم تُحد فستتفتق عن مراحل أخطر طالما أن الشرق الأوسط قد غدا فى العقيدة اليهودية هو الرقعة من الأرض التى منحها لهم إلههم !.   إن « دولة إسرائيل » بحدودها الحالية لا تعدّ فى النظر اليهودىّ الحديث قاعدة استقرار وإنما موطئ قدم للتحفز والوثوب ورأس جسر لتحقيق نصوص التوراة بإنشاء « الدولة اليهودية الكبرى » على قاعدة تمتد من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً !..

كلا !..

كلا ، ليس هذا بالقول العابر ولا هو بالرهل من الحديث فإنما المسمع منا قد طرقته هذه العبارات القائلة :

« إننا لم نحقق بعد هدفنا !..

نحن حتى الآن لم نحرّر من بلادنا سوى قسم واحد فقط ولذلك سنجعل الحرب حرفتنا حتى يتم تحرير بلادنا كلها   بلاد الآباء والأجداد !..

وسنحقق رؤى أنبياء إسرائيل !..

---

(١) « بن جوريون » فى عام ١٩٤٨

وسيعود الشعب اليهودىّ بأسره إلى أرض آبائه وأجداده !.. »

« بن جوريون »

هذه الأهداف التى تستهدفها هذه « الدولة » القائمة على أساس وهمى من القول بـ « الجنسية الإسرائيلية » والهادفة إلى جمع شتات يهود العالم فى « فلسطين » ثمّ إفساح حدود « إسرائيل » حتى ينفسح المجال لتوطين اليهود الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم بحيث تشمل فلسطين «التاريخية» من الفرات إلى النيل ، كانت موضوع البحث الرئيسى للمؤتمر الصهيونى الثالث والعشرين يوم عقد فى القدس ، أغسطس ١٩٥١ ، وطالب فيه ممثلو اليهود من أعضاء هذا المؤتمر :

« ألا يجبن أحد من اليهود عن الجهر بعزم الصهيونية على جمع يهود العالم فى الدولة اليهودية !.. »

وكرجع الصدى من هذا الرجاء دوّت فى أرجاء الـ « كنيست » ، عام ١٩٥٥ ، هذه الصيحة الأخرى تقول :

« إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشنّ حرباً وقائية على الدول العربية وتعمل على مدّ حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها وتحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ألاّ وهو إقامة امبراطورية إسرائيلية ممتدة الأرجاء تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع !.. »

« موسى شاريت »

ومن « تل أبيب » انطلقت صيحة أخرى تقول :

« إن إسرائيل بوضعها الحالى لا تمثل إلاّ خُمس ما يجب أن تكون

عليه أرض الآباء .

ومن ثمّ يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية !. »

« مناحيم بيجن »

والآن ؟.

الآن تدور الدّوالب الفكرية منّا ، مرة أخرى ، على هذا السؤال ؛

ما هى هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال قد سبقت منّا الإشارة إليه فى مستهل بحثنا هذا ونؤكده الآن قائلين ؛ إن تعريف هذه « الأربعة الأخماس الباقية » لا يأتينا إلاّ من الخريطة الجغرافية التى وضعها اليهود لامبراطوريتهم المرتقبة وهى نفسها الخريطه الرسمية المستعملة فى المدارس اليهودية .. فنحن لا نلقى عليها نظرة إلاّ ونعلم أن هذه « الأربعة الأخماس الباقية » هى ؛ شرقى الأردن وسوريا ولبنان والقسم الأكبر من العراق ومن أراضى الإقليم الجنوبى بما فيها سيناء كلها والدلتا المصرية ، كما تضم أراضى جنوبى العقبة بما فيها « المدينة المنوّرة » حيث يقوم « الضريح النبوى الشريف » ! .

هذه هى الخريطة الجغرافية الرسمية المتبعة اليوم فى « دولة إسرائيل » ولتدريس النشء كيما يفتح كل طفل يهودى عليها عينيه ويشحذ للغد قواه أملاً فى احتلال كل هذه الرقاع مستهلاً عدوانه على الأجـــزاء العربية من فلسطين وشرقى الأردن ، هذه الأجزاء التى تسميها هذه الخريطة ؛ « إسرائيل المحتلة من العرب !. » .

ومن ثمّ فإنّ هذه الخريطة الرسمية لـ « إسرائيل » ، بالإضافة إلى التصريحات التى مررنا بهـا والصادرة عن شخصيات لهـا اعتبارها السياسى فى سياسة « إسرائيل » ، هى إن دلت على شىء فإنما تدل على إصرار الصهيونية العالمية على ألا تقف عند حدّ إقامة « دولة إسرائيل » !. . كلا !.. وإنما هى تعلن ، صراحة ، أنهـا تترقب الفرص وتتحين الظروف المواتية لتحقيق الحـلم الـكبير من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً فى نفس الوقت الذى تستخدم فيه جميع الوسائل وتستغلّ جميع الفرص وتتزود بكل الإمكانيات لتحقيق هذا الحلم الذى بدأت ، بالفعل ، تتخذ إليه الطريق !.

أو لم نقل :

« على الشعب اليهودىّ أن يجمع قواه . . . والوصول إلى الهدف النهائى فى بناء الدولة اليهودية التى تضم يهـود العالم جميعـاً وتحقيق النصوص الواردة فى التوراة ؟ !.. » . (١)

وإذن !..

« التوراة » ، وليس إلاّ « التوراة » ، هى الباعث الأساسى لهذه الصرخة المحمومة التى تطلقها الآن « إسرائيل ! . » . « التوراة » وليس إلاّ «التوراة» بما تحمله من نصوص هى مبعث كل هذه الشرور لأنها هى نفسها الأساس الذى تقوم عليه نفس « دولة اسرائيل ! » فإن وجود هذا الشرّ المسمى « إسرائيل » فى هذه المنطقة من شرقنا العربى وتماديها فى التوسع وتحوّلها إلى التفنن فى أساليب العدوان علينا لا يقوم إلاّ على دعائم من نصوص هـذه « التوراة » وهذا مما يجعلنا نقول بأن اتجاهنـا نحو توطيد الاستقرار فى منطقة

(١) « بن جوريون »

الشرق الأوسط يحتم علينا ألا نغفل المصدر الوحيد الذى استمدت منه هذه « الدولة » الأسطورية المسّماه « إسرائيل » وجودها ومنه تستمد كيانها وقوتها وبقائها ألا وهو هذه « التوراة ! » .

أجـل . .

إنّ مما لاشك فيه هو أن تحقيق الحلم الذى طاف على الجبين اليهودى طويلا بقيام « دولة » لهم فى فلسطين يرجع إلى مساندة المصالح الاستعمارية وتأييدها كما أنه مما لاشك فيه هو أن جهود الاستعمار قد تضافرت مع جهود الصهيونية منذ أمد بعيد على ابتداع « دولة إسرائيل » وأن الصلة التى تدعمت بين هذين الجانبين من خلال الأساليب التى انتهجتها الصهيونية قد أدت إلى افتعال هذه « الدولة » التى تمكنت من أن تلعب دوراً هاماً على مسرح التاريخ السياسى والسياسة الدولية وأن تبرز على صفحة الحاضر كقوة سياسية ولكن !.. حجر الأساس فى بناء هذه « الدولة » لم يكن إلا « التوراة » ! .

هذا هو الواقع التاريخى ! ...

يقيناً !..

يقيناً إنّ هذا هو الواقع التاريخى فليس إلاّ استناداً إلى هذه « التوراة » المفتراة استطاعت الصهيونية العالمية استدرار العطف على اليهود وبرعت بصفة خاصة فى فن إثارة عواطف الشعوب فى العالم القديم والعالم الجديد حتى تمكنت من أن تدخل فى روع الجماعات أن هناك روابط دينية عميقة تربط اليهود بفلسطين كأرض هى لهم « موعودة » !.. فلقد كانت دعاياتها من التنظيم والقوة بحيث أقنعت المجموعة الكبرى فى هذين العالمين بأن هذه الأسطورة حقيقة ! . ولذلك أقول بأن كل محاولة عن امكان الاستقرار فى

منطقة الشرق الأوسط ان تأتى إلى الغد بنتيجة فاصلة طالما ظلت الشرعية الوهمية تحف بهذا المصدر الذى تتخذه « إسرائيل » سلاحاً حاداً فى يدها وسنداً لهـا فى حجتها والذى منه انتزعت الصهيونيةُ الحديثة ركيزتهـا الرابعـة والأخيرة إلا وهى القائلة بأن « الرب » قد تعهد بـأن يرقى بذرية إسرائيل فى النهاية إلى السيادة على العالم ! .

والآن ؟ .

الآن والصهيونية العالمية لا تقف عند المـدى من افتعال « دولة » لها فى فلسطين انتزعت الحجَّة على « شرعيتها » مما فى يدها من « توراة » تزعم أن دعوتها منها مشتقة وعليها مبنية . .

الآن والصهيونية العالمية تأبى إلا التمادى وهى عطشى إلى الدماء تتحول ناحيتنا بأسلحة صاغتها من النصوص الواردة فى « التوراة » وشحذت منها النصل على غلاف « التلمود » مستهدفة هتك أستارنا واستنزاف دمائنا والتضحية بنا قرابين ترفعها إلى « يهوه » إلهـها على أساس من نصوص هذه « التوراة » القائلة بأن « الأرض الموعودة » تشمل كل الرقاع الواقعة من الفـــرات إلى النيل . .

الآن ورقعة « الأرض الموعودة » قد اتسعت مساحتها فى المخيلة اليهودية اتساعاً لا يقتصر على فلسطين ولا على أنحاء من شبه الجزيرة العربية لها كل التقديس، وإنما أصبحت تطوى معاً الفرات والنيل لتكون كل هذه الرقاع بمثابة قاعدة تستطيع هذه « الحيَّـة » السامَّة الزحف منها على العالم حتى تتمّ تطويقه كله بجسدها واعتصاره عصراً حتى الإفناء لتقيم على أنقاض مدنياته

وأشلاء أهله « الأمبراطورية اليهودية العالمية » عملا بنصوص التوراة ! . .

ومن ثمّ فالآن ..

الآن ورأس هذه « الحيَّة » قد ارتفع مُرسلاً فحيحه السَّام في كل متجه بنصوص من « التوراة » فليس إلا لنجد أنه قد آن لنا أن نتناول تناولاً سابراً هذه التوراة التي لا تستمد هذه « الحيّة » حياتها إلا منها ولا يقوم لها كيان إلا بها ولا يرتفع لها رأس إلاّ على مساندها ولا يزحف لها جسد تُشكّله هذه المجموعة من « أبناء الأفاعي » ، كما تسميهم أسفارهم ، إلاّ على ما قد جاء من نصوص هذه التوراة التي لا نتناولها الاّ لنضعها في ميزان التاريخ وإلاّ لنسلّط عليها أشعته وأضواءه وليس إلاّ في هذا الميزان وتحت هذه الأشعة والأضواء نطرحها أمام الرأى العالمى ونسأل المنطق العالمى الحكم على مدى شرعية « الأرض الموعودة » وحياة « إسرائيل ؟ !. » .

التعقيب

عقيدة « الأرض الموعودة »
فى
ميزان التاريخ

إن المنطق الصهيونى العالمى الذى يرسل اليوم فى مسمع العالم فحيحه سعيراً يصيح أن فلسطين هى أرض اليهود لم يأت بجديد ، فما هذا الفحيح الذى تنفثه هذه « الأفعى » إلاَّ ترديداً لفحيح لها قديم وحديث . . . أقدمه يوم تماسكت وهى فى أسر الفرات وفى تطلع نحو وكر لها اتخــــذته من جبل صهيون راحت تنفث شرر النقمة على الفرات وعلى النيل ، وأحدثه يوم زحفت هذه « الأفعى » إلى داخل « هيئة الأمم المتحدة » ورفعت رأسها من على منبره وأطلقت فحيحها يطلب « الاعتراف » بقيام « دولة إسرائيــل » ويصيح ، شاهراً فى وجه العالم هذه « التوراة » بدعوى أنها الحجَّـة الشرعية التى تحمل نصوصها هذه المنحة الأبدية لليهود ، قائلاً :

« قد لا تـكون فلسطين لنا على أساس حق سياسىّ أو قانونىّ ولـكنها حقٌّ لنا على أساس روحانىّ .

فهى الأرض التى وعدنا بها وأعطانا إياها الله ! . »

إن هذا الفحيح وإن كان قد نفث سمّاً ولم يعن بكلمة « الله » هنا ربَّ العالمين وإنما « يهوه » إلـه إسرائيل فإنما هو فى واقع الأمر لم يقل إلا صدقاً ! . فلا سند لليهود يمنحهم فلسطين إلا هذه « الأسفار الخمسة » التى تُـكوِّن نصوصُها مادة هذا «الأساس الروحانى» الذى استطاعوا إيهام الجانب الأكبر من العالم بصحته حتى تمـكنوا من أن يقيموا عليه هذا البناء الأسطورى والوكر الصهيونى المسمى « إسرائيل . . ! » .

وهذا هو ما قد وقع بالفعل . فإن « دولة إسرائيل » ، هذه « الدولة » القائمة من نسج خرافة تاريخية كبرى ، قد أصبحت مرتعاً لهـــذه «الأفعى» التي تغافلت الأجيالُ السابقة عن سحق رأسها حتى اشتدت فاجترأت وأخذت تزحف نحونا اليوم تشهر سلاحاً في وجهنا صاغته من نصوص هذه « التوراة » وشحذت منه النصل على غلاف « التلمود » ! . .

هذا هو الواقع فانما « إسرائيل » التي تطاولت اليوم بالعدوان علينا لم تتكوّن إلا من مادة هذا « الحق الروحاني » الذي استمدته هـــــذه « الأفعى» من نصوص هذه « الأسفار الخمسة » التي تُكوّن هذه « التوراة » ، ومن هنا قلنا إن الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذي لهذا الدين اليهودي الحالي الذي بناه يشوع بن نون ، هذا السّفاح الذي بذر هــذه السياسة العدوانية في تاريخ هذه الطائفة غداة قبض على زمام الأمور في تلك اللحظة التي انحرف فيها بنو إسرائيــل عن موسى وتمردوا عليــه ودارت أعينهم بحثــاً عن رئيس حتى استقرت عليه هذا السفاح الذي أساس له العنق من هذه الجماعة إشباعاً لمـــا في نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه في معاملة من سواهم من الناس ثم راحوا يتبعون له خطوات سجلتها عليهم « توراتهم » هذه التي تتحدث عنه قائلة بأنه صعد مع موسى إلى قمة ذلك الجبل ثم عاد بدونه وأعان أن موسى لن يعود أبداً وما ذلك إلا لأنه قد خان «إلــه إسرائيل » فغضب عليه وقال له ... « اصعد إلى قمة عباريم من جبل نبو .. ومت هناك ! » .

ولـكن لما كان بنو إسرائيل قد وجدوا أن في الالتصاق باسم موسى ما يمنحهم بين الشعوب حيثية وكياناً وبالتالي وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد اتخذوا موسى رمزاً وأبوا إلا أن يظهروا بأن الأيام لا تزيدهم بموسى إلا تعلقاً وله استقطاباً وأما واقع الأمر وحقيقته فليسوا هم إلا يشوعيين قلباً وقالباً ،

حقاً ! . حقاً لقد فسق بنو إسرائيـل يومَ مالوا إلى يشوع فى ميل عن موسى لتلحق بهم لعنة هذا الرسول الكريم الذى نعتهم بالجحود ولهم ؛

« . . قال ، بئسما خلفتمونى من بعدى ! . » (١)

وأما كيف تمكنت هذه الطائفة الدينية ، أتباع يشوع بن نون ، من إيهام العالم بأنها بدينها اليشوعى هذا إلى موسى تدين ؟ فتلك بدعـة جرت بها الأقلام فى أيدى سبط يهوذا وهم فى أسر الفرات يعبّدون بها الطريق إلى إعادة « مملـكة اليهودية » من جديد فليس إلاّ ليصبغوا دعواهم بصبغة شرعية راحوا بإملاء من نزعاتهم هذه يسطرون هذه « التوراة » وينسبونها إلى موسى وهو برئٌ منها ومن كل ما جاء فيها من فحش وسفه وإسفاف وانحلال واستهتار وترّهات والتى ليس إلاّ من نصوصها ينتزع اليهود حقاً دينياً موهــــوماً فى فلسطين هو هذا الذى يدّعونه ، اليوم ، حقاً روحانياً ! . .

ومن ثمّ ! . .

من ثمّ ، فقد آن لنا الآن أن نحاصر هؤلاء اليهود أتباع يشوع ابن نون بالأدلة والبراهين ونلقى أضواء التاريخ على هذه « الحجة » التى تسجل هذا « الوعد » الذى يجعلونه قد أتى إليهم من « إلـه إسرائيل » ، ونكرّر القول من « إلـه إسرائيــل » لأننا لا نستطيع أن نغض الطرف متجاهلين ما تحمله هذه الجملة القائلة « . . . أعطانا إياها الله » من معنى نعلم به تمام العلم ، كما يعلمون هم أيضاً هذا العلم نفسه وبه يعترفون ، بأنّ المقصود بـكلمة الله هنا ليس إلاّ « يهوه » رب إسرائيل . . . فنتساءل ؛

هل لليهود حق روحانىّ ، ومن ثم دينىّ ، فى فلسطين ؟ . .

هذا السؤال هو الأخير وهو الأهمّ .. فإلى المقياس الأخير من ثمّ وإلى الحجّة الفاصلة فى « قضية فلسطين » نأتى الآن .. ومن هنا يتحتّم علينا أن

(١) الآية « ١٥٠ » من « سورة الأعراف »

نضع عقيدة « الأرض الموعودة » فى ميزان التاريخ وأن نسلط للتاريخ أشعة على هذه « الحجة » التى تحمل هذا « الحق الروحانى » سابرين ماهيتها من حيث الحقيقة والبطلان وبذلك نضع :

« الأسفار الخمسة » أو « التوراة »

تحت أضواء التاريخ

تتصدر « الأسفارُ الخمسة » الكتابَ « المقدس » للدين اليهودى الحالى والنصوص من هذه « الأسفار الخمسة » الحاملة اسم « التوراة » هى الحجة الوحيدة التى يبنى عليها يهود العصر الحاضر مطالبهم والصهاينة مشاريعهم اعتماداً على أن كل نص من نصوصها يعود إلى موسى متناسين أنهم قد رموه بالخيانة وبغضب «الرب» عليه وأنهم ليس إلا ليعطوا دعواهم الصبغة الشرعية نسبوا هذه « التوراة » إليه وجعلوا النصوص منها إملاءً صدر إليه عن «يهوه» إلــه إسرائيل !.

كلا ! ..

كلا ، لن نتناول فى هذا الصدد البحث فى أمر صدور هذه « الأسفار » عن ربّ اسمه « يهوه » لا لأننا لا نؤمن بوجود هذا الرب الخرافى « يهوه » فحسب وإنما لأن الأحرى بنا أن نبحث أولاً ونتثبّت ثانياً عمّا إذا كانت هذه « الأسفار » ، حقيقةً ، صادرة عن موسى !.

أين البرهان ؟.

عبثاً تُقَلِّب اليَدُ منّا الصفحات تلو الصفحات من هذه « الأسفار » بحثاً عن هذا البرهان فلا تعثر إلا على النقيض !..

كلا ! .

كلاّ ، لا برهان هناك يأتى من ثنايا هذه « الأسفار » على أنها قد أمليت على موسى إملاءً من غيره أو حتى أن موسى كان قد أملاها ، على غيره ، ا.. وإنما على العكس وعلى النقيض كل حرف منها يُنادى ويصرخ بالاعتراف بأن نسبتها إلى موسى إنما هى نسبة خاطئة كل الخطأ !.. لا لما تنتهى إليه من فحش القول بقذفها موسى ، عليه السلام ، بالخيانة وبغضب الربِّ عليه فحسب وإنما لأن نسبتها إلى هذا الرسول الكريم هى نسبة خاطئة من الجهة التاريخية !..

هذه هى الحقيقة الصارخة التى تطلع علينا ونحن نلقى أضواء التاريخ على هذه « الأسفار » ونتسلسل بما تحتويه من نصوص فى نسق تاريخىّ متسلسل يجعلها تفصح بنفسها عن نفسها فى اعتراف صريح بأن أكثر من مُؤلِّف من «سلالة يهوذا »وأعضاء « بيت داود » قد اشترك فى كتابتها وأن عهوداً من الزمن طوالاً كانت تفصل بينهم وبين موسى! . وبرهاننا الأول على أن هذه الأقلام اليهوذية لم تجر فى أيدى مؤلفى هذه «الأسفار» إلاّ بعدا كتساح الغزو البابلى لأورشليم وإدالة « دولة يهوذا » وحمل أبناء يهوذا أسرى من ظلال صهيون إلى ضفاف الفرات هو أنّ شرياناً واحداً يجرى فيها لا يمجد إلا يهوذا وسلالة يهوذا ولا يستهدف إلاّ إعادة « مملكة يهوذا » إلى الوجود من جديد !. واستهداف هذا الهدف هو الذى حدا بهذه الأقلام إلى تعهد فكرة « الأرض الموعودة » وإنمائها إلى عقيدةٍ أبوا الاّ تطاولاً بها على الفرات والنيل ، كما أملت ذلك عليهم عقدةٌ نفسية فى صدورهم سجلوها بأيديهم على أنفسهم يوم جلسوا فى رسف هذا الأسر على شاطئ الفرات يتأملون ما قد آل إليه حالهم من حال

ابتعث فى ذا كرتهم ذكرى حالٍ آخر مماثل كان فى أرض النيل للآباء فاستشاطت جوانبهم بنيران النقمة على النيل وعلى الفرات وراحوا بوحى من مخيلة محمومة يتخذون هذه «العقيدة» وسيلةً إلى غاية انحصرت فى إعادة بيتهم هذا ، «بيت داود» ، إلى الملك من جديد فتعود به «مملكة اليهودية» إلى الوجود !..
وهذا مما يجعل القول بنسبة هذه « التوراة » إلى موسى هو ، بعينه ، الامتراء والافتراء والبهتان ! ..

الدليل ؟ ..

إن الدليل على انتفاء نسبة هذه « الأسفار الخمسة » إلى هذا الرسول الجليل يأتينا مما تذكره نصوص هذه «الأسفار» نفسها من مجريات أحداث ومن أسماء بلدانٍ وقبائل ومن تاريخ ملوك .. ومن ثمّ حتّم علينا أن نتناول كل « سِفْر » من هذه « الأسفار الخمسة » على حدة مستهلين بالأول منها ، فنضع :

« سِفْر التكوين »
تحت أشعة التاريخ

فى هذا « السِفْر » المُسمى بالعبرية « براشيث » ، ومعناها « البدء » نسبة إلى الكلمة التى يبتدئ بها ، توجد كلمة ينهار بها الركن الأول من نسبة هذا السفر إلى موسى .. إذ يتبين لنا بها من الوجهة التاريخية أنه «سفْر» قد كُتب بعد عهد موسى بزمن غير قصير وهذه الكلمة هى :

« دان »

هذه المنطقة فى فلسطين والمسمّاة «دان» كانت تُعرف حتى «عهد القضاة» ، وعلى وجه التخصيص عهد « شمشون» ، باسمها الكنعانى «لآييش» .

وكان ، حتماً ، هذا اسمها فى عهد موسى لأنها لم تُسمّ « دان » إلا فى أعقاب وفاة شمشون سنة ١١٢٠ ق . م ! . .

البرهان ؟ . .

إنّ البرهان مُستمدّ من نفس هذا « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى والذى بـ « شرعيته » يتحدّانا الصهاينةُ ويستمدون منه هذا « الحق الروحانى » الذى له يدّعون بل ومنتزع من سابع سفر فيه وهو المسمى « سفر القضاة » . . فهذا السفر ، « سفر القضاة » ، الذى يأتى بعد « سفر يشوع » مباشرة يتحدث فى الإصحاح الثامن عشر عن « قبيلة دان » قائلا بأن هذه القبيلة قد ظلت حتى « عهد القضاة » تضرب عصا الترحال من مكان إلى مكان ويهيم أفرادها حيارى بين كل هذه الجهات حتى استقرت أعينهم فى أعقاب وفاة شمشون على «لآييش» وما ابثوا أن هاجموها وقتلوا اهلها وأحرقوها ثم بنوا على أنقاضها مدينتهم الجديدة هذه التى نسبة إلى أبيهم القبلى ، « دان» ، سموها « دانا » ! . .

وهذه هى النصوص من « السِّفْر » المُشار إليه تحدثنا كيف :

« . . هبّ الخمسة الرجال وجاءوا إلى ، لآييش » ! .

ثمّ :

« . . ارتحل من عشيرة الدانيين . . ست مئة رجل مُتسلحين بعدة الحرب وصعدوا وحلّوا . لذلك دعوا ذلك المكان محلّة دان » ! .

ومن ثمّ . .

حسب هذا التوقيت التاريخى نجد أن المؤلف الذى كتب « سِفْر التكوين» ، هذا السفر الأول من «الأسفار الخمسة» المنسوبة إلى موسى

ومن ثمّ . . .

حسب هذا الترتيب النّسبي نجد أن هذا المؤلف نفسه الذى كتب هذا «السفر» الأول من أسفار خمسة نُسبت ، زورا ، إلى موسى لم يعش فحسب فى أعقاب « عهد القضاة » وإنما هو قد شاهد « عهد الملوك » ! . لا بد وأنه قد عاش بعد أن قام ملك فى بنى إسرائيل وإلا فكيف يتسنى التحدث عن ملوك إسرائيل ما لم يكن قد قام ملك فى إسرائيل ؟ ! .

وإذن . ! .

إذن ، فمن اليقين المنطقى أن العهد الذى كُتب فيه هذا « السفْر » لا يمكن بأىّ حالٍ أن يكون العهد الذى عاش فيه موسى ! . وإلا فكيف يمكن أن تجرى على لسانه ، عليه السلام ، قائمة بأسماء ملوك أدوم ومناطق حكمهم وعلى عهده وفى زمنه لم تكن توجد تلك المناطق ولا كان لملوك أدوم قد بدأ عهد ؟ ! .

ثم ، كيف يمكن أن يجرى على لسانه ، عليه السلام ، أى ذكر لملك قام فى إسرائيل وهذا عهد بدأ بـ « شاؤل » عام « ١٠٠٧ » ق . م وتفصله عن عهد موسى فترة زمنية استوعبت حقبة من الأجيال تربو على اثنى عشر قرناً من الزمان ؟ !. .

ومن ثمّ فهذا برهان ثان يُؤيد البرهان الأول وينهار به ركن آخر من نسبة هذا «السفْر » إلى عهد موسى فى نفس الوقت الذى يرجح فيه لدينا الرأى بأنه « سفْر » قد كتب فى عهدٍ أعقب انهيار « مملكة يهوذا » وزوال ملك « بيت داود » والبرهان على ذلك كلمة نلتقطها من نفس هـــذا « السفْر » نفسه وتاريخها لا يتجاوز نفس هذا التاريخ ، وهذه الكلمة هى ،

فيهم تغلغلا وكما اتضحت عليهم معالمه بوضوح تام فيما بين منتصف القرن الثانى ق . م . إلى نهاية القرن الأول ق . م وكما سجلتها أيديهم تلك التى سطرت « المزامير » ثم « الأمثال » ثم « الجامعة » .

ويقيناً إننا على أنغام المزامير ، هذا « السفر » الذى تم تأليفه فى فى أوائل القرن الأول ق . م . ، نسمع الشفاه الفريسية تتغنى بثراء الروح ! . . وفى « الأمثال » هذا « السفر » الذى يعود تاريخه إلى منتصف القرن الأول ق . م تضرب الفريسية على تفاهة الدنيا الأمثال . . وفى « الجامعة » ، هذا « السفر » العائد بتاريخه أيضاً إلى منتصف القرن الأول ق . م . ، نرى الفريسية تشيح إشاحة . . تامة عن زخرف الدنيا وبريقها الخاطف ثم تجمع كل ما فيها جمعاً وتسميه « قبض الريح » !

وبذلك تقدم الفريسية براهينها على أن « الزهد » قد اجترفها بعيداً عن دنيا إسرائيل وعلا بها من الأرض إلى « ملكوت السماء » .

وفى الواقع أن هذه الشعبة الأخيرة هى التى كانت قد يئست مع الزمن من تجدد «مملكة يهوذا » بقوة السلاح فعاق رجاؤها بملكوت السماء ... ولكن ، لما كان التفكير الإيجابى فى « ملكوت السماء » باعثاً على التفكير فى محاولة تطبيق قوانين هذا الملكوت على الأرض فليس إلا لتستشعر فى نفسها أن أمامها واجباً عليها أن تؤديه . وأن هذا « الواجب » الذى ينحصر فى إقامة العدالة على الأرض يدفعها إلى الإصلاح الدينى وهذا يتمثل فى وجوب تعديل شرائع هذا الدين الدموى حتى نسخه عن طريق هذا التعديل وذلك بالحدّ من سلطة الكهنوت أو بالأحرى سلطان « بيت صدوق » ..

لاجدال فى أن هذا «الواجب» الذى كان نفسه الدافع إلى كتابة «المزامير»

« الـكلدان »

يتحدث مؤلف « سفر التكوين » فى إصحاحه الحادى عشر قائلا بأن « أبرام » قد خرج من « أور الـكلدانيين » . . ولما كان هـذا الاسم ، الـكلدان ، لم يعرف فى صفحة التاريخ الجغرافى إلا بعد أن سقطت « نينوى » عام ٦٠٦ ق . م فإن هذا يؤكد لدينا اليقين بأن مؤلف هذا « السفر » قد عاش فى فترة زمنية جاءت حتما بعد أن انتهى الوجود السياسى لأشور وحل الـكلدانيون محل الأشوريين ! . وبما أننا نعلم أن الـكلدانيين قد حلوا مـكان الأشوريين لمدى ثلاثة أرباع قرن من الزمن « ٦٠٦ — ٥٣٩ ق . م » وأن بابل قد استعادت فى خلال ذلك مكانتها السياسية القديمة كعاصمـة للعالم السامى فـكنت ملـكها « نبوخذ نزار » الثانى من تحطيم أورشليم سنة ٥٩٦ ق . م ونقل من نَقلَ من أهل اليهودية فى أصفاد الأسر إلى ضفاف الفرات وأن فى خلال هذه الفترة الزمنية المشار إليها آنفاً قد عرف العالم القديم اسم « الـكلدان » وطلع على التاريخ اسم « الـكلدان » فإننا من هنا نستطيع أن نقول إن هذا « السفر » ، « سفر التكوين » ، لا يعود بتاريخه إلى عهد موسى ولا صلة لموسى به على الاطلاق ! . .

والآن ؟ . .

الآن ، وقد انهار الركن بعد الركن من بناء هذا « السفر » الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة إلى موسى فتصدع الصرح نفسه من « عقيدة الأرض » بل وتقوض ووقفنا على أساسٍ له لا يعود إلّا إلى عهـد متأخر عن عهد موسى ، أفلا نستطيع أن نُعلى الصوت قائلين إن الشرعية تنتفى عن « سفْر التـكوين » انتفاءً قاطعا لا شك فيه ؟ ! .

ومن ثمَّ . .

ما هو حكم المنطق العالمى على دعوى اليهود ومطالب

وإنما لأن هذا « الملكوت السماوى » سيجىء لاقتلاع فساد هذا الكهنوت ويمحق ضلاله من الأرض ويستبدل بربوبيه هذا الرب المحب لرشاش الدماء وريح القتر والقاصر على إسرائيل ، رباً آخر هو إلـه العالمين ورب الأرض والسماء !. لذلك لن يحتاج « المخلص » إلى مسحة من هذا الكهنوت فإنما هو سيكون « الممسوح من الرب » ! .

ولكن ! . . .

لماذا يستهزئ « بيت صدوق » ؟ . .

إن اليد الكهنوتية وإن كانت قد غيبت عن أورشليم « مخلصها » الذى كانت تراه مجسداً فى شخصية «زربابل» فإنما عن الأذهان التى كانت قد هيئت لقبول هذه الفكرة لم تغب ، قط ، هذه الفكرة عن البال !.. بل بالعكس بدأت رياح الزمن تنحسر عن هذه الجذوة وترسلها لهيباً وكأنها ألسن تنادى بأن إلى ظهور هذا الممسوح من رب العالمين ، هذا المسيح ، تنادى حاجة الزمن فى أورشليم والأيام تسير بها من بداية القرن الأول ق . م . حتى منتصفه وعلى وجه التخصيص غداة امتد الظل الرومانى عليها بل وليشتد من هذا النداء الدوى منذ هذه السنة ، ٦٣ ق . م ، السنة التى أصبحت فيها اليهودية ولاية رومانية حتى سنة ٣٧ ق . م . فلقد اشتد بالزمن هذا الإرهاص لاسيما والعهود الهيرودية قد بدأت فى الانتشار . . .

والواقع أن العهود الهيرودية قد ضاعفت هذا الإرهاص فقد قام على عرش اليهودية هيرود الأكبر ، ٣٧ ق . م . — ٤ ق . م ، وبذلك قام بيت مالك جديد يعود بنسبه إلى « أدوم » .. و «أدوم» وان كان أخا يعقوب فإنما سلالة أدوم غير سلالة يعقوب وغير سلالة يهوذا الابن الرابع ليعقوب أو

الصهاينة ومطالبهم ودعواهم ليست إلا من هذا «السفر» نابعة ، وعلى الإصحاح الخامس عشر فيه إنما عقيدة « الأرض الموعودة » قائمة ؟ ! .

ما هو حكم الرأى السياسى على « دولة » لم تتخذ مبدأ وجودها إلا على أساس من هذا « الحق الروحانى » وسجله هذا النص الأسطورى الوارد فى الإصحاح الخامس عشر فى نفس هذا « السفر » وهو الذى جاء فى صورة ذلك « الميثاق » ومكانه كان رحاب المنام آمراً بأخذ « عجلة وعنزة وكبش وحمامة ويمامة » علامة على منح حفنة من الناس ، لا وجود لها اليوم فى صفحة الزمن ، كل رقاع هـــذه « الأرض الموعودة » و «من نهر مصر إلى نهر الفرات » ؟ ! .

ثم . . . ما هو حكم أتباع يشوع بن نون ، هؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود أنفسهم ، على هذا « السفر » . . هذا «السفر» الذى يحملونه بيدهم ويقدمونه للعالم بدعوى أنه الحجة الشرعية التى تسجل لهم «حقاً روحانياً» جاء وعداً فى منام ولفئة من الناس طوتهم راحة الزمن وانسدل عليهم جفن الأيام ؟! كلا وليس هذا فحسب وإنما هذا « الوعد » الذى جاء فى منام ولجماعة لا تربطها بهؤلاء الأدعياء إلا صلة العقيدة الدينية لم يكن فى واقعه إلا حلماً حاكته عقدة نفسية عقدها الأسر البابلى فى صدور أصحاب « مملكة اليهودية » من أعضاء « بيت يهوذا » أنفسهم ! .. فهو حلم طاف على جبين سلالة يهوذا وهم فى الأسر البابلى قد جلسوا على شـــاطىء الفرات يتذاكرون حالا راهناً لهم تساوى فى نظرهم بحال آباء لهم وأجداد عاشوا الزمن ، أيضاً ، مستعبدين على ضفاف النيل ... تماثلت الحالتان فى المخيلة الأسيرة بينما كان الأمل بإعادة « مملكة يهوذا » والعودة إلى صهيون يراود من أصحاب هــذه المخيلة الجنن فهدرت

إسرائيل .. ومن ثمّ فهذا « بيت » قد اغتصب عرشاً كان وقفاً على « بيت داود» حفدة يهوذا ابن إسرائيل وساعده على هذا الاغتصاب هذا الكهنوت من بيت صدوق عمال هؤلاء الرومان الذين أقاموا هيرود هذا عنهم قيلا ، وقد كان من قبل لهم حليفاً ، كما ينفذ قضاء الرومان فى اليهودية . بل وإن هذا الإرهاص ليشتد عن ذى قبل شدة والأيام فى هاوية الزمن تتهاوى من هيرود إلى هيرود فيجىء هيرود الثانى ، ٤ ق . م . — ٣٧ ب . م ، وتبدأ مراجل الثورة النفسية فى الاشتعال ! . فالاجتماعات السرية تعقد وإلى أورشليم تبعث بشرارها من الجليل وما حول الجليل وأما الصوت الذى انطلق غير هياب فكان صوت « يوحنا المعمدان » الذى انساب من « الجليل » فى غضون هذه الفترة الزمنية القلقة يعلن :

لقد آن مطلع « المسيح »

ومن هيرود الثانى عومل يوحنا معاملة المتمردين على العرش فقتل، بَيْدَ أنّ مصرع يوحنا جاء يرجع صداه من الجليل ليطوف بأورشليم معلناً :

لقد طلع « المسيح » ! .

على صفحات التاريخ منتشرة أحداث اليهودية فى غضون هذه الفترة الخطيرة من التاريخ السياسى والدينى والتى تفتّقت عنها الأيامُ التى جرت عبرَ العهود الهيرودية من هيرود الأكبر إلى الرابع ممن حمل نفس الاسم ، من ٣٧ ق . م ، إلى ٧٠ ب . م . ، وكأنما كل سطر فيها قد خط من غيوم تلبّدت ينبعث من ثناياها همس راعد يتمتم باسم :

الصدور بحمم النقمة على النيل معاً والفرات وجرت الأقلام فى اليد المحمومة بإملاء من خيال جامح تسطّر بدعة « الأرض الموعودة » وتمدّ رقعة هذه الأرض من الفرات إلى النيل ! .

والآن ! . .

الآن وقد تبيّن لنا أن «السفْر» الأول من هـــذه « التوراة » ، التى يعتبرها يهود العالم صكا فى أيديهم يمنحهم امتلاك كل الرقاع المرتسمة فى إطار الفرات والنيل ، ليس من الوجهة التاريخية إلاّ صكاً باطلا تنقضه من الأساس نفسُ نصوصه التى لا تمت إلى موسى بصلة على الإطلاق ، كلا ، وليس هذا فحسب وإنما هو صك خرافى كتب بقلم يهودى فى غضون أسر الفرات وبإملاء خيالٍ طاح إلى الماضى فتذكر عهداً كان لآباء له وأجداد طواهم فيه أسر النيل لأجيال فهب محموماً ينادى بأنه سيطوى معاً النيل والفرات ، فليس إلا لنتبين مدى ضعف الدعائم التى تستند إليها الصهيونية العالمية وميد الأسس التى يرتكز عليها بناء « دولة إسرائيل » وليس إلاّ ليتلاشى من جبهة العالم ، بتلاشى القدسية عن هذا السفْر ، وهم هـذا « الحق الروحانى » فيتلاشى بذلك لهذه « الدولة » الأسطورية وجود لا يقوم إلا على أساس من هذا « الحق الروحانى » الموهوم ! . .

والآن نتناول السفر التالى من هذه «التوراة» فنضع ؛

« سفْر الخروج »

تحت أشعة التـــــاريخ

فى هذا «السفر» المسمى بالعبرية «شموث» ، ومعناها أسماء ، توجد كلمة ينهار بها الركن الأول من بناء هذا « السفر » إذ يتبين لنا بها أن نسبته إلى

بالدين المسيحى وأنّ المسيحية منها براء ! . . بل وإنها المؤامرة تتجاهل هـذا « الـكتاب » الذى تُحترم نصوصه من جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم ، وإصدار قرار يتعارض مع نصوصه ليس إلا مؤامرة سياسية يؤكدها أن أصحاب هـذا القرار من دول خلقت إسرائيل واغتصبت لها الأرض العربية وشردت أهلها وأبرزتها إلى الـكيان السياسى بقرار هذه الدول الاستعمارية لحمايتها ثم أرادت أن تدعم كيانها السياسى بقرار دينى ! . . فهى من ثمّ ، بدعة مغرضة ! . بدعة مجاملة الصهيونية على حساب دين كانت دعوة صاحبه أن آمنوا برب هو إله الجميع هى فى نظر اليهود جريمة كبرى استحق أن يحكموا عليه من أجلها بالإعدام !

وإذا قال قائل إن اليهود الذين كفّروا السيد المسيح عاشوا منذ حوالى ألفى عام وإن يهود « إسرائيل » اليوم أبرياء من « دم المسيح » ، أجبنا بالقول إن إصرار اليهود على رفض الاعتراف بالمسيح وعدم إيمانهم به هو وحده البرهان الدامغ على حملهم هذه المسئولية ذاتها ! . . وهذا ممـــا يجعل أى وثيقة لا تتفق جملة وتفصيلاً مع نصوص « العهد الجديد » ليست فى واقعها إلا بدعة مغرضة ! . بدعة مجاملة الصهيونية عن طريق تزييف التاريخ ! . هل ضاقت الدنيا فى وجه المجمع السكسونى فى دورته الثالثة بمدينة روما عندما أنهى البحث فى وثيقة الـكاردينال « بيا » ، أو وثيقة تبرئة اليهود من « دم المسيح » ، فلم يجد من وسيلة يناصر بها إسرائيل سوى التجنّى على التاريخ ؟ !.. هذا التاريخ الذى يبدأ عندما بين يشوعيين فى جانب ويسوعيين فى جانب آخر استهلت أورشليم القرن الأول الميلادى . . هذا القرن الذى لم تكن مجريات الأحداث السياسية والدينية فى خلاله إلا أشد خطورة مما قد سبقه من

موسى ، عليه السلام ، إنما هى نسبة خاطئة أيضاً من الوجهة التاريخيـة ، وهذه الـكلمة هى :

« فلسطـــــــين »

هذه المنطقة من الشرق الأوسط كانت تعرف فى التاريخ القديم باسم « أرض كنعان » وكان ، حقاً ، هذا اسمها فى عهد موسى ، عليه السلام ، لأنها لم تسم « فلسطين » إلاّ بعد الغزو الـكريتى بأجيال ؛ الغزو الذى وإن كان قد بدأ سنة ١٢٠٠ق . م فانما هذا الاسم ، فلسطين ، لم يطلع على صفحة التاريخ الجغرافى إلا بعد أن قويت قبيلة «فيليستيا» ، وكانت بين هذه القبائـل اليونانية التى جاءت عبر كـريت ، حتى استطاعت إخضاع الـكنعانيين وحتى أمكنها أن تطلق اسمها على جميع هذه الأراضى الساحلية والداخلية التى كان يسكنها الـكنعانيون ! . .

ومن ثمَّ . .

حسب هذا التوقيت التاريخى نجد أن المؤلف الذى كتب هذا «السفر» الثانى من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، زوراً ، إلى موسى لا بدّ وأنه قد عاش فى فترة زمنية جاءت بعد أن سادت قبيلة « فيلستيا » على جميع تلك القبائل وتمكنت من السيطرة السياسية على كل هذه الأرجاء ، وهذا مما يجعلنا نقول بأنّه من المستحيل ، تاريخياً ، أن يـكون موسى صاحب هذا السفر !

كلا ؛ ولا يمكن بحال أن يكون صاحب تلك النصوص التى جاءت فى الإصحاح الخامس تقول بأنه قد رفع هذه الترنيمة إلى « إله إسرائيل » متغنياً ؛ « أرنّم للربّ فإنّه قد تعظّم .. تأخُـذ الرعدة سكان فلسطين » ! . .

لا جدال ، من ثمّ ، فى أن الاعتقاد بنسبة هذا « السفْر » إلى موسى ، عليه السلام ، هو فى الواقع الوقوع البيِّن الغلط فى التاريخ ! .

ثمَّ ..

ثم ، إلى جانب هذا البرهان يأتى برهان آخر مستمد ، أيضاً ، من نفس هذا « السفْر » ومكانه الإصحاح السادس عشر القائل :

« وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة . أكلوا المنّ حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان ! .. »

ومن ثمَّ ..

إذا كان موسى ، وفقاً لنصوص أخرى ستوافينا بعد قليل ، قد توفى فى موآب وأرض موآب كانت غير عامرة ولا تقع فى طرف أرض كنعان ولم يكن إلاّ يشوع بن نون هو الذى بلغ بهم هذه الأرض العامرة وجاء بهم إلى طرف أرض كنعان فيكون الاستحالة بعينها أن موسى ، عليه السلام ، هو صاحب هذا « السفْر » ! . وإلا فكيف يتسنّى لمتحدث أن يتحدث عن حدث حَدَث بعده بسنين إن لم يكن بقرونٍ أو بأجيال ؟ ! .

ثمّ ..

ثم إلى جانب هذا البرهان يأتى ، أيضاً ، برهان ثالث وهذا ينبع من تاريخ كتابة اللّغة العبرية نفسها .. إن الكتابة فى اللغة العبرية حديثة العهد نسبياً لأنها لم تُبتكر إلاّ بعد عهد موسى ببضعة قرون . ومن ثمَّ فما هو حكم التاريخ اللغوى على هذا النصّ الذى يجئ فى الإصحاح الرابع والثلاثين من نفس هذا « السفر » يقول بأن موسى قد :

« .. كتب على اللوحين كلمات العهد ؟ ! . »

قرون . .   لا لأنَّ هناك كان الذين نبذوا ظهرياً دين يشوع واعتنقوا ديناً مبادىء يسوع ... كلا ! . فإنَّما هؤلاء كانوا قلة وتاريخهم الحيوى كان لم يبدأ بعد   وإنما لأن هناك كانت تلك الكثرة من أهل اليهودية التى رفضت مسيحية يسوع ، عليه السلام ، بينما علقت أنظارها بالمستقبل تنتظر ظهور «المسيح المنتظر » ! . . ومن غريب المفارقات أن تصبح على رأس هذه الكثرة طبقة الكهنوت نفسها التى نجدها قد اعتنقت نفس هذه العقيدة وراحت تحاول استغلالها لتدعيم مركزها الدينى ! . .

واعتبر الحكم الرومانى ذلك تحدياً له فثار ضد اليهود جميعاً ! . . وهاجم «تيطس» اليهودية واحتل أورشليم ودمرها وهدم المعبد الثانى من جديد وقتل مَن تمكن من قتله من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة فليس إلا ليبدأ تاريخ التشتت فى أرجاء الأرض . . فكان هذا الحدث ، الذى استغرق مرحلة من الزمن ، ما بين سنة ٦٦ م . إلى سنة ٧٠ م ، إيذاناً ببداية نهاية التاريخ اليهودى من فلسطين ..   وأما النهاية الحاسمة فقد جاءت إثر تلك الأحداث الدامية فى تاريخ أهل اليهودية وكانت آخر محاولة يهودية جاءوا بها لإحياء تراثهم فى فلسطين وذلك عند ما أعلن بعض يهود القدس العصيان على الرومان ودعوا لقيام دولتهم من جديد وقام « باركوشباس » ، ابن النجم ، ينادى بأنه هو « المسيح المنتظر » .. فهاجمهم «هادريان» ، ١١٧ — ١٢٨ م ، واحتل المنطقة اليهودية فى القدس ودمرها تدميراً وقتل مَن تمكَّن من قتله من اليهود . . وأما ما كان قد تبقى من آثار المعبد الثانى فقد قوضه تقويضاً ثم بنى مكان مدينة القدس مدينة جديدة سماها « إيليا » حرَّم على اليهود سكناها . . . . وبعد هذه المحاولة لم تقم لليهود فى فلسطين قائمة ولم يظهر لهم

فيها أى نشاط سياسى حتى العصر الحديث . .

هذا هو الواقع التاريخى لتاريخ هذه الجماعة من أتباع يشوع ابن نون وتبّاع دينه والذين لم يبق منهم من « بيوت إسرائيل » الاحفنة وأمّا العدد الأكبر من هؤلاء اليهود فكان قد تألّف من الذين كانوا قد تهودوا ... وهؤلاء هم الذين قد راحوا ، فراراً من الجحيم الذى استعر حمه فى فلسطين إثر الغزو الرومانى وهدم ، « المعبد » يبدأون تاريخ اليهود وقصة التشتت فى أرجاء الأرض. لا تجمع بقمسة الأفرادَ من هذه الجماعة الدينية إلّا لتستدير حلقاتهم من حول هذه الأسئلة :

أين أورشليم ؟ . .

وأين صهيون ؟ ! .

وأين « بيت الرب » ؟ ! ! . .

وأين ؟ ! . .

أين « الأرض الموعودة » ؟ ! ! . .

لقد هوت أورشليم فهوت الجامعة الوطنية وهوى « المعبد » فهوى النظام الكهنوتى وفصمت عرى الوحدة التى كانت تصل اليهودى باليهودى ، ولم يعد شىء يربط هذه الجماعة إلا الذكرى . . .

والذكرى ؟ . . الذكرى حالة نفسية تمر بها الجماعات كما يمر بها الأفراد وتعتصر الفكر لدى مغيب كل أمنية ولا تعتصره إلا لتطارق من حوله مطارق الحـــزن .. والحزن إذا ما طرقت الفكرَ مطارقه فليس إلا ليبتعث ما تطويه الذاكرة من أصوات وما يحوم فيها من أطياف . .

« م — ٢٥ »

كيف يتسنى أن يكون موسى ، عليه السلام ، قد كتب كتابة لم تكن قد تكونت بعد والحروف منها لم تكن قد خطت على صفحة التاريخ ؟!.

ثمّ . .

ثمّ ، إلى جانب هذا البرهان على حداثة هذا « السفْر » يأتى برهان آخر وهذا تمثله مجموعةُ الإصحاحات التى تُكوّن نفس « سفْر الخروج » . . .

يحدثنا هذا «السفْر» بأن « الربّ » قد كلّم موسى ، فى خلال ذلك التيه لأربعين سنة فى الصحراء ، قائلا بأنه قد عين « بصلائيل » من سبط يهوذا صائغاً ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب.. وأنه على الفور صدع بالأمر وبدأ فى عمل أكاليل من الذهب الخالص وصحاف وصحون وكاسات من ذهب نقىٍّ وسلاسل مجــدولة من ذهب نقى وجلاجل من ذهب نقى وصفائح من ذهب نقى ومنارة من ذهب نقى ومائدة رُصّت عليها أوانيها من ذهب نقى ! .

ما هذا الخلط ؟ ! .

كيف يتأتى لهؤلاء الذين كانت تتقاذفهم متاهاتُ الصحراءِ أن يصوغوا كل هذا الذهب ؟ ! . بل ومن أين كان لهم كل هذا الذهب ؟ ! .

وكيف يتأتى لهؤلاء الذين كانوا لا يجدون إلا « المنّ» طعاماً أن يصوغوا المائدة أدوات كلها من ذهب ؟ ! .

ثم ! . .

من أين كانت هذه الحجارة الكريمة التى يكيلها كيــلاً الإصحاحُ السابع والعشرون من هذا « السفر » ؟ !.

من أين كان لهؤلاء كل هذا الزبرجد والزمرد والياقوت الأصفر والياقوت الأزرق ؟!.

من ثم !.. فلا جدال فى أن المؤلف الذى كتب هذا « السفر » لا بد وأنه قد عاش فى فترة من الزمن متأخرة بكثير عن فترة ذلك التيه الذى يحدثنا عنه ! . . بل لا بدّ أنه قد عاش بعد انهيار « مملكة يهوذا » وأمسى ذكر الصحاف من الذهب والحلى من الأحجار الكريمة التى كانت لملوك «يهوذا» مادة لسطوره هذه التى أبى بها ، أيضاً ، إلا أن يفرغ كل ذلك فى يد واحدٍ من أبناء يهوذا . . ولما لم يجد من اليهوذيين أحداً فى عهد موسى إلاّ « بصلائيل » فقد جعله صائغاً وأفرغ بين يديه كل ذهب وجوهر « مُلاك يهوذا » ! .

ثمَّ . .

إلى جانب هذا الحديث عن الجوهر وعن الذهب يحدثنا نفس هذا المؤلف عن لون آخر من البذخ مادته تلك الثروة الحيوانية التى يدّعى أنها كانت لبنى إسرائيل خلال تلك المسغبة التى يحدثنا نفس هذا المؤلف عنها ويقصُّ علينا كيف كابدوا متاعبها فى تلك المتاهات حيث عضهم الجوع واشتهوا اللحم ولم يجدوا إلا « المنّ » قوتاً ! . .

يزخر « سفْر الخروج » بأصناف من الضحايا التى كانت ، على حدِّ قول مؤلف هذا « السفْر » ، تجىءُ بها تلك الجماعات إلى باب « خيمة الاجتماع » من ثيران وبقر وكباش وماعز وغنم وتيوس ودجاج وحمام ويمام ومن طواجن ومن أقراص الفطير ومن رقاق الفطير ومن الدقيق الملتوت بالزيت . .

إننا لنتساءل ؛

من أين كان لهؤلاء الذين شحّت عليهم السماء

تحت ضغط من دوافع هذه العوامل النفسية تناولت اليد اليهودية، حيثما كان مكانها من الأرض، الحلقة التى تصلها بالماضى.. هذه الحلقة المتمثلة فى « الأسفار الخمسة » والتى كان قد أصبح عليها علماً اسم : « التوراة » .. وما انحنى القلب اليهودى يراجع فى هذه « التوراة » ماضيه الا وبدأ التهامس يدور فى فى مجتمعاتهم بنغمة واحدة ترت تُردد :

إذا كانت أورشاليم قد هوت فليس ذلك إلا لفترة وإذا كان « المعبد » أيضاً قد قوض فليس ذلك أيضاً إلا لفترة .. فترة ، قد تطول ولكنها حتما ستنتهى يوماً طالما أن اليد تمتلك هذه « الأسفار » !. هذه « التوراة » القائلة بـأن فلسطين ، بل وليس فلسطين وحدها فحسب وإنما كل الأراضى الممتدة من الفرات إلى النيل ، هى « منحة » لبنى إسرائيل ! .

وهكذا جاء انتشار أتباع يشوع بن نون فى الأرض بمضاعفة تسييج هذه « الأسفار الخمسة » بالقدسية لاعتبارهم إياها حجة شرعية على تمليك بنى إسرائيل فلسطين . . . ناسين ، فى حمى التمسك بهذه « الأسفار » ، أن هذا الاعتبار نفسه ينقض دعوتهم من أساسها ، وهذا لأمرين . .

أولا ، هذا « الوعد » جاء قاصراً على بنى إسرائيل وحدهم وهؤلاء كانوا قد طواهم الزمن منذ أباد الغزو الأشورى « القبائل العشر » من صفحة التاريخ ومحا من هـذه الصفحة شيئاً اسمه إسرائيل وبالتالى ، منذ حمل الغزو البابلى القبيلتين الباقيتين من سلالة يهوذا وبنيامين ، وهؤلاء لم يعد منهم إلا قلة تناولها ، أيضاً ، التيار الزمنى بالتلاشى . . وهذا مما يجعل هذا « الوعد » حتى ولو كان صحيحاً ، وهذا مجازاً ، يعتبر لاغياً من الوجهة الشرعية إذ لا صلة دم تربط هذه الجمـــــاعة من سلالة آباء كانوا قد تهودوا

إلا من قطرات «المنّ» ، هذا الثراء الغذائى فى ألوان المأكل وأصناف اللحم؟!.

كيف أمكن أن يكون ذلك فى فترةٍ رفّت فيها مجاعةٌ طاحنة وأن تكون هذه الثروة الغذائية فى متناول أيدى جماعة جائعة ضالّة فى صحراء لا تجد فى فيافيها غير المنِّ طعاما وغذاءً ومأكلاً ؟!.

وإذن !..

ما هو حكم المنطق العالمى على هذا « السفْر » المنسوب زوراً إلى موسى ولليهود الصهاينة دعاوى وللصهاينة اليهود مطالب ليست إلا من وهم القدسية التى تحفّ بهذا « السفْر » مستمدة ونابعة ؟..

ما هو حكم العقل على هذا « السفْر » وليس إلا من سراب القدسية التى تُكونه قد تكونت عقيدة « الأرض الموعودة » ؟!.

وما هو حكم الرأى العالمى على جماعة هى بهذا « السفْر » تتشبث وله بالقدسية تغلف وفى وجه العالم تشهره حجّة شرعية تدعى بها «حقاً روحانياً» لها فى أرض تترامى فى أحضان الفرات والنيل ؟!.

ها هو ذا « سفْر الخروج » أمامكم وقد خلا من كل منطق فأى منطق ، بعد ذلك ، هذا الذى يقول بقدسية « سفْر » لا يعود إلى موسى ولا منطق فيه ؟!.

والآن..

الآن وقد أذابت أشعةُ التاريخ القدسيةَ الوهمية التى أحاطت بهذا « السفْر » فذابت بذلك الشرعية عن هذا السفر الثانى من أسفار هذه التوراة المفتراة فليس الا لنجد أنه قد آن لنا أن نتناول « السفْر » الذى يتلوه

واتبعوا دين يشوع بن نون بأبناء إسرائيل الذين كانوا قد تناولهم الزمن بالفناء إلا من قلة تغيب فى هذه المجموعة من أدعياء النسب إلى إسرائيل ! . .

والأمر الآخر هو ؛ أنّ هذه « الحجة » تعتبر من الوجهة التاريخية غير شرعية ومن ثمّ لاغية وذلك لأن هذه « الأسفار الخمسة » مفتراة على موسى وعليه مزورة ! . .

وهنا نتساءل ؛ أغابت ، حقاً ، عن هذه الجماعة هذه الحقيقة ؟ . .

يقيناً إن هذه الحقيقة وإن غابت عن الناحية الجماعية فى هذه الجماعة فإنما هى عن الناحية المثقفة فيهم لم تغب ! . والبرهان على ذلك مستمد من نفس التاريخ الفكرى لذلك العصر الذى كان العقل الإنسانى فى خلاله يسجل خطواته الفلسفية فى اليونان الصغرى وفى اليونان الكبرى وخاصة فى الأسكندرية . . فهناك ، وتحت أشعة ذلك العصر الفلسفى وأضواء العلم اليونانى تداول العقل اليهودى هذه « الأسفار الخمسة » وما تصفّحها إلا وبدأ يتطرق الى تفكيره الشك فى كل ما احتوته من نصوص !..

كل ما فى هذا « الكتاب المقدس » تنقضه نقضاً صريحاً هذه الفلسفات وهذه العلوم !..

كل ما فى « الكتاب المقدس » من نصوص قد أترعتها الأغلاط والتّرّهات كما أترعها السفه والفحش والانحلال ! .

وفى الواقع أن هذا الشك الذى تمثّل ؛ « فيلون » فى القرن الأول الميلادى كان قد بدأ قبل ذلك بزمن غير قصير ذلك عند ما بدأ اليهود فى

وبذلك نضع :

« سِفْر اللاّويين »
تحت أشعة التاريـــــــــخ

في هذا « السفْر » المسمى بالعبرية « ويقرا » ، أى « ودَعَـا » ، توجد كلمة ينهار بها الصرح نفسه من هذا السفر ، إذ يتبين لنا بها أنه « سفْر » ، كسابقيه ، باطل النسبة إلى موسى وإلى عهده ، عليه السلام ، بتاريخ كتابتـه لا يعود . . وهذه الـكلمة مكانها الإصحاح الخامس القائل بأن « الربّ » قد كلم موسى قائلا :

« . . إذا خان أحد خيانة . . . يأتى إلى الربّ بذبيحة لإثمـه كبشاً صحيحاً من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس ! . »

من المعلوم أن مدينة القدس لم تـكن قد فتحها اليهود بعد كما هو المفروض عندما جاء هذا النصّ المنسوب إلى موسى . ولما كنا نعلم أنه لم تضرب في القدس عملة إلا بعد أن احتـلّها اليهود فيكون الـكلام في عملتهـا مقدماً خطأ في الترتيب الزمنى للحوادث ! . . ومن ثمّ فيقيناً أن المؤلف الذى كتب هذا « السفْر » لا بدّ وأنه قد عاش في فترة من الزمن جاءت بعد أن دخل اليهود القدس وضُربت في القدس عُمـــلة . . وعلى ذلك يكون هذا « السفْر » باطل النسبة إلى موسى ولا يمـكن بأىِّ حال أن يكون صاحبه موسى ! . .

والآن . .

الآن وقد أذابت أشعةُ التاريخ القدسيةَ عن « سفْر

الأسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد بترجمة « العهد القديم » إلى اليونانية وأتموها حوالى سنة ٢٥٠ ق . م فنحن نرى من هذه الترجمة ، التى عرفت بالترجمة السبعينية ، أن رياح الشك قد عصفت بمترجميها وإلا لما كانت هنالك كل تلك الشروح والتعليقات التى رأوا أن يضيفوها كيما يُفهم المعنى من وراء النصوص من هذه « الأسفار الخمسة » ! . . فمن هذه الشروح والتعليقات تطلع علينا تأويلات غريبة واستعارات بعيدة عن ظاهر العبارات وما يشبه الخيال من صور مجازية وكنايات خفية على النحو الذى أفاض فيه من بعد « فيلون » . . ومثلا على ذلك ما تأتى به إلينا الشروح التى أضيفت إلى السفر الأول من هذه الأسفار والتى تستهل سطورها بهذا القول : إن سفر التكوين لا ينبغى أن يؤخذ على ظاهره الساذج هذا وإنما ينبغى أن يفهم أن له معنى آخر خفياً ! .

وأما ما هو هذا المعنى الخفى فهذا ما قد تناوله من بعد « فيلون » عندما راح يلجأ إلى « بدعة التأويل » محاولاً تأويل ما قد جاء فى هذا « السفر » من قصص أتى فى تأويلها بأخطاء أفدح منها ! . لا لأنه قد خرج بهذا التأويل عن درجة النزاهة فحسب وإنما لأنه قد أظهر بذلك شكه من حيث أراد له إخفاء .

هذا المنهج هو الذى انتهجه الفكر اليهودى عندما أدرك ما يحتويه هذا « الكتاب المقدس » من سفه وفحش وانحلال وترّهات وأباطيل وهذا هو المنهج الذى انتهجه اليهود وظهر عليهم واضحاً بعد هدم « المعبد » وطردهم من فلسطين فلقد تغافلوا تغافلا بيّناً عن كل ما جاء فى « الأسفار الخمسة » من أغلاط تاريخية واستخدموا « المنهج الفيلونى » منهجاً فى تفسير ما يصطدمون به من نصوص « كتابهم » هذا مستهدفين بذلك هدفاً سياسياً

واحداً هو احتلال فلسطين من جديد ! وأما كيف يمكنهم الاستيلاء من جديد على فلسطين فليس إلا عن طريق إيهام العالم بأنهم لموسى أتباع وأن هذه الأسفار لموسى أسفار .. ففى هذا ضمان أمام الرأى العالمى يكفل لهم الحق فى مطالبتهم بهذه البقعة من الأرض كوعد روحانى جاءت به إليهم هــــذه « التوراة » !..

والواقـــــع ؟ ..

الواقع هو أن هذه الجماعة لا تعود إلى موسى بدينها لأن هذه « الأسفار » التى بها تدين ليست لموسى أسفاراً ! . .

الواقع هو أن هذا « الوعد » لا يحمل أية صبغة شرعية قط ! . . لا لأن هذه « الأسفار » لا تعود إلى موسى فحسب وإنما لأنه « وعد » جعلوه يجىء على لسان « يهوه » إلـه إسرائيل وهذا رب لا صفة له عالمية قط ولا يتصف إلا بالمحلية كما بذلك يطلع علينا « السفر الثانى » من هذه « الأسفار الخمسة » وكما تؤكده بقية هذه « الأسفار » وإن كان عن هذه الحقيقة يتغافل اليهود عمداً، وكى يعطوا دعواهم صبغة شرعية راحوا يُوهمون العالم بأنهم إذ ينادون « يهوه » فلا يعنون بذلك إلا إله الكون !

الواقع هو أن هذه الجماعة وثنية المعتقد لأن عبادة « يهوه » عليها تسيطر . . . وهل هناك وثنية أوغل من عبـادة رب محب لرشاش الدماء يأمر عابديه باستنزاف دم مَن سوى جماعته من البشر ؟! . .

هذا هو الواقع فى تاريخ هذه الجماعة منذ بدأوا يلعبون على مسرح التاريخ هذه الرواية الماجنة حتى هذا العصر الحـاضر الذى بدأت اليـدُ العربية

اللاويين » نجدنا نتناول « السفْر » الرابع من هذه « التوراة » فنضع :

« سفْر العدد »

تحت أشعـــــة التاريخ

فى هذا «السفْر» المسمى بالعبرية « بمدبر » ، نسبة إلى ما يشتمل عليه من تعداد « بنى إسرائيل » عند طردهم من مصر ، توجـد جملة لو تنبّه إليهـا الباحثون من حول موضوع نسبة هذا « السفر » إلى موسى لما كان قد طال بينهم الجدال والجدل وهذه الجملة مكانها الإصحاح الثانى والعشرون والتى تجىء فى صدد الحديث عن بالآق بن صفّور ملك موآب وتحدثنا عن تراجعه مخافة محاربة موسى . ولما كان هذا قول يجعل بالآق معاصراً لموسى وكان من المفروض ، بالتالى ، أنّ موسى على حد ادعاء هذا المؤلف هو صاحب هذا « السفْر » وأنه هـو نفسه المتحدث فـكيف يتسنى أن تجىء هذه الجملة التى تدل دلالة قاطعة على حداثة هذا « السفْر » وهى القائلة :

« وكان بالآق بن صفّور مَلِـكاً على مُواب فى ذلك الزمان ؟ ! »

من ثمّ ! .

لا شكّ فى أن المؤلف الذى سطر هذه العبارة لا بدّ وأنه قد عاش فى فترة زمنية بعيدة كل البعد عن الرواية التى يرويها بدليل أنه يقول « .. فى ذلك الزمان ! . »

أى زمن تُراه كان هذا الزمن الذى يتحدث فيه مؤلف هذا « السفْـر » عن « . . . ذلك الزمان » ؟ ! .

لا جدال فى أن « .. ذلك الزمان » كان زمناً طالت بينه وبين هذا المؤلف المسافات وإلاّ لما كان قد تحدث عنه بصيغة الماضى البعيد ! .

تسدل فيه الستار على آخر فصول هذه الرواية الهزلية ! . . وهذا هو ما سجلوه بأنفسهم على أنفسهم عندما سطروا « التلمود » بعد أن كتبوا ؟

الـ « مشنا »

لم تكد مدينة أورشليم تسقط فى أيدى الرومان ولم يكد الرومان المنتصرون على اليهود ينهالون على أكثرهم تقتيلا واستعمال القسوة مع الباقين فالطرد وبذلك بدأ التيه حول الأرض إلا ورأى خاصة اليهود ، وعلى رأسهم الحاخام « يوخاس » ، حوالى عام ١٥٠ م ، أن كل مايستطيعون عمله بعد فقدهم « الجامعة الوطنية » هو اتخاذ الوحدة العقيدية ، المتمثلة فى عقيدة « الأرض الموعودة » ، وسيلة للعودة إلى أورشليم ، وذلك عن طريق تقوية الرابطة الدينية بين جماعاتهم المتفرقة فى أنحاء العالم وأن السبيل إلى ذلك يتلخص فى تقييد سننهم بعناية ودقة . . وبدأوا العمل فراحوا يسجلون قوانينهم الخاصة وعاداتهم المتوارثة وتقاليدهم الدينية وسننهم الموروثة فى كتاب أطلقوا عليه ، نسبة إلى هذه السنن ، هذا الاسم ؛ « مشنا » وما تم وضعه فى منتصف القرن الثالث الميلادى إلا وعملوا بكل ما لديهم من قوة على تداوله بين أيدى جميع يهود الأرض . .

بيد أن الـ « مشنا » كان موجزاً تترعه النواحى الغامضة والمتشابهة ومن ثمَّ كان افتقاره إلى تفصيل وتجلية وإيضاح . واضطلع خاصتهم بهذا الأمر فراحوا يضعون شروطاً وتعليقات يفصِّلون فيها مجمله ويجلون بها غامضه ويقولون الكلمة الحاسمة فى شأن ما قد جاء فيه من متشابه الكلام فجاءوا بشروح دعوها باسم « جامارة » . . ومن هنا نعلم أن الـ « مشنا »

وهذا برهان منطقيّ على أنّ هذا «السفر» الرابع من أسفار هذه «التوراة» الحالية لا صلة لموسى ، عليه السلام ، به على وجه الإطلاق ولا يمكن بحال أن يكون صاحبه موسى ! . .

والآن . .

والآن وقد أذابت أشعةُ التاريخ الشرعيةَ عن «سفر العدد» وبانتفاء نسبته إلى موسى انتفت عنه القدسية نجدنا نتناول «السفر» الخامس الذى تكتمل به هذه «التوراة» المفتراة فنضع ؛

«سِفْر التَّثْنية»

تحت أشعـــــــة التاريخ

فى هذا «السِّفْر» المسمى بالعبرية «دبريم» ، أى «إعادة» ، يبلغ بنا الفكر ذروة الإغراب إذ نقرأ فى هذا الجزء من هذه التوراة ، المنسوبة زوراً إلى موسى ، هذا النص ؛

«فمات هناك موسى . . . ودَفَنه فى الجــواء فى أرض موآب مُقابل بيت فغور .

ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ! . . »

بهذا الإصحاح الرابع والثلاثين والأخير من آخر «الأسفار الخمسة» تُختتم «التوراة» . . فنطويها جانباً ونطرق للحظةٍ ثمّ نهبُ ونتساءل ؛

كيف قبلت العقول الاعتقاد بأن موسى ، عليه السلام ، هو صاحب هذه «التوراة» ؟ ! .

كيف يُعقل أن يكون موسى هو ، حقاً ، صاحب هذه التوراة

أو المُوحَى إليه بهــا ومن غير المنطقى أن يتحــدث إنسان ، كائن من كان ، عن موته ودفنه قبل حدوث هذه الأحداث ؟ ! . كلا وليس هذا فحسب ، وإنما كيف يمكن أن يتحدث موسى عن قبره ، نفسه ، ويقول :

« ... ولم يعرف إنسانٌ قبره إلى هذا اليوم » ! . .

« ... إلى هذا اليوم » ؟ . .

حقاً أن هذه العبارة الأخيرة تحمل البرهان القاطع على أن هذا « السفْر » قد كتب فى عصر مُتأخر جـداً عن عهد موسى ، عليه السلام ، بدليل أنه لم يعد يُوجد أحد يعرف أين مـكان قبر هـــذا النبى الجليل ! . .

والآن . .

الآن وهذه هى أضواء التاريخ قد ألقيناها على هـــذه « التوراة » التى يتداولها يهود اليوم وهذه هى أشعته قد سلطناها عـلى كل « سفر » من هذه « الأسفـار الخمسة » على حدة فى تركيزٍ عـلى النصوص التى تستقيم بهـا الحجـة على انتفاء القدسية عنها وبطلان نسبتها إلى موسى ، عليه السلام ، أفلا نستطيع ، بعد ذلك ، أن نعلى الصوت قائلين :

لقد تقطّع الخيط الوحيد الذى يربط الصهاينةُ به أنفسهم بفلسطين وانقطع فتهاوى هذا « الحق الروحانى » وهوى فى هاوية الأضاليل فـلا شئ يبقى ، بعد ، من مقومات هذه « الدولة » التى لم تقم إلاّ على أساس وهمى من إيهام العالم بهذا الحق الموهوم ؟ ! .

أى شئ يبقى ، بعد ، من مقومات هـــذه الأضلولة المسماة « إسرائيل » وقد وهت الحجـة الوحيدة التى يربط اليهود بها أنفسهم بفلسطين ؟ ! .

المشروحة على هـذه الصورة مع الـ « جامارة » كونت كتاباً يحمل تعاليم الدين اليهودى وهو :

« التلمـــود »

إن « التلمود » كلمة معناها باللغة العبرية « تلمذة » أو « تعليم » اختصاراً لـكلمة « تعاليم » بيد أن معناها الدينى أو بالأحرى مفهومها اليهودى أعمق من هذا بـكثير وأخطر إذ أن التلمود يعتبر لديهم « التوراة الشفوية »!.

« إن إلـه إسرائيل قد أملى التلمود على موسى شفوياً ! »

هـذا هو قول حاخامات اليهود من مؤلفى « التلمود » وأما تاريخ « التلمود » فشىء آخر ! ..

إن تاريخ « التلمود » ينحصر فى عهود ثلاثة هى نفسها العهود التى استغرقت وضعه حتى اتمامه وهذه هى :

العهد الأول :

عهد الـ « تانايم » أو المعلمين .. وهذا عهد جاء فى أعقاب سقوط أورشليم عندما أسس « يوحنـا بن زاكاى » فى منطقة منعزلة بالقرب من يافا مدرسة « هامدراس » وبدأ بنفسه فى وضع السطور الأولى من هذا « التلمود » حتى أتم هو وأثنان من خلفائه وضع القسم الأول منه وهـو المعروف تحت اسم « التلمود الأورشليمى » . .

العهد الثانى :

عهد الـ « عمورايم » ، أو الشُرَّاح .. وهذا عهد جاء عقب الانتقال إلى العراق وتأسيس مدرسة « سورا » هناك ، حوالى عام ٢٢٠ م ،

حيث تم القسم الأخير من « التلمود » وهو المعروف تحت اسم « شلقان عراق » أو « التلمود البابلى » . .

العهد الثالث والأخير :

عهد الـ « صبورايم » أو المحققين .. وهذا عهد جاء وقد تم بناء هيكل التلمود ولم يبق إلا التحقيقات الأخيرة من أنه قد جاء مطابقاً لما جاء فى « الأسفار الخمسة » من نصوص . . وتولّى حاخامات اليهود هذه المقارنة وقاموا بهذا التحقيق وما أتمت أيديهم ، دون إضافة أى شىء جديد ، اللمسات الأخيرة لهذا الهيكل وتم الاتفاق فيما بينهم على أنه قد جاء حقاً يمثل تمثيلا صحيحاً شريعة « إلـه إسرائيل » إلا وكانت الأيام قد جرت إلى حوالى سنة ٥٥٠ م . وهذا هو العهد الذى تم فيه وضع « التلمود » ! .

هذا هو تاريخ « التلمود » . . سطور كتبت بأيدى حاخامات اليهود كما قد كُتبت من قبل سطور « الأسفار الخمسة » بأيدى اليهوذيين ! . . ومن هنا جاء « التلمود » حاملا نفس الصفات المادية الموروثة والمبادىء الدموية المتوارثة . . ومن هنا لا نتناوله وننشر منه الصفحات إلا وتفوح منها ، كريهة ، رائحة الذبائح والدماء وإلا وتضجّ المسامع منا من أهوال ما فيها من استنزاف دماء البشر ! . .

وهنا . .

هنا يجب علينا ، حتماً ، أن نأتى ببعض ما يشتمل عليه التلمود . . ومع علمنا بأنه ليس إلا المرآة العاكسة لما فى « الأسفار الخمسة » من نصوص فلا بدّ لنا من استجلائه على حقيقته فنقول : إن « التلمود » عدة أجزاء تبلغ

إليكم هذه « التوراة » ! . .

ها هي ذي «التوراة» ، التي يستمد منها الصهاينةُ مطالبهم ويعتبرها يهودُ العالم الحاضر أجمع ، سواء أظهروا صهيونيتهم أم خافـــو، فأخفوها ، حجة شرعية تمنحهم فلسطين منحة أبدية ، قد تكشّفت فى واقع التاريخ الصحيح عن حجة باطلة ومن ثمّ غير شرعية ... فلقد وضعناها فى ميزان التاريخ فارتفعت كفة الحق عنها وترفعت وفى كفّة الباطل هوت هوياً إلى الحضيض ! .

وها هى ذى عقيدة « الأرض الموعودة » ، هذه العقيدة التى لم تنبت إلاّ من هذه « التوراة » ، قد وافتنا الأدلة عنها وأتانا البرهان من نفس نصوص « توراتهم » هذه على أنها ليست إلا مجرد خرافة بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى علمى وأن من هذه الخرافة التاريخية استطاع الصهاينة أن يصوغوا مادة وهمية بنوا بها على أساس سرابىّ بحت أركان هذه الدولة الأسطورية المسماة « إسرائيل » .. فلقد تتبعنا هذه الأسطورة وتيّار الزمن بها يجرى من فكرة مبعثرة إلى عقيدة دينية مستحكمة فوجدناها قد استحالت ، حقاً ، إلى مجرّد خرافة ومحض حلم ووهم بحت !.. فهى خرافة نسجتها غفوةٌ فى إبهار ظلمة التاريخ وهى حلم سجله على نفسه الإصحاح الخامس عشر من « سفر التكوين » فى استبهار ليالى الأسر على شاطئ الفرات والحلم بأرض النيل وهى وهمٌ !.. وهمٌ قد تبدد فى بهرة ضوء الحاضر وتحت معاول التاريخ الصحيح ! .

وإذن ! . .

إذن ، فلقد آن الآن لنجاوب المنطق الصهيونى الحديث الذى كلما حاصرته الحجج السياسية والقانونية راح يشهر فى وجه العالم هذه « التوراة

المكتوبة » ولها يلجأ وبها يحتمى ومُتخذاً لمزاعمه منها مساند يصيح : « قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى ولكنها حق لنا على أساس دينىّ وحق روحانى مستمد من التوراة » ، قائلين :

ها هى ذى أشعة التاريخ قد أذابت مادة القدسية عن هذه « التوراة » ونفت كل صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا الدين اليهودى الحالى القائم على هذه التوراة المفتراة وعن نصوص غير شرعية قد تكشف هذا « الصك » الذى يقوم عليه كيان هذه الدولة الأسطورية المسماة « دولة إسرائيل » ومن ثم فما هو ، بعد ، هذا الأساس الدينى و « الحق الروحانى » لليهود فى فلسطين ؟ ! .

أين هو هذا « الحق الروحانىّ » وقد تلاشت القدسية عن هذه « التوراة » فتلاشى هذا « الحق الروحانى » إلى . . . لاشىء ! . .

والآن ؟ . .

الآن ومن مدد ما قد انتزعناه من صدر التاريخ من حقائق ترتدعنها أبسط الشكوك ، إلى جانب ما قد خلصنا إليه فى بحثنا هذا أيضاً من تعقب تاريخ إسرائيل وآباء إسرائيل وأبناء إسرائيل ، إلى أنه ليس هناك شىءٌ فى واقع التاريخ الحاضر اسمه « إسرائيل » ولا شىء هناك اسمه « بنو إسرائيل » ولا شىء هناك اسمه « شعب يهودى » ولا شىءٌ هناك اسمه « الجنسية الإسرائيلية » نستطيع أن نلقى بهذا التعقيب قائلين :

لا مكان شرعىّ فى فلسطين لشىءٌ اسمه « إسرائيل » ! . .

كلاّ ! . .

لا مكان شرعىّ فى فلسطين للصهاينة وإلى ترّهات قد استحالت إلى هذه

الثمانية ولكن يُوحِّد فيما بينها روح واحدة تسرى فى جميع هذه الأجزاء وتسير عبر سطورها كفحيح أفعى تنفث السموم! عطشى هى إلى الدم أبداً، لا ترتوى إلا بسفكه ولا تقيم لها عيداً إلا على استنزافه قطرة قطرة ! . . لا هدف لها إلاّ اتخاذ « الأرض الموعودة » مقراً وحكم العالم من على عرش فيها سيقوم بـ« مسيح منتظر » وإبادة سكان الأرض جميعاً من مسيحيين ومن كان فى عهد اتمام هذا التلمود من غير المسيحيين . . وهذه هى بعض النصوص التلمودية الخاصة بهذا الموضوع الذى طرقناه والتى جاءت فى « شلقان عراق » [1] هذا التلمود البابلى المتداول بين يهود العالم فى عصرنا الراهن . . فلنقرأ :

خلاصة تعاليم التلمود وأصول شرائعه

يقدم « التلمود » قبل كل شىء صورة لإلــه إسرائيل فيقول :

إن النهار اثنتا عشرة ساعة .

« فى الثلاثة الأولى منها يجلس يهوه يطالع الشريعة .

وفى الثلاثة الثانية منها يحكم .

وفى الثلاثة الثالثة يطعم العالم .

وفى الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ! . »

ولكن ! .

فى لحظات من هذه الساعات يهبّ « يهوه » يبكى ويزأر

(١) طبعة امستردام سنة ١٦٤٤
وطبعة براج سنة ١٨٣٩
وطبعة فارسوفيا سنة ١٨٦٣

فلقـــــد ؛

« اعترف يهوه بأخطائه فى تصريحه بتخريب الهيكل فصـــار يبكى ويزأر قائلا ، تباً لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ! . »

بيد أن لا بأس . ؛

« ليس يهوه معصوماً عن الطيش والغضب » ! .

ولـكن « يهوه » وإن كان غير معصوم عن الطيش والخطأ إلا أن هذا لا يمنعه من الندم على هذا الطيش والغضب اللذين جرّا على « شعبه المختار » هذه الحالة من التعاسة حتى إنه كثيراً ما يبكى كل يوم ويلطم .

نعم ! . . . ؛

« يندم يهوه على تركه اليهود فى حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم ! . »

وكيف لا يبكى « يهوه » ندماً فيزأر ويلطم و ؛

« أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح » ! .

لماذا ؟ ..

« لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية ! . »

وعلاَّم العجب وهذا هو الواقع فاسمعوا ؛

« كان آدم يأتى شيطانة عظيمة اسمها « ليليت » لمدة مائة وثلاثين سنة فولد منها شياطين .

وحواء أيضاً اتصلت خلال هذه المدة بذكور الشياطين فصارت لا تلد فى هذه الفترة إلا شياطين .

هؤلاء الشياطين الذين من نسل آدم أيضاً ومن نسل حواء هم

« الحجة » التى اعتمدت عليها الصهيونية فى دعوتها وفى افتعال هذه « الدولة » الأسطورية المسماة « إسرائيل » وعن نصوص مفتراة على موسى ومُزورة عليه قد اتضح تحت أشعة التاريخ هـذا « الصك » الذى شهرته الصهيونية فى وجه العالم وما زالت ، فى غير تورّع ، تشهره سجلاً يمنح اليهود به أنفسهم فلسطين ملكاً أبدياً ! . .

كلا ! . لا مكان شرعىّ فى فلسطين لهؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود وإلى أساطير سطرتها أيدى ذليلة بإملاء مخيلة جامحـة جنحت بها شطحاتُ الخيال على أجنحة فـكر كليل عليل أوردها مـــوارد الشطط قد استحالت هذه « التوراة » المفتراة على موسى ! . . هـذه التوراة التى ، بانتفاء نسبتها إلى هذا الرسول الـكريم ، تنتفى عنها انتفاءً تاما صفة القدسية التى دثرت بهـا كما تتلاشى عنها ، بالتالى ، الشرعية التى أسبغت على ما جاء فيهـــا من « أسفار » هى هذه التى تحمل هذا « الحق الروحانى » الموهوم لليهـــود فى فلسطين ! . .

كلا ! . لا مكان شرعىّ فى فلسطين لهذا الخليط من الأجناس الذى يتجمع خلايا سرطانية فى جسم المجتمع البشرى تحت اسم « الجنسية الإسرائيلية » ! . فلقد ذابت هذه الأكذوبة الروائية المسماة « الجنسية الإسرائيليـة » فى خضم النوع البشرى الذى منه ، كأفراد ، قد طفت هذه الطائفة الدينية التى لا تربطهـا بفلسطين إلاّ أوشاج وهم حيكت من مادة الخرافة ! .

كلا ! ..

كلا ، لا مكان شرعىّ فى أرض عربية لهذه السلالة الخزرية التى تتزعم طائفة من اليهود تنتمى إلى جنسيات مختلفة من شعوب العالم تعتنق ديناً

غير اليهود من الناس ! . »

لذلك ؛

« يستطيع الإنسان فى بعض الأحوال أن يقتل الشياطين ! . »

ثم لما كان لامكان للشياطين فى النعيم ومكانهم هو الجحيم فإن ؛

« النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلاّ اليهود ! . .

أما الجحيم فمأوى كل غير اليهود وفى مقدمتهم المسيحيين !

ولا نصيب لهؤلاء فى الجحيم سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين ! . »

أَوَشك فى أن المسيحيين مكانهم الجحيم ؟ ! .

أنّى يمكن أن يكون غير ذلك وسيلحق المسيحيون ، حتماً ، بمن اتّبعوه فإن ؛

« يسوع الناصرى موجود فى لجّات الجحيم بين الزفت والقطران والنار ! . »

لماذا ؟ ! .. لأنّ ؛

« يسوع الناصرى ارتدّ عن الدين اليهودى ! . »

ثم ؛

« ان أمه مريم أتت به من الجندى « باندارا » بمباشرة الزنا ! . » .

لذلك نقول ؛

« إن الكنائس المسيحية بمقام القاذورات وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ! . »

قد وافتنا الأدلة عنه من « توراتهم » هذه بأنه لا يعود بأصول تكوينه إلى موسى ، عليه السلام ، وإنما إلى يشوع بن نون ذلك السّفاح الذى تُردِّد « توراتُهم » هذه لصوته الآثم مقالة آثمة رَمَت هذا الرسول الجليل بالخيانة وبغضب إلهم عليه وجعلت جزاءَ ذلك « الأمر بموته » ، ثمّ هى فى اجتراء عجيب تحدثنا أشنع حديث عن أشنع حَدَثٍ لستُ أدرى كيف لم تفطن إلى مضمونه ، من قبل ، الأجيال ! . . لا ولستُ أدرى كيف لم يَتَنَبّه من قبل فكرُ باحثٍ إلى ما تشتمل عليه « توراتهم » هذه من نصوصٍ تحدِّثنا عن استصحاب هذا السّفاح لموسى ، عليه السلام ، إلى أعلى ذلك الجبل ثمّ العودة بدونه ليعلن أن الأمر بموت موسى قد تمّ تنفيذه وفقاً لما قد طلب « الربّ » ! . .

كلّا ! . لست أدرى كيف فات الأجيال وغاب عن الوعى الفكرى حتى الآن مفهوم هذه النصوص التى تَدين بها هذه الطائفة وفى نفس الوقت هى تدينهم بأكبر جرم هم بنصوصهم هذه ، نفسها ، به يعترفون ! . . فإنّما هم بهذه النصوص يحمِّلون أنفسهم بأنفسهم دم موسى نفسه ! . . إن « توراتهم » هذه تلطخ أيديهم بدم هذا الرسول الكريم يومَ تمردوا عليه وانحرفوا عنه إلى هذا السفاح الذى لم يسلم من يده شىء حتى الحيوانات أحرقها أحياء ! . ولذلك ؛

« . . باءوا بغضبٍ من الله وضُربت عليهم الذلّة والمسكنة ! . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ! . . ويقتلون الأنبياء بغير حق ! . . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ! . » (١)

---

(١) الآية « ١١٢ » من « سورة آل عمران »

كلا ! . لا مكان شرعىّ فى فلسطين لهذه الطائفة الدينية اليشوعية الدين العاملة بشرائع توراتها هذه «المكتوبة» وتوراتها الأخرى «الشفوية» أوهذا التلمود الذى لم نطوه جانباً إلاّ وقد علمنا لماذا يستحل اليهود قتلنا وهتك أستارنا وسفح أعراضنا . . فنحن فى شريعتهم التلمودية ، مسيحيين ومسلمين ، كائناتٌ ممسوخة ، استولد آدم بعضنا من الشيطانة «ليليت» وولدت حواء بعضنا الآخر من اتصالها بالذكور من الشياطين . . وأما اليهود فهم ، وحدهم ، نسل آدم وحواء ! . .

كـلّا ! . لا مكان شرعىّ فى فلسطين لهذه الطائفة الدينية من عبدة «يهوه» وأتباع يشوع بن نون ، وليس ذلك لأنه ليس لطائفة دينية الحق فى امتلاك أى بقعة من بقاع الأرض فحسب وإنما لأن هـذه الطائفـة تدين بدينٍ يشوعىّ المنبت والمصدر والشرائـع توارثته عن تلك الجماعـة التى انحرفت عن موسى ، عليه السلام ، فتبرّأ منها و :

« قال : رب انّى لا أملك إلاّ نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! . » (١)

كـلّا ! لا مكان شرعىّ فى فلسطين لهذه الطائفة الدينية الفتاكة بالقيم السفّـاحة للأعراض والمتطاولة بأطماعها إلى النيل والفرات بدافع من عقدة نفسية توارثتها وأتانا عنها البرهانُ القاطع من نفس نصوص «توراتهم» هذه بأنها بدعة انبثقت فى غضون الأسر البابلى بأعضاء «بيت يهوذا» يوم هدرت صدورهم بحمم النقمة على النيل والفرات فصاحوا : من الفرات إلى .. النيل ! ..

إذن ! . .

فلنتمحَ هذه السطور المنقوشة على واجهة الـ «كنيست» والقائلة :

---

(١) الآية «٢٥» من «سورة المائدة»

« لا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن دين اليهود ؛

لأنهم أشبه بالحمير !

يجب أن يعتبر اليهود بيوتَ باقي الأمم نظير زرائب للحيوانات !.»

بـــــل ؛

« إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة !

خلقهم الله على هيئة إنسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود الذين ُخلقت الدنيا من أجلهم ! . »

كيف ؟ ! . .

« نحن شعب الله في الأرض ! .

لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا هذا الحيوان الإنساني وهُم كل الأمم والأجناس ! . . سخّرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان ؛

نوع أخرس ، كالدواب والأنعام والطير . ونوع ناطق ، كالمسيحيين وغيرهم من سائر الأمم من أهل الشرق والغرب .

سخّرهم لنا ليكونوا في خدمتنا ! . . وفرقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم لمنفعتنا ! . . . »

ولذلك فإنّ ؛

« اليهودي لا يخطيء إذا اعتدى على عرض غير اليهودية لأنّ المرأة غير اليهودية ُتعتبر بهيمة ! .. »

لا جدال في ؛

« أن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات ! . »

« إن حدودك يا إسرائيل . . من الفرات إلى النيل !..»

لتمح هذه السطور التى يلقنهـا تلقيناً كل طفل يهـودى يولد صهيونياً بالطابع وبالطبيعة والفطرة فهو يفتح عينيه على الحيـاة ويستقبل العـالم على أهازيج الوهم القائل بأنه فرد من شعب إسرائيلى مختار ومواطن فى دولة يهودية عالمية وأن فى يده حجة وراثة شرعية تمنحه فلسطين وكل الرقاع المترامية فى إطار الفرات والنيل ملكا أبدياً ! . .

ولتخمد تلك الصيحة التى دوّت يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠ ، غداة عُقد فى القدس المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرون ، تقول :

« إن كل يهودى يجب أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودى أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة ! . . »

داود بن جوريون

« التـــوراة » ؟ ! .

إن هذه « التوراة » المفتراة التى اتخذتها الصهيونية حجة فى يدها وتمـكنت بها من إقامة هذه الدولة الأسطورية واحتلال فلسطين قد تلاشت عنها القدسية وفى سراب التاريخ قد ذابت ذوباً « عقيدة الأرض الموعودة » وفى حلم غابت كما من أضغاث حلم قد حيكت وفى آفاق الحاضر عبثاً نتلفت بحثاً عن شىء اسمـه « شعب إسرائيل » فـلا نجد إلاّ طائفة دينية تـكوّنت من شتى شعوب العـالم وشذاذه الأفاقين تدين بدين يشوع بن نون تستحل قتلنـا وتستبيح استنزاف دمائنا وانتهاك أعراضنا وهتـك أستارنا ولا تعرف عيداً إلا إذا عجنت فطـائره بدماءٍ بشرية أشهى ما تكون لديهـا الدماء المسيحية قبل الدماء الإسلامية ! .

كلا ولا شك فى ؛

« أن الزنا بغير اليهود ، ذكوراً كانوا أو إناثاً ، لا عقاب عليه لأن غير اليهود هم من نسل الحيوانات !. »

لا شك ؛

« أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان يماثل الفرق بين اليهودى وباقى الشعوب !.. »

كلا ، وليس هذا فحسب وإنما الواقع هو ؛

« أن اليهودى عند الله أفضل من الملائكة ! لولا اليهود لزالت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر !.. »

ولذلك ؛

« يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود دون سواهم !.. »

وهذا حتى ؛

« يحكم اليهود نهائياً باقى الأمم !. »

ولكن !.

« قبل أن يحكم اليهود نهائياً على باقى الأمم يجب أن تقوم الحروب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم !.. »

وأما إذا سألتم ؛ ما هى الوسيلة إلى هذه الغاية ؟..

فإليكم الجواب وهو ؛ إن هذه الغاية لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق المال !

ولذلك ؛

« يجب أن تصبح الأمة اليهودية غاية فى الثراء !. »

أتسألون ما هى الوسائل إلى الإثراء ؟ . إليكم الجواب :

« إن السرقة والربا هما أسرع الوسائل إلى الإثراء ! . »

السرقة ؟ . نعم ! . :

« إن السرقة غير جائزة من اليهودى لليهودى ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهودى !

السرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى ! حلال هى ومباحة كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها من يضع يده عليها أولاً !.. »

تعلّم ! . . :

« تعلم من الحاخام صموئيل الذى ابتاع من غير يهودى آنية من الذهب ظنها الأجنبى نحاساً ودفع الحاخام ثمنها أربعة دراهم فقط ثم سرق منها درهماً ! . »

ثم إن هناك أسلوباً آخر من أساليب السرقة وهو الربا . بل والربا الفاحش ! .. فنعم :

« مسموح لليهودى غش غير اليهودى وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش ! . »

لأنّ :

« الله يأمر بأخذ الربا من غير اليهود وأن لا نُقرضه إلاّ تحت هذا الشرط ! وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع أنه من الواجب علينا ضرره ! . . »

اتلفت فلا نجد إلا طائفة دينية تدين بهذا الدين الذى حاكته قبضة يشوع بن نون وإلاَّ سلالة خزرية من أدعياء النسب إلى إسرائيل لم تستطع أن تعيد « مملكة الخزر » اليهودية إنّما استطاعت من مدد هذه الخرافة التاريخية عقيدة « الأرض الموعودة ، أن تقيم لها « دولة » هى بوضعها الحالى لا تمثل إلا جزءًا يسيراً من حقيقة « الدولة الصهيونية العالمية » وهذا ممَّا يجعلنا نقول إن بقاء هذه الدولة الخرافية المسماة « إسرائيل » فى صفحة الحاضر على وجه التعميم وفى أرضٍ عربية على وجه التخصيص لا يمثل فحسب الشوكة السامة فى جنبات شرقنا وإنّما وجودها فى أرض العروبة يمثل الخطر القائم الذى يهدد العالم بكل بقعة فيه . . فإن احتلال فلسطين من قِبل الصهيونية وقيام « دولة » لهم فيها لا يمثل احتلال جزء من شرقنا العربى وإنّما يمثل خطة استعمارية شاملة بعيدة المدى رسمتها رؤوسُ هذه « الأفعى » الذين أطلقوا على أنفسهم لقب « حكماء صهيون » فهى خطة تستهدف إفناء كل فردٍ غير يهودى وإقامة عرش صهيون على دنيا يرف عليها دين يشوع بن نون ! . .

هذا هو الواقع فإن قيام « إسرائيل » على أرض فلسطين لا يعنى تشريد العرب من ديارهم واغتصاب وطنهم فحسب كما أنه لا يعنى قيام قاعدة جديدة للاستعمار الغربى فى العالم العربى هى حجر عثرة بين جزئى العروبة فى آسيا وأفريقيا وتشطر الوطن العربى إلى قسمين منفصلين وتقطع الشريان الذى يربط بينهما فى قضاء على الوحدة الجغرافيـة الطبيعية بين سوريا والعراق وجزيرة العـرب من ناحية ومن ناحية أخرى بين بلاد المغرب والجمهورية العربية المتحدة وإنمـا بقاء « إسرائيل » يحمل إلى العـالم معانى أكثر بعداً وأعمق غوراً ! . معانى تتصل اتصالا مباشراً بمستقبل العالم كلـه وتحمل تهديداً مباشراً للسلام العالى

قاطبة ولهذا السبب ارتبطت حالة الاضطراب والتوتر داخل حدود المنطقة العربية بالموقف الدولى العام وأصبح سلام المنطقة جزءاً لا يتجزأ من سلام العالم وأخذ النزاع « العربى — الصهيونى » مظهـره الحقيقى حيث أضحى صراعاً حاداً بين الاستعباد والحرية وبين الحرب والسلام وهذا ممـا يدفع بنا إلى القول بأنه إذا كانت «دولة إسرائيل» لاتقوم ، أساساً وبنياناً ، إلا من نصوص هذه «التوراة» وهذه قد استحالت إلى خرافة فلا مكان إذن يجب أن يبقى لهذه « الدولة » الأسطورية على صفحة الحاضر ! . .

وإذَنْ . .

ماذا ينتظر العرب ؟ ! .

ماذا ننتظر وقد اتضح أمامنا أن قضية فلسطين ، هذه المشكلة التى تُعتبر أعقـد مشكلة فى جبين الشرق الأوسط ، ليست إلاّ نسج خرافـة تاريخية بكل ما تشتمل عليه هذه الـكلمة من معـنًى علمىّ ؟ ! .

إذَنْ ! . .

ليطلق العالم العربى صوته حتى تروح برجـع صداه الآفاق رنين ينادى ؛

لامكان لهذه « الدولة » الأسطورية المسماة «إسرائيل» فى أرضٍ عربية لأنّ المدد الذى استمدّته الصهيونية العالمية لقيام هذه « الدولة » ليس إلا خرافة ذابت تحت أضواء التاريخ الصحيح وتلاشت مادة وهمية ! . .

لا مكان لهذه الجرثومة السرطانية المسماة « إسرائيل » فى قلب العروبة النابض لأنّ الدعائم التى اتخذتها الصهيونية ركائز لصرح « دولتها » قد مادت فى أغوار التاريخ إلى ترهات وأباطيل ! . .

وأمّا ! .

إن كلمة « الله » هى فى ذهن كل يهودى صفة لاحقة لهذا الرب الخرافى الذى تصورته هـذه الطائفة من عبدته أنه لن يرضى عنهـا إلاَّ إذا استنزفت ماؤنا قطرة بعد قطرة ! . . ولذلك أقول أيضاً إن اليهودى يهودى قبل كل شىء مهما تكن جنسيته وإنه صهيونى أولا وآخراً لحماً ودماً فكراً وعقيدة ! .. صهيونى هو مهما تشكلت أسماؤه وتباينت أصوله وخالفت جنسية الواحد منه الآخر ! ... فهو قد ينتمى إلى جنسية أو أخرى ويتبع مذهباً سياسياً أو آخر ولـكن ، إذا تعارض ذلك ومصلحته الأولى كيهودى أصبح يهوديـاً ويهودياً فقط صهيونىَّ النية والفعل ! ...

وإلا فمن هو اليهودى ؟..

أليس اليهودى هو الذى يدين باليهودية كدين ؟ ..

أليست اليهودية ، كدين ، هى نفس « الأسفـار الخمسة » و « التلمود » ؟! ..

ثم .. ما هى الصهيونية ! ..

أليست الصهيونيه هى تقنين التلمـود والتلمود هـو تقنين الدين اليهودى ؟ ! .

إن الصهيونية لا تستمد قوامها إلاّ مـن « الأسفار الخمسة » ولا تتخذ دسـاتير لهـا إلا شرائع التلمود وليس أدل عـلى ذلك من نصـوص « البروتوكولات » التى نحن بصددها والتى تنص على قرارات تفصح عن ما يكنه الضمير من كل يهودى نحونا وفى نفس الوقت ترسم صـورة واضحـة للأخلاق اليهودى ، ونقتطف منها القرارات التالية :

والاتفاقات الصناعية أيضاً !. وبشباك المال سوف نتصيَّد جميع الحكومات وبشباك المكائد والدسائس سوف يعادى بعضهم بعضاً وعند ذلك نكون قد وصلنا إلى ما نريد. ولكن ! لكى نصل إلى هذه الغاية يجب أن ننطوى على كثير من الدهاء خلال المفاوضات والاتفاقات بأن نتظاهر بعكس ذلك كى نظهر بمظهر الأمين المتحمِّل للمسئولية وبهذا ستنظر إلينا الحكومات كأننا متفضّلون ومنقذون للانسانية ! ...

« القرار التاسع » :

إننا مصدر إرهاب بعيد المدى ! فإننا نسخِّر فى خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب، من رجال يرغبون فى إعادة الملكيات .. وسواهم. ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ! وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما تبقّى من السلطة ويحاول أن يحطم كل النظم الحاضرة والقوانين القائمة. وبهذا التدمير تتعذب الحكومات وتصرخ طلباً للراحة وتستعد، من أجل السلام، لتقديم أى تضحية .. ولكن !. ان نمنحهم أى سلام حتى يعترفوا صراحة بحكومتنا الدولية العليا !.

لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميّين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام .. ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة !.

« القرار العاشر » :

لابدَّ أن يستمر فى كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات فتستمر، بذلك، العداوات والحروب والموت !. هذا مع الجوع والفقر ومع تفشى الأمراض !. ولابدّ أن يمتد كل هذا إلى حد أن لا يرى

أمّا إذا أبى عبدة « يهوه » وأتباع يشوع بن نون إلاّ إصراراً على الباطل وظل عبدة هذا الربّ الخرافى المحب لرشاش الدماء وأتباع هذا السفّاح الذى امتد جنونه إلى أن يحرق الحيوانات أحياء صَرْعى هذيان هذه التوراة المفتراة فاعلموا أن أشعة التاريخ ، وهى أقوى علاج ، لم تفد فى تذويب هذا التضخم السرطانى الذى استفحل داؤه واستشرى فى جسم المجتمع البشرى يهدِّده بالفناء وأن الوقت ، من ثمّ ، قد آن لبتر هذا السرطان ! . .

وإذن هبّوا ! . .

هبّوا ! . .

ليهبّن العالم العربى قوياً ، وجماً وجميعاً ، ذوداً على الحق وردعاً لخلفاء الباطل ، وفى صبرٍ جميلٍ يُغذِّيه اليقينُ بالله ليعدّن عدته لبتر هذا السرطان الذى ينهش جسم المجتمع البشرى نهشاً ولا يعيش إلاّ على امتصاص دمائه قطرة بعد قطرة . . يسرق ، بأساليبه ، الأموال سلباً ويهتك ، بتهتكه ، للأعراض ستراً ! . .

يا أيها العرب ! .

يا أيها العرب ، مسيحيين ومسلمين ، إنى أطلقها صيحة فى مسامعكم حيثما كان مكانكم فى أرجاء هذا الشرق الرحيب تخاطب كل فريق منكم على حدة . . .

ويا أيها المسيحيون ! ..

هل نسيتم ماذا أصاب السيد المسيح ، عليه السلام ، على أيديهم ؟!.. راجعوا وصفهم له فى « تلمودهم » وراجعوا سيرته فى «أناجيلكم» وقارنوا بين السيرتين ! . . لا تقولوا إن هذه نظرة تلمودية فإنما هم أبناء

سياسةً وميولاً ، عقيدة وديناً ولا صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا الدين اليهودى الحالى على الإطلاق !... ومن أين جاءت هذه الصلة وهذه هى «توراتهم» التى يفترونها عليه وينسبونها إليه تنتهى إلى أن ترمى هذا الرسول الكريم بالخيانة وبغضب « يهوه » ، إلـه إسرائيل ، عليه ؟ !.

كلا !. ولا تقف « توراتهم » هذه عند هذا الحدّ من التطاول على هذا الرسول الجليل وإنما هى قد أقصته عنها بهذا النص الذى وجهته إليه قائلة « إصعد إلى الجبل . . ومت هناك » وذلك كما أقصت من قبل هارون ، ذلك النبى الجليل الذى حدثتنا عنه هذه « التوراة » بأن « الأمر بموته » فى الجبل قد صدر أيضاً على نفس هذه الصورة فى أعقاب ذلك اليوم الذى فزع فيه إلى أخيه يستنجد به منهم ويناديه :

« . . استضعفونى وكادوا يقتلوننى ! . . . لا تجعلنى مع القوم الظالمين ! » (١)

حقاً ! . .

حقاً لقد صدقت فيهم فراسة موسى يومَ أشاح عنهم إلى الله ربّ العالمين يتضرع إليه ويناديه :

« رب ! إنى أملك إلاّ نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! » (٢)

حقاً ! . حقاً لقد فسق بنو إسرائيل يومَ تمردوا على موسى ومالوا عنه إلى يشوع ، ولذلك :

« . . . باءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ! . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ! . » (٣)

---

(١) الآية « ١٥٠ » من « سورة الأعراف »
(٢) الآية « ٢٥ » من « سورة المائدة »
(٣) الآية « ٦١ » من « سورة البقرة »

التلمود وهم لا يسيرون إلا على سننه ! . . إنهم لا يزالون يرون « المسيح » فيكم ولذلك فهم يستحلّون دماءكم قبل دمائنا ! . . هم يستهدفون تدميركم قبل تدميرنا !. هم ينتوون إفناءكم قبل إفنائنا ! . . راجعوا ماذا يضمرون لكم فى وثائقهم (١) . . تلك الوثائق التى سطرتها أقلام « حكماء صهيون ! . . »

وأنتم يا أيها المسلمون ! .

هل نسيتم أن صاحب الرسالة الإسلامية ، عليه السلام ، قد ألغى هذا الدين اليهودى الحالى إلغاءً باتاً ! . . أذكروا أنه ، عليه السلام ، فرّق بين « صحف موسى » وبين « صحفهم » هذه التى وصفها بتوراة مُحرّفة مفتراة كتبتها أيديهم ونسبوها ، بهتاناً ، إلى مصدر قدسىّ ! . . اذكروا أنه ، صلى الله عليه وسلم ، قد دعاهم إلى الإقلاع عن هذا الدين الذى افتروه على موسى ، عليه السلام ، فلما أبوا إلاّ التصاقاً بالباطل تناول ، عليه السلام ، مبضع البتر واستأصل هذا السرطان من جسم المجتمع العربىّ حيثما كان وحيثما قد وُجدا. استأصل ، عليه السلام ، جرثومة هذا الداء لا من يثرب وحدها فحسب وإنما من يثرب وفيما حول يثرب ومن كل مكان من أرجاء شبه الجزيرة العربية كان فيه قد توغل هذا الداء الخبيث وتغلغل واستشرى ! ..

إذَنْ ! .

يا أيها العرب ! . .

هبّوا . . . هبّوا ، مسيحيين ومسلمين ، جميعاً ومن أجل الخير الأسمى التفّوا مِن حول مَن فى يده اليوم هذا المبضع الباتر ! . .

التفّوا ، إذا ابتغيتم سلاماً ، مِن حول مَن خلق هذا الجو

(١) راجعوا القرارات؛ الثالث والخامس والثالث والعشرين من «بروتوكولات حكماء صهيون».

يخوض الشرقُ العربى اليوم خضمّ مشكلات مختلفة تنفرد كل واحدة منها بملامح خاصة ، وتتسم فى نفس الوقت بالخطورة والأهمية ولا تقتصر على دائرة واحدة من دوائر التفكير البشرى دون أخرى ، فهى تضرب بأعراقها فى دوائر الاجتماع والاقتصاد والعلم والفلسفة والسياسية .

ولكن . .

تتفرّد من بين هذه المشكلات كلها مشكلةٌ واحدة لاتعترم فحسب بالخطورة ولا تتسم فحسب بالأهمية وإنما تعد أكثر هذه المشكلات خطورة وأهمية بل وحيوية لارتباطها بطبيعة الحياة فى الشرق الأوسط ولمساسها المباشر بهذا المزدحم الهائل للصراع البشرى فى مختلف المرافق وسائرالنواحى وهذه المشكلة هى ؛

مشكلة فلسطين

منذ زمن بعيد مداه فى مدى التاريخ وأعقد مشكلة فى جبين الشرق الأوسط إنما هى هذه المشكلة ! . إلا أنها الآن أمام الهدف الصهيونى العالمى الحالم باقامة امبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم وتستعبد الشعوب الاسلامية والمسيحية على سواء قد ازدادت على تعقيد تعقيداً بما نسجته اليدُ الصهيونية حولها من نسيج حاكته من سحب الماضى المتوغل فى القدم ، وجعلت سداه « عقيدة الأرض الموعودة » ولحمته تغلغل هذه العقيدة الدينية ورسوخها فى صدر كل فرد من أفراد الجماعة اليهودية . . وهذه ، سواء أخفاها اتقاء وتستراً أم

الكبير و بسط ذراعيه تحتضنكم احتضاناً فى غير تفرقة بين مسيحى منكم ومسلم ! . .

التفوا بعزيمة لا تعرف تردداً ولا تخاذلاً من حول صاحب هذا الصوت الذى انطلق جهارة وجهراً وجهيراً يرن فى مسمع الحاضر ويخلد فى ذاكرة الغد بنداء راح رجع صداه فى قلب كل عربى حر ويروح دوياً وهديراً هادراً يتجاوب :

« إن الشر الذى وضع فى قلب العالم العربى لا بد أن يقتلع ! . »

« جمال عبد الناصر »

ها هى ذى اللحظة الحاسمة لإستئصال جرثومة هذا الداء الخبيث من جسم المجتمع البشرى قد اقتربت إن لم تكن قد أزفت وتعاول صاحب هذا الصوت المبضع الباتر يعده للبتر وأقدم ، من أجل الخير البشرى والسلام العالمى و بنفس ارتضت الإسلام ديناً ومحمد رسولا وآمنت بموسى وبالمسيح وبسائر الأنبياء والرسل الكرام ، يسحق بيد رأس هذه « الأفعى » وبالأخرى يطوح بهذه « النجمة السوداء » إلى أفق الأفول بينما من حوله وحولكم قد ارتفعت يد الزمن وتأهبت لتحفر فى وعى التاريخ وتسجل فى صفحة الخلد بأن المبضع العربى قد استأصل من جسم المجتمع البشرى هذا السرطان المسمى « إسرائيل » ! . .

ما أنا آمرك به . اذهب إلى الغنم وخُذ لى من هناك جَدْيين جيدين من المعزى ، فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب . فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .

فقال يعقوب لرفقة أمه : هوذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس . ربما يجسّنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة !.

فقالت له أمه : لعنتك علىّ يا ابنى . اسمع لقولى فقط واذهب خُذ لى . فذهب وأخذ وأحضر لأمّه . فصنعت أمّه أطعمة كما كان أبوه يحب . وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست إبنها الأصغر . وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جَدْيَى المعزى ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها .

فدخل إلى أبيه وقال : يا أبي !

فقال : هأنذا ، من أنت يا ابنى ؟

فقال يعقوب لأبيه ، أنا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتنى . قم اجلس وكُل من صيدى لكى تباركنى نفسك .

فقال اسحاق لابنه ، ما هذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى !

فقال ، إن الربّ إلهك قد يسّر لى .

فقال اسحاق ليعقوب ، تقدم لأجسّك يا إبنى أأنت هو إبنى عيسو أم لا ؟

فتقدَّم يعقوب إلى اسحاق أبيه . فجسّه وقال ، الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو !

المراجع العربية

القـــــرآن الـكريم »

الـكتاب المقدس » — « العهد القديم » و « العهد العتيق »

« المشنـــــا »

« التلمود » طبعات فارسوفيا وبراج وأمستردام .

« الـكنز المرصود فى قواعد التلمود »

د . روهلنج ترجمة د . يوسف نصر الله ١٨٩٩

« الذبائح التلمودية »

« يقظة العالم اليهودى » إيلى ليفى أبوعسل

« الصهيونية العالمية » الأستاذ عباس محمود العقاد

« الخطر الصهيونى » أو « بروتوكولات حكماء صهيون »

الأستاذ محمد خليفة التونسى

« الصهيونية وربيبتها دولة إسرائيل »

الفريق محمد فوزى والأستاذ عمر رشدى

« خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية »

السيد / عبد الله التل

« الدولة العربية الـكبرى »

الأستاذ محمود كامل المحامى

« بلاد ما بين النهرين » « الحضارتان البابلية والأشورية »

دبلابورت . ترجمة الأستاذ / محرم كمال

محنة التوراة » الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف

« دعا يعقوب بنيه وقال : اجتمعوا لأُنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا .. واصغوا إلى إسرائيل أبيكم !

راؤبين .. فائراً كالماء لا تتفضّل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته ! ..

شمعون ولاوى .. آلات ظلم سيوفهما . فى مجلسهما لا تدخل نفسى ! بمجمعهما لا تتحد كرامتى ! لأنهما فى غضبهما قتلا إنساناً وفى رضاهما عرقبا ثوراً ! .

أُقسمهما فى يعقوب وأُفرقهما فى إسرائيل .. »(١)

وهكذا أخرج المؤلف اليهودى الأبناءَ الثلاثة الأُوّل متذرعا بما ذكره من أسباب هى فى مدلولها تحمل الدليل على أن هذا المؤلف اليهودى الذى لم يجعل نصب عينيه إلاّ كيْل المحامد للابن الرابع تمهيداً لقيام « بيت داود » قد غفل أو تغافل عن ان الى « لاوى » إنما موسى ، عليه السلام ، بسلسلة نسبه يعود ! .

والآن ... نجىء الى الابن الرابع ، « يهوذا » ، الجدّ الأعلى لداود وذرية داود . . . فلنصغ الى هذا المؤلف اليهودى وهو يحدثنا بأن إسرائيل قد استرسل فى حديثه الى أبنائه متجهاً به الى « يهوذا » قائلا :

« يهوذا !

إياك يحمد اخوتك ! يدك على قفا أعدائك . يسجد لك بنو أبيك ! يهوذا جرو أسد . من فريسة صعدت يا ابنى !

جثا وربض كأسد وكلبوة . من ينهضه ؟

لا يزول قضيب من يهوذا .. وله يكون خضوع شعوب !.. »(٢)

---

١) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين ٢) الاصحاح ٤٩ سفر التكوين

قنّن فيها مؤلف « سِفر الخروج » حُلم مؤلف « سفر التكوين » وحوّل فى خلالها فكرة « الأرض الموعودة » من حلم باهت وأمنية هاجعة بين الضلوع إلى عقيدة دينية بدأ بها تشبُّث هذه الجماعة بهذه البقعة من مفْرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم هذا التشبُّث الذى ما لبث أن تحوّل إلى المطالبة بهذه « البقعة » كحق شرعىٍّ استمد شرعيته من الإيمان بأن « يهوه » قد منحها لهم ملكا أبديا ! .

ويقينا ! .. يقينا ، ليس إلاّ تحت هذا اللون من التقنين كان أن تحوّلت فكرة « الأرض الموعودة » إلى عقيدة دينية انعقد على الإيمان بها الصدرُ من كل فرد من أبناء هذه الطائفة الدينية غداة سطّر هذا المؤلف اليهودى افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، قائلاً إن « يهوه » هو الذى قد أعاد موسى إلى « بنى إسرائيل » فى مصر كيما يُكوِّن منهم جيشاً يزحف به صوب « الأرض الموعودة » حتى أننا لنجد هذه الفكرة وقد استحوذت على تفكير هذا المؤلف اليهودى استحواذاً هى التى جعلته يطلع علينا بنصوص جديدة تتحدث عن تمرد العمّال العبريين على من كانوا يعملون تحت امرتهم ، يومذاك ، من المصريين .. فنحن نسمع هذا المؤلف اليهودى يحدثنا عن تكاسل هؤلاء العمّال عن القيام بما كان قد أُلقى على عاتقهم من أعمال وصراخهم قائلين : نريد أن نذهب « فنمضى ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للربِّ إلهنا » كما نسمع الصوت المصرى ينبعث من نفس هذه النصوص اليهودية ، وعلى حدِّ تصوير هذا المؤلف اليهودى ، يسأل باعثىّ هذا التمرّد :

« لماذا يا موسى وهرون تُبطّلان الشعب عن أعماله ؟ . »[1]

---

١) الاصحاح ٥ « سفر الخروج »

أهم المراجع الإفرنجية

"Antiquities of the Jews" By F. Josephus.
"Wars of the Jews" ,, ,, ,,
"History of the Jews" ,, Milman - I,II,III,V.
"Israel in Egypt" ,, F. Petrie
"The Exodus" ,, Ali Shaffei.
"Historical Notes on the Pelusiac Branch".
"The Red Sea Canal and the Route of the Exodus".

"The Bible".
"Dictionary of the Bible" Hastings
"The Archeology of the Bible" By F. Kenyon
"The Bible and its Background" ,, A. Robertson, V.
"The God of the Bible" ,, Evans Ball.

"Hebrew Religion and its developments" By Osterly & Robinson.
"Shulkan Araq"
"Jewish Ritual Murder" By A. Leess "1938"

"Cuneiform Parallels to the Old Testament" E. W. Rogers.
"The Cuneiform texts of Ras-Shamra" C. P. Shaepfer.
"The Ras-Shamra tablets" J. W. Jack.
"Babylonian Historical texts" S. Smith.
"The World's Earlies Laws" Ch. Edwards.
"History of Babylon" L. W. King.
"Israel and Babylon" Wardle.

"The Archeology of Palestine" W. F. Albright.
"The Religion of the Semites" Robertson & Smith.
"Religion on Ancient Egypt" By G. Maspero.
"The Passing of the Empires" ,, ,, ,,
"The Life and Time of Akhnaton" ,, A. Weigall.
"Egypt" ,, J.H. Budge.
"Histoire de L'Egypte" ,, J.H. Breasted.
"Histoire ancienne des peuples de L'Orient Classique" Maspero.

"The Ancient History of the Near East" Hall.
"The People of the Sea" ,,

"Zionism" E. B.
"The World's Great Restoration, or Calling of the Jews"
Sir ; H. Finch.
"Judenstaat" Th. Hertzel.

الفهرست

الطعام فإنما هناك مواد أخرى وعليها يشتمل الإصحاح الحادى عشر من هذا « السفْـر » الذى يسترسل مؤلفه قائلا :

« وكلَّم الربُّ موسى قائلا : كلِّم بنى إسرائيل قائلا : إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تـكون نجسة سبعة أيام .. وإن ولدت أنثى تـكون نجسة أسبوعين .. ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولىٍّ محرقة وفرخ حمامة أوْ يمامة ذبيحة خطـّية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الـكاهن . . .

وإن لم تنل يدهـا كفاية لشاة تأخذ يمامتين أوْ فرخى حمام الواحـد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الـكاهن فتطهر ! . »(١)

وعلى هذا النمط تتوالى النصوص وبعد « شريعة التى تلد ذكراً أو أنثى » تجىء « شريعة ضربة البرص » وعليها يشتمل الإصحاح الثالث عشروالرابع عشر من هذا « السفْـر » ولتتلوها « شريعة ذىالسيل والذى ... يضطجع مع نجسة » وعليها يشتمل الإصحاح الخامس عشر وكلها شرائع أترعتها ألوان الدماء لأكثر من نوع واحد من الحيوان .. فنحن نرى فيما شرعه هذا المؤلف اليهودى مثلا واضحاً على ذلك عبر هذه النصوص :

« كلَّم الربّ موسى قائلا : هذه تـكون شريعة الأبرص يوم طهره .

يُؤتى به إلى الـكاهن .. يأمر الـكاهنُ أن يوخذ للمتطهِّـر عصفوران حيَّان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا .

ويأمر الـكاهن أن يذبح العصفور الواحـد فى إناء خزف على ماءٍ حىٍّ . أمّا العصفور الحىّ فيأخـذه مع خشب الأرز

---

(١) الاصحاح ١١ « سفر اللاويين »

فى « سفر العدد » .. فلا شىء جديد فى هذه الإصحاحات الثلاثة الا ما يفيد بأن حركة اسرائيل واتجاهها نحو شرق الأردن كانت بعد انقضاء أربعين سنة من الارتحال عن مصر وأن فى خلالها كانت فكرة « الأرض الموعودة » تودع فى أذهانهم حتى غدت عقيدة دينية وأما فى نهاية هذه الأربعين سنة ففى النصوص ما يفيد بأنها قد أصبحت عقدة نفسية يزيدها على تعقيد تعقيداً صوتُ هذا المؤلف الذى يزيدنا ايماناً بأن على أجنحة الهوى قد شطح به الخيال والا فأى جنوح أكبر من التقول على موسى عليه السلام والقول بأنه هو المتحدث الى « يهوه » بهذه النصوص قائلا :

« وتضرعت الى الرب فى ذلك الوقت قائلا : ياسيدى الرب قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة . أى إلـه فى السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك ؟ !.. »(١)

أىّ إسرائيل :

« قد علمتكم فرائض وأحكاماً كما أمرنى الربّ إلـهى لكى تعملوا هذا فى الأرض التى أنتم داخلون إليها لكى تمتلكوها !

فاحفظوا واعملوا لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون : هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن . لأنه أى شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلـهنا ؟ !. »(٢)

أولا تذكرون ذلك « اليوم » ؟ . وكيف لا تذكرون ذلك « اليوم » ؟ . . إنّه :

---

(١) الإسحاح ٣ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

مطبعة الصّاوى بالقاهرة
٨٩ شارع الشيخ ريحان بعابدين

عندما تعطل مسير الأفلاك باشارة من يد يشوع وتوقفت حركة الكون إئتماراً بأمر يشوع . . فلقد تكلم يشوع :

« وقال أمام عيون إسرائيل : ياشمس دومى على جبعون ويا قمر قف على وادى إيلون . فدامت الشمس ووقف القمر . . وقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل الغروب نحو يوم كامل ! . . . »(١)

هكذا يقول لنا مؤلف « سفر يشوع » ، ونقول مؤلف « سفر يشوع » لأن هذا « السفر » المترع هو الآخر بالتهاويل والمتناقضات بالرغم مما قد مازجه من بعض الحقائق من سيرة بنى إسرائيل وتحركاتهم فى « أرض كنعان » ، قد ألف حوالى القرن الخامس ق . م . ثم نسب إلى يشوع إبرازاً له وتعظيما له عن موسى وفى هذا الدليل الكافى على التفاف الوجه اليهودى من حول يشوع منذ ذلك العهد الذى عاش فيه يشوع حتى هذا العهد الذى كتب فيه هذا « السفر » الذى يحمل كل هذا التعظيم ليشوع ! . . بل وكأنما هذا التعظيم لم يكن ليكتمل إلا عن طريق اختلاق هذه « المعجزات » التى وإن نسب بها هذا المؤلف إلى نفسه جهالة فادحة بعلم الهيئة وبالتالى بقوانين الكون قائمة وراءها يقع السبب الحقيقى الذى غفل عنا طويلا فى تاريخ بنى إسرائيل والسبب نفسه هو نفس يشوع ! . فانه هو يشوع الذى لمح بوادر الجزر الكنعانى وأدرك أن السانحة قد سنحت لغزو « أرض كنعان » واحتمال قيام ملك فيها لمن سيعبر بهذه الجماعة إلى تلك الأرض . . يشوع هو الذى انتهز فرصة الوهن السياسى الذى أصاب كنعان فامتدت قبضته تتحسس مقاليد الحكم فى بنى إسرائيل فأعلن نبأ وفاة موسى بينما راح مؤيدوه يقولون :

---

(١) الاصحاح ١٠ « سفر يشوع »



المؤلفة والكتاب :

« أبكار محمد السقاف » وهى شريفة عربية تنحدر من أسرة عريقة تنتشر فى شبه الجزيرة العربية والكثير من الأقطار الإسلامية ، ويرتفع نسبها إلى الحسين حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الجد الأعلى للمؤلفة هو القطب الصوفى « العيدروس مصطفى بن عبد الرحمن السقاف » ، أستاذ الجبرتى والمعروف بـ « سيدى العيدروسى » وصاحب المزار القائم بجوار المسجد الزينبي بالقاهرة .

أول مفكرة عربية تسهم فى الدراسات الفلسفية والعقائدية بعمق وجلد ؛ قدمت إلى المكتبة العربية كتاب « العقل الإنسانى فى مراحله التطورية » وهو يقع فى ثلاثة أجزاء كبيرة استغرق وضعه عشر سنوات ووضعت فيه أسس نظرية فلسفية جديدة عن « الكون والمكون والكائن » .

أول أديبة تتفرغ للتأليف بتكليف من الدولة .

وقع عليها اختيار لجنة الأدب بوزارة الثقافة وبرياسة المغفور له الأستاذ عباس محمود العقاد ، فى مستهل عام ١٩٦٢ ، لكتابة مؤلف عن « اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة » وهو هذا الكتاب الذى تقدمه اليوم بعد عمل استغرق أكثر من خمس سنوات . وتتعرض فيه المؤلفة لموضوع خطير يشغل بال العرب جميعاً ، وخاصة أنه قد جاء بعد ثلاث نكسات أصابت العروبة والإسلام فى مأساة فلسطين .

تقوم الآن بأعداد مؤلف عن « الحلاج وأثره فى التفكير الصوفى والفلسفى » تعمل فيه منذ منتصف عام ١٩٦٥ .

والذى ينتزع اليهود من الإصحاح الخامس عشر فيه هذا « الحق الروحانى » الذى يدّعون لهم فى فلسطين ، لابدّ وأنه قد عاش بعد أن قويت « قبيلة دان » وتمكنت من الزحف على « لآ ييش » واحتلالها . ولما كانت « لآ ييش » لم تصبح «محلة دان » إلاّ بعد وفاة شمشون فإنّ هذا البرهان كاف على أن هذا « السفر » لا يعود إلى عهد موسى وإلاّ فكيف يمكن أن يجئ الذكر فيه عن « دان » على لسان موسى وتكن على عهد شمشون مدينة باسم « دان » لم حتى تسكون على عهد موسى ؟ !..

ثمّ ..

ثمّ ، إلى جانب هذا البرهان يأتى برهان آخر ينبع من أغوار الترتيب التاريخىّ نفسه ومكانه من نفس هذا «السفْر » ، «سفر التكوين» ، الإصحاحُ السادس والثلاثون الذى يستهل الحديث بذكر الترتيب النسبى لنسل عيسو الإبن الأكبر لإسحاق والذى ، كما تغير اسم يعقوب إلى إسرائيل ، كان قد تغير اسمه ، أيضاً ، من عيسو إلى « أدوم » ثم ، بالتالى ، كما أصبح نسل إسرائيل يعرف بالإسرائيليين أصبح نسل أدوم هذا يعرف بالأدوميين . . وعلى قائمة طويلة بأسماء هؤلاء الأدوميين يشتمل هذا الإصحاح حتى ينتهى بنا فى الحديث عنهم إلى كيف توالت عليهم الأزمان فكونتهم إلى قبائل وعشائر مكنتهم بعد ذلك من احتلال « جبل سعير » حيث أقاموا فيه لأنفسهم مُلْكا مستقلاً من مُلْك بنى إسرائيل . . . ثمّ ، بعد أن يحصى كاتب هذا الإصحاح « أبناء أدوم » يقول :

« وهؤلاء هم الملوك الذين مَلَكوا فى أرض أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبنى إسرائيل !. »